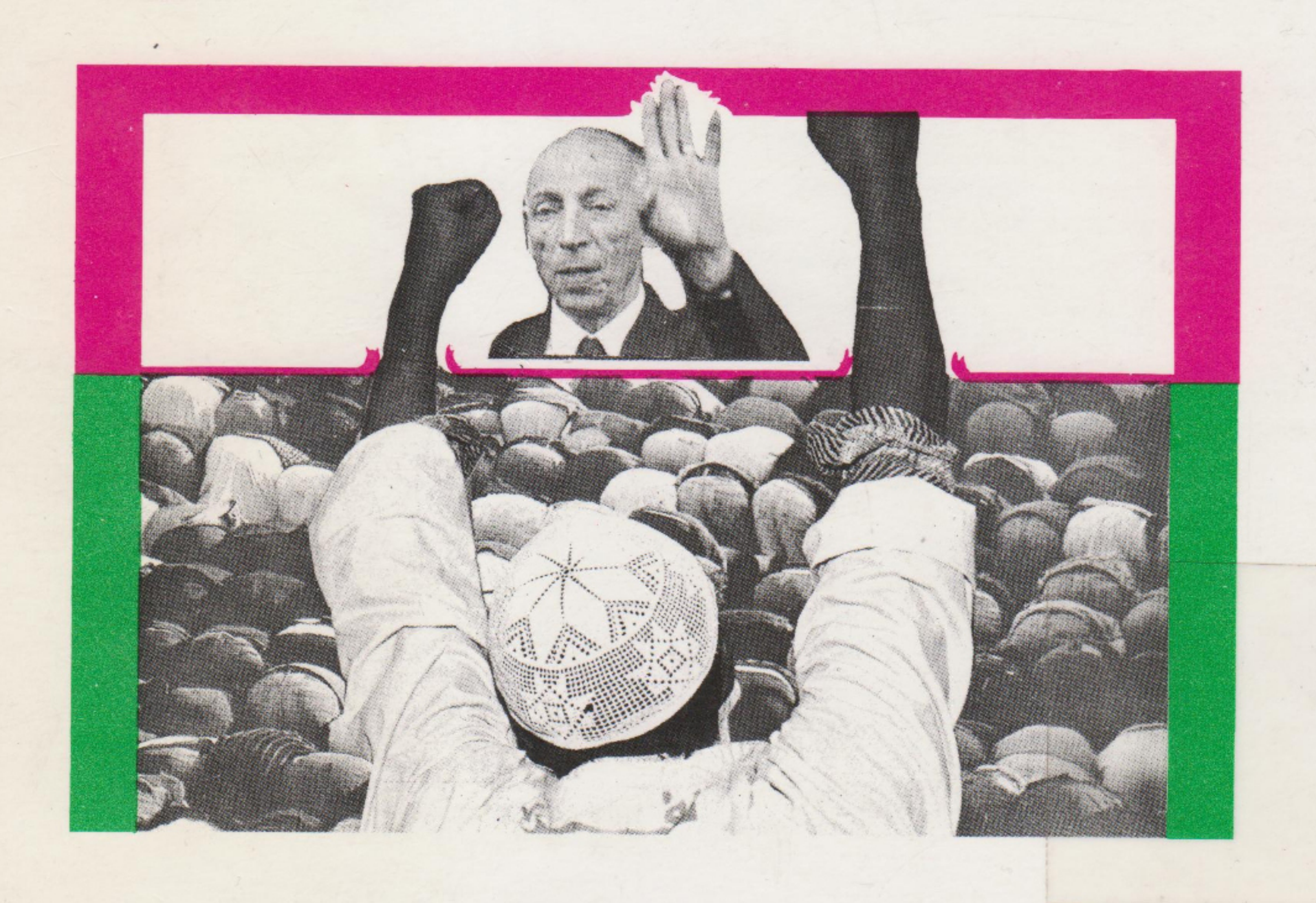
احميدة عياشي

الحركة الإسلامية في الجزائر

الجذور - الرموز - المسار



عيون

أحميدة عياشي

الحركة الإسلامية في الجزائر

الجذور - الرموز - المسار

عيون
قناة الجزائر algriachannel.net

الكتـــاب : الحركة الإسلامية في الجزائر.
المؤلـــف : أحميدة عياشي.
الطبعـــة : الثانية ـــ الدارالبيضاء 1993.
نـشـــــر : عيون المقالات.
المطبعـــة : النجاح الجديدة.
الإيـــداع : 1993/409.

نحو دولة اسلامية
في قلب الغبار؟!

1≠ نحو دولة إسلامية!

الفيس وبداية القطيعة

من الحصار إلى الحصار: كرونولوجيا

من جاء بالحصار

مسيرات مسيرات

مشادات على مستوى القمة!؟

التحالف لماذا؟

علي بن حاج: أنا أكفر بالديمقراطية

صخب في بيت جبهة التحرير

حرب المساجد

زوبعة الدّم والتمويل

رمضان 1991، هل يمر هادئا؟

الكثير من المحللين لايعتقدون ذلك، فهم يذهبون إلى أن هذا الشهر إضافة إلى أنه شهر المسلمين كلهم على المستوى الشعائري، فهو شهر الفيس (الجبهة الاسلامية للإنقاذ) على المستوى السياسي..

ذكرى رمضان 90 فيما يبدو لاتزال عالقة بأذهان هؤلاء المحللين، لقد برهن الفيس أثناءه أنه القوة الأساسية، وذلك من خلال أضخم مسيرة شعبية صامتة، أطلق عليها اسم مسيرة السلام، وقد توجهت رأسا إلى الرئاسة بانتظام وانضباط منقطعي النظير، مطلب الفيس الأساسي كان واضحا ودقيقا: حل المجلس الشعبي الوطني..

هذه المسيرة أسالت الكثير من الحبر والقلق لدى خصوم الفيس من اللائكيين والديموقراطيين بشكل خاص، وأثارت العديد من التساؤلات في الأوساط السياسية والثقافية، البعض منهم اعتبر أن جزائر الاشتراكية والوطنية الشعبويتين قد انتهت وذهبت إلى غير رجعة لتترك المكان كله لجزائر مجهولة، غامضة، محكوم عليها بالمصير الايراني أوالقدر السوداني في أحسن الأحوال.. البعض الآخر صب جام غضبه على الحزب الحاكم، لأنه في نظره هو المسؤول عن هذا "المسخ" الذي تربى بين أحضان فلسفته الشعبوية، وسياسته الانتهازية التي عملت على تصفية خصومها من الديموقراطيين واليساريين بصناعة هذا "الغول" الذي أصبح يتحدى اليوم صانعه نفسه، ولايرى هذا البعض المخرج الوحيد إلامن خلال العودة السافرة للجيش إلى السلطة،،

وذهب هذا البعض من المراقبين والسياسيين إلى حد الكفر بنعمة الديموقراطية "التي تقزم الديموقراطيين على مستوى الفئات الشعبية وتفسح المجال واسعا، وعلى مصراعيه أمام الاعداء اللذوذين لها ولفلسفتها.. وأمام مقر الرئاسة كان المنظر باهرا ورهيبا ومريبا،

– "أين الرئيس؟؟" تساءل قادة الفيس.. ويضيفون "نريد أن يرى الرئيس بأم عينيه، هذه الأمة، ويصغى إلى مطالبها"

لكن الرئيس لم يكن هناك، «الرئيس غائب لأنه في العمرة» إجابة الرئاسة لم تكن شافية ولامقنعة،، المهم أن الرسالة وصلت، وكان وصولها هذه المرة صاخبا من حيث صمتها، ومحذرا من خلال انضباطها.

وبقدر ما أثارت مسيرة السلام من قلق وارتياب لدى خصومها من المعارضة بشكل عام، ولدى السلطة الحاكمة بشكل خاص، فإنها أشاعت بوادر أمل كبرى في أوساط الاسلاميين بدنو ميلاد الدولة الاسلامية المنتظرة،، دولة الله، دولة الحق المطلق، دولة الخير العام التي تكون بديلا «لدولة الأحكام الوضعية ودولة اللائكيين والشيوعيين»..

إنها الدولة التي رفع من أجلها بويعلي وجماعته "الحركة الاسلامية المسلحة في الجزائر" السلاح في وجه دولة حزب جبهة التحرير الوطني «الخائنة لمبادئ الشهداء» واستشهدوا في سبيلها، إنها الدولة التي عرض الاسلاميون أنفسهم من أجل قيامها للمعتقلات والسجون والتعذيب و زنزانات السرية،، إنها على الأبواب قاب قوسين،، هكذا فتحت مسيرة السلام باب الأمل، وأينعت في صدور هؤلاء المعذبين والمهووسين بدولة الاسلام، دولة الخلفاء الراشدين عليهم الرضوان بوارق الرجاء وافراح الخلاص..

وكان رمضان 90 بهذا الانتصار الرمزي، والفوز البسيكولوجي اللذين حصدهما الفيس، شهر الاسلاميين بدون منازع، وورقة ذات دلالات استراتيجية تضاف الى رصيد أول حزب سياسي من حيث قوته الجماهيرية، أو اول حزب إسلامي فرض وجوده على الساحة السياسية.

وهاهو رمضان من جديد يعلن عودته، وإن كان هذه المرة منضافا إلى عمره عام وليد، فهل سيمر هادئا، وبسلام، مثلما حدث ذلك منذ عام أم أن ثمة روافد جديدة ستفعل فعلها على ملامح هذا الشهر المتجدد وبالتالي على مسار هذا الحزب الفيل؟

بين رمضان 90، ورمضان 91، عرف الفيس محطات أساسية ومهمة، البعض منها قام هو بصنعه والبعض الآخر فرض نفسه عليه فرضا، فانجر عن ذلك تغيير جذري ولاإرادي في تكتيكات هذا الحزب وسياسته الاستراتيجية التي خضعت إلى حد ما إلى نوع من الفلسفة الامبريقية.

المحطة الأولى فوزه بانتخابات 12 جوان للمجالس البلدية والولائية، لقد فاز بالانتخابات المحلية " البلدية" بنسبة 54،25 بالمائة من الناخبين حسب الأرقام التي أعلنت عنها وزارة الداخلية بتاريخ 20 جوان 1990 أي 4"331"472 صوتا ، أما على مستوى انتخابات المجالس الشعبية الولائية فقد حصل الفيس على نسبة57"44† بالمائة من أصوات الناخبين أي4.520.668† بينما حصل حزب جبهة التحرير على نسبة28"13† بالمائة من أصوات الناخبين أي2"245†"798† صوتا في الانتخابات البلدية،27"53† بالمائة من أصوات الناخبين أي†2"166"887†صوتا في انتخابات المجالس الشعبية الولائية. وحسب تقرير وكالة الأنباء الجزائرية، فقد تمت مراجعة عدد الناخبين بالتخفيض بعد الفوز والتصديق إلى أقل بقليل من 8 ملايين ناخبا ، حوالي7"87† مليونا بالنسبة للانتخابات البلدية، 7"98Ë ميلونا فيما يخص انتخابات المجالس الشعبية الولائية في حين كان قد اعلن عن 8،3 مليون ناخبا في نهاية الاقتراع. ويضيف تقرير الوكالة أنه فيما يتعلق بالانتخابات البلدية وحدها فإن الأرقام التي حصلت عليها القوائم الأخرى للأحزاب المترشحة لاتعكس تماما الثلاثية السياسية التي كانت تبدو وترتسم في توزيع عدد البلديات، فقوائم المترشحين الأحرار حصلت على مجموع 11.66 بالمائة من الناخبين أي 931،278 بينما حصل الآرسي دي (التجمع من أجل الثقافة والديموقراطية) على 166،104 صوتا 2.08 بالمائة ويليه الحزب الوطني للتضامن والتنمية ب131،100 صوتا 1،64 بالمائة.

بينما حصل البى آس. دي (الحزب الاجتماعي الديمواطي) على 029، 84 ناخبا 1،05 ناخبا ال بي ر أ،

(حزب التجديد الجزائري) على 65.450 ناخب 0.82 بالمائة والباكس (حزب الطليعة الاشتراكية) 24.190 ناخب 0.30 بالمائة.

أما الأحزاب الأخرى فقد تقاسمت ارقاما تقل عن 10.000 صوتا منها ال بي س ل (الحزب الاجتماعي الليبرالي) 4197 صوت حزب الاتحاد العربي الاسلامي الديمقراطي 869 وحزب الانسان رأسمال 198 والجمعية من أجل الوحدة والعمل 103 صوتا.

وقد أثارت هذه المحطة الأولى (فوز الفيس بانتخابات 12 جوان) عددا لا يحصى من ردود الأفعال ساهمت بشكل مباشر وغير مباشر في التطور المتذبذب ولكن الحاسم الذي سيعرفه حزب الشيخ عباسي مدني والشيخ الشاب علي بن حاج، وعن أسباب الفوز الموضوعية التي شكلت أول محطة نوعية على درب المطالبة بقيام دولة الاسلام الانقاذية، كتبت جريدة الشرق الأوسط في عدد 4219، الموافق لتاريخ 17-06- 1990 معلقة أن لهذا الفوز أسبابه الموضوعية. «ولم يأت صدفة أو فجأة كما يمكن أن يعتقد البعض..

ومن بين هذه الأسباب آنهيار الايديولوجيات الوضعية الاشتراكية والرأسمالية وفشل الأحزاب التي تحمل راياتها في فهم الواقع والتعبير عن متناقضاته، وبالتالي لعب دورا فعالا في صراعه التطوري. وقد اتضح هذا بشدة في الجزائر في خطاب هذه الأحزاب الاستغرابي مثل حزب الطليعة الاشتراكية (الشيوعي) وموقفه من مسألة الثقافة القومية والتعريب والهوية الوطنية وأيضا مواقفه الإنتهازية من الحكم في مختلف مراحله. ومن دون شك لعب عامل اللغة العربية دورا كبيرا في استقطاب الفيس (جبهة الانقاذ) لشرائح كثيرة من المعربين الذين اعتبروا أن الحكم في صدد التخلي عنها وبدأ يعبر عن هذا التخلي بشكل فج في أجهزة الاعلام وبالأخص في التيلفزيون، كما أن الانفجار الاعلامي حول النزعة البربرية والالحاح عليها بشكل تعصبي متزمت ولد في الشارع الآخر نزعه تعصبية مناقضة ومعادية، لأن حزب التحرير بدا عاجزا عن وقف هذا المد، بل أنه أتهم جزئيا بالمشاركة فيه عبر الحكم وتوجهاته وتحالفاته، فقد انصبت أصوات النزعة المعادية للنزعة البربرية والفرانكوفونية في خانة الفيس (جبهة الانقاذ) الذي يعتبر بالطبع أنه لانقاش في مسألة اللغة العربية، لامن موقع قومي عربي على أساس العرق والثقافة، بل انطلاقا من أنها لغة القرآن الكريم»

وتستأنف جريدة الشرق الأوسط تعليقها التحليلي أن الفيس "استفاد من الفراغ الايديولوجي السائد أو من تواجد ،الايديولوجيات المتراجعة، أو من هذه العودة الشاملة نحو القيم الروحية الدينية فوجد الكثير من الشباب فيها توازنه المفقود في المرحلة الحرجة من حياته.. مرحلة الطاقة الجياشة والرغبة في التعبير عنها".

".. واستفاد الفيس من تصديه الجريء للحكم، وعدم الخوف عندما كان بطشه قويا. فهذه الجرأة فتنت الكثير من الشبان، خصوصا وأن تطور الأحداث منذ أكتوبر إلى اليوم جعل الفيس يبدو وكأنه القوة الوحيدة التي تكبر وتزداد قوة وتحول بذلك إلى التيار الصاعد الذي يجذب حوله الكثير من الذين بحاجة إلى الشعور بالذات في تيار قوي. واعتمد الفيس في هذه الديناميكية على وجود بعض الدعاة المبرزين في قدراتهم الخطابية، واستفادت

من حركة التوسع في بناء المساجد والتي بدأت منذ عشر سنوات فقد تحولت هذه المساجد إلى منابر وقلاع دائمة لهؤلاء الدعاة، وعندما تفطنت القوى الأخرى إلى هذه المساجد سياسيا، كان قد فات الأوان إذ تكرس وضع هؤلاء الدعاة، وأصبح لهم جمهورهم المتعلق بإعجاب وحماسة شديدة بهم.

وقبيل الانتخابات بأسابيع طلب الأمين العام لجبهة التحرير الوطني بتحييد المساجد لئلا تتحول إلى حلبة الصراع السياسي بين مختلف الأطراف بدلا من وظيفتها كأماكن للعبادة» وتحت عنوان فرعي «اعتدال وتشدد» ترى الصحيفة أنه «إذا كان صحيحا أن الفيس استفاد من انفضاض الجمهور عن جبهة التحرير الوطني وغضبهم من سياسات حكوماتها، فإن ذلك وحده لايكفي لتفسير فوز الفيس بهذه الدرجة،» والحقيقة تقول الصحيفة «أن الفيس وضع تكتيكا ناجحا استطاع به أن يستقطب الجمهور سواء في خطابه الذي يتراوح بين اعتدال رئيسه عباسي مدني وبين تشدد خطيبه البارز الشاب علي بلحاج، أو في تشكيله لقوائمه الانتخابية حيث لجأ إلى ترشيح العناصر المثقفة والمحبوبة في محيطها الاجتماعي والمهني، بل أنه لجأ في حالات كثيرة وربما في أغلب الحالات إلى ترشيح عناصر لاتنتمي إليه ولكنها تملك كفاءات مهنية وتسييرية ولهم سمعة طيبة، خلافا لجبهة التحرير التي كانت ترشح من هب ودب، وتطمس كوادرها ذات الكفاءة».

ومن الأسباب الموضوعية غير العقائدية، لنجاح الفيس تضيف الصحيفة "الضجة الأعلامية التي أثارتها اجهزة الاعلام الفرنسية حولها وحولت زعيمها عباسي مدني إلى نجم إعلامي من جهة أو أكثر من ذلك ضحية لهجمة إعلامية فرنسية امنت له عطف الكثير من المواطنين" والحقيقة تقول صحيفة الشرق الأوسط "أن شخصية عباسي مدني لعبت أيضا دورها في تحقيق هذه النتيجة الايجابية. فلقد بدا معتدلا وبسيطا وعفويا من دون تصنع، وبدأ أيضا في حواره مع خصومه الذين حاولوا استفزازه ضحية معتدى عليها.»

وتستخلص الصحيفة من كل هذا "أن عناصر النجاح كانت متوفرة في هذا المعسكر وعناصر الفشل موجودة في المعسكر الاخر، ولكن العوامل الظرفية والتقنية لعبت دورها في تكريس هذه العناصر، وزيادة طاقتها في الانجاح والافشال وإزاء هذه الصورة يصعب القول أن الفيس ليس الفائز الحقيقي، ولكن يجوز طرح السؤال. هل ثمة فائز آخر؟ الإجابة هي: ربما يكون الفائز الآخر هو رئيس الحكومة «مولود حمروش» شريطة أن ينجح في الصمود والاحتفاظ بموقفه ومواقع أصحابه في الحكومة، حتى وإن ضحى بمواقفهم في المكتب السياسي، ولكن ذلك ليس أمرا مضمونا، فهزيمة جبهة التحرير كانت كبيرة إلى درجة يصعب هضمها، وإذا كانت جبهة التحرير جريحة تحتضر كما يعتقد البعض فقد يكون لانتفاضاتها الآخيرة هزة أقوى وأكثر فعالية مما كان عليه الأمر وهي متربعة على مواقع الطمأنينة. وإذا لم يستطع «مولود حمروش» أن يصمد أمام هذه الهزة فسيكون كبش الفداء الذي ستتفق عليه عدة أطراف، بمن في ذلك أصدقاؤه السابقون في المجتمع المدني والذين يقولون اليوم إذا كان قاصدي مرباح هو الذي منح الرخصة القانونية للفيس، فإن مولود حمروش هو الذي يساعده لكي يصل إلى الحكم.. إلى ذلك أن بعض شخصيات وكوادر جبهة التحرير يرى بأن الفرصة لم تضع كليا، وأن الضرر الذي لحق بجبهة التحرير قد يكون مفيدا، وقد يكون مساعدا لها لاستعادة مواقفها التي خسرتها في الانتخابات القادمة

على أن تتوحد مصالح كل فرد مع مصالح الآخرين عبر الجبهة بأن يرشح نجوم الجبهة أنفسهم في الانتخابات التشريعية ويرمي كل واحد بكامل ثقله وإمكانياته لكي ينجح شخصيا وتنجح معه جبهة التحرير »

وتعتبر الشرق الأوسط في تحليلها أن الفيس "يواجه مسؤولية كبيرة ومهمة صعبة تتمثل في ضبط العناصر المتشددة لكي لا تصطدم بالاهالي وبالمجتمع المدني على أرضية الحريات الفردية الحياتية العامة في البلديات التي ستديرها ومثل هذا الأمر ليس سهلا، فأثناء الحملة الانتخابية وحتى بعد إعلان النتائج، ظهر داخل الفيس خطان متباينان إلى درجة التناقض. خط معتدل يحاول أن يقيم جسورا مع مختلف الاطراف ويكشف عن إستعداد بل وعن رغبة حقيقية في الحكم وممارسته والنجاح فيه، ويمثله عباسي مدني. وخط آخر متشدد لايتردد في قطع الجسور مع الجميع بانتقادهم من موقع مبدئي قاطع لايقبل النقاش، ويمثله الإمام الشاب علي بلحاج الذي يحظى بشعبية كبيرة في أوساط الشبان المنتمين للفيس.. وقد استطاع عباسي مدني أن يحتوى التناقض بين الخطابين بمرونة كبيرة، إلى درجة دفعت الكثيرين إلى القول بأن اعتدال عباسي مدني وتشدد علي بلحاج ليس تناقضا بل أنه توزيع أدوار. قد يكون ذلك صحيحا بشكل ما، ولكن الأمر لايمكن أن يستمر في مرحلة التسيير العملي، فعلى أرض الواقع أن ينتصر الاعتدال أو التشدد بشكل أو بآخر وفي حالة التعايش سيكون الاعتدال عرضة لضغوط التشدد إلى حد يضعفه، ويحول دون وصوله إلى نتائج إيجابية في تناول مشاكل الواقع... نتائج ايجابية لامن زاوية الموقع المبدئي فقط، بل ايجابية كذلك من موقع الآخرين الذين لاينتمون إلى الفيس، فمثل هذه النتائج الايجابية ضرورة ملحة لتحقيق الفوز مرة أخرى في الانتخابات التشريعية، وهو مايدعو خصوم جبهة الانقاذ إلى القول بأنها ستحتفظ باعتدالها إلى الانتخابات التشريعية فقط. إن فوز الفيس أثار الرعب في صفوف خصومه، وانعكس هذا الرعب في حالة قلق ضمن صفوف عريضة من المواطنين، ولعل الأغلبية الساحقة من الذين لم يقترعوا لصالح الفيس يشعرون بشيء من الخوف بالنسبة للمستقبل الذي يتبينون معالمه بوضوح» وينتهي المقال في آخر مطافه إلى الاعتقاد " أن الخوف انتقل من هذه الصفوف إلى مؤسسات النظام المختلفة وبالأخص رئاسة االجمهورية والمؤسسة العسكرية. وقد حاول عباسي مدني التعامل مع هذا الخوف بهدوء وبرغبة في تهدئته حيث صرح نفس السنة لجريدة أكتياليتي (الجزائر الأحداث) أن الانتخابات الرئاسية المسبقة تعتبر بالنسبة إليه ثانوية، فكل مايهمه على حد تعبيره مجلس شعبي وطني قوي، يضمن الاستقرار، وقد ذهب في تصريح آخر حسب جريدة الشرق الأوسط الدولية إلى حد القول بأنه «في حالة نجاح حزبه في الانتخابات التشريعية، فهو مستعد لرئاسة حكومة تعمل تحت رئاسة الرئيس الشاذلي بن جديد». وتتمثل المحطة الثانية فيما أطلقت عليها وسائل الاعلام مسألة العنف، واتسع الاشكال وتعمق على الساحة، من أين يأتي العنف؟ ومن المسؤول عليه؟ أجهزة الإعلام وأحزاب المعارضة والنظام الحاكم يشيرون بصراحة بأصابع الاتهام إلى الفيس، هذا الهجوم المضاد المباغت جعله في موقع دفاعي وفي بعض الأحيان في موقع هجومي معتبرا أن العنف هو من انتاج السلطة وأجهزتها. وهي تهدف من وراء ذلك التشويه والسطو على ما حققه هذا الحزب من شعبية وتعاطف. وتأتي المحطة الثالثة التي فرضت نفسها على الفيس متمثلة في حرب الخليج، لقد وجد قادة هذا الحزب

تضعهم أمام وضع جديد ومفاجيء، وضع جياش قد يعصف بهم إلى غير رجعة لو وقفوا ضد التيار الشعبي المساند للعراق، ووقفوا إلى جانب نظام آل السعود الذي استقدم الولايات المتحدة وحلفاءها قصد الدفاع عنه وإسقاط نظام حزب البعث العراقي الذي احتل الكويت..

هذا السيناريو لم يكن في حسبان هذا الحزب الفتي الذي كان يجد حسب تصريح السفير السعودي إلى أسبوعية «الهداية»

أن جبهة الانقاذ كانت تتلقى من نظام آل السعود بعض المنح والمساعدات ذات بعد رمزي ومعنوي أكثر منه مادي،. لم يكن هذا السيناريو قد ارتسمت ولو لحظة قبل ذلك بعض مؤثراته في ذهن الرجل الثاني في الفيس، علي بلحاج الذي وصف صدام حسين نفسه بعدو المسلمين والطاغية والهدام،، مالعمل؟!

لقد اختار قادة هذا الحزب التيار المتماشي مع فورة الشعب على حساب المصلحة الحزبية الضيقة، لقد اختاروا عراق «أم المعارك» على حساب سعودية «الامريكان»..

وبعد هذا الحسم والفصل في اختيار الموقع أدرك هذا الحزب أن لاورقة لديه تملك من السلطة وقوة الفعل والتغيير الجذري، غير قوة الجماهير، لذا حاول، بمقاومته للسلطة الحاكمة ولأحزاب المعارضة، أن يرفع مستوى التحدي إلى أقصى حد، استجابة للرغبة الدفينة للمواطن المقهور وهو يسمع ويرى بأم عينه عبر أجهزة الاعلام الاعتداء الغربي المتوحش على شعب عربي أعزل ومحاصر، نحو الجهاد..

وهذه الدعوة التي رفعها الفيس خلال فترة حرب الخليج اعتبرها بعض المراقبين مناورة ذكية وجريئة لإدانة النظام، وتجريده من كل سلطة معنوية وسياسية، قصد الاستيلاء على الحكم، وهذا مما دفع بالسلطة إلى إعلان حالة الاستنفار القصوى داخل مؤسساتها العسكرية، وتسليط وسائل الاعلام العمومية خاصة على نقد مايقوم به الفيس، متهمة أياه بالمغامر الذي لايقدر مصير الأحداث وخطورتها، وواصفة سلوكه باللامسؤولية ورغبة التسلط ولو على حساب الأمن المدني ومستقبل البلاد، وبين هذه المحطات الثلاث عرف الفيس أيضا أثناء هذه الفترة مايسمى حرب البلديات بين السلطة المركزية ورؤساء بلدياته المنتخبين،، لقد كانت حربا تورط في ادغالها الفيس حتى الذقن، استعملت فيها شتى الحيل الإدارية والقانونية وكل أشكال العنف البيروقراطية..

عام يمر على مسيرة السلام تقريبا، وهاهو الفيس مصمم كما يقول عباسي مدني، على مواصلة التحدي، وتبني سبيل المعارضة الجادة التي لاتسقط في فخ المساومات المحدودة، ولعبة الصالونات. النداء إلى الندوة الصحفية بعد فترة وجيزة وقصيرة ركن فيها الفيس إلى الصمت والترقب بعدما أبدى عدم إرتياحه ورضاه عما أقبل عليه النظام من إعادة النظر في قانون الانتخابات، وفي مسألة إعادة تقسيم الدوائر الانتخابية..

لم يكن هذا اليوم الرمضاني حارا، ولاباردا، بل كان معتدلا ودافئا، الأحزاب السياسية تبدو ظاهريا أنها في نوع من الاستراحة بعد فترات الصخب التي فرضتها عليها حرب الخليج.. والفيس، ماذا في جعبته من قنابل هذه المرة؟

المكان الذي اختاره عباسي مدني لعقد ندوته الصحفية، كان بمقر جبهة الانقاذ، شارع شراس سابقا، والقاعة التي أجريت فيها الندوة، تقع في الطابق الرابع المطل على رجال مطافئ الحماية المدنية.

عدد الصحفيين هذه المرة كان متواضعا، دون شك أن الكثير منهم لم يكن يتوقع جديدا ، بعد الذي حدث في منطقة الخليج..

ولقد لاحظ عباس مدني هذا العدد غيرالمثير من الصحفيين، فأخروا، بشكل غير لافت للإنتباه، موعد انطلاق الندوة إلى غاية الساعة الحادية عشرة والنصف صباحا، بدل الحادية عشرة.

قبيل الندوة وزع على الصحفيين المشاركين بيان الجديد يدعو من خلاله الفيس إلى إعادة النظر في قانون الانتخابات الجديدة وتوزيع الدوائر الانتخابية، وإلى انتخابات رئاسية مسبقة ومتزامنة وإلا فالإضراب السياسي العام،، بمجرد الإطلاع على هذا البيان بدأت أسئلة الصحفيين تتهاطل على الرجل الأول في الفيس،، اجاباته رغم صرامتها ونبرة التوعد والانذار في لهجتها اتسمت بنوع من الهدوء الصاخب، وبالابتسامة الغامضة التي توحي بالكثير من الثقة في الفيس، وبالكثير من الاعتداد بطول نفس التحدي.

على يمين عباسي مدني جلس عضوان من مجلس الشورى، أما على يساره فقد كان يجلس، في حالة من الانتصاب، علي بلحاج الذي كان يقاطع الدكتور عباسي مدني في الكثير من الأحيان ليخرج من جو الاجابات السياسية العامة والمفتوحة إلى مناخ واضح ومباشر وهجومي في أجاباته ضد السلطة التي لاتحترم وعودها والصحافة كجهاز مرتزق، يجاري النظام الحاكم في مختلف سلوكاته غير الشرعية وغير القانونية على حد تعبير علي بلحاج، وكلما لاحظ عباسي انحراف الرجل الثاني في الفيس مع تيار الحماسة كان يختطف منه خيط الحديث ليعيد بأسلوبه اللبق القضايا الأساسية التي انعقدت من أجلها الندوة الصحفية إلى مواضعها الحقيقية حتى تصل الرسالة دون تشوش إلى المعنيين بالأمر..

في نشرة الثامنة، أعلنت التلفزة في بضع ثوان ماطالب به الفيس أثناء ندوته، دونما تعليق،، الصحف الوطنية أوردت ذلك ضمن الأخبار السياسية العادية، السلطة أختارت اسلوب الاستخفاف ولم ترد عنها أية ردود افعال تذكر..

عباسي يدري جيدا أن مطلبه ليس جديدا، بل سبقته إليه بعض الأحزاب الديموقراطية واللائكية التي شكلت ما سمي ب 7+1، وهي حزب التجمع من أجل الثقافية والديموقراطية، المجد البى ن س دي (الحزب الوطني للتضامن والتنمية) البي آرا (حزب التجديد الجزائري) الاتحاد من أجل الحرية والديموقراطية، اتحاد القوى الديموقراطية، إتحاد القوى الشعبية، الحركة من أجل الحرية في الجزائر، لكنه متأكد جيدا أن بينه وبين هذه الأحزاب، خيطا ليس بإمكانها أن تذهب به بعيدا في مجال المعارضة الجادة والقصوى،، وهذا ماكشفت عن صحته الأحداث بعد ذلك بشهور حينما أعلن عباسي مدني رسميا عن بداية الاضراب السياسي،، لقد تجلى أنه الوحيد الذي كان وفيا لتهديداته، بينما جماعة 7+1 تخلت وبسرعة غريبة عن تهديداتها بالاضراب العام، بل أصبحت

تندد بأي حزب يرفع هذا التهديد! ويومذاك ذاك عندما سئل زعيم الفيس، إن لم يكن محرجا عندما يلتقي في مطلبه هذا بالديموقراطيين واللائكيين ويفترق مع باقي فصائل الاسلاميين الأخرى التي لم تناد بالإضراب العام..، أجاب الشيخ عباسي مدني «لاحرج في ذلك مادامت مطالب هؤلاء، عادلة ونفس المطالب التي ننادي بها، أما فيما يتعلق بالفصائل الاسلامية التي تتخلف عن الركب، وتركن إلى الصمت فذلك شأنها وستتحمل مسؤولياتها أمام التاريخ».

في ماي 1991، تقترح علينا شاشة التلفيزيون من خلال حصة «حوار» الأسبوعية مواجهة صريحة بين الناطق الرسمي باسم الفيس عباسي مدني والأمين العام لحزب التحرير الوطني عبد الحميد مهري، واغتنم رجل جبهة الانقاذ الأول فرصة هذه المواجهة ليتهم الحكم بالتزوير في الانتخابات مرة أخرى، وذلك في قيامه بتجريد رؤساء البلديات من كل سلطة حقيقية، واعتبر الشاذلي بن جديد خائنا للثقة لايؤتمن ،بل ذهب إلى وصفه «بمسمار جحا» الذي وجب أن ينحى،، وجدد نداءه صراحة إلى انتخابات رئاسية مسبقة وفي حالة استخفاف السلطة بندائه، فسيستعمل حزبه سلاح الاضراب السياسي المفتوح حتى الاستجابة لهذا المطلب الرئيسي.

وفي 19 ماي من نفس العام ينزع عباسي مدني أمام تجمع ضخم من طلبة معهد العلوم الاجتماعية ببوزريعة، «عراقيته» البيضاء من على رأسه، ويخاطب الجمع «انظروا إن كانت هذه «العراقية» أصغر من رأسي فعلي تغييرها بأخري أكبر منها بدلا من تغيير رأسه. وهكذا هو الأمر بالنسبة لرئيس الجمهورية، فإن كان لايصلح فليس الشعب الجزائري هو الذي يجب أن نغيره، بل علينا بتغيير الرئيس..

لكن كل هذه التهديدات لم تؤخذ بعين الجدية، واعتبرها بعض المراقبين أيضا صرخة الجنون و أيضا صرخة النهاية شرعت بالظهور من حزب أضحى يعاني تمزقات داخلية، ومؤشرات أنشقاقا ت ستؤدي لامحالة إلى إضعافه وعزلته،، وهذه التهديدات في نظر حكومة حمروش لاتعبر في حقيقة الأمر إلا على نوع أجوف من المزايدات في السوق السياسي.. وهذا التفاؤل الصادر عن تحاليل حولاء زاد من تفشيه وانتشاره معظم وسائل الاعلام العمومية والمستقلة، بل انطلى ذلك حتى على بعض التنظيمات الاسلامية الأخرى التي بدأت ترى في نفسها بديلا حقيقيا وغير منازع للفيس،، فجعل منها هذا الاعتقاد والاقتراب أكثر من النظام قصد تجريده من كل ارتياب منها، وابعاد كل الأفكار المسبقة التي من الممكن أن يحملها عنها،، فسعت بشكل سافر إلى وضع حد فاصل بينها وبين الفيس،، معتبرة نفسها حزبا للتسامح، والرحمة، والحوار والتفتح والعصرنة.. الحملة الانتخابية على الأبواب،، الإضراب في انتظار 1 جوان، لتدخل الحملة من أجل الانتخابات التشريعية رسميا، فهل سيدخلها الفيس، ويتخلى عما توعد به النظام؟

بداية الاجابة الأولية عن ذلك كانت يوم الخميس 23 ماي، إثرندوة صحفية" حدد فيها الفيس يوم السبت 25 ماي كفاتحة لاضرابه السياسي المفتوح، بعض ردود الفعل الرسمية والحزبية شجبت هذه الدعوة إلى الاضراب ودعت قادة الفيس إلى التعقل، معتبرة تصميمهم على الاضراب دعوة قبل كل شئ "إلى إثارة الفتنة وزعزعة استقرار

البلاد" لكن من يوقف القطار بعد أن اختار الفيس؟ إذن إختار لحظة انطلاقه بعد طول تشاور واختلاف داخل مجلس الشورى حتى لانقول اضطر بهذا الاضراب الى أن يلعب ورقته الأخيرة، الحياة أو الاستشهاد، لعبة استقبلتها وسائل الاعلام «المستقلة» والعمومية بنوع من الاستخفاف السياسي وبشئ من الاستعلاء والنزعة الانتصارية، لقد سقطت هذه الأجهزة الاعلامية في فخ عدم أخذ قرار الفيس بدخوله مرحلة الاضراب السياسي المفتوح بالجدية والموضوعية، بل ركنت إلى الخطاب التقزيمي معتبرة أن الفيس فشل في مغامرته هذه، وبالتالي أمضى نهايته السياسية، فهل الأمر حسم حقا لصالح السلطة كما أراد إيهامنا بذلك رئيس الحكومة السابق مولود حمروش وباقي وسائل الاعلام؟

أ- اللعاب الشاذلي، والرشام بن جديد.

12 سنة تمر بكاملها على اعتلاء السيد بن جديد كرسي الرئاسة، مخابرات السيد قاصدي مرباح كانت خلف مجيئه، حسمت الصراع الذي كانت رحاه دائرة بين اللبيرالي المعتدل عبد العزيز بوتفليقة والاشتراكي الشعبوي محمد الصالح يحياوي لصالح بن جديد، فهذا الأخير كان في نظر رئيس المخابرات آنذاك رجل تطبيق وتنفيذ غير مسيس أو مؤدلج، لذا فوجوده على رأس هرم سلطة الحزب الواحد ودولته لن يكون مديدا ولامعقدا ولا خطرا على جهاز السلطة الخلفية للعسكر.. بل سيكون تواجده على قمة الرأس انتقاليا.. لكن بعد فترة قصيرة اختلطت الأوراق وحدث مالم يكن في حسبان سيناريوهات رجل المخابرات الأول آنداك، لقد استوعب الشاذلي بن جديد بحسه البراغماتي مقاييس السيناريوهات التي وضعت له؛ فاختار استراتيجية تبتعد في ظاهرها عن التصلب، وترتدي طابع السذاجة السياسية، والنية الايديولوجية حتى لاتحيي أي غريزة للمواجهة أو الصراع المكشوف أو الاصطدام السافر، أما باطن هذه الاستراتيجية فقد قام على سرية المناورة وسرعة التنفيذ والفصل، وعلى التكثيف من سلسلة الممارسات التكتيكاوية المتفرقة والمنعزلة التي تطغى في نهاية مطافها على المعالم الظاهرة للاستراتيجية المبيتة.

ووفق هذا المنظور للاستراتيجية التكتي كاوية أو التكتيك الاستراتيجي في مجال العمل السياسي الذي سلكه الشاذلي بن جديد استطاع وبسهولة مثيرة تصفية خصوصه البومدينيين، ثم معارضيه من أصحاب الخطاب الجبهوي الايديولوجي المتشدد، ثم الأنصار المستترين لرجل المخابرات السابق ثم استمراره على رأس السلطة بعد أحداث خريف الغضب في أكتوبر 1988 بعدما توقع عدد كبير من المحللين نهايته الحتمية.. يقدم نفسه المهندس الأول للاصلاحات، ويقول أنه سيذهب إلى أقصى حد.. ويقول أيضا أنه فكر فيها قبل غورباتشوف، لذا لم يرحم الوزير الأول السابق قاصدي مرباح عندما «لاحظ تقاعسه عن تطبيق مشروع الاصلاحات» فاستبدله بتمليذ نجيب "وذكي ومتحمس للاصلاحات" اسمه مولود حمروش، لكن حتى هذا التلميذ "الذكي" لم يصمد أمام تطبيق الاصلاحات واختار "الاستقالة" عندما دخلت البلاد الحصار العسكري للمرة الثانية بعد أكتوبر 88..

يصدر دستورا يقول بالحرف الواحد أنه لايسمح بميلاد حزب يقوم على أساس ديني أوجهوي ومع ذلك يفاجئ الجميع بميلاد الأحزاب التي ينعتها الدستور بالجمعيات ذات الطابع السياسي!!

يعتبر نفسه رئيس كل الجزائريين، وماهو إلا رئيس شرفي لحزب جبهة التحرير، ومع ذلك فإنه يطلق العنان لحزب جبهة التحرير في أن يضع قانونا للانتخابات التشريعية وقانونا لتقسيم الدوائر الانتخابية على مقاس الحزب الواحد..

إن التساهل الذي ظهر به الحزب الحاكم خلال انتخابات 12 جوان، أثار الكثير من التساؤلات والشكوك في أوساط الديموقراطيين، والكثير من الارتياح لدى قيادة الفيس، لكن سرعان ماظهر أن ذلك "التساهل" الذي أظهره نظام الشاذلي بن جديد لم يكن إلاطعما قاتلا على المدى الطويل للفيس وجاء هذا الطعم بعدة ايجابيات لصالح النظام الحاكم: انقسام الاسلاميين الحاد على انفسهم وبالتالي ضعف شوكة معارضتهم نسبيا، تشتت قوى الديموقراطيين وانقسامهم على أدنى وأتفه الأشياء،. تجريد الزعماء التاريخيين (آيت أحمد> أحمد بن بلة،،) من كرزماتياتهم وسلطاتهم الروحية، ابتذال التعددية الحزبية مجتمعيا وتقديم السلطة الحاكمة كبديل للفوضى وعدم الاستقرار، يضمن النظام والأمن.. والإقتناع بأن التعددية الناجعة في جوهرها تساوي المعادلة العجيبة: اللعاب نظام الشاذلي والرشام نظام بن جديد!

ب- حمروش وسياسة تعالوا تحت معطفي أويأتكم البعبع

حمروش ابن الجهاز، تربى على صلابة اللفظ السياسي، لكن في نفس الوقت على ميوعته، لقد استطاع أن يجمع بين تناقضين وبين أسلوبين، أسلوب الجبهويين الشعبويين وأسلوب الشاذليين الذرائعيين، رجل في ماضي الحزب الحاكم في ظل الواحدية ورجل في حاضر الحزب الحاكم في ظل "التعددية" الخاضعة عمليا للواحدية.

في مواجهة الديموقراطية سلك حمروش فلسفة التشتيت والشرذمة والإرشاء عن طريق التنصيب في المجال الإعلامي والسياسي والإداري، وفي مواجهة الإسلاميين أقام بفتح جبهات متعددة، جبهة الأئمة، جبهة شيوخ الزوايا ، جبهة تفضيل "الحماسيين" والنهضويين" على "الفيسيين"؛ وفي مواجهة بارونات جبهة التحرير القدامى وأنصارهم قام بتدعيم البارونات الجدد من الجبهويين الاصلاحيين

اما بالنسبة لعلاقته بالشاذلي بن جديد وفريقه، فقد عدل عن خطته الأولى الطموحة لمحدوديتها وأعاد قراءته من جديد لتجربة قاصدي مرباح التي أرادت خرق المراحل في الوصول إلى سدة الرئاسة، فضل أن يعيد جو الثقة بينه وبين الرئيس الذي شرع بالتعكر وارتأى أن يتقدم كمرشح للإنتخابات التشريعية حتى يكثف من التمويه حول رغبته في تعويض الرئيس.

في حصة "حوار" الأسبوعية، حاول حمروش أثناء تعليقه على إضراب الفيس السياسي في يومه الأول أن

يبدو أمام متفرجي الشاشة الصغيرة واثقا من نفسه، ومستخفا بما أقبل عليه حزب عباسي مدني، واصفا إياه بالخطأ السياسي.

حمروش قالها بعنف «حكومتي هي الوحيدة التي تملك برنامجا واقعيا وملموسا،،. يعني ماعداه مجرد ثرثرة وأضغاث أحلام، فهو البديل للمعارضة، وإن أصرت المعارضة على عدم الإنضواء تحت مظلته الاصلاحية فمصيرها الهلاك،، إذن فهل استطاع حمروش أن ينجح في تطبيق فلسفته هذه، القائمة على الترغيب والترهيب ؟!

الاجابة عن ذلك كانت سريعة ، بعد تصريحه لحصة "حوار" بفشل الاضراب السياسي ب 12 يوما من الإضراب الممتزج بالعصيان المدني، وتمثلت هذه الاجابة في سقوط حكومة حمروش، وإعلان حالة الحصار.

ج- جماعة 7+1 كم تساوي؟

جماعة 7+1 راهنت على الاضراب العام، كانت تسعى وتطمح إلى أن تكون معارضة جادة بكل ما في الكلمة من معنى. لكن سرعان ماحدثت المعجزة ؟؟ فنبرتها تجاه السلطة خفتت حتى نقول تغيرت وانقلب بعض هذه الجماعة رأسا على عقب. كيف ولماذا ؟ هل شاركت في تكتيك رسمه النظام دون وعي منها ، أم وجدت نفسها مضطرة للتراجع عندما علمت أن إمكانية الاصطدام مع السلطة قد تكون حاسمة ولغير مصالحها الحزبية الضيقة المستقبلية ؟

هل خشيت أن تخسر المعركة قبل لحظة بدء المواجهة، ففضلت الانتظار وتأجيل المواجهة وتمتحن وزنها السياسي في تجربة الانتخابات التشريعية ؟

هل تمت بينها وبين النظام سرا مقايضة سياسية مسبقة ففضلت الربح الجزئي على مجاهل مغامرة الدخول إلى مرحلة الاضراب العام ؟

هل اعتبرت من تجربة الأحزاب الديموقراطية واليسارية التي تحالفت مع آية الله الخميني، لتجد نفسها بعد الاطاحة بالشاه معرضة للقمع والمحاكمة فاختارت صف المتفرج حول ما قد يحدث وينتج عن معركة المواجهة بين النظام والفيس لتحصد في الاخير ثمار الانتصار دون أن تتورط في ذلك مباشرة ؟!

قد يكون في كل جزء من هذا التساؤل جزءا من الحقيقة.

د- الفيس وآبن جديد: بداية القطيعة؟!

حرب الخليج لم تقلب الموازين على المستوى العربي والإسلامي وحسب، بل قلبتها داخل الجزائر بين المعارضة

والنظام خاصة بين الفيس والنظام، الأول اعتبر السلطة متواطئة ونادى بالجهاد ، والثانية اعتبرت ذلك نوعا من المزايدة والديماغوجية والرغبة في اصطياد السلطة في ظل جو صاخب بالغموض والبلبلة والمغامرة.. خرج الفيس بجموعه متجها من ساحة الشهداء إلى الرئاسة، لكن في آخر لحظة وتحت التهديد حول الاتجاه إلى ساحة أول ماي. إنها بداية القطيعة التي تجلت بعد ذلك فيما سمي بقضية الدم التي ضخمتها وسائل الإعلام، وفي قضية كتاب «العصيان المدني » لصاحبه رئيس تحرير أسبوعية «الهداية» سعيد مخلوفي، وفي قضية تمويل الفيس من طرف السعودية التي أثيرت بصخب على أعمدة الصحف الوطنية.

السلطة وعدت خلال الأيام الأخيرة من حرب الخليج أنها ستكشف ملفات خطيرة لبعض الأحزاب التي تورطت في فضائح التبعية المالية، لكن تمخض الجبل فولدفارا..

د- من الحصار إلى الحصار: كرونولوجيا

31 شهرا تمر بالضبط على عمر مسار التعددية السياسية، ثم يحدث ماكان منتظرا وغير مرغوب لدى الكثير من المواطنين: عودة الجيش وبقوة إلى الساحة باسم الحصار..

بين انتفاضة الغضب في 5 اكتوبر 1988، ومسيرات الله في 5 جوان 1991 علق المسار الديموقراطي في الفضاء، فضاء زاخر بالتساؤلات والقلق والارتياب.

بين التاريخين كانت ثمة علامات مميزة لمخلوق إسمه الديموقراطية على الطريقة الجزائرية، هنا أهم هذه العلامات نقدمها بالاعتماد على اسبوعية "المسار المغربي" في عددها السابع والستين الموافق لتاريخ 10 جوان 1991.

*** 5 أكتوبر 1988**

مظاهرات عنيفة، قام بها- في الغالب- أطفال وشباب خربوا وأحرقوا مؤسسات الحزب والدولة وعدة وزارات في الجزائر العاصمة ثم امتدت المظاهرات إلى مدن أخرى.

*** 6 أكتوبر 1988**

إعلان حالة الحصار في الجزائر العاصمة

*** 10 أكتوبر 1988**

خطاب رئيس الجمهورية الشاذلي بن جديد للأمة، واعترافه أنه المسؤول الوحيد عن إخراج الجيش إلى الشارع، وفي نفس اليوم تحدث المجزرة أمام مقر المديرية العامة للأمن، ذهب ضحيتها العديد من الاسلاميين الذين كانوا

متوجهين في مسيرة سلمية، منطلقة من بلكور إلى مسجد السنة بباب الواد.

*** 11 أكتوبر 1988**

رفع حالة الحصار، والإعلان عن حصيلة 161 قتيل و154 حسب المصادر الرسمية ، فيماذهبت المصالح الطبية بالمستشفيات إلى الاعلان عن حوالي 500 قتيل، بالإضافة إلى آلاف الاعتقالات.

*** 3 نوفمبر 1988**

المصادقة بالاقتراع على أول إصلاحات سياسية دستورية في الجزائر.

*** 5 نوفمبر 1988**

تعيين السيد قاصدي مرباح (مسؤول الأمن العسكري سابقا) والوزير السابق للزراعة والصحة، رئيسا للحكومة.

*** 22 ديسمبر 1988**

إعادة انتخاب السيد الشاذلي بن جديد رئيسا للجمهورية بأغلبية 71٪ من مجموع الأصوات.

*** 23 فيفري 1989**

المصادقة بالاقتراع على دستور جديد ينهي حكم الحزب الواحد ويبيح إنشاء جمعيات ذات طابع سياسي.

*** مارس 1989**

ميلاد الفيس (جبهة الانقاذ) بزعامة الشيخ عباسي مدني وعلي بلحاج وتم اعتمادهذا الحزب رسميا في شهر سبتمبر من نفس السنة.

*** 2 جويلية 1989**

المصادقة على قانون الجمعيات ذات الطابع السياسي من المجلس الشعبي الوطني وتوقيعه من رئيس الجمهورية في الخامس من نفس الشهر.

*** 9 سبتمبر 1989**

رئيس الجمهورية ينهي مهام السيد قاصدي مرباح ويعين السيد مولود حمروش رئيسا جديدا للحكومة.

*** 15 ديسمبر 1989**

السيد حسين أيت أحمد يعود إلى الجزائر، بعد اعتماد حزبه (جبهة القوى الاشتراكية، اف. اف س) رسميا

في 20 نوفمبر من نفس السنة.

*** 11 مارس 1990**

الفيس يدعو إلى انتخابات تشريعية.

*** ماي 1990**

شهر المسيرات السياسية الكبرى، إذ شهدت الجزائر العاصمة تجمعات (تجمع الديموقراطية في 10 ماي، تجمع جبهة التحرير الوطني في 17 ماي، تجمع جبهة القوى الاشتراكية في 31 ماي) وهذا بعد التجمعات الكبرى التي سبقتها، التجمع النسوي امام المجلس الشعبي الوطني، الحركة الثقافية البربرية في 20 جانفي يناير الفيس في 20 أفريل)

*** 12 جوان 1990**

أول انتخابات محلية في ظل التعددية، فاز الفيس بمجموع 835 من بين 1539 بلدية.

*** 29 جويلية 1990**

رئيس الجمهورية يعلن عن إجراء انتخابات تشريعية مسبقة خلال النصف الأول من سنة 1991، ليعلن بعد ذلك في 5 ديسمبر من نفس السنة عن تأجيل هذه الانتخابات لمدة أقصاها 6 أشهر.

*** 2 أفريل 1991**

الفيس يطالب بانتخابات تشريعية ورئاسية مسبقة في مدة أقصاها 3 أشهر.

*** 3 أفريل 1991**

رئيس الجمهورية يعلن عن تحديد تاريخ الانتخابات التشريعية في 27 جوان 1991.

*** 23 ماي 1991**

الفيس يدعو إلى اضراب عام محدود الأجل ابتداء من 25 ماي 1991 للمطالبة بألغاء قانون الانتخابات والتقسيم الاداري الجديد وكذا المطالبة بانتخابات رئاسية مسبقة متزامنة مع الانتخابات التشريعية.

بدأ الاضراب خجولا لكن سرعان ماتحول إلى حركة عصيان مدني

*** 2 جوان 1991**

بعد 9 أيام من الأضراب العام، رئيس الجمهورية في خطاب متلفز بمناسبة انطلاق الحملة الانتخابية، تجاهل نهائيا مطالب جبهة الانقاذ، قزم حجم حركتها واصفا إياها «ببعض العناصر التي تعمل على تغليط مناضليها

الذين هم وطنيين مخلصين»

*** 3 جوان 1991**

وزارة الداخلية تصدر بيانا تقول فيه أنها ستتخذ سلسلة من الإجراءات الصارمة من أجل إعادة الأوضاع إلى مجراها الطبيعي، أهم هذه الإجراءات «إعطاء تعليمات لقوات الأمن العمومي بتشتيت كل التجمعات غير المرخص بها» ويعقب عباسي مدني على هذا البيان قائلا «سنرد على التحدي بالتحدي»

*** 4 جوان 1991**

اشتباكات بين قوات الأمن ومناضلي الفيس المعتصمين بساحات العاصمة تخلف حسب وكالة الأنباء الفرنسية 6 قتلى وعشرات الجرحى، في حين تحدث وزير الداخلية في ندوة صحفية «عن سقوط قتلى بالرصاص في أماكن لم تتدخل فيها قوات الأمن».

*** 5 جوان 1991**

رئيس الجمهورية يعلن حالة الحصار في كامل التراب الوطني ويؤجل الانتخابات التشريعية إلى تاريخ غير محدد، ويقول «أنه قبل استقالة» رئيس الحكومة السيد مولود حمروش وأن حكومة جديدة ستشكل بعد «الاستشارات الضرورية مع التشكيلات السياسية»

*** 6 جوان 1991**

بيان صادر عن رئاسة الجمهورية يفصح عن مرسوم رئاسي في 13 مادة مؤرخ في 4 جوان 1991، يقيم حالة الحصار لمدة 4 أشهر قابلة للإلغاء في حالة استتباب الأمن، ويعلن السيد أحمد غزالي رئيسا للحكومة .

و- من قرر الحصار؟

قبيل الاعلان الرسمي بأيام عن تاريخ بداية الاضراب السياسي المفتوح من طرف قادة الفيس، يفاجئنا مقدم الأخبار في نشرة الثامنة ببيان صادر عن وزارة الدفاع،، هذا البيان حمل بين طياته نوعا من التحذير إلى كل من تسول له نفسه المس بالأمن المدني، أو تعريض البلاد إلى وضع متوتر وغير مستقر.

وهنا نطرح التساؤل ، لماذا هذا البيان العسكري المبكر في هذا الظرف بالذات، فكل شئ كان عاديا وطبيعيا ولاينبئ بخطر حقيقي يتهدد أمن البلاد والمسار الديموقراطي؟

وهذا التساؤل، يحدد بالنسبة إلينا تساؤلا آخر، هل دخل الجيش فعلا ثكناته ليكون بالمعنى المدني جيشا محترفا، وظيفته الأساسية السهر على أمن البلاد من أي تدخل أو عدوان خارجي، أم أن ابتعاده عن المجال

السياسي لم يكن في حقيقة الأمر إلا مجرد تكتيك وتمويه وهو في هذا الشأن قد لايختلف عن باقي جيوش العالم الثالث التي تريد أن تبقى لها السلطة الحقيقية في تسيير دواليب الدولة؟

ثم هل كان من الضروري فعلا أن تفرض عنوة حالة الحصار على تجربة ديموقراطية وليدة ومتعثرة لايتجاوز عمرها أكثر من 31 شهرا؟

إن ميلاد ديموقراطية جذرية وطموحة في هويتها ومشروعها بعد 28 سنة من هيمنة الحزب الواحد والسيطرة المتسترة لأجهزة المؤسسة البوليسية والعسكرية ليس بالأمر الهين. وميلاد هذه الديموقراطية من قلب المواجهة الدموية، وفي ظل جو مثقل بالفقر في مجال الفكر والثقافة السياسيين يعتبر مهمة معقدة وشاقة لكن ليست بالمستحيلة إن احترمت قواعد اللعبة، وأول احترام لأية قاعدة من هذه القواعد يجب أن يتأتى من السلطة. فعندما تبتعد هذه الأخيرة عن كل سلوكات التزوير والخداع والمراوغةالنزيهة، فإنها دون شك تفتح المجال واسعا لممارسات أنظف لفن اللعبة..

لكن ماحدث خلال هذه الشهور القليلة كان يوحي بالعكس،، ويدل دلالة واضحة على أن السلطة الحاكمة، تريد بمختلف الأشكال السياسية والقانونية ضرب هذا المكسب الديموقراطي، لقد عادت الحكومة إلى الأساليب القديمة في مجال توجيه الاعلام عن طريق الضغط من جهة، والإرشاء من جهة أخرى. وكان ضحية هذا التوجيه الاعلامي، جبهة الانقاذ بشكل خاص، مما جعل العلاقة بينها وبين أجهزة الإعلام علاقة عدائية، والشعارات التي رفعها مناضلوها أثناء الإضراب السياسي، لهادلالاتها العميقة عندما وصفت التلفزة بالسي أن. أن، والصحافة الأخرى بالخائنة ؟واليهودية والشيوعية.

ونضيف إلى ذلك الاستفزاز الذي انتهجته حكومة حمروش في الزج بعدد من رؤساء بلديات الفيس أمام المحاكم وفي السجون،واعتبر بعض المحللين أن هذا العنف الإداري والسياسي المسلط على «مسؤولي الفيس ومناضليه، أحد المؤشرات التي تدل على إصرار السلطة على بقائها في سدة الحكم ضاربة بذلك عرض الحائط بكل وعودها السابقة المشيرة الى قبولها قواعد اللعبة بنزاهة ونظافة.

ويمكن أيضا ذكر عدم إصغائها لنداءات المعارضة التي طالبتها بحل المجلس الشعبي الوطني، ليكون بدله مجلس تأسيسي، وبإنشاء حكومة انتقالية، مشكلة من الأحزاب أو من شخصيات مستقلة وظيفتها الأساسية تكمن في الأشراف على انتخابات تشريعية ونظيفة لم يلب الحزب الحاكم مطالب المعارضة وسعى إلى اختراع قانون جديد للانتخابات، وقانون لتقسيم الدوائر الانتخابية يكون في خدمة أهدافه ولصالحه سياسيا، وعندما أعلن الفيس إضرابه السياسي، لم يبتغ حوارا جادا معه، بل رفض كل مطالبه من خلال رئيس الحكومة السابق، واعتبر هذا الأخير أي تنازل من طرفه هو تنازل عن قوانين الجمهورية، وعن سيادة سلطة القانون! بل ذهب رئيس الجمهورية صراحة إلى حد تسمية قادة أحد أقوى الأحزاب السياسية في الجزائر «ببعض العناصر».

إذن من جاء بالحصار؟

الفيس أم السلطة أم بعض الأحزاب مثل حزب الطليعة الاشتراكية الذي دعا صراحة إلى تدخل الجيش و«حل هذا الحزب الظلامي» على حد تعبير منسقه العام الهاشمي شريف..؟ لقد كان سيناريو عودة العسكر السافرة إلى الساحة طويلا، ملتويا ومعقدا رغم السن الفتي للمسار الديموقراطي، ماهي حيثيات هذا السيناريو، وكيف تمت صناعته ومن هم صناعه.. وماذا يعني في قلب كل هذا سعي الفيس نحو مشروع دولة الله؟؟

1- مسيرات.. مسيرات..

"الجزائر مقبلة على الفوضى، وعلى وضع من عدم الاستقرار!!

هكذا تنبأ العديد ممن كانوا غير راضين عن النهج الجديد الذي اختارته الجزائر ففي نظرهم تم ذلك بشكل مبكر جدا، وبدرجة كبيرة من الارتجال.. هؤلاء يعتبرون أن الشارع الجزائري يفتقر إلى أدنى أبجديات الفكر والثقافة السياسيين، وهو شارع عاطفي، متقلب، غير منسجم، تخضع ذهنياته إلى قوانين أخرى، تتناقض على طول الخط مع كل مايمت إلى الوعي والممارسةالديموقراطيين...

الشارع الجزائري تشبع إلى حد التخمة بثقافة الحزب الواحد، وتربى على تراث مثقل بسلوكات العقلية العشائرية والقبلية والجهوية، وبالعداء الفطري لكل ماهو مستورد على مستوى الثقافة والسياسة، وبشكل إن في الظاهر أوالباطن تعارضامع معتقداته الروحية والثقافية التقليدية.. ويجزم هؤلاء أن الشارع الجزائري فقير سياسيا وايديولوجيا، وهو لايملك أي شيء ممايسمى بثقافة التجمع أوالمسيرات،،

فالحديث عن ثقافة المسيرات في نظر هؤلاء، يعتبر ضربا من جعجعة مثقفي الصالونات، وشيئا نائيا عن أيدي هذا الشارع الفقير. فحتى إن كان قد عرف خلال كل الفترة البومدينية عددا لايحصى من التجمعات والمسيرات، فإن طابعها كان فولكلوريا أكثر مما كان ناتجا عن ممارسة واعية لحق سياسي، أو تعبيرا عن مستوى ما، من النضج المدني والاختيار الحر. إن مميزات الفترة البومدينية لم تكن أكثر من سيناريو تعده السلطة بانتظام وحسبان قصد إضفاء الشرعية على سلطتها الشعبوية من جهة، ومن جهة أخرى بغية تمرير خطابها في جو غريب من الكذب على الذات، قبل الكذب على الآخرين.

لقد كان الشعب «يخرج» في مسيرات ضخمة من قبل السلطة المركزية ليحيي مجدا الثورة الزراعية، وكل منجزات الثورة الديموقراطية الوطنية وسياسات الدولة الخارجية الرشيدة،.

وباستثناء الصدمة العاطفية التي تلقاها الشارع الجزائري، يوم افتقد الرئيس الراحل هواري بومدين، في ظرف مفاجئ ومباغت، فقد كانت مسيرته التي جاءت تعبيرا عن وحدة تراجيديته بعنف الافتقاد، والشعور المرباليتم تعكس بعمق، مستوى التعلق الأبوى السلبي بشخص الحاكم، والغياب شبه المطلق للمؤسسات وفعاليتها، والفراغ المخيف المترتب عن سياسة الهيمنة.

وقد نتفق أو نختلف مع هذا البعض، إلا أن مايبدو جليا، هو أنه بعد صعود الشاذلي بن جديد إلى سدة الحكم، بدأت مؤشرات جديدة تنبئ بالتغيير في مجال فلسفة الحكم، خاصة مايتعلق بالتحرر، أو الاستقلال النسبي من هيمنة الايديولوجيا الشعبوية،، ومما ساهم بالتسريع في هذه العملية بنحو هذا الاتجاهّ، هو مستوى النضج الذي بدأت تكشف عنه المعارضة الفتية غير التقليدية، والتي كانت بداية انطلاقها الحقيقية الجامعة.

في نهاية عام 1979، لم يكن الصخب المثار على الساحة من طرف المعربين والفرنكفونيين قد عرف نهايته. المعربون يتهمون الإدارة بالعداء للغة الوطنية، ويرون أن هذا لايهدف في جوهره إلا الانتصار لأعداء الشخصية الوطنية والثوابت القومية.. إنهم يسجلون أيضا التقاعس في تطبيق المادة الثالثة من الدستور التي تنص على أن اللغة العربية هي اللغة الوطنية والرسمية، إنهم لايفهمون هذه الإزدواجية في مجال العلوم الاجتماعية، وهذا الغبن الذي يتعرض له المتخرج المعرب من قبل إدراة مستبدة، لاتعترف بالعربية، كلغة رسمية، وكلغة عمل.

وتحت شعار «التطبيق الفوري للغة العربية في الإدارة والجامعة» يعلن معهد الحقوق بابن عكنون (العاصمة) اضرابه غير المحدود، لتلتحق به بعد ذلك كل المعاهد الجامعية على المستوى الوطني، وتولد بذلك أولى التجمعات الاحتجاجية في بداية مرحلة الشاذلية.

وبعد ذلك بشهور قلائل، وبالضبط في أفريل 1980، تبزغ إلى السطح الحركة الثقافية البربرية، أهم مطالبها إعادة الاعتبار للغة الأمازيغية وللغات الشعبية الأخرى، وفسح مجال أكبر للحريات الديموقراطية..

انطلاقها كان من مراكز ثلاثة، الجامعة المركزية، وجامعة تيزي وزو وثانويات بجاية بالقبائل الصغرى..

أصحاب حركة التعريب الفوري، أعتبروا المنادين بالقضية الأمازيغية هم الأعداء اللدودين للغة العربية ومطالبتهم هذه في الحقيقة جاءت تعبيرا عن مخاوف الفرنكفونية في الجزائر من حركتهم الداعية إلى الاصالة والاسلام والتحرر من هيمنة الغرب، وفرنسا بشكل خاص.

وممن نشطوا حركة الربيع البربري لسنة 1980، نذكر الدكتور سعيد سعدي ومصطفى باشا آيت العربي أرزقي الذين أصبحوا فيما بعد مسؤولي حزب التجمع من أجل الثقافة والديموقراطية..

لقد انفجر الشارع الجزائري في ربيع 1980 في كل من الجزائر العاصمة، وتيزي وزو ، وبجاية. وتميزت المسيرات بالنبرة الاحتجاجية من المتظاهرين وبالعنف من قبل قوات الأمن، والعنف المضاد ،

ونفس السيناريو تكرر في المسيرات الاحتجاجية ذات المطلب الاجتماعي التي عرفتها وهران في 82، ومدن الشرق الجزائري في 1986. اما مسيرات الإسلاميين، في نوفمبر عام 1982 بالجامعة المركزية، ثم غداة وفاة الداعية عبد اللطيف سلطاني التي كشفت عن معارضة من طراز ثوري فقد كانت فاتحة الاعلان عن الوفاة الحزينة للمسيرات والتجمعات الشعبوية التي كان النظام يشرف على تنظيمها.

وتعتبر مسيرات أكتوبر 88 قطيعة وبداية في نفس الوقت، قطيعة مع مسيرات الحزب الواحد ونقيضها من

المسيرات الأخرى، وبداية لمسيرات عهد التعددية..

من يملك الشارع: الاسلاميون أم الديمقراطيون أم الجبهويون؟

ظل هذا الاشكال قائما بعد أحداث أكتوبر، وبعد التناسل في مجال التعددية الحزبية الذي عرفه المشهد السياسي في الجزائر.

كل من هذه القوى بدأت تعرض عضلاتها في الميدان، وتجرب مدى الشعبية التي تتمتع بها.. وكان التجمع النسوي الذي دعت إليه رابطة الدعوة الاسلامية البداية الحقيقية لماسمي فيما بعد بمعركة المسيرات، ووجهت الرابطة دعوتها إلى الأمة الجزائرية، مشيرة في بداية ندائها إلى أن «المتأمل في الواقع الجزائري خصوصا والعالمي عموما، يجد أن الهجمة على الإسلام والمسلمين قد ازدادت حدتها، وإن التركيز على المرأة والسعي إلى إفسادها من خلال القوانين والإجراءات الإدارية المجحفة بالمرأة المسلمة والمتاجرة بعرضها والتعريض بقانون الأسرة وما إلى ذلك من المسائل الحساسة من قضايا المرأة والأمة قد أضحى ظاهرة بارزة اليوم».. وعلى هذا الأساس كانت دعوة الرابطة لكل "غيور على دينه ووطنه ووفي لثوابت أمته ومحب لمستقبلها المشرف أن يسجل حضوره في التاريخ والمكان المذكورين (الخميس 21-12-1989، أمام مقر المجلس الشعبي الوطني) بزوجته أوبنته أوأخته أو أمه، وذلك تعبيرا عن رفض المرأة الجزائرية المسلمة لكل مايمس كرامتها وشخصيتها وجاءت هذه الدعوة إلى التجمع ردا على المسيرات النسوية، ومسيرات «الرايس» تجمع الفنانين والمثقفين والعلميين التي دعت إلى إلغاء قانون الأسرة وتعميق الحريات الديمقراطية.

ضم هذا التجمع التاريخي في حياة المسيرات الجزائرية مئات الآلاف من المشاركات والمشاركين، والذي اعتبرته مجلة «التذكير» الصادرة عن مسجد جامعة الجزائر بأنه « حلقة في مسلسل الجهاد والبطولات يضيفها الشعب الجزائري إلى ديوان مآثره، التي رفع بها جبين الأمة الإسلامية عاليا حين جدد في المسلمين روح الجهاد والشوق إلى الاستشهاد..»

ورأى فيه رئيس الرابطة الشيخ أحمد سحنون «أنه سيبقي منقوشا في تاريخ بلادنا.. فالإسلام دين أكرم المرأة وأعزها مانحا إيها نفس الحقوق التي منحها الرجل.. في الإسلام لايوجد مايسمي بقضية المرأة إذهي تكمل الرجل كما يكملها»

وطالب الرجل الأول في الفيس هذه المرأة التي جاءت رفقة وليها ملبية نداء الدعوة أن تطب نفسها وتقر عينها وتطمئن بالا لأنها أشرف النساء، وهي للمرأة المثل الأعلى، جعل الله الإسلام دينها ومحمد صلى الله عليه وسلم نبيها ونساءه قدوة لها، وميزها بين السوافر بالحجاب الساتر وجعل البيت مملكتها والأبناء جندها والزوج شرفها وجعلها سكينة البيت ومتعة النفس وزينة الحياة ومربية الأجيال وصانعة الرجال «فلا تحقرى نفسك ولاتجهلي قدرك ولاتقلدي غيرك فأنت أعظم من غيرك، لك الماضى المشرف الصفحات بالأمجاد والكمالات وهو الذي يفرض عليك أن تسيري على ضوئه وتتخذيه قوتك وتباهي به نساء العالم أجمع، وإني اعيذك أن تقعي في الفخ

المنصوب لك وأنت المؤمنة الكيسة لاتتركي الجاهلية الرعناء تعود إلى مجتمعك الطاهر بعد أن أكرمه الله بالإسلام وأحله به أرفع مقام»

ويذهب الشيخ شراطي وهو عضو بالرابطة إلى حد اعتبار اعضاء الرايس والجمعيات لنسوية كونهم «شرذمة قليلة من الرجال والنساء ممن تعفنت ادمغتهم بنفايات الفكر الغربي بشقيه وتستروا بشعارات الديموقراطية والحريات الوطنية وغيرها من الشعارات البراقة ليقوموا بأعمالهم في الخفاء وينفثوا سمومهم في عقول النساء على الخصوص ليدفعوهن إلى التمرد على شرع الله، وإلى الخروج في حياة الأسرة المسلمة وليجعلوا من هذه الشرذمة أولا وأخيرا خادمة لمخطط التغريب الذي هو أخطر اسلحة الدمار والتخريب في مجتمعنا الأصيل» ولهذا حسب قول الشيخ شراطي "رأى رجال الدعوة الاسلامية- باجتهاد منهم- أن يردوا الأمور إلى نصابها: وأن يكشفوا الزيف وأن يسقطوا القناع عن حقيقة الشرذمة ليعرفها المجتمع بكل فئاته وينبذها بعد أن وضعت هي نفسها في طبقة المنبوذين". قبل هذا التجمع بأربعة أيام، وزعت جمعية تحرر المرأة بيانا عنيفا تحت عنوان «كفى كذبا يادعاة الحقد،، جاء فيه على الخصوص «مرت سنة على تجمع النساء ببوزريعة؛ حيث عبرن عن خوفهن ومحنهن : «دعاة الحقد اتهمونا بالمطالبة ب 4 أزواج والحث على الانحلال الخلقي، كل هذا تحت قيادة إيزابيل عجاني. إنها لتهمة ساخطة كاذبة» ويضيف البيان بأنه بعد مسيرة وتجمع 8 مارس 1989، لفق لهن أن من بين المتظاهرات ألف يهودية، وكلهن يطلبن تعويض الاسلام بدين آخر.، ويطمحن بالتزوج من أربعة رجال «إنها لحملة كاذبة مشوهة لمطالبنا» يؤكد البيان.

ويعدد البيان أنه بعد الملتقى النسوي الوطني لم تلبث أن تكررت مثل هذه التهم ضدهن مضافا إليها بأنهن يشنن حملة ضدقيم الشعب الجزائري وأنهن صقورالإستعمار الجديد. ويرد البيان "نحن بدورنا نؤكد أن من بين صفوفنا مجاهدات حاربن بالامس الاضطهاد الإستعماري، وفي صفوفنا نساء عاملات، أمهات، طالبات، قابعات مجندات لخوض المعركة ضد كل المزايدات والممارسات التعسفية ضد النساء. من أعلى المنبر، يزرعون في نفوس شبابنا الأبرياء وأبائنا اليائسين سم الحقد بدون اعتبار للمكان الذي من المفروض أنهم يحترمونه ويقدسونه.» ويتهم البيان هؤلاء الدعاة صراحة بأنهم كذابين. ثم تتساءل جمعية تحرر المرأة في بيانها المذكور "اليوم، يدعون الناس ومن بينهم النساء للتجمع ، لماذا؟

«للوقوف - يجيب البيان- ضد نساء ورجال نددوا بالعنف وقالوا. لاللقتل أطفال أبرياء، لالحرق المنازل، لا للميلشيات التي تضطهد الطلبة، لا للخطب المشحونة بالحقد التي تجعل من شبابنا مجرمين،، لا للإرهاب الثقافي لالكذب والافتراء، لالخطاب العنف والحقد، ويواصل نفس البيان المؤرخ في 18 ديسمبر 1989 «ليجتمعوا وليعبروا عن اتهاماتهم، نحن مسرورات لمبادرتهم بالسماح لنسائهم، وأخواتهم وبناتهم المشاركة في النقاش الراهن، لكننا نتأسف لكون هذه المبادرة ليست تعبيرا عن غضبهن، إنما تعبير عن سلطة أسيادهن، نتأسف لأخراجهن من السجن ليطالبن بالعودة إليه، أما نحن فنتحداهم أن يأتوا بأدلة إفتراءاتهم.

وفي الختام يعتبر البيان أن التجمعات النسوية لم تعد بدعة، بل هي خطوة مباركة، مادام في النهاية أقتنع بها هؤلاء الدعاة. ويرى أن بركتها تكتمل في حالة ماإذا اقتنعت النساء اللائي خرجن إلى الشارع بالدفاع عن حق التعليم، وحق العمل، وحق الاحترام والتعبير وحرية التنقل بكل آمان، وحق المواطنة الكاملة، ومن أجل صورة نسوية بدون أفكار مسبقة تهكمية ومنحطة، ومن أجل إلغاء قانون الأسرة، وحق الانتخاب الحقيقي للنساء.

هذا التجمع الضخم أثار إلى جانب بعض الردود الحزبية، الكثير من الرد في الصحافة الوطنية التي اعتبره بعضها "البداية السافرة" لصعود الأصولية.. بينما طرح البعض الآخر عددا من التساؤلات حول مصادرة الرابطة إرادة المرأة المسلمة وتنظيمها لها تجمعا «رغم أن للمرأة المسلمة جمعيتها الخاصة» وحول موقع الفيس في هذا التجمع النسوي، وهل شارك في الدعوة والتنظيم أم أنه غير متحمس لمثل هذه الأساليب المسالمة؟ وحول ماإذا كان يعنى «تجمع المستجيبات لنداء الرابطة انهن يمثلن فعلا الأغلبية الساحقة لنساء المجتمع وبالتالي فهن المعبرات الحقيقيات عن إرادة المرأة الجزائرية. وهذا إذا ماأخذنا بعين الإعتيار ضخامة عدد المشاركات في التجمع؟! وهل يعني ذلك بالمقابل أن مناضلات الجمعيات النسوية الأخرى لايمثلن إلا انفسهن؟! أم أنه لاهؤلاء ولا أولئك يمثلن المرأة في المجتمع. فالأغلبية الصامتة (راضية أومكرهة- لم تقل كلمتها بعد؟)

وأجمعت الصحافة بمختلف اتجاهاتها أن التجمع النسوي عرف مشاركة مكثفة، والاستجابة له كانت كثيفة من مختلف أرجاء الوطن، حيث شاركت في التجمع المتحجبات و«حتى السافرات من مختلف الفئات والأعمار» بالنسبة لأهم نقاط العارضة التي توجهت بها المجتمعات أمام المجلس الشعبي الوطني فيمكن تلخيصها في النقاط التالية:

-"التطبيق العملي للمادة الثانية والتاسعة من أحكام الدستور.

-إعادة النظر في كل قوانين الدولة على ضوء مبادئ الشريعة الإسلامية ومقاصدها مع إلغاء كل ما يتعارض مع النصوص القطعية والاجماع.

- وضع حد للهجمة "المسعورة" التي تشنها بعض وسائل الاعلام على مشاعر المواطن لجزائري..

-وضع حد للهجوم على مقدسات الأمة وثوابتها.

- وضع حد للمساس بكرامة المرأة المسلمة والمؤامرة المبيتة على الأسرة.

-التنديد باللهجة الوقحة التي تستعملها بعض الأحزاب في خطابها السياسي ضد ثوابت الأمة. التنديد بالأحزاب والجمعيات الداعية إلى اللائكية التي تحركها أيد خفية والتي نعتبر دعوتها مخالفة للدين، متنكرة للتاريخ خارقة للدستور ولا سيما المادة الثانية والتاسعة.

- إلغاء القوانين والإجراءات الإدارية المخالفة لعقيدة وأخلاق المرأة الجزائرية ونخص بالذكر:

أ- الاختلاط الموروث عن الاستعمار والمفروض على أبنائنا.

ب- فرض تعرية رأس المرأة في الصور الخاصة بالوثائق الرسمية.

ج- إكراه الفتيات على ممارسة الرياضة في غياب الضوابط الشرعية »

واعتبر بيان الرابطة الحضور "في الموعد مع الشعب ومع التاريخ" ابراء للذمة من جهة، ودق جرس "الإنذار" من جهة ثانية، بتذكيره بعدد من القضايا الحساسة والمستعجلة، فتفادي الخطر في نظر هذا البيان أيسر من علاج آثاره. وهذه القضايا المستعجلة، تتمثل في قانون الأسرة الذي يجب أن « يحسن باستمرار ليخدم المصالح العليا للأسرة المسلمة » والإعلام الذي آن الأوان بالنسبة إليه « أن يتحرر من العقول المأجورة والأقلام المسمومة ليعود من منفاه » قصد "مسايرة الجماهير، التي أدركت أن الاسلام" هو الحل، والمرأة التي يجب على المجتمع "أن يراعي خصوصياتها الفطرية في كل التشريعات والإجراءات" والإسلام الذي ليس مجرد حزب أو مجموعة، بل هو " صحوة شعب"

بعد شهر تقريبا من هذا التجمع الذي هز العاصمة، قرر قادة الحركة الثقافية البربرية أن يعيدوا الأمل لتلك المجموعات الديموقراطية والجمعيات النسوية، بإعلانهم مسيرة بلغت المائة ألف مشارك، أريدلها أن تكشف عن الوجه الآخر للجزائر، وجه الأصاله الأمازيغية، ووجه الاصرار على الوقوف أمام خصوم الديموقراطية من الإسلاميين. وعرفت هذه المسيرة امتدادات لها في نفس الخط بعد ذلك بشهور بمسيرتي الديموقراطية والأف أف س « جبهة القوى الاشتراكية »

وعن الأسباب التي دعت دوائر الديموقراطيين في مسيرة العاشرمن شهر ماي، وبالضبط من ساحة ماي إلى ساحة الشهداء يلتقون اليد في اليد للتعبير كمايقول منظموها عن إيمانهم بالديموقراطية، "التي تعطشت إليها الجزائر منذ الاستقلال" فالقلق كان "سائدا إلى الأمس تجاه تصاعد العنف واللاتسامح وتشتت الديموقراطيين، وهانحن قمنا بمسيرة من أجل الديموقراطية، وبدأنا نبرهن أنه من الممكن أن نعمل مع بعضنا البعض في ظل احترام اختلافاتنا.- إن مسيرتنا أظهرت أن الشعب مصمم للدفاع عن السلم المدني والحريات الديمقراطية وحقوق الإنسان وعن خلق جو الحوار الذي تحتاجه بلادنا »

" إن المستقبل، يمضي هؤلاء المنظمون قائلين، يوجد اليوم بين أيدي الجزائريات والجزائريين" الذين يريدون أن يعيشوا أحرارا في ظل الكرامة والعصرنة والوفاء لقيمهم.. نحن هنا لنقول أننا نريد جزائر الأمل،، نحن هنا جميعا لنقول ان من غير الممكن تحقيق أي عمل دائم ولائق بدون الديموقراطية..

« من الأن فصاعدا، يقول المشرفون على المسيرة بحماس فياض، لابد من الإعتماد على هذه الحركة الديموقراطية، ونحن الأن هنا لنؤكد أن البلاد، وأن الحياة السياسية والوطنية يجب أن تعكس هذا التطور بدون تأخر.

- إن الشباب يمثل الأغلبية ولابد أن يسمع صوتهم
- إن المرأة تمثل نصف شعبنا ويجب الإعتراف بكافة حقوقها.
- ثقافتنا ثرية وديناميكية وتعددية ويجب أن تحترم وتحمى وتطور.
- الإسلام ديننا وملكنا جميعا يجب أن يعزز.
- الجزائر غنية ويجب أن تخدم كل أبنائها.

وينهي هؤلاء مسيرتهم بقولهم « نعم نحن هنا جموع غفيرة والكثير من الجزائريين لم يتمكنوا من الإحتفال معنا والتأكد أن الجزائر الديموقراطية ينبغي أن تبنى قبل أن يفوت الأوان في ظل السلم والأخوة، صوتنا سيسمع الأن، يجب أن نتعلم كيف نجسد أراءنا، إن الروح التي سادت يوم عاشر ماي ينبغي أن نحافظ عليها، فهذا الكفاح من أجل مستقبل الديموقراطية يعنينا جميعا »

زعيم جبهة القوى الإشتراكية أيت أحمد أختار هذا اليوم ليعقد تجمع حزبه بالبويرة، ثم لينظم مسيرته الخاصة التي أنزل فيها القبائل البعيدة إلى العاصمة.. لينبه الملأ أ لا ينسوا ورقته الخطيرة..

وأمام هذه المعركة التي تصاعد أوارها بين مختلف القوى والحساسيات السياسية، والتي استعمل فيها سلاح المسيرات بكثافة لأول مرة في السجل السياسي الجزائري، وجد حزب جبهة التحرير نفسه مهانا، بل وشبه منبوذ من قبل معظم القوى الفاعلة على الساحة، لأنه في نظر البعض هو مصدر الفساد والتخلف الذي ألم بالبلاد، وسبب دمار القدرات وغياب الثقة في الآخر وفي الذات.. البعض الأخر اعتبره المسؤول عما حدث منذ 1962 إلى غاية أحداث أكتوبر الدامية من قمع للحريات، وتفشي للرشوة، وفوضى في التسيير، وضبابية في الرؤية والإختيار، حزب جبهة التحرير حاول تجريب اللعبة، الدخول في معركة المسيرات لكن تجربة تراجعه المريرة في مسيرة المواجهة التي كانت خلال رمضان الفائت أمام الفيس، لا تزال ماثلة أمامه، إنه لا يريد تكرار التجربة من جهة، ومن جهة أخرى يريد أن يدخل المعركة بكل ثقل مناضليه وأنصاره في الجزائر العميقة، فكيف السبيل إلى ذلك؟

أختار في بداية الأمر زمنا مناسبا لتجريب إمكانيته في ذلك،، آختار الفترة التي أثيرت فيها قضية نبش قبور الشهداء، من المسؤول عن ذلك؟

البعض حاول أن يوحي بأن جناحا متطرفا من الإسلاميين خلف ذلك ولكن بالنسبة لعباسي مدني، فقد قالها صراحة، وبشهور بعد ذلك في حصة تلفزيونية جمعته بالأمين العام لجبهة التحرير الوطني "جبهة التحرير هي المسؤولة عن نبش القبُور" إنها أحد السيناريوهات البوليسية التي كانت تسعى لتشويه الفيس.. محافظة الجلفة اعتبرت ذلك استفزازا ورفعت قضية ضد عباسي مدني، ثم ضاعت القضية في صمت مريب:

اختار حزب جبهة التحرير من منظمة المجاهدين ومنظمة أبناء الشهداء وسيلته الأولية في تجريب إمكاناته..

وكانت تلك المؤشرات "مكللة بالنجاح" فأقبل بعدها بأيام (17 ماي) على تدشين أكبر المسيرات التي عرفتها جزائر مابعد أكتوبر..

كانت هذه المسيرة التي تجاوزت المليون بالنسبة لحزب جبهة التحرير مجالا فسيحا لتطهير الذات، وفرصة تاريخية للرفع من معنويات مناضليه، وللرد على بعض خصومه من الديمقراطيين والاسلاميين.

وجوه قادته السياسيين والتاريخيين كان يبدو عليها فيض من البشر والفرح،، كانوا في مقدمة تلك الامواج البشرية، ينادون وينشدون أناشيد نوفمبر، وكأنهم لم يستقلوا بعد..

اسبوعية الثورة الافريقية، اللسان المركزي لجبهة التحرير الوطني، أفردت لهذه المسيرة ملفا خاصا، وعلى الغلاف الذي يحمل صورة زاهية للمسيرة وضعت عنوانا مثيرا بأحرف بيضاء «جبهة التحرير الوطني كانت ولا تزال».

- «لنفرد مكانا، لديموقراطية الفعل»

تحت هذا العنوان جاءت افتتاحية العدد، يبدو أن حزب جبهة التحرير الوطني حاول من خلال هذا العنوان، أن يضيف اصطلاحا جديدا لتراثه السياسي، فمن الديموقراطية المسؤولة، هاهو الآن يختار تحت وقع الحماس، مصطلح آخر، «ديموقراطية الفعل»، وهو في نفس الوقت رد ذكي على الاحزاب الديمقراطية الاخرى التي صبت عليه جام غضبها. تقول الثورة الافريقية أن حزب جبهة التحرير عندما أختار الصمت والحكمة أمام تلك الاستفزازات والتحرشات التي كانت تنوي الحط من قيمته وشأنه، كان يريد أن يعبر بذلك عن مدى التسامح الذي يتميز به، وعن ترفعه عن كل ثرثرة لا تسمن ولا تغني... إن هذا الصمت الذي تحلى به حزب جبهة التحرير، تقول الافتتاحية: لم يكن أبدا صادرا عن ضعف،، الدليل هذه الجموع الغفيرة التي احتفل بها الشارع، وعبرت في نفس الوقت عن تغلغل هذا الحزب في أعماق هذا الشعب، وهذه البلاد، وتعتقد الاسبوعية في إفتتاحيتها أن هذا اليوم لا يضاهيه في زخمه وخلوده الا يوم 5 جويلية 1962. مقالات من نفس العدد احتفلت على طريقتها بهذه المسيرة، ففي مقال «أنشودة لماي» من توقيع الوزير السابق للإعلام علي عمار، يصبح هذا رمزا مكثفا لجمال الطبيعة و«أجنة الحرية التي تحمل بين منافذها كل أمال المعذبين، وانتظارات المهمشين والمنبوذين».

إنه شهر تجسدت فيه أعظم الملاحم التي عرفتها الانسانية في عصرها الحديث؛ فهو شهر الحرية والتفتح، هو عيد العمال، عيد الانسانية المنتصرة على الفاشية والنازية، وعيد الدين انتصروا على قوى الاستعمار في ديان بيان فو، والشهر المبارك الذي اعيدت فيه الحرية لأقدم زعيم سياسي في سجون الزنازن العنصرية (مانديلا)، وشهر الانتفاضة المجيدة لأطفال الحجارة ضد الاستعمار الصهيوني، وشهر الاحتجاج الكبير الذي عبر عنه المجاهدون وأبناء الشهداء غداة نبش قبور من حرروا الجزائر، هو أخيرا وليس أخيرا شهر عرف فيه العالم «منظرا جديدا، الديمقراطية قامت بخطوات نحو الأمام.. وفيه كانت مسيرة 17 ماي الذي تعبر عن الامتزاج الرائع بين شذى ماي وأنوار نوفمبر»

ويذهب محرر آخر من الجريدة إلى القول بأنه « باسم الثوابت الوطنية، استطاعت جبهة التحرير أن تخرج الشعب إلى الشارع يوم 17 ماي، وهذا يعتبر درسا للجميع، لقد عبر الشعب عن أنه يقف بقوة الى جانب جبهة التحرير، وهذا يطيح بتلك الأحكام التي حاولت الاساءة إلى هذا الحزب » وفي مقال أخر يجزم محرر آخر أن جبهة التحرير الوطني لم تمت كما يتمنى البعض لها ذلك، بل ستظل حزبا حكيما، و« الحكمة هي مرادف للواقعية، فحزب جبهة التحرير لم يقف مرة حجر عثرة أمام المسار الديموقراطي الذي تعرفه بلادنا ، بل كان حكيما بالمعنى الذي لم يسقط. لقد كان حزب جبهة التحرير حكيما استطاع التحكم في أعصابه ودعا مناضليه إلى التعقل والهدوء » وفي صفحة أخرى من نفس العدد ذهب أحد المحررين إلى الاعلان « هاهي جبهة التحرير الوطني الشعبية أخيرا تتنفس وتعبر. إن هذه الجبهة تريد الاستمرارية ضمن سياق التغيير، بدون إحداث القطيعة مع ماضيها المجيد »

ويستخلص هذا المحرر من هذه المسيرة ثلاثة دروس أساسية، يتمثل الدرس الأول، في أن هذه المسيرة كشفت لنا عن علامات صحية لتجديد الجبهة، الدرس الثاني. أنها جاءت فوق كل الخلافات الضيقة. أما الدرس الثالث، فهذه المسيرة كشفت لنا كم هي قوة متلاحمة جبهة التحرير، لذا يجب أن يضرب بعرض الحائط كل من يدعو إلى حق الاختلافات الداخلية، لا تعددية داخل جبهة التحرير ».

لقد ساهمت حرب المسيرات خلال هذه الفترة بإثارة وإعادة الأمل والإعتزاز لدى كل طرف من الاطرف المتصارعة على الساحة السياسية، كما أنها زادت من تعميق الحيرة وخلط كل الاوراق لدى المراقبين. من يملك الشارع؟ هذا التساؤل. وهذه الحيرة سرعان ما سيشحب غموضهما وسحرهما بعد نتائج جوان 90.

2- فزع الحقيقة، والديموقراطية المفزوعة.

هل كانت الجزائر « تلعب بالنار » كما ذهب إلى ذلك البعض عندما قبلت وزارة الداخلية ملف اعتماد أول حزب للإسلاميين؟

هل كان ذلك فقط من قبيل المناورة من قبل السلطة قصد امتصاص فورة الاحتجاج الشعبي المتصاعد؟

هل كان ينقص « الشعب الجزائري الكثير من الجلاء على مستوى الوعي السياسي والنضج في مجال الخبرة الايديولوجية » عندما سمح لنفسه "الاستسلام لتيار الخطاب الاسلاموي الجارف « ومنح مقابل الجنة الوشيكة على الأرض وفي السماء ثقته المطلقة للإسلاميين، واختار في انتخابات 12 جوان المحلية الفيس » نكاية بحزب جبهة التحرير الوطني، وانتقاما من 28 سنة ديماغوجية وهيمنة وتهميش ومذلة أذاقهم علقمها بارونات الحزب الحاكم » ؟

وهل نصدق البعض عندما يعتبر أن تنامي الفيس كقوة فاعلة على ساحة العمل السياسي تشكل على المدى الاستراتيجي تهديدا للمكسب الديموقراطي الفتي، أم نضرب على مثل هذا الرأي صفحا ونذهب مع الرأي القائل

بأن الفيس وأية قوة إسلامية أخرى تساهم أولا وآخرا في إثراء التنوع وتحقيقه من جهة، ومن جهة ثانية تعمل هذه الفاعليات على تعميق معنى التعددية فيضمن بذلك جدة وجدية المسار الديموقراطي النائي عن أية فلسفة ذات نزعات تصفوية أو سياسية ضيقة؟

إن مادعانا إلى طرح مثل هذه الاسئلة هي ردود الأفعال تلك التي صدرت عن الكثير من الديموقراطيين إثر فوز الفيس بالإنتخابات المحلية.

لقد بدا هذا اليوم لأول وهلة على أنه يوم انقلابي ومن طراز جديد يملك امكانية تشريع الأبواب على مصراعيها أمام الرغبة الجامحة في التغيير، وهو في ذات الوقت المفارقة العجيبة، فيه امتزج الأمل بالرعب، لكن برغم كل ذلك يبقى يوما تاريخيا مجيدا بالنسبة لأنصار الفيس والمتعاطفين من الاسلاميين وغيرهم، لكننا قبل التعرض إلى ردود الأفعال التي أثارها فوز الفيس، نحاول بإختصار الإقتراب من تلك التنبؤات التي «بشرتنا» بحرب أهلية غداة إعلان رئيس الجمهورية عن نية السلطة في إجراء إصلاحات سياسية عميقة.

مباشرة بعد أحداث خريف الغضب، أكتوبر 1988 بأيام قلائل، تقود صحافة حزب جبهة التحرير ومنظماته الجماهيرية وعلى رأسها جريدتي «المجاهد» و«الوحدة» حملة لا هوادة فيها ضدما أسمته «حزب فرنسا» وضد فرنسا نفسها.

ففي عددها 382 تنشر الوحدة مقالا بإمضاء نائب رئيس تحريرها، يتوجه فيه إلى الصحفيين الفرنسيين الذين جاؤوا لتغطية أحداث أكتوبر قائلا «ياحضرات السادة الذين قدمتم في هذه الأيام من وراء البحر، ويامن انطلقتم من صرح فرنسا الرسمية، محملين بأحدث الات التصوير بالمبالغات والمزايدات، ثم تزينونه بكل المساحيق التي تزينت بها غانيات (شانزيلزيه وشراسيورغ ساندينه) منذ وجودهما، لتصفوا في الأخير الحبة بالقبة، ولتوهموا وتتوهموا أن بدونكم لايمكن للجزائر أن تقوم، وأن بدونكم لايمكن للشعب الجزائري أن يعرف طريقه، هل يمكن لنا أن نفهم بأي منطق تفكرون؟ وهل تريثتم قليلا لنحيل قضيتكم وقضية من بعثوكم على التاريخ؟» وفي فورة من الغضب يسعى إلى تذكيرهم بماضي دولتهم الاستعماري «ألا تخجلون من التاريخ؟ إن جلالته يقول لكم بأنكم طوقتم أحياءنا الشعبية في المدن وقرانا في الأرياف بالأسلاك الشائكة.. وأمرتم الجنرال «ماسي» بتنظيم أمن العاصمة، والجزال «لاكوست» بإعلان معركة الجزائر.. وأن جنرالكم «ماسي» سمح لعساكره بالنهب والتخريب.. ورغم ذلك لم تتكلم يومها إذاعتكم ولاجرائدكم عن حقوق الإنسان وعن حرية الرأي وعن جريمة الإبادة،، لقد تناسيتم كل هذا، الاتخجلون من التاريخ»

وفي نفس العدد من الاسبوعية المذكورة، والمؤرخ من 20 إلى 26 أكتوبر 1988، يذهب أحد محرريها إلى الكشف عن الأسباب الخفية لما أسماه «الهستيريا المزمنة» التي تعتري فرنسا تجاه الجزائر، يقول المحرر«تصاب فرنسا بهذه الحالات المرضية، كلما أتصل الأمر بالجزائر ورغم تكرر هذه الحالات، فإنها رغم ذلك لاتستطيع امتلاك زمام نفسها، وتفضح في كل مرة نواياها الحقيقية، وأحقادها الدفينة، أو لنقل إنها في الحقيقة تذكر بهذه النوايا

وهذه الأحقاد والمنطق الاستعماري الدنيء» .

أما الشاعر «اليساري» سليمان جوادي، فقد نشر على أعمدة نفس الجريدة مقالا تحت عنوان، «نحن معك» ويقصد أنه مع الشاذلي بن جديد، يعترف الشاعر السبعيني،، لا أخفي على أحد أني أسلت دموعا كثيرة أثناء الأحداث (أحداث أكتوبر) ولعل كثيرا من أبناء جيلي والأجيال التي سبقتني فعلوا نفس مافعلت - الله غالب- إنه الحب الكبير لهذا الوطن، هذا الحب الذي تنكرله كثير منا.. بكيت وقتها لكن صدقوني إذا أعلنت قناعتي بأن لتلك الأحداث إيجابيات كبيرة لصالح الشعب والقيادة على السواء رغم محاولات بعض المغرضين والمفلسين سياسيا توجيهها لصالحهم، والذين أثبتت الساعات- ولاتقول- الأيام- فشل محاولاتهم .. ومن الايجابيات المشتركة التي نجمت عن هذه الأحداث تأكد الشعب من أن اختياره للمجاهد والمناضل الشاذلي بن جديد رئيسا للجمهورية كان موفقا ولم يخب تطلعاته.».

مناضلو حزب جبهة التحرير في ندواتهم الجهوية، ونذكر منها ندوتي باتنة ووهران بشكل خاص، قالوا، صراحة، نحن مع الاصلاحات لكن لا للتعددية، بل حتى أن صحيفة تابعة للقطاع العام، فتحت أبوابها بكل حرية أمام الأراء التي تنادي بالحفاظ على الأحادية وتدين كل مناد بالتعددية متهمة أياه بالانتماء لحزب فرنسا وبالعداء للثوابت الوطنية ومقال «لاللتعددية» الذي نورد هنا بعض مقاطعه، هو نموذج لهذه الأراء والكتابات التي وجدت الكثير من الدعم والتشجيع آنذاك من قبل بعض مسؤولي الصحف الوطنية.

يقول صاحب الرأي « إن بعض المواطنين- سامحهم الله- وهداهم إلى الطريق المستقيم» لم يقتنعوا بهذه الاصلاحات ولم يستسيغوها، فراحوا يطالبون بالتعددية الحزبية وحجتهم «الواهية» في ذلك أن الشعب الجزائري ولاسيما الشباب منه قد اصبح واعيا وآن الأوان ليعبر عن رأيه بكل ديمقراطية ولكن هذه الديموقراطية (كما يدعي أصحابها) لاتتحقق إلا في ظل التعددية.

والسؤال الذي يمكن أن يوجه إلى مثل هؤلاء- يمضي صاحب الرأي متسائلا هو «فيم يتمثل وعي هؤلاء الذين تتحدثون عنهم؟ أهو الوعي الذي أدى إلى التخريب وتدمير وحرق الممتلكات العمومية والخاصة، وكلف الدولة خسارة قدرها 160 مليار من السنتيمات أم هو الوعي المتمثل في تلقى الأوامر من الأعداء وتطبيقها في أرضنا؟»

ويختتم صاحب الرأي حديثه قائلا «أقول لهؤلاء المتشدقين بلغة الأعداء الذين يبحثون عن السيادة ويريدون أن يحققوا طموحات الأعداء على حساب شهدائنا، أقول لهم، أن التعددية لاتقدم المصلحة العامة» ثم يطلب من الشباب «الجزائري الواعي» و«المواطنيين المخلصين الذين تهمهم مصلحة الوطن، نعم لسياسة الحزب الواحد، نعم لحزب جبهة التحرير الوطني».

إن مثل هذه الأراء لم تكن إلا بداية الفزع من الحقيقة، لكن بعد فوز الفيس في الانتخابات المحلية بدأ الفزع الحقيقي من الحقيقة في أوساط الديموقراطيين، بصورة خاصة.

في عـددها المؤرخ ب 21 إلى غـاية 27 جوان 1990، تثير أسبوعيـة «الجزائر الأحداث» حوارا صاخبا مع مخرج «ريح الأوراس» و«وقائع سنين الجمر» و«الصورة الأخيرة».

في تعليقه على انتصار الفيس بالانتخابات المحلية يعتقد محمد الأخضر حامينا أن ذلك تم بفضل السلطة «فالأحداث التي مهدت لهذا الانتصار لم تكن عرضية تحركها حتمية عمياء أو عشوائية، وإنما هي ثمرة واعية ومدروسة لمؤامرة واعية إن لم أقل دسيسة وتواطؤ» وعندما ماتطلب منه الجريدة توضيح ذلك، يجيب قائلا «في البداية لابد أن نشير إلى أن السماح بتكوين حزب يستند إلى الدين كان خرقا صريحا وصارخا للدستور، لكون هذا الأخير يمنع تأسيس الأحزاب على الأسس الدينية أو الجهوية، ومع ذلك، فقد سمح بتكوين الفيس وذلك بعد مرور بضعة أشهر فقط على إعلان الدستور الجديد فماهي ياترى المساومات والحلول التوفيقية التي أدت إلى الإعتراف بالفيس وإلى احتقار نص الدستور؟ إن هذا الاختيار يقودنا مباشرة إلى الانقسام. فمن جهة هناك أنصار الفيس والآخرون. مامعنى ذلك؟ هل معناه أن الأولين مسلمون والآخرين كفار؟

أولا: إن هذا الوضع لمن شأنه أن يثير انقساما عميقا داخل المجتمع الاسلامي وفي الاسلام، لاجريمة أسوأ من الفتنة.

ثانيا: حصلت تجاوزات وتعديات كثيرة من طرف الفيس بقيت السلطة صامتة أمامها ويمكن لنا اليوم، أن نفسر هذا الصمت بأنه تواطؤ.

ثالثا: أدلى السيد عباسي مدني. الناطق الرسمي للفيس، بحديث إلى جريدة «أوريزون- آفاق» وصف فيه رئيس الجمهورية بأنه إنسان خرف أو مخوف، ووصف رئيس الحكومة بأنه رجل غير كفء، وبعد مرور ثلاثة أيام، استقبل بحفاوة كبرى من طرف رئيس الجمهورية، وهكذا ظهر عباسي مدني أمام جميع المواطنين بأنه الرجل القوى لكونه شتم الرئيس ولكون هذا الأخير استقبله، ومنذ تلك اللحظة، أعطيت له كافة الأصوات، والأخطر والأدهى من ذلك كله أن عباسي مدني، كان أول من استقبل في الرئاسة.

رابعا: قرر الفيس تنظيم مسيرة، وقررت جبهة التحرير الوطني بدورها تنظيم مسيرة مضادة في نفس اليوم، أي 20 أفريل، وهكذا وجدت فرصة سانحة تسمح للحكومة بمنع المسيرتين ولكن على الرغم من الاتصالات التي تمت من الحكومة والفيس، فقد تمسك هذا الآخير بمواقفه بينما انسحبت جبهة التحرير من الميدان، ومعنى هذا أنها وهي التي كانت تبحث عن مواجهة مع الفيس، قد انهزمت لأنها تنازلت في الوقت الذي حافظ فيه الفيس على مسيرته.

خامسا: قام السيد رئيس الحكومة مولود حمروش بمنع «الترابابندو» وذلك خطأ قبل شهر واحد فقط من حلول موعد الانتخابات وهويؤكد وجود المؤامرة التي تحدثت عنها، وفي تقديري أن هذا الخطأ منح الفيس 25 بالمائة، إضافية من الأصوات، وكما هو الشأن في إيران، مع تجار «البازار» فإن الجزائر تعيش جزئيا بواسطة «الترابانديين

أي المهربين، وذلك، لانعدام حلول أخرى، وأنا أتحدث عن الشباب الكثر الذين لايجدون أمامهم أي أختيار آخر، في بلد عاجز عن توفير الشغل لهم، وأما الكبار فلم يقترب منهم، والواقع أن اكبر المهربين في هذه البلاد، هو الدولة، لقد اتخذت الدولة قرارا سخيفا تمنع به قد ماء المجاهدين وأبناء الشهداء من بيع سياراتهم التي استوردوها بفضل تسهيلات خاصة، وشكل ذلك القرار مساخطيرا بحقوق المواطنين وبحقوق الملكية الفردية، ولنكن جديين. فالدولة هي التي استولت على نسبة 15 في المائة من العملة الصعبة المخصصة لاستيراد السيارات وهي التي فرضت ضريبة تتراوح مابين 140 و250 في المائة على السيارات المستوردة إنها دولة قوادة، دولة تجارة الرقيق الأبيض والنخاسة.

سادسا: إن تصفية عدد كبير من الإطارات قبل بضعة أشهر من حلول موعد الانتخابات البلدية والولائية تندرج ضمن نفس الخط التآمري، وفي نفس السياق نلاحظ أن اختيار مرشحي جبهة التحرير أملته اعتبارات عشائرية وجهوية وعصبوية وولائية.

وإجمالا فقد قدمنا اليوم للفيس، المهر أو الصداق، قبل أن نهديه العروس، الزوجة أي قبل أن نسلمه المجلس الشعبي الوطني ثم البلاد كلها.»

وحول ما إذا كان من وراء هذا الاتهام يشكك في الفيس، يجيب صاحب «الصورة الأخيرة» حازما «أنا أقول وأكرر القول بأن الحكومة وجبهة التحرير، وضعا الفيس في حالة تسمح له بالظفرو وإلا كيف نفسر كون السيد عباسي، في الندوة الصحفية التي عقدها مباشرة بعد انتصار حزبه، شكر وزير الداخلية على «تفهمه وتعاونه»؟! أنا أرى أنه يوجد اليوم. داخل السلطة، أناس تركوا السفينة، وأصبحوا يوجهون إشارات بواسطة اشخاص آخرين إلى الفيس.

ولاينبغي أن ننسى أنه تم السماح للأشخاص بأن يصوتوا من دون إبراز بطاقات الهوية، فمامعنى ذلك؟ لو أننارغبنا في حشو صناديق الاقتراع لفائدة الفيس لما وجدنا وسيلة أفضل وأنجع من ذلك. ولو أن الأمور تجري بصورة طبيعية لسقطت رؤوس كثيرة. ثم إنه لاينبغي أن نهمل بعض أعضاء جبهة التحرير الذين كان ينبغي لهم أن يقوموا بالدعاية لحزبهم، وبدلا من أن يفعلوا ذلك قاموا بالدفاع عن مصالحهم وأهدروا وقتا ثمينا في تبرير الأعمال التي قاموابها أثناء تحملهم للمسؤوليات»

ونفس "الصدمة" تجد صداها لدى روائي معتدل مثل الطاهر جاووت، صاحب "الباحثون عن الرفاة" و"ابداع البيداء" و"العسس" وهو إضافة إلى كونه روائيا، صحفي بجريدة الجزائر الأحداث، على نفس أعمدة هذه الجريدة في عددها المؤرخ ب 18 جويلية 1990، يكتب صاحب "العسس" معلقا على فوز الفيس بالانتخابات المحلية «علامات هذا الزمن رهيبة، تثير الاكتئاب والقرف» ثم يتساءل «كيف وصلنا إلى هذه الحالة؟ ومن ذا الذي كان يتصور قبل عشر سنوات فقط أن أراذل تافهين، هستيريين يبشرون بالقيامة والانتقام والحقد، يصبحون الرموز المحببة للشباب الجزائري، أومن ذا الذي كان يعتقد أن هذا الشعب، وهو ليس أكثر حماقة من غيره يشكل تربة

خصبة، مستعدة لاستقبال أكثر اللاعقلانيات استعصاء،وأكثر الضلالات والتضليلات وقاحة، لتنزرع وتنمو وتخصب عندنا؟ والحقيقة أن هناك مؤسسات كبرى، مؤسسات عملياتية مؤثرة جدا كانت تعمل في هذا الاتجاه ومن بينها المدرسة التي فيها الشعوذة والانطواء على الذات وإلغاء الآخر واستبعاد الإنسية والعقلانية والتفتح. وهناك التلفزة، تلك الوسيلة الإعلامية السحرية، حيث تنتشر الخطب الرجعية والبرامج شبه العلمية مع هدف واحد هو محو التساؤل وخنق الروح النقدية من خلال إرجاع كل شيء إلى حقيقة عليا واحدة، ومن بين المواعظ التي قدمت على شاشتنا الصغيرة في شهر رمضان الأخير، واحدة كانت تشكل هجوما صريحا على الديموقراطية وأخرى تهاجم الحداثة بعنف لا مثيل له، ومع ذلك فالتلفزة خدمة عامة في دولة تدعي أنها ديموقراطية ولايوجد في أي نص من نصوصها أي التزام بالعودة إلى العصور الوسطى أو العصر الحجري» ثم يقترح بديلا لهذه الحالة البائسة: «إن الشعب الضائع والذي تعرض للسحق مدة سبع وعشرين عاما يخضع اليوم لخطاب رجعي فات أوانه، ولابدله من أن يكتشف البديهيات مرة أخرى وأولى هذه البديهيات أنه لايوجد حل في الماضي لمشاكل الحاضر ولو أن هذا الحل كان يكفي المصريين واليونانيين أن يضغطوا على زر الماضي ليعود إليهم الازدهار وليصبحوا من جديد في طليعة الأمم. لقد تطورت كل حضارة في نطاق ظرف تاريخي دقيق معروف غذته قرون طويلة من الأعمال التمهيدية. ولايمكن أن تنبعث الحضارة المصرية ولا الحضارة اليونانية ولا الحضارة اللاتينية وتسترجع الشكل والجوهر اللذين ميزاها منذ قرون، ولايمكن أبدا كذلك بعث الحضارة الاسلامية في شكلها الأموي أو العباسي فبالأحرى في شكل الخلفاء الراشدين... وفي هذا الوقت الذي بدأت فيه التعددية تستقر في الأفكار وتغزو وسائل التعبير نجد أن أخرى تبقى مغلقة بأحكام، بعيدة أو مبعدة عن أي تناول تجديدي أو مقاربة موضوعية، ومن بين هذه الحقول المحصنة ضد الجدة حقل المقدس. هناك خطباء ووعاض يتناوبون على شاشتنا الصغيرة بخطابات تنتمي إلى القرون الوسطى، بينهم من يخبر وينبيء بأن أبواب الجنة تبقى مفتوحة مدة الأسبوع (يومي الأثنين والخميس لمن يهمه ذلك) كما أن الجنة هي سوق الفلاح. والحق أننا نود أن نسمع في بعض الأحيان مفكرين أو خطباء يملكون أراء عصرية أورؤية إنسانية»

وينهي الروائي الطاهر جاووت مقاله المضاد للتيار الإسلامي بقوله «لقد رأينا ما حصل لنجيب محفوظ وما حصل لمحمد عبد الوهاب وأخرين بعدهما ومن النادر أن تولد ظاهرة جميلة، أو يهب نسيم الحرية أو تنشأ فكرة لها صلة بالتقدم، دون أن يرفع الأزهر أو المؤسسات المماثلة له عقيرتهم بالاحتجاج فما هو الطريق الأسلم لإنقاذنا من هذا الوضع الذي نعيشه وهو ليس على أية حال غرقا كاملا، لكن يخشى أن يصبح كذلك؟

إن خلاصنا يكمن في تطوير النظرة الجديدة، وإعادة الاعتبار للعقلانية وزرع التساؤل في قلب الدوغمائيات والأيقان»

البعض الأخر حاول أن يفلت من فخ رد الفعل العاطفي، نتيجة عن الجواب الذي يشفي الغليل في الميكانزمات السوسيولوجية التي صنعت قوة الإسلاميين وساهمت في عملية انتصارهم، مثل هذا الاتجاه عدد من الجامعيين المعروفين بكتاباتهم حول التاريخ والسلطة في الجزائر مثل عبد القادر جغلول والهواري عدي ومحمد

حربي صاحب كتاب «جبهة التحرير بين السراب والواقع»

يقول الهواري عدي «إذا تمكن الفيس خلال الانتخابات القادمة من تحقيق انتصار مماثل، فإنه يستطيع أن يلغي بالقانون مكتسبات أكتوبر، بعد تنظيم استفتاء حول الأحزاب السياسية وحول حرية التعبير، بما أنها مناقضة للشخصية الجزائرية العربية الاسلامية، ويكفي لتحقيق هذا الهدف شن حملة داخل المساجد يقدم فيها وجود الأحزاب السياسية على أنه لايستقيم إطلاقا مع الإسلام، وإذا ما تحقق مثل هذا الأمر فإن دولة حزب جبهة التحرير القائمة على الحزب الواحد، ستحل محلها دولة الفيس المستندة إلى الحزب المهيمن. ومعنى هذا أن الجزائر لن تتغير كثيرا لأنها سوف تنتقل من الوحدانية السياسية إلى الهيمنة الايديولوجية »

وهذه الحالة حسب أستاذ الاجتماع الهواري عدي «تعبر عن التناقضات الايديولوجية للمجتمع الجزائري، الذي يطمح من جهة لقيام سلطة المؤسسات، سلطة تحترم مصالح الجماعة الوطنية وتكون قريبة من انشغالات السكان ولكنه أي المجتمع الجزائري يبدو مترددا في اختياره لمؤسسات تشكل قطيعة حقيقية مع الشعبوية، ومن البديهي أن تصويت الثاني عشر من جوان، أتى لمعاقبة جبهة التحرير على انفصالها عن السكان، لكن هذا العقاب لايبدو في نفس الوقت كأنه يحمل مشروعات لإدارة المدينة وتسييرها وفقا لوجود آليات سلطة مضادة. إن القائمة السادسة، اي قائمة الفيس والتي دعت ملصقاتها ومنشوراتها للتصويت ضد «ابلبيس» ركزت دعايتها على القيم الأخلاقية والدينية بما هي العاصم الوحيد من الانحراف والفساد والخطإ التي غرقت فيها جبهة التحرير الوطني»

ويضيف صاحب المقال متسائلا "هل إن انتصار الفيس يعبر عن وجود إرادة تطمح إلى إضفاء طابع أخلاقي على الحياة العامة، من خلال وضع أشخاص أتقياء فضلاء وراعين في مناصب المسؤولية؟،، ويجيب على هذا التساؤل بأن هذه "المسألة توجد في صلب وقلب الاشكالية السياسية: وحين قامت الحداثة بالفصل بين السلطات، وبإقرار مبدأ التناوب في تسيير الشؤون العامة وبوضع ميكانزمات للسلطات المضادة، حين قامت الحداثة بذلك كله، حسمت المشكلة ويرى الهواري عدي «أن المعارضة المعلنة ضد الحداثة السياسية الموصوفة بأنها غربية خالصة، إنما هي ضرب من الصراع الايديولوجي، ولابد أن نعترف بأنها جزءمن حرب معقولة»

ويلاحظ الهواري عدي أن «بعض التعليقات التي انتشرت غداة الانتخابات المحلية، لاحظت بأن الفيس لم يهزم جبهة التحرير خلال هذه الانتخابات لأن جبهة التحرير لم تكن أبدا في السلطة. وفي هذا القول نصيب من الحق، غير أن جبهة التحرير الوطني المقصودة هنا لم توجد لامن الناحية الايديولوجية ولامن الناحية التنظمية ولامن الناحية السياسية إلا إذا كان وجودها محصورا في أذهان هؤلاء المناضلين الذين يعتبرون أنهم كان ينبغي أن تبقى كما كانت أثناء حرب التحرير. أما بعد حصول البلاد على استقلالها فإن جبهة التحرير محصورة فيما يوظفه كل واحد فيها ولهذا فإن كل واحد من الناس يرى نفسه اليوم جديرا بأن يتحدث باسم جبهة التحرير الحقيقية بما هي لثروات ، وهكذا فإن خطوط الفرز داخل المجتمع السياسي لاتتطابق مع تنوع القناعات السياسية

للجزائريين وإنما تتطابق مع خط فرز متخيل بين جبهة التحرير الحقيقية وجبهة التحرير المزيفة، ومن البديهي أن السلطة كانت تقدم نفسها لفظيا بما هي تجسيد لجبهة التحرير الوطني، وكان من مصلحتها أن تعيد انتاج هذه الميثولوجيا السياسية، ومن المعروف أن المنازعات لم تتوقف داخل جبهة التحرير الوطني، لكن الحزب لم ينفجر مع ذلك ، لكون الاعتبارات الموحدة بين مختلف الأطراف أقوى من العناصر التي تقسها، ومايوجد بين الجميع، هو ايديولوجية جبهة التحرير الحقيقية الراسخة، المتأصلة في النفسية والاخلاق. ويبدو أن جبهة التحرير الوطني توجد في مخيلة كل مناضل بما يتلاءم مع قناعاته الحميمية، وبالنسبة للسوسيولوجيا السياسية، فإن هذه الجبهة مخبوءة في أعماق نفوس المناضلين إلى حد يصبح معه من المستحيل أن تصبح مجالا لتحليلات موضوعية ومن ثم فإننا لايمكن أن نأخذ بعين الاعتبار سوى "جبهة التحرير الوطني المزيفة" لأنها الوحيدة المالكة لوجود فعلي. ومع ذلك فمن غير المجدي أن تلصق بها صفة "المزيفة" ويمضي الهواري معلقا «جبهة التحرير الوطني، بماهي حزب سياسي لم توجد قط في الجزائر المستقلة» لأن منظومة السلطات التي أقيمت بالبلاد كانت تتناقض مع فكرة حزب يشكل بنية يفترض فيها أن تجمع مواطنين يملكون نفس الحساسيات السياسية مع إدراك موحد أو واحد للمهمات الموكولة إليهم من أجل الخروج من التخلف.

وهذه البنية التي يفترض فيها أن تتكفل بالشأن العام، بعد مناقشة اختيارات سياسية مرشحة للانجاز من طرف سلطة تنفيذية، مثل هذه البنية تتناقض كليا مع منظومة السلطة القائمة على الادارة والجيش، وابتداء من عام 1962 حتى أيامنا هذه، اشتغلت المنظومة المؤسسية من دون وجود حزب سياسي، الأمر الذي «جفف» الإدارة وجعلها تشبة آلة مقطوعة، ومفصولة عن محيطها الاجتماعي تعمل لذاتها ولنفسها فقط، ولأن السلطة أبعدت الحزب عن الحياة المؤسسية والسياسية فقد انفصلت عن السكان، لقد كان استقطاب القيادات السياسية-الإدارية، أي إعادة انتاج الطبقة القيادية ، بدلا من أن يتم ضمن الممكنات أو الإمكانيات المعبرة عن نفسها أو المعبر عنها داخل الحزب، يجري في كواليس الادارة على أساس الزبونية التي لاتجذب دائما أفضل العناصر ولا أكثرهم كفاءة، وهكذا فإن الإدارة الجزائرية برغم الوسائل التي تسلكها فهي عديمة الفعالية، ضعيفة الأداء، لأنها سمحت لنفسها أن تحصر بين الانتهازيين وتسلل إليها مستفيدون أعلنوا ولاءهم للشبك الزبونية واستفادوا من حماية سياسية وضعتهم فوق القوانين والأنظمة، ومن الإستقلال حتى الان شيدت الجزائر إدارة دولة لادولة سياسية تدعمها إدارة. وبدلا من أن تبني دولة سياسية، بنت دولة إدارية، كانت الشرطة سياسية ولم تكن الدولة كذلك، وكان الجيش سياسيا وكذا الجامعة والاقتصاد والدين إلخ.. غير أن الدولة لم تكن سياسية»

ويلاحظ الهواري عدي «أن نتائج انتخابات 12 جوان 90 تعبر أساسا عن رفض هذه المنظومة، وتأتي عقابا لإدارة منفصلة عن المواطنين، ومن الواضح أن وقوع هذه الانتخابات من دون حصول حوادث خطيرة في مجموع التراب الوطني يشكل في حد ذاته عنصرا ايجابيا للمسار الديموقراطي، لكن بنية النتائج لاتبعث على الرضا أو الاطمئنان مهما كان الحزب الذي يأتي في المقدمة. حقا إن حزب التجمع من أجل الثقافة والديموقراطية فاز بعدة مجالس في منطقة القبائل أساسا، بينما حافظت السلطة على 30 بالمائة بفضل عدد من الولاءات المحلية الثابتة،

فيما استولى الفيس على الأغلبية، لكن الفيس ليس حزبا سياسيا، إنما هو حركة احتجاج عام، ونقمة عارمة تأتي نتيجة لانفصال السلطة عن المواطنين، وهي سلطة مضادة تنصب نفسها سلطة أخرى، في انتظار الاستيلاء على السلطة كلها، بالطبع هذا الرأي لاينفي أن الفيس حقق انتصارا كاسحا، لكنه ليس ظفرا لحزب سياسي ضد أحزاب سياسية أخرى، إنما هو ظفر لحركة احتجاج كبرى ضد إدارة اصبح الناس ينظرون إليها على أنها فاسدة وعديمة الجدوى- لقد صوت عدد من مناضلي جبهة التحرير الوطني لفائدة الفيس، وليس ذلك مدهشا لكون الفيس يمثل جبهة التحرير الوطني الحقيقية، في أذهان عدد كبير من الجزائريين، ومع قيام الفيس لاتخرج الجزائر من الميثولوجيا السياسية لثنائية الحق والباطل. ومن هذه الزاوية يعتبر الفيس استمرارا أو استئنافا لجبهة التحرير الوطني التي تشوهت أو شوهت صورتها بفعل أولئك الذين مارسوا السلطة باسمها. وهكذا فإن الفراغ السياسي الذي شيدت خلاله دولة جبهة التحرير الوطني خلق معارضة بنيت هي نفسها على فراغ سياسي.

إن الفيس لايدرك كحزب سياسي، إذ أنه يطرح نفسه كتشكيلة لكل الجزائريين ويرفض أن تقتسمهم الأحزاب السياسية. إن الفيس يطمح ويعمل لتوحيد كافة الجزائريين، مثلما فعلت جبهة التحرير الوطني إبان حرب التحرير، ومن ثم فإنه أي الفيس يبحث عن إطالة فترة ما دون السياسي" أو"ماقبل السياسي" قدر الامكان. وعبر الفيس يستعمل المجتمع الجزائري آخرموارده الايديولوجية من أجل أن يبقى في الطور "ماقبل السياسي.."

هذا التحليل السوسيولوجي الذي نشره الهواري عدي على أعمدة صحيفة "ليبراسيون" الفرنسية بتاريخ 12 جويلية 1990، يجد تكملته في نص آخر لايخرج عن المنحى السوسيولوجي- التاريخي قدمه أحد منظري الحركة الوطنية، والعضو السابق في اللجنة المركزية لجبهة التحرير محمد حربي، وذلك من خلال حوار أجرته معه مجلة «منبر أكتوبر»

حول تفسيره لانتصار جبهة الانقاذ في انتخابات 12 جوان، قال «سبق لي أن قدمت رأيي في جريدة لوموند بتاريخ 21 جوان 90، وسأحاول الأن أن أذهب أبعد من ذلك، في عمق الأشياء، إذا أردنا أن نفهم مايجري تحت أعيننا لابد لنا أولا من أن نتخلص من الفرضيات الأوروبية المركزية بشأن الحداثة. لقد اصبح الغرب بعيدا عن ماضيه، وإذا كان الوعي التاريخي في قطاعات عديدة قد امتد ليشمل العالم أجمع، فإن الاتجاه العامل على جعل التاريخ والتجربة الغربية مرجعين لازمين، يقاس بهما كل شيء لايزال قويا للغاية، إن قراءة الصحف، والاستماع إلى الإذاعات ومشاهدة محطات التلفزة، امور مفيدة في هذا المجال، والاسلام في الجزائر عنصر تكويني في كل ماهو سياسي، والثقافة لم تتخلص بعد من الدين، بل مازالت تستحم به، ومشاريع ومطامح الجماعات الاجتماعية المتصارعة تتوظف وتوظف في الاسلام وبالاسلام، تستعير منه لغتها وطريقتها إما لإضفاء المشروعية على السلطة أو للتشكيك في هذه المشروعية. وما تراه اليوم إنما هو دخول جماهير المحرومين والشباب بقوة، إلى ساحة المسرح السياسي " وحدة هذه المجموعات، على عكس ما يحدث للبرجوازية والطبقة العاملة تأتيها من الخارج ، زعماء هذه الكتل يبدون وكأنما هم سحرة أو من صانعي المعجزات. والإلتزام يتم من دون

اهتمام بنتائجه أو عواقبه، إن إرادة الإيمان برغم كل شيء وضد كافة العقبات تسمح بالتلاعب بالمطامح، وإسلام المحرومين والمهمشين ليس له سوى علاقة ضئيلة جدا بالنصوص المقدسة.

وسمعة شخص مثل السيد علي بلحاج ليست سمعة فقيه أو عالم لا هوتى، وإنما هى نابعة من كونه يعبر بلغة الحياة اليومية. ويعبر فيها عن أزمات وآمال " المعذبين في الأرض" ومن هنا ذلك الحذر الذى نلاحظه لدى رجل مثل الشيخ سحنون وهو إنسان أكثر حساسية لمخاوف الأغنياء ومصالحهم.

" الحركة التى دفعت الفيس، هى حركة ذات ملامح "ألفية - « millenomistes » وقوتها آتية أو متأتية من إيمان الفقراء والمعوزين والمحدوفين، بوجود عصر ذهبى؟. والسؤال المطروح هو: أية جماعة من الفيس ستتمكن من إلتقاط، واقتناص وتوجيه هذه القوة الأولية؟"

ويضيف المؤرخ محمد حربي مجيبا عن هذا التساؤل "حسب المعطيات المتوفرة لدينا، يمكن بقدر كبير من التبسيط أن نحدد ثلاث مجموعات داخل الفيس، الجماعة الأولى، الأكثر نشاطا وحركية، مؤلفة من شباب يكنون ضغائن إجتماعية قوية دفينة ضد الملاكين ورجال السلطة، وفي نظر هؤلاء فإن البورجوازيين ومن ضمنهم مقاومو الأمس، الذين يتظاهرون بالكبرياء والفطرية والتفوق ويتركون مواطنيهم يعيشون في البؤس، لابد أن يقدموا الحساب.

على يمين هذه الجماعة نجد تجار الجملة والتقسيط، وكبار المزارعين، بل كبار التجار الذين ترتبط نشاطاتهم بالعربية السعودية، ولاشك أن هذه المجموعات ترغب أوتحلم بإقامة إقتصاد لبيرالي من دون أن تكون لديها أفكار واضحة عن كيفية تسيير هذا الاقتصاد، وفي الوسط، مع عباسي مدني، يتجمع أصحاب الياقات البيضاء الذين انتخبتهم عملية التعريب وهم يتألمون لكونهم محرمين من ولوج "الشبكات النبيلة" في الإدارة والجيش، والحاصلون على الشهادات الجامعية الذين سدت في وجوههم تماما كافة أبواب الصعود الإجتماعي، وبين هذه المجموعة وإطارات جبهة التحرير الوطني تقوم جسور واتصالات عديدة بواسطة بعض الأشخاص، وعلى سبيل المثال، خلال المؤتمر الأخير لجبهة التحرير، صوتت فروع بليدة وتيارت وباتنة لفائدة طروحات الفيس، وكل هذه المجموعات يربط بينها عامل مشترك هو عدم إكثراتها الكلي بالمسألة الديموقراطية ومعاداتها البدائية للمرأة اكثراثها إن الخوف من المرأة يصل عندهم ذروته، وأسباب هذه الحالة، عديدة، من أبرزها التمسك بمفهوم أبوي عن الأسرة والحرمانات الجنسية، والايمان الساذج بإمكان التغلب على البطالة من خلال إبعاد المرأة عن عالم العمل. ولابد أن نتذكر أنه قبل الثورة التحريرية، كانت الحركة الوطنية وضمن معارضتها لعمل النساء الأوروبيات قد أطلقت شعارا تقضي بتخصيص وظيفة واحدة للأسرة.

في الأخير بدلا من دراسة الفيس انطلاقا من الدين، يجب أن ننظر إليه في ظرفيته الاجتماعية وفي ضوء الأزمة المجتمعية، من دون إهمال المسيرة العامة للتاريخ الجزائري، وحتى هذه الساعة فإن عناصر الطبقات المتوسطة ماتزال تهيمن على الفيس"

ويضيف صاحب "جبهة التحرير بين السراب والواقع" "من تضييع الوقت أن نطالب الإسلاميين ببرنامج، لأنهم يحتاجون لاسطورة ولا يمكن لهم أن يوسعوا قاعدتهم إلا إذا تجنبوا طرح المطالب الدقيقة والمحددة، كما أنه من باب تضييع الوقت أن نخاطر، (بتشخيص سريري إكلينيكي un diagonistic clinique) لزعمائهم. وعندما يطلب علي بلحاج من المؤمنين أن يصلوا من أجله حتى يعطيه الله ذقنا وهو الرجل الأمرد فإن هذا الطلب لاينقص من قيمته أبدا. إن وظيفة الغدد الافرازية ماتزال سرا كبيرا، ثم إنه من تضييع الوقت أن نحاول العثور في أوساطهم على رجال فاسدين أو مهربين.

ذلك كله عبث في عبث لكون إيمان الشعب يخلق أجساما مضادة للشك، ضد تشكيك وضد حجج أولئك الذين يعتبرون في نظره، من طينة أخرى، المشكلة الوحيدة التي يجب علينا معالجتها هي كيف تردع الأزمة، ثم كيف نعيد ترتيب وتركيب مجتمع مفكك، مقطع الأوصال، في جميع المستويات، وعندما سجلت «مجلة منبر أكتوبر» القساوة المبالغ فيها في خطابه عن الإسلاميين، رد محمد حربي قائلا «أستطيع أن أسمح لنفسي بمثل هذه القساوة، فأنا بعكس الديموقراطين الجدد، دافعت عن الإسلاميين حين كانوا ملاحقين، ففي سنة 1986-1987 وخلال محاكمة مصطفى بويعلي، قام صديقاي الأستاذ حسين زهوان، ويوسف فتح الله، بالدفاع عنهم باتفاق معي، لقد رافعا، مع محامين آخرين عن 206 متهما، لذلك فأنا ليست لدي أية عقدة في هذا المجال»

وفي ظل هذا الصخب الذي أثاره انتصار الفيس، أختار أحد مسؤولي حزب جبهة التحرير، وهو يعتبرنفسه من الجناح الديموقراطي داخل حزبه أن يقوم بعملية نقد ذاتي، وذلك بتاريخ 12-07-1990 عندما كتب على صفحات يومية المجاهد قائلا بأنه كان «من المتوقع أن يسجل الفيس تقدما كبيرا قد يصل إلى 25 و30 في المائة من مجمل أصوات الناخبين ليحتل بذلك المرتبة الثانية بعد الحزب الحاكم، الأمر الذي يعتبر نتيجة باهرة بالنسبة لتشكيلة سياسية ناشئة، كما أنه كان من المتوقع أن يهتز الموقع المهيمن لجبة التحرير الوطني، بعد إقرار مبدأ التعددية المتجسد في تكوين حوالي عشرين حزبا، وهو توقع أكدته نتيجة الإنتخابات الأخيرة، أما الأمر الذي لم يكن متوقعا على الإطلاق فهو عملية التخريب الإعلامي الواسعة التي ذهب ضحيتها مناضلو جبهة التحرير، والتي إستهدفت تنويمهم وجعلتهم يعتقدون بانتصار مؤكد.. وفي هذا الصدد ، فإن المزايدات التي قام بها زعيم الفيس حين أعلن أن حزبه لن يحصل على أقل من 75 بالمائة من الأصوات، كان ينبغي لها أن تشكل ضربا من الإنذار بالنسبة لمناضلي جبهة التحرير»

وبعد عرضه مجمل إنتقاداته حول تهاون الإدارة والتجاوزات التي أحدثها مناضلو الفيس، يواصل صاحب المقال نقده الذاتي قائلا «هل ينبغي لنا رغم ذلك كله أن نعفي قيادة جبهة التحرير وقياداتها المحلية والإقليمية وحتى مناضليها من مسؤولية ما وقع؟» يجيب «لا نعتقد أن ذلك ممكن، حقا إنه حصل نوع من المراهنة على الإدارة وحصل ضرب من الثقة فيها بعد أن التزمت بالسهر على نزاهة الإنتخابات وبالحياد، لذلك كان من

الصعب إقتحام مكاتب التصويت، على غرار ما فعل الفيس خاصة وأننا كنا متهمين بوجودنية لدينا في التزوير، كما كان يردد ذلك بدون توقف ولا إنقطاع، أولئك الذين دعوا إلى مقاطعة الإنتخابات، لكن حضور المناضلين كان ضروريا ويقظتهم تشكل عامل ردع للتجاوزات الحاصلة، والواقع أن المناضلين تصرفوا وكأن جبهة التحرير ما تزال الحزب الوحيد في البلاد، وقد سبق لنا أن لاحظنا وجود مثل هذه العقلية لدى أختيار المرشحين، صحيح أن الإختيار قد ترك للقاعدة من أجل أن تتصرف وفقا لإجتهاداتها، لكن لوحظ أن الأعضاء المحليين في اللجنة المركزية سمحوا لأنفسهم أحيانا بالتدخل للتأثير في هذا الأختيار. وهكذا فإن فرضيات اللجنة المركزية المتعلقة باستراتيجية العمل في الانتخابات، لم يتم احترامها بما فيه الكفاية لذلك رأينا اختيار المرشحين ما تم على أساس عشائري أو فئوي وليس على ضوء معايير الكفاءة والتمثيلية، وفي هذا المجال لم يتم اللجوء الى مواطنين غير مناضلين في الحزب، ولكنهم معروفون بسمعتهم الجيدة، وبعلاقتهم الطيبة بالآخرين، كما أوصت بذلك اللجنة المركزية، يضاف إلى هذا الخطأ أنه لم يجر أي عمل تقييمي لعمل المنتخبين السابقين للاحتفاظ بالعناصرالتي أدت واجبها على أكمل وجه وترشيحها من جديد، وإنما وقع إتباع اسلوب آخر، هو إبعاد المسؤلين السابقين بطريقة منتظمة، ويواصل صاحب المقال تحليله بأن المناضلين "لم يتم اعدادهم نفسيا وتقنيا إذا أجاز مثل هذا التعبير لكي يواجهوا بنجاح هذه الاستشارة التعددية الأولى. وبعبارة أخرى فإن السلوك المتسيب للمناضلين خلال اختيار المرشحين والذي حصلت أثناءه مواجهات سلبية فيما بينهم، كانت له عواقب وخيمة في المحصلة الختامية، من هنا ذلك الغياب الكامل في الحملة الإنتخابية إستمر حتى بعد الاغلاق الرسمي للحملة المذكورة ثم استمر خلال عملية الاقتراع. ومن جهة أخرى لابد لنا يقول صاحب المقال «من أن نشير إلى الضربات التي تلقتها جبهة التحرير من طرف عدد من المسؤولين الذين أدلوا بتصريحات متسرعة مثل الوزير الأول السابق عبد الحميد الابراهيمي، والذين زعزعوا هيئة الناخبين الموالين لجبهة التحرير وفي هذا المجال، يبدو أن صاحب قنبلة 26 مليار دولار نسي أن جبهة التحرير والبلاد كلها، مازالا يدفعان ثمن سياسته الإقتصادية اللامجدية التي اتبعت منذ 1980، كما أنه نسي أن التطهير الذي طلب به جبهة التحرير قد عطل في عهد حكومته، هكذا برزت بلاحياء ولاخجل انتهازية بعض مناضلي جبهة التحرير، الذين لم يحترموا الإنضباط الداخلي وانساقوا وراء مصالحهم، ولم يعبأوا بضوابط الالتزام السياسي، متصورين أنهم سيكسبون فوائد جديدة من مواقفهم الجديدة» "هناك عامل سلبي-يضيف صاحب المقال-أثر في الاستراتيجية الانتخابية لجبهة التحرير، أولا هو دخولها متأخرة بأسبوع كامل في الحملة الدعائية، وقد كان عمل المناضلين قليلا، وأظهروا عدم حماس كبير في تعليق الملصقات على الجدران، وفي توزيع المنشورات والمطبوعات وفي دفع اليافطات، وفي نشر أفكار الحزب وبرامجه بالمساجد والمؤسسات والشركات والأحياء، وإجمالا غابوا عن أماكن التجمعات الكبرى، كذلك سجل قصوركبير في تنظيم المهرجانات ببعض الولايات التي تم فيها تعبئة كافة المناضلين، وبعض المهرجانات انقلبت أو تحولت إلى مجرد لقاءات بين المناضلين، كما أن العقبات التي اعترضت نشاطات الجبهة في عدد من الجهات، مثل توقيف معلقي الملصقات بالعاصمة، ومنع تنظيم مهرجان بالساحة العامة في البليدة من طرف رجال الأمن، كل

ذلك لم يثر انتباه أي شخص، ولم تتحرك السواكن أمام التسهيلات التي كانت تقدم للفيس، ليقود حملته بالطريقة التي يرتئيها، كذلك فإن حضور مناضلي جبهة التحرير في الميدان بجانب مناضلي وأعضاء الأحزاب الأخرى من أجل السهر على نزاهة الانتخابات سهل عمل مناضلي الفيس وضاعف تأثيرهم على الناخبين في وقت كانت اليقظة والتعبئة أمران ضروريان" أما بالنسبة لحزب يساري مثل الباكس فقد تخلى عن تحفظه الذي أبداه في بداية الأمر لعلن صراحة من خلال بيانه الصادر مباشرة بعد انتخابات 90 أن التجربة الأولى للانتخابات التعددية تميزت بخروقات ومخالفات خطيرة للمارسات الانتخابية الديمقراطية، فلقد حاول الفيس على حد قول البيان أن يفرض باحتكاره للإسلام، هيمنته بجميع الوسائل المختلفة: خرق القوانين.. التهديدات بالحرب الأهلية والمساومة بها والشعوذة بهدف إخضاع الشعب لنفوذه، وأضاف بيان الباكس بأن النتائج الانتخابية المحققة في مثل هذه الظروف تستحق قرارا بالإلغاء، "كما تعبر في نفس الوقت عن السخط والقلق المشروعين لشعبنا وخاصة شبابه أمام تدهور معيشتهم، كما تعبر أخيرا عن اضطراب جزء كبير من شعبنا أمام نقص العمل والمبادرات" واستطرد البيان يقول أنه بعد 12 جوان لم يصبح الأمر يتعلق بمجرد تسيير المجالس الشعبية البلدية والولائية حيث أن منعرجا سياسيا خطيرا نحو التراجع عن المسار الديمقراطي يكون قد حدث لقد استعملت الحريات يستأنف البيان لضرب الديموقراطية نفسها، خاصة وأن ازدواجية الخطاب معروفة لدى العديد من قادة الفيس ومناضليه الذين اعلنوا صراحة أن فكرة الديمقراطية فكرة غير شرعية ومعادية للإسلام .

بينما حاول الاتحاد الوطني للنساء الجزائريات أن يكون مرنا إلى حدما، في تقييمه لنتائج جوان 90. لقد اعترف في بيانه أنه برغم "التجاوزات المسجلة والنزوع إلى التطرف وتخلي المكلفين بالتنظيم عن مهامهم" إلا أنه لا يمكن التقليل من أهمية هذه التجربة الديموقراطية التي عبر فيها الشعب الجزائري عن التمسك بهويته الأصلية الدينية والوطنية والسياسية" ويضيف البيان بأن المرأة حررها الإسلام وأبطل وأدها وهي حية وكرمها وأعطاها حقها في التعليم والعمل وحفظ مكانتها في المجتمع وحملها المسؤوليات الشرعية والأخلاقية مثلما حملها للرجل في إطار العمل الصالح لبناء المجتمع المسلم، كما نبه البيان إلى خطر عزل المرأة عن المجتمع وإبعادها عن مواقع البناء الاقتصادي، ودعا إلى حمايتها من الضغوطات وكل أنواع التعصب، وعلى المرأة، يصر البيان أن تواجه كل هذه التحديات والمؤشرات بروح صلبة، وإرادة قوية في إطار القيم الحضارية الاسلامية، وأن تسعى لتدعيم دورها الايجابي في المجتمع وأن لاتسمح لأي كان بتحجيمها والحد من قيمتها.

3- مشادات على مستوى القمة؟!

عشية الاعلان عن نتائج الانتخابات المحلية، لم ينم الرئيس الشاذلي بن جديد قرير العين، لقد أحس بالإهانة والخديعة توجه إليه من أقرب المقربين،، لقد أوهموه أن الفيس غير قادر على منافسة الحزب الحاكم، وأن النتائج التي سيحصل عليها لا تتجاوز في أحسن الأحوال أكثر من 25٪.

السيد حمروش، رئيس الحكومة السابق لم يدر كيف يهدىء من روع الرئيس وغضبه عليه. السيد عبد الحميد مهري، أسر للرئيس أن المسؤول عن ذلك هو رئيس الحكومة نفسه الذي يريد تركيع حزب جبهة التحرير، ليخرج هو المنتصر... حمروش لم يستطع ابتلاع هذه الإهانة، هدد بالإستقالة، وكان في نيته أن يعلن ذلك أمام الملأ في ندوته الصحفية التي عقدها بقاعة ابن خلدون، لكن سرعان ما تراجع عن ذلك ليعلنها من جديد أثناء المشادات التي حدثت بينه وبين الرئيس عشية الاعلان عن حالة الحصار.

وزير الداخلية السابق محمد الصالح محمدي هو بدوره تعرض إلى حملة انتقادات عنيفة، قامت، بشنها أطراف متعددة داخل النظام وخارجه، فحسب بعض المصادر أنه وقعت مشادة عنيفة بين الجنرال بلخير الذراع الأيمن للشاذلي بن جديد والأمين العام لرئاسة الجمهورية آنذاك وبين وزير الداخلية محمدي حول سير العملية الانتخابية، أما رجل حمروش غازي حيدوسي وزير الإقتصاد سابقا، فقد علق على ما حدث لحزب جبهة التحرير بمامعناه "حسن ماوقع لهم...إنهم يستحقون ذلك" أما كوادر جبهة التحرير من الولاة ومسؤولي المناطق فقد ساند معظمهم زعيم حزب التجمع عندما اعتبر وزير الداخلية مسؤولا بشكل شخصي ومباشر عن كل التجاوزات التي حدثت أثناء الانتخابات، لكن وزير الداخلية السابق حاول أن يتقبل كل تلك الحملة ببرودة أعصاب وهدوء مثير، وعن سؤال طرحته عليه إحدى الصحف المسائية يتعلق بالاحتجاجات العديدة التي سجلت حول سير الاقتراع الأخير، وباتهامات عدد من الأحزاب والشخصيات إياه بالتواطؤ مع الفيس، ومنادية في نفس الوقت بضرورة تخليه عن منصبه أجاب قائلا أنه "فيما يخص الاحتجاجات حول اقتراع 12 جوان ينبغي التذكير بأن قانون الانتخابات ينص على سلسلة من إمكانيات الطعن، كل ناخب له الحق في أن ينتقد أو يشك في شرعية كل عملية انتخابية والعدالة هي التي تفصل في الموضوع. فكان في إمكان الذين ينتقدون ويشككون في سير ونتائج الانتخابات أن يسجلوا ملاحظاتهم في محاضر مكاتب التصويت مما كان سيسمح للهيئات القضائية المختصة بالنظر والفصل فيها، ويمكن لي القول من زاوية سياسية بأن الأحزاب التي تحصلت على نتائج انتخابية ضئيلة لاترضيها، تحاول إيجاد مبررات لها بأية طريقة كانت بما فيها توجيه اتهامات لا أساس لها من الصحة.

نحن في ديموقراطية ووزير الداخلية بصفته شخصية، عمومية معرضة بالطبع إلى انتقادات أحزاب وشخصيات من كل اتجاه خاصة خلال أوفي أعقاب الفترات الانتخابية.

أما بقائي ضمن الحكومة وانسحابي منها فهذا أمر يخص رئيس الجمهورية ورئيس الحكومة إذ يدخل ضمن صلاحيتهما وبقطع النظر عن هذه الملاحظات الأولية اعتقد أنه من الضروري التطرق إلى المسألة في عمقها حتى تتجلى الحقيقة، لابد إذن من التأكيد بأن نجاح حزب ما في الانتخابات ليس في الواقع إلانتيجة التعبئة والتحضير اللذين يحظى بهما مناضلوه طيلة سير العملية الإنتخابية، خصوصا وأن النظام المعتمد لاجراء هذه العملية يخضع لشفافية كاملة ويتقبل كل دراسة بشأنه ويسمح بحضور كل ممثلي الأحزاب المشاركة في العملية المذكورة.

أما الإدارة مع احتضانها لنفس الحساسيات والتيارات المتواجدة في المجتمع، فإنها تعكس مستوى التنظيم الذي توصلنا إليه، ورغم النقائص التي لوحظت هنا وهناك والتي أفسرها بصعوبة وحداثة التعددية فلا يسعني إلا أن أحيي هذه الإرادة «على تضحيتها وجهدها»

4 - التحالف.. لماذا؟

وفي خضم هذا الجو المكتئب والمشحون بالتوتر والإحباط في الوسط الديموقراطي، حاول البعض التفكير في أشكال من العمل تسمح بالتحالف والوحدة، لكن ضد من؟ الفيس أم السلطة؟

أمام هذا النوع الجديد من التحرك، لم يركن الفيس إلى الاستسلام للذة الانتصار بل اعتبر أن هذه الدعوة إلى التحالف ضده بدل السلطة تعتبر تمييعا لقواعد اللعبة السياسية، وحسب ماذهب إليه لسانه المركزي فإن "دعوة التحالف التي ينادي إليها بعض الديمقراطيين ضد الاسلاميين يعتبر نية مبيتة ليس ضد الفيس فقط وإنما ضد الشعب الجزائري من خلال خلق انقسام اجتماعي خطير» وهذا في نظره المنقذ" يعني بكل بساطة دفع جزء من الشعب الجزائري تحت غطاء الديموقراطية لمحاربة الاسلام في بلد الاسلام؟!

"والمصيبة- تلاحظ الأسبوعية- أن هؤلاء الديموقراطين الذين يحاولون إظهار غيرة كبيرة على الديموقراطية، إنما هم أول من يحاول ضرب الديموقراطية في الصميم من خلال هذه التصرفات التي تعبر عن مراهقة سياسية، لأن بث التفرقة بهذه الكيفية، هي محاولة لخلق فتنة في البلاد ومغالطة الأمة، فالديموقراطية هي التي أنجبت وأوصلت الفيس إلى سدة الحكم المحلي ليس إلا..

ثم يتساءل لسان حال الفيس حول ماإذا كان هذا التحالف الذي تدعو إليه بعض الأحزاب الديموقراطية يعني «أننا أمام غزوة أحزاب جديدة، وهي الحادثة التي وقعت في المدينة المنورة عندما شرع الرسول عليه الصلاة والسلام في إقامة حصون الدولة الإسلامية، وقتها اجتمعت الأحزاب من العرب والمشركين واليهود وحاولوا قتل الدولة الاسلامية في المهد..؟»

وتنهي المنقذ وقفتها بأن "التاريخ يعيد نفسه لكن لامرد لقضاء الله وقدره.. فالثابت الوحيد في هذه الدنيا هو الاسلام والباقي سياسة وكلام»

5 - نتائج جوان بنظارات خضراء..

نتائج هذا اليوم كانت تاريخية بالنسبة للفيس، فلقد فتح بفضله الشعب الجزائري «صفحة جديدة من تاريخه ووقف على عتبة عهد جديد» وفزع أولئك الديموقراطيون من هذه الحقيقة تراه المنقذ ينطوى "على قدر كبير من

السذاجة السياسية، لأن مثل هذه الأحكام لايمكن أن تصدر إلا من داخل الصالونات الفخمة ومن أناس لاصلة لهم بالواقع السياسي والاقتصادي والاجتماعي للشعب الجزائري، ولأن نتائج الانتخابات لم تترجم في واقع الأمر سوى إرادة شعب أختار الحزب الذي يعبر أكثر عن طموحاته وعن هويته وشخصيته» تسجل المنقذ أن هذا التهويل لايعكس في الحقيقة إلا خلفية نفسية هدفها التقليل من أهمية النتيجة وتأثيراتها السياسية والاقتصادية على مستقبل البلاد من جهة» وتخويف الشعب من نظام على رأسه الاسلاميين من جهة ثانية.

ثم يرى لسان حال الفيس أن هؤلاء المرعوبين هم من يتحملون مسؤولية ماآلت إليه البلاد وماتعرضت له من نهب (فضيحة 26 مليار دولار رشوه) ويخلص إلى أن جبهة التحرير الوطني أضحت بعد 1962 مجود أكذوبة تاريخية، لأنها لم تمارس الحكم يوما بقدر ما كانت "خادمة طبقة أعطت الشرعية للحكام وعطلت عن أداء دورها وسهلت الاستعمار الثقافي وقدتم كل هذا باسمها وبمعرفتها»

ويسجل الجامعي سليم قلالة، الأستاذ في معهد العلوم السياسية والعلاقات الدولية، وصاحب كتاب «التغريب» بعض ملاحظاته حول نتيجة جوان في العناصر التالية:

1) كان المنتصر الحقيقي في هذه الانتخابات هو الشعب.

2) التجربة الجزائرية في مجال الديموقراطية أطاحت لحد الان بمقولة أن التغيير في العالم الثالث لايتم إلا عن طريق الدبابة أوموت الحاكم.

3) إثبات القيادة الجزائرية على أنها متميزة

4) اثبتت نتيجة الانتخابات مدى صحة الرأي القائل بأن الجزائر ذات ثقل ليس على المنطقة المغاربية وحسب، هل هي ذات وزن اقليمي (عربي وافريقي) يسمح لها بأن تكون «فاعلة في مجال الاختيارات الكبرى» ثم يشير في مقالته المنشورة «بالشعب» أن الغرب وأنصاره في البلاد الاسلامية ليس لديهم أي استعداد لقبول كل النتائج التي قد تترتب عن الديموقراطية التي طالما نادوا بها،، فهؤلاء يصبون من وراء رؤيتهم إلى الديموقراطية إلى تحقيق النموذج الغربي "في مجتمعاتنا وقدير فضون الديموقراطية لمجرد أحتمال أنها قد تؤدي إلى خلاف ذلك، وهو عكس ما كانوا يدعونه بأن الاسلاميين هم الذين سيرفضون النتائج التي قد تسفر عنها الديموقراطية»

وبعد هذه الإشارات يعلن الأستاذ سليم قلالة ساخرا من هذه الأحزاب التي تقزمت والتى كانت « تتطاول على الناس ببرامجها- (العلمية) وكوادرها المتخصصة في العلوم والتقنية، وظهرت على حقيقتها عارية كما هي، بلا شعبية، ولاامتدادات جماهيرية كما كانت تدعي»

«تأكد للجميع- يقول قلالة- أن مرحلة مغالطة الأمة لم تعد مجدية وأن التظاهر بالديموقراطية لايكفي إذا لم يتبعها قبول بالنتائج مهما كانت في نظر البعض سلبية فكل هذايؤكد على أن الأمة مع ثوابتها الأزلية، الأسلام والعربية والعدالة الإجتماعية والحرية» لقد كممت هذه النتيجة «أفواه أولئك الأقزام الذين ركبوا موجة الأحزاب

الغربية وأصبحوا يتطاولون على من أسموهم بأصحاب الثوابيت، سخرية أحيانا وتشفيا أحيانا أخرى، حتى جاءت ساعة الحق ولم يعد أمامهم سوى العودة إلى جحورهم المخفية علهم يسممون الجو كما كانوا يفعلون أو يموتوا في جحورهم قبل أن تلحق البقية»

ويصل في نهاية تحليله إلى أن الصراع في الجزائر اليوم لن يكون إلا بين مناصري الفكرة الغربية ومناصري الفكرية الاسلامية الوطنية، "بين أبناء الجزائر الاسلامية وأبناء فرنسا في ثوب جزائري» وأنه على حد تعبير الأستاذ قلالة أن هذا كله ليس إلا مجرد بداية صراع على المستوى الفكرى والعملي «بداية طريق مليء بالأشواك، وليس نهاية طريق كان مليئا بالأشواك. وأشواك هذه المرة ستكون معاملات اقتصادية جديدة، ضغوط ومساومات،، تشويه سمعة،، وأكاذيب ومغالطات،، دسائس ومؤامرات.. فقط لكي لا تستمر البداية، وليؤكدوا أنهم غير قابلين للتنازل عن مصالحهم بالديموقراطية، وأنهم لايفهمون سوى أسلوب مجاهدي جيش التحرير»

6- علي بلحاج: أنا أكفر بالديموقراطية.

من نصدق، عباسي مدني الذي يعلن صراحة أنه إذا ما كان حزبه يوما في الحكم فإنه سيضمن الحريات السياسية وحرية التعبير أم علي بن حاج الذي لايعترف بالديموقراطية، أم برنامج الفيس الذي ينص بوضوح «.. ولتفادي قمع الحريات العامة تعمل الجبهة على إفساح مجالها للعبقرية والإرادة الكلية للأمة في جميع مجالات الحياة وإكفالها للناس على السواء وللتخلص من سياسة الحظوة والحرمان تعمل على وضع معايير للمسؤوليات وضمان الأمانات وأداء المهام في تشجيع روح العمل الجماعي والقضاء على الأنانية والمحسوبية والنزاعات الفردانية وكي لاتقع الجبهة في ذلك تضمن حرية التعبير وتشجع على النقد الذاتي»؟

لماذا هذا التضارب في المواقف على مستوى قيادة الفيس، أ لأنّ الفيس ليس كباقي الأحزاب، بل تجمعا فسيفسائيا؟

ولماذا يرفض بلحاج الاعتراف بنفس الديمقراطية التي سمحت بميلاد حزبه على المستوى الرسمي؟

بعض المحاولات للإجابة عن هذه التساؤلات ستكون في مكان آخر من هذه السطور، لكن الإطلاع على الفهم "البلحاجي" للديمقراطية، قد يساعدنا على ذلك، فالشيخ الشاب بلحاج يعترف قائلا «قد يظن ظان أنني عندما أحمل على الديموقراطية هذه الحملة العنيفة أنني أمجد الديكتاتورية والاستبداد والحق أنني كافر بهما- أنا أكفر بالاستبداد كما أكفر بالديموقراطية.

فالديموقراطية الغربية كشفت عن جوهرها عندما حكمت بلاد المسلمين إنها لا تعمل إلا على سحق شعوبها وبقر بطونها وامتصاص دمائها ومجازر الديموقراطية في نظر الرجل الثاني في الفيس " لاتختلف عن مجازر الشيوعية مالم تكن أشد » والفارق على حد قوله «أن الديموقراطية تقتل بالسم في الدسم أو بخيوط من حرير»

ويضيف قائلا « والحق أن الذين طبقوا الديموقراطية مثلا كانوا أسفل مسلكا وأسوأ أثرا من عشرات الرجال الذين أساءوا إلى الدين يوم حكموا باسمه أحكاما جائرة"

ويعتبر الشيخ الشاب الأحزاب الديموقراطية في الجزائر أنها التي تمارس الديكتاتورية باسم الديموقراطية و « بعد فوز الجبهة الاسلامية للإنقاذ ، شعرت الأحزاب العلمانية واللائكية أنها في خطر وأن هذا الشعب الجزائري شعب مسلم صميم- ولو ظهرت منه المعاصي- وأنه من المستحيل أن يبيع عقيدته وشرفه بثمن بخس فقامت قيامة هذه الأفراد وتعسفت في تأويل سر جبهة الانقاذ ووصمته بكل نقيصة وكل قارصة من القول ونحن ساكتون عملا بقوله تعالى : وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما » ونسأل الله أن يتوب علينا وعليهم حتى نقيم دولة الاسلام العظيمة. وفي خضم هذه الظروف ظهرت تحالفات كحماية الديموقراطية بحجة أنها في خطر وصرحت هذه التحالفات المختلفة أنها تود أن تضع حاجزا أمام زحف جبهة الإنقاذ وبعضها الاخر يقول « نريد أن نقف ضد هيمنة الحركة الأصولية في المجتمع الجزائري وتقزيم الظاهرة الأصولية ورمي قانون الأسرة في سلة المهملات وقدوتهم في ذلك ماقاله أحد وزراء إيطاليا في أحد اجتماعات منظمة السوق الأوروبية المشتركة في ضرورة تخصيص مساعدات مالية لبلدان المغرب العربي لأجل مواجهة الأصوليين » ويتساءل أبو الفتاح بن حاج علي بعد ذلك تاركا الاجابة « لمعشر الرأي العام »

- لماذا ظهرت هذه التكتلات والتحالفات بالضبط بعد فوز الفيس؟

- هل هذه التحالفات ضد السلطة الجائرة أم الحركة الإسلامية التي تريد أن تقيم على أرض الشهادة دولة القرآن والسنة لاغير؟

- لماذا لم تتحد قبل الانتخابات لاسقاط النظام؟

أما الحجج التي يقدمها الرجل الثاني في الفيس على أن الديموقراطية كفر ومتنافية وروح الشرع الإسلامي فهي تتمثل في النقاط التالية:

- نقد الديموقراطية من قبل علماء المسلمين على أنها كافرة يذكر منهم الدكتور فتحي الدبريني في كتابه « خصائص التشريع الاسلامي في السياسة والحكم » حيث يعتبر هذا الأخير أن النظم الديموقراطية الغربية، لاتعبر في جوهرها إلا عن سياسة فردية النزعة، عنصرية الاتجاه، أما الأصول التي تقوم عليها فلخصها على بن حاج فيما يلي:

1- فصل السياسية عن الخلق والدين وإقامتها على أصول خاصة

2- الاستعلاء العنصري.

3- اتخاذ النظام النيابي اسلوبا للحكم

4- جعلت من مبدأ " الحريات العامة" بمفهومها الفردي التقليدي المطلق.

5- الحرية الاقتصادية وهي فرع عن النزعة الفردية المتطرفة.

يتملق الجمهور ويأخذ الناس على علاتهم أو على ماهم عليه ويعاملهم على هذا الأساس باسم الحرية.

ومن يستند إليهم علي بلحاج في حديثه عن الديموقراطية، المفكر الاسلامي الباكستاني أبو الأعلى المودودي صاحب «الاسلام والمدنية الحديثة» الذي يعتقد أن مفهوم الديموقراطية في المدنية الحديثة هو حاكمية الجماهير» بدل حاكمية الله. ومحمد يوسف موسى في كتابه «نظام الحكم في الاسلام» الذي يعتبر أن الحكم الإسلامي ليس حكما ديموقراطيا لا بالمعنى الإغريقي ولا بالمعنى المعاصر، ومحمد أسد في كتابه «منهاج الإسلام في الحكم» حيث يري هذا الأخير أنه «من باب التضليل المؤدي إلى أبعد الحدود أن يحاول الناس تطبيق المصطلحات التي لاصلة لها بالإسلام على الأفكار والأنظمة الإسلامية»ثم يخلص الشيخ على بن حاج إلى أن الديموقراطية طريق يؤدي إلى الانحلال الخلقي وهي من «أسباب سقوط الحضارات مادامت تفسح المجال لهذا الانحلال» واصفا أياها- الديموقراطية- بالجور وأنها «تحمل في طياتها بذور الفسادو الانحلال والواقع أكبر شاهد، والاكيف نفسر أقبال الشباب والعامة من الناس في أوروبا على المخدرات بشتي صنوفها وكذا الإغراق في الانحلال الجنسي، وكل ذلك تحت ستار الحرية الشخصية المطلقة، وإلا كيف نفسر انتشار المجلات الخليعة والاختلاط الفاضح والعنف الجنسي وحوادث الإغتصاب فهل ستصل الجزائر إلى ماوصلته أوروبا من انحلال خلقي في ظل هذه التعددية الديموقراطية؟!»

7- صخب في بيت جبهة التحرير

الاعلان عن إصلاحات عميقة، والدخول بالجزائر عهد التعددية، والفوز الساحق للفيس في الانتخابات المحلية، ووجود جبهة التحرير في قفص الاتهام من قبل رفاق الأمس، ومعارضي اليوم، أحدثت رجة كبرى داخل هذا الحزب، وأحدثت هزة عنيفة لدى مناضلي قاعدته.

لقد "خدعهم رئيسهم وضحك على أذقانهم" و"تخلى عنهم" ليصبحوا كالأيتام، لقد دفعوا الثمن، ثمن أزمة النظام وترهله، ونتائجها المرعبة وحدهم..

لقد تهاوت أمام أعينهم وهم كغير المصدقين «جزائر الثورة» و"جزائر المبادئ» و"جزائر الاختيار الاشتراكي الذي لارجعة عنه" في لمح البصر، ليتعبد الطريق أمام "جزائر تعددية "لايعرفونها، وأمام "جزائر الاضرابات والمسيرات، والتجمعات" التي تدين ماضيهم، وتتهم حاضرهم استعدادا للمحاكمة الكبرى"لغدهم"

"ماذا يحدث لهذا البلد، ومن المسؤول عن هذا كله" بعدما كانت "الجزائر" مضرب المثل في الاستقرار؟

"إنها مؤامرة على الثورة وعلى الثوابت الوطنية، وعلى مستقبل حامل مشعل الثورة (الجبهة) "هكذا يعتقد هؤلاء "المناضلون "المخدوعون" أوعلى الأقل بهذا الطراز من المنطق يسعى هؤلاء إلى ايجاد التبريرات

والتفسيرات لكل مايجري أمامهم لحزبهم.

في مثل هذه الحيرة والتوتر..

وفي ظل هذا الجو بدأ الصخب يأخذ طريقه إلى العلن، وبدأت خريطة الصراع داخل جبهة التحرير تتضح في خطوطها، وفي ملامحها، من حيث خطاباتها ونبرة لهجاتها، ومن حيث علاقات تيارات أطرافها المتصارعة بالمؤسسات والأجهزة في الدولة، وفي الحزب نفسه.

الجناح الارثوذكسي التقليدي لايعترف بالديموقراطية؟!

ليس اتجاه علي بن حاج وحده الذي يرفض الديموقراطية، بل حتى جبهة التحرير الوطني لم تخل من هذه الطروحات التي لاتؤمن بالديموقراطية، وقد برزت كتيار ذي وزن معتبر أثناء الندوات الجهوية التحضيرية للمؤتمر السادس للحزب، حيث عبر هذا التيار عن قبوله لفكرة الاصلاحات لكن مع "رفض التعددية الحزبية" فالديموقراطية في نظر هذا التيار «لم تغب في يوم من الأيام من ممارسات جبهة التحرير عبر كل المراحل التي قطعتها، مشيرا إلى أنها «عمل وانضباط وليست فوضي، كما أنه «يدعو من ينادي بالاصلاح إلى الانضمام إلى هذا الخط لمواصلة المسيرة» لكنه يجزم «تأكدوا بأنهم لن يأتوا ولن يقبلوا مطلبنا إلا إذا حذفت جبهة التحرير كل ماتحمله من قيم وتراث نضالي»هذا التيار لم يكن يتوقع أحداث أكتوبر 88، كما أنه لايعتقد أبدا أن انتفاضة خريف الغضب كانت تسعى إلى المطالبة بالاصلاحات والديموقراطية، يعترف بوعلام باقي، أحد مسؤولي حزب جبهة التحرير، ووزير العدل السابق ليومية الجمهورية أنه يرى «بكل واقعية وبدون مغالطة ولامزايدة ان حوادث أكتوبر كانت مفاجأة للجميع، وما كان ينتظرها خاصة في الظروف التي انفجرت فيها» ويضيف قائلا "صحيح أن الشعب كره الندرة في المواد الغذائية لكن الجميع كان يعتقد أن الشعب قد ألفها وأنها أصبحت من خصائص حياته اليومية، وإذا رجعنا إلى ماقبل الحوداث تذكرنا ندرة الدقيق الحادة، التي عمت ولايات كثيرة من الوطن لأسباب وتعليلات من طرف المسؤولين عن قطاع الصناعات الخفيفة لاأراها شخصيا مبررا كافيا لذلك العجز في التسيير خاصة بالنسبة لمادة أساسية »

فأسباب الأحداث في نظره لم تكن «أسبابا سياسية» ولم تكن أهدافها " سياسية كذلك "بل كل أسبابها «اجتماعية محضة (..) فقد سئم الناس من الندرة في المواد الغذائية ومن البطالة ومن أزمة السكن، وحتى من تصرفات بعض المسؤولين التي لم تخل من محسوبية وتمييز بين المواطنين»

وبالنسبة للمعبر الآخر عن هذا التيار، العقيد عمار بن عودة، فهو أيضا لايعترف بالديموقراطية أي التعددية الحزبية، ويرى أن مشروع الاصلاحات ليس "وليد أحداث الشغب» ويشير إلى أنه يسمع «بعض الأخوة يتكلمون عن الديموقراطية، ويطلبون بالديموقراطية، كان يمكن أن يقولوا: نحن نطالب بديموقراطية أكثر فيصبح الأمر معقولا أما المطالبة بالديموقراطية فقط، فنقول لا.. لأن الديموقراطية كانت موجودة في بلادنا فحينما جاء الميثاق الوطني سنة 76 و86 عرض على الشعب وناقشه بكل ديموقراطية وصوت عليه 99٪ أو97٪ أو .. المهم أنه لم

يرغم أي مواطن على التصويت، هذه هي الديموقراطية، فالسلطة تقدم برنامجا سياسيا أو فلسفة للشعب وتطلب رأيه فيه وفيما يتعلق برأيه في تعدد الأحزاب أنه كان «هدف فرنسا والامبريالية منذ 56 لتحطيم جبهة التحرير» وينصح الذين "يتكلمون اليوم عن التعددية السياسية وتعدد الأفكار" بالتمعن في "وضعية العالم الثالث التي انتهجت نهج التعددية فهي مازالت غارقة في التخلف الاقتصادي والثقافي والفكري، ففي تونس- يضيف العقيد عمار بن عودة، هناك تعددية ولكن هذا لم يمنع من حدوث "حرب الخبز" ..وفي المغرب هناك تعددية ولكن هذا لم يمنع من وقوع "أحداث الدار البيضاء " وفي مصر هناك تعددية ولكن حدث ماحدث..."

ويعتقد العقيد بن عودة أن التعددية لن تكون «في صالح الشعب الجزائري أبدا. بل مصلحته تكمن في وحدة صفه ووحدة تصوره، في انتهاج أساليب الديموقراطية داخل جبهة التحرير الوطني، في النقاش والحوار والعمل الموحد ضمن هياكل الجبهة ثم يحاول التأكيد بأن "الشباب يظن أن الديموقراطية في تعدد الأحزاب لكن الواقع أن تعدد الأحزاب هذا يجعل الجزائر تفقد حريتها»

يرى العقيد بن عودة أن الديموقراطية داخل جبهة التحرير يجب صيانتها بمواد مثل المادة 120، التي اصبحت فيما بعد المادة 121، ثم تم إلغاؤها وتهدف هذه المادة " إلى عدم السماح بالدخول في حزب جبهة التحرير للذين ينتمون لتنظيم سياسي آخر، المادة الصيغة جئنا بها من الاتحاد السوفياتي وذلك حينما أزعجونا، فباسم حزب جبهة التحرير أراد الشيوعيون أخذ الحكم بوسائل الجبهة قلنا غير ممكن فإما جبهوي وتخدم مبادىء الجبهة، وإلا (روح تروح).

حزب فرنسا

لدى انصار هذا التيار حزب فرنسا ليس مجرد دعاية مغرضة، أو فزاع يسكتون به خصومهم.. إنه "موجود ، يعمل، يمارس اليوم سلطات في البلاد من خلال الممارسة، أو من خلال الفكر، وحتى من خلال التوجيه المباشر وغير المباشر للأهداف المحددة "

يتشكل حزب فرنسا على حد أقوال هذا التيار من القوة الثالثة التي وعدها ديغول أن يخرجها من السجون 1960.. ويعتقد أنصار هذا التيار بأن حزب فرنسا تحرك يوم أن زار الشاذلي بن جديد الولايات المتحدة الأمريكية وقيل عنه آنذاك بأنه "راح باش يبيع الجزائر لأمريكا (...) و " أكثر من هذا، بيجار يصرح ويقول وين الرجال اللي خليناهم في الجزائر).. في هذا التصريح تهديد للقوة الثالثة، وللناس الذين كونوهم ووقعوا على وثيقة تعهدو افيها بخدمة فرنسا من أجل إبقائها في الجزائر، وفرنسا لحد الأن لم تخرج من الجزائر، إنها موجودة، والأحداث الأخيرة فيها يد فرنسا وبالأخص الحزب الفرنسي الموجود بالجزائر والدليل أن التعليمة الموجودة بعد القرار الصارم لرئيس الجمهورية بأنهاء عهد المؤسسات التعليمية الموجودة تحت تصرف فرنسا في الجزائر، ووضع

نهائي للجزائريين الذين يريدون الذهاب إلى المدارس الفرنسية وتحويل العطلة المدرسية إلى شهر نوفمبر، ومن هنا جعل سد بين الشبيبة الصاعدة وفرنسا، بين الثقافة الجزائرية والثقافة الفرنسية، وفرنسا كانت تنوي عن طريق الفرنكفونية والتعليم الفرنسي (..) تحضير إطارات الغد بشمال افريقيا (..) وتحطيم الحكومة الجزائرية " ويعتبر هذا التيار أن الموقف الذي اتخذه رئيس الجمهورية الشاذلي بن جديد تجاه المدارس الفرنسية بالجزائر تعبير عن «استقلال فكري واستقلال اقتصادي.. عن فرنسا وهذا الوضع لاتبتغيه فرنسا، وأذنابها الذين يعولون عليها ليصبح ابناؤهم إطارات الغد في البلاد، لم يهضموا هذا القرار»ويلمح هذا التيار أنه خلال أحداث خريف الغضب اندست بعض العناصر الخبيثة الخانة للعهد الاستعماري ونادت بشعار" تحيا فرنسا" وانزلت وحرقت بعض الأعلام الجزائرية، فكما نحن نعمل لادخال الشباب إلى جبهة التحرير، هم يعدون الشباب لكي يتفرنس ولايتكلم بالعربية لأننا نحن نريد تعريب المحيط، وهم يريدون فرنسة الشعب حتى تصبح الفرنسية هي لغة الشعب»

بيان الأرثوذكسية التقليدية

لقد وجد هذا التيار نفسه في مأزق تاريخي وسياسي، عندما حاول أن يشد على العصا من الوسط.. لقد سحب الاصلاحيون البساط من تحت رجليه، في بداية الثمانينيات وفي أواخرها عندما قدم الشاذلي بن جديد الرجل الثاني في حزب جبهة التحرير، محمد الشريف مساعدية كبش فداء..

المعركة التي قادوها ضد الشاذلي بن جديد في المؤتمر السادس لحزب جبهة التحرير، هي الأخرى با ءت بالفشل، وكانت هزيمتهم أمام الاصلاحيين تكتيكية لكنها ساحقة، هذا مما جعلهم يفقدون مساندة شرائح كبيرة من القاعدة التي يهيمن عليها الجناح الارثوذكسي الثوري.

وفي ظل هذا المناخ أصدر هذا التيار الارثوذكسي التقليدي، أول بيان له، وقع من طرف 50 عضوا في اللجنة المركزية، وعلى رأس هؤلاء الموقعين نذكر محمد الصالح يحياوي، عبد العزيز بوتفليقة، ورابح بطاط، وهم على التوالي، مسوول حزب جبهة التحرير سابقا، ووزير الخارجية سابقا، ورئيس المجلس الشعبي الوطني سابقا..

يرى البيان أنه لم يعد ممكنا التمسك بالوحدة المظهرية "باسم الانضباط الحزبي الذي يتحلى به المناضلون تقيدا بقواعد المركزية الديموقراطية« كما أنهم يرفضون أن "تبقى أصواتهم ممنوعة من الوصول إلى القاعدة" سيما وأنهم قد تبينوا أن صمتهم الظاهري «يستغل من طرف السلطة الحاكمة لمتابعة تنفيذ خطة تحطيم حزب جبهة التحرير الوطني وإفراغه من محتواه النضالي وعناصره الوطنية المخلصة» ويذهب البيان إلى أن مصير البلاد كان «دوما شغلنا الشاغل ولم تبارحنا هموم الوطن، والمواطن لحظة واحدة وكنا كلما سمحت الفرصة نبدي آرا ءنا في الأطر النظامية المتاحة، وحاولنا قدر الامكان أن ننبه إلى خطر الانحرافات ومواقع تردي الأوضاع على شتى المستويات مفترضين في أصحابها حسن النوايا»

ويستأنف البيان قائلا "واليوم وقد استنفذنا كل سبل المعالجة في الإطار النظامي وأدركنا أن وجودنا في اللجنة المركزية لم يعد يجدي نفعاواقتنعنا بأن أراءنا ظلت، بفعل إرادة سياسية مبيتة حبيسة الجدران الشاهدة على ولادتها وهي معرضة لمزيد من الحصار سواء بالتعتيم الإعلامي المطلق أو بالتشويه/المقصود، قررنا اختراق الصمت لمخاطبة اخواننا المناضلين النزهاء والمواطنين الشرفاء على كل المستويات، وبكل الوسائل، توضيحا لموقفنا مما يجري على الساحة، ومنعا لمزيد من التصدع في جسم الأمة التي يرادلها أن تسير في نفق مظلم."

ويمضي البيان مسهبا" لقد تعودنا من جبهة التحرير الوطني أنها لاتخلف الميعاد مع التاريخ وإنما تعرف دائما كيف تجتاز الصعاب التي تعترض عادة الحركات الثورية الأصيلة، وكيف تخرج منتصرة من الفخاخ التي تنصب لها، والمؤامرات التي تحاك ضدها: على أن هذه الثقة المستحقة هي مفجرة الثورة المسلحة، ومسترجعة الاستقلال وبانية الجزائر العصرية لايجب أن تدفع بنا إلى التقليل من خطورة الهجمة الشرسة التي تحيط بها من كل الجوانب"

إن ماآلت إليه جبهة التحرير الوطني، يستنتج البيان "منذ ذلك التاريخ بسبب إصرار غريب على تقزيمها وتهميشها من طرف أولئك الذين اعتلوا سدة الحكم باسمها أحدث إحباطا عاما في صفوف المناضلين النزهاء وانهيارا في الثقة بينهم وبين المواطنين، وشرخا عميقا بينهم وبين دواليب الدولة، وصاحبت هذه الحملة محاولات مستميتة لزرع بذور الشقاق بين الأجيال وإبراز مسيرة البناء والتشييد منذ الاستقلال كسلسلة متواصلة من الفشل، بل وتبين ايجابيات هذه المسيرة عندما يكون الطمس مستحيلا والالقاء بسلبياتها على كاهل جبهة التحرير مع أن العام والخاص يدرك أن أي سعي بشري لايخلو من النقائص وكم في ذلك من تنكر لتضحيات جيوش من الإطارات والعمال المدنيين والعسكريين وكم في ذلك من إهانة لشعب بأكمله آنصهر في بوتقة جبهة التحرير الوطني.

والجريمة التي ارتكبت في حق التاريخ والتي ندد نابها خلال دورات اللجنة المركزية تكمن في ذلك اللبس بين السلطة الحاكمة واجهزتها من جهة، وبين جبهة التحرير من جهة أخرى والذي أدى إلى تحليلات خاطئة وأحكام جائرة»

ثم يتساءل البيان محتجا "كيف يمكن السكوت إزاء سلطة تنتمي نظريا إلى حزب جبهة التحرير الوطني وهي تمارس يوميا تصرفات مخالفة تماما لنصوصه الأساسية؟! كيف يتضامن معها المناضلون الحقيقيون وهي تتخلى عن اهتمامات الفئات المحرومة؟ كيف نتضامن معها وهي تختار نظاما اقتصاديا، هو عبارة عن قانون الغاب المؤدي حتما إلى أسعار لايتحملها إلا الأثرياء والمضاربون والمحتالون؟ كيف تتضامن معها وهي تقوم بعملية واسعة النطاق تهدف إلى تصفية الإطارات المحنكة في كل قطاع وذلك بدون تمييز بل بتركيز واع ومخطط على كل من ناضل في ثورة التحرير وثورة التشييد؟ كيف نتضامن معها وهي تتخلى عن مشاكل القطاع العام عمدا وذلك قصد إفشاله ثم اضمحلاله، وقد ضرب القطاع الوطني الخاص وسُدَّتْ سبل التطور في جهه واستبداله في

النهاية بالقطاع الخاص الأجنبي؟ كيف نتضامن معها وهي متواطئة مع الداعين إلى التشكيك في ثوابت الأمة ورموز الثورة؟

كيف نتضامن مع سلطة ترفع شعار الديموقراطية وترفض تطبيق الديموقراطية، داخل أجهزة الحزب؟ لقد كان الأمل كبيرا خلال انعقاد المؤتمر الاستثنائي في إعادة بناء الحزب، وجمع الشمل، تماشيا مع إرادة القاعدة وبعيدا عن مظاهر التسلط والاستفراد بالقرار وانسجاما مع المناخ الجديد، ولكن سرعان ماتلاشى ذلك الأمل بتصرفات نظام الحكم مما أحدث فراغا سياسيا رهيبا لم تتمكن التشكيلات السياسية الناشئة من سده، بينما وجدته القوى الأجنبية مرتعا خصبا تسللت من خلاله للتأثير على القرار السياسي والمسار الديموقراطي لمجتمعنا »

ويسعى البيان إلى التأكيد على أن تيار الاثوذكسية التقليدية لايزال يعتقد « أن التعددية والديموقراطية في أسمى معانيهما يستجيبان بشكل طبيعي لهذه المرحلة من تطور شعبنا ونضجه السياسي، وارتفاع مستواه الثقافي، غير أن الارتجال في التنفيذ أضعف الدولة ونال من هيبتها، وبدل أن تنصب الجهود على معالجة المظاهر السلبية التي كانت العامل الظاهري في تفجير أحداث أكتوبر، أنحرفت المسيرة وسط خطاب سياسي برهن على عجزه عن تقديم البديل الأفضل، وبذلك أزداد الخطر على مستقبل الوحدة الوطنية، وبدأت النعرات الجهوية تطفو على السطح وتضاعف جيش البطالين من الشباب وانهارت القدرة الشرائية للمواطن واستمرت مظاهر انعدام العدالة الاجتماعية بازدياد الثراء الفاحش على حساب الأغلبية الساحقة من أبناء هذا الوطن، وبإختصار، تسرب القلق إلى نفسية المواطن، وانسدت أمامه الافاق، وتفاقمت الأزمة»

ويذهب البيان إلى حد الاعتقاد بأن هذه الأزمة الاقتصادية والاجتماعية التي تعيشها الجزائر يمكن تجاوزها «بالعمل الدؤوب والبرنامج الواضح والإرادة الصلبة وترشيد الأفاق» لكن الاشكال الكبير للأزمة الحقيقية في نظر هذا التيار هو الازمة الأخلاقية "لاتحظى بأي اهتمام من طرف السلطة، وأن أزمة الهوية يتطلب تجاوزها اجماعا وطنيا حول ثوابت الأمة، من دين يحدد السلوك وينير الطريق، ولغة وطنية رسمية تجمع شتات هذا الكيان وتراث أمازيغي عربي يجب الحفاظ عليه، وعدالة اجتماعية تضمن التوازنات الضرورية في المجتمع.

(...) ومن جهة أخرى فإنه لامناص من الإقرار بان التعددية الحزبية مكسب هام للبلاد ولكنها بدون دولة قوية تحميها من شأنها أن تدفع بالبلاد- لاقدر الله- إلى الفتنة وإن الديموقراطية مكسب ثمين، ولكنها بدون دولة قوية تضمن المنافسة النزيهة قد تؤدي إلى الفوضى، وفي كلتا الحالتين فإن الوحدة الوطنية تصبح مهددة في وقت مازلنا فيه في أشد الحاجة إلى التمسك بها ودعمها بكل قوة»

وفي نهاية البيان يسجل محرروه بأن المناضلين والمناضلات يعانون حيرة وهذه الأخيرة تجسدت في ترك بعضهم صفة جبهة التحرير الوطني" لاتنكرا لمبادئها ولكن لشدة خيبة الأمل أمام تصرفات بعض المنتسبين إليها أو الناطقين باسمها » عن لايزال صامدا «بالرغم من ضغوط المحيط ومنهم فريق تحكمه الأنتهازية ولايؤمن بالمبادئ» ثم يضيفون قائلين «بناء على ماسبق نعتقد أن العملية التي انطلقت منذ أيام لتحديث الحزب ليست كافية

لضمان نجاح الحزب في الانتخابات التشريعية القادمة لأن أخطر مايميزها موقعها الزمني من هذه الانتخابات، وأخشى مانخشاه أن تتكرر تجربة الأنتخابات المحلية السابقة ونحن نصدر هذا البيان، فإننا نعلن عن تأييدنا لأي حركة تلقائية تصب في هذا الاتجاه »قصد «انقاذ حزبنا العتيد وتفويت الفرصة على أعداء الثورة باستعاده الثقة في النفس وأخذ زمام المبادرة»

الجناح الأورثوذكسي الثوري

طابع هذا التيار إشتراكي ثوري شعبوي، ظهر إلى الساحة بقوة وعنف بعد أحداث أكتوبر، وظهوره العنيف والقوى كان آخر شعرة بينه وبين السلطة الحاكمة يأتي على بترها.. هذا التيار لجأ إلى استعمال البومدينية النقية كورقة ضغط وكسلاح ايديولوجي ضد "الطريق الساداتي» الذي أختارته السلطة الحالية..

عبر عن نفسه هذا التيار في ندوات الحزب الجهوية، وخلال أول مؤتمر لجبهة التحرير في عهد الاصلاحات، وكشف عن ميوله القريبة من حزب الطليعة الاشتراكية.. لقد بدأت الصحافة الوطنية تتحدث عن هذا التيار، بمجرد مابادر إلى تنظيم ندوته التي اشتهرت فيما بعد بندوة «جماعة بوروبة (نسبة لمكان الاجتماع)وحسب التقارير الصحفية، فإن هذه الندوة المعبرة عن هذا التيار عبرت عن سخطها وتبرمها من الارثرذكسيين التقليديين، وبيانهم الذي يهدف إلى جمع «صفوفهم، هم »وتجميع أكبر قدر ممكن من أصوات القاعدة»

وقد ذهب أحد المتدخلين في هذه الندوة، حسب جريدة "المساء" إلى حد اتهام قياديي الارتودكسية التقليدية بالسطو والرشوة وأن أمثالهم "ممن حطموا حزب جبهة التحرير" ولطخوا سمعته.

والنقاط الذي أثارها هذا التيار خلال ندوة بوروبة بتاريخ 14 أوت 1990 تمثلت فيمايلي التنديد بالسياسة الرامية إلى:[1]

1- عزل حزب جبهة التحرير الوطني عن منظماته الجماهيرية.

2- التراجع عن مبادئ حزب جبهة التحرير وفك الارتباط بينه وبين الجماهير.

3- الاستمرار في تشويه الحزب عن طريق توظيف صحافة النظام لهذا الغرض.

4- الانفتاح الليبيرالي "المنتهج على الطريقة الساداتية" باعتزام تحويل البلاد إلى سوق للإحتكارات الأجنبية وبالتالي تعريض سيادة القرار السياسي الوطني إلى الاهتزاز والمساومة.

ويعتقد هذا التيار بأن الارتوذكسيين التقليديين "فقدوا مواصفات النضال الميداني" ويضيف أيضا بأن الاصلاحيين "يجب فضحهم" وفضح مشروعهم الداعي إلى التحديث، لأنهم لايرمون من ورائه إلا «محاولة امتصاص غضب القاعدة» وحسب بعض أعضاء هذا الاتجاه فإن الأزمة التي يعيشها حزب جبهة التحرير الوطني

تعود بداياتها إلى "المؤتمر الاستثنائي لسنة 1980 عند رفع شعار " المراجعة لاالتراجع" وأن مفاهيمه الأساسية بدأت تتلوث وهو ما أنتج التناقض الصريح بين ايديولوجية جبهة التحرير كحزب في السلطة والسياسة المنتهجة من طرف السلطة"

ويذهب معبر آخر عن هذا التيار، وهو الدكتور العربي الزبيري الذي تقلد وظائف سامية في الحزب،عضو سابق في اللجنة المركزية لجبهة التحرير، وأمين عام لاتحاد الكتاب والتراجمة سابقا، وصاحب «مدخل إلى تاريخ المغرب العربي الحديث»، و«الكفاح المسلح في عهد الأمير عبد القادر "و" الغزو الثقافي في الجزائر" و"المثقفون الجزائريون والثورة" إلى أن أحداث اكتوبر وكل ما تلاها لم تكن إلا مؤامرة على الثورة، أو على الخط الثوري في حزب جبهة التحرير.

هذا الرأي أو الأراء عبر عنها من خلال كتاب بيان عنونه "بالمؤامرة الكبرى أو إجهاض ثورة"

يقول الدكتور الزبيري في مقدمة كتابه متحسرا "ليس سهلا أن يصرخ مناضل: واحزباه!!! ويتغلب على آلامه ليقول للنشء الصاعد في هدوء (إن حزب جبهة التحرير الوطني قد اغتيل) ليضيف في نهاية المقدمة "لقد عاهدت نفسي أن أقول الحقيقة عارية ولايهم الثمن الذي يدفع مقابل ذلك". ترى ماهي هذه الحقيقة التي سيكشف عنها العضو السابق في اللجنة المركزية في حزب جبهة التحرير طيلة العشرية السابقة؟

1- تتمثل هذه الحقيقة في أن النظام المنبثق عن المؤتمر الرابع لحزب جبهة التحرير هو المسؤول عن تعبيد الطريق لتصفية ماتبقى من الثورة الجزائرية، وذلك تم بأساليب شتي، كالتبذير الفاحش للثروة، وفتح الأبواب على مصراعيها أمام كوادر "حزب فرنسا".

2- تزامن الاعتداء على مكاسب الثورة، واغتيال الثورات الثلاثة الزراعية، الصناعية، الثقافية) باسم الدفاع عن روح ثورة نوفمبر، وهذا في نظره مقدمة لإفتعال احداث مثل أحداث أكتوبر التي لاتخرج عن أن تكون "مؤامرة كبرى، حيكت بذكاء شيطاني لتسهيل الردة في جميع المجالات وللتمكين من شل كل القوى الوطنية التي تتصدى للخيانة»

3- الإبقاء على فكرة التطهير حبرا على ورق منذ 1964، السبب؟! «لأن الإطارات المشبعة بالفكر الاستعماري ظلت مسيطرة على معظم المناصب الأساسية في الأجهزة التنفيذية، وظلت البرامج التربوية بكل أنواعها، هي نفس البرامج الاستعمارية تقريبا إذبقيت خالية من الروح الوطنية، ولاصلة لها بايديولوجية الثورة

4- وضع حزب جبهة التحرير منذ انقلاب 19 جوان 1965، قلعة يجب اسقاطها «أوتفتح أبوابها أمام الذين لم يشاركوا في الكفاح المسلح بطريقة أو أخرى» والسبب الأساسي يرجع إلى أن أعضاء مجلس الثورة لم يكونوا "يؤمنون بالفكرة الحزبية» بل عملوا على تهميش الحزب بتركيزهم هلى «هيكله الإدراة وبناء الاقتصاد »

وفي تقييم صاحب «المؤامرة الكبرى» للعشرية التي تلت انقلاب 19 جوان 65، سجل النتائج التالية:

- تثبيت العناصر اللاوطنية (خريجو المدرسة الاستعمارية على رأس المناصب الإدارية الأساسية.

- تعيين الإطارات المناهضة للحزب على رأس المناصب المهمة في مجالات الإقتصاد والاعلام والثقافة والتعليم.

- تجميد الايديولوجية الثورية لحزب جبهة التحرير الوطني.

- غلق مدارس التكوين الجهوية والمدرسة الوطنية لتكوين الإطارات الحزبية، وبذلك وضع حد للوجود الحزبي في البلاد.

- الممارسة المنبثقة من عمليتي تعيين الإطارات الحزبية وعزلهم قد رسخت تقاليد غربية لم تفتأ أن جعلت معظم المناصب في المستوى المركزي والمحافظات وحتى في مستوى القسمات تسند إلى المنخرطين الذين يبدون استعدادهم لخدمة واحد من أجهزة الأمن.

- عدم إيمان مجلس الثورة بالفكرة الحزبية أدى إلى إقصاء الحزب عن مصدر القرار.

- العمل على فصل المنظمات الجماهيرية عن الحزب قصد تقزيم دوره في مجال القيادة والتوجيه ويشدد صاحب "الكفاح المسلح في عهد الأمير عبد القادر "على أن الانتفاضة الشعبية لم تحدث بعد" وقد يسعى الغرب إلى عرقلة ميلاد هذه الانتفاضة الحقيقية، ويواصل الزبيري مؤكدا «أن أسبوع الاجهاض إنما أعد له ليكون فاصلايين عهد الثورة والعهد الجديد الذي هو عهد التيه والانبطاح وعدم الثقة في النفس زيادة على ما يتميز به من انحلال وغموض وفوضى واضطراب"

إن التيار الارثوذكسي الثوري على لسان العربي الزبيري لايثق في قدرة المسؤولين الحاليين على التجدد لانهم لم يتغيروا «منذ حوالي ربع قرن» وإذا كانت كل هذه السنوات دليلا على عقمهم في مجال التقدم بالبلاد ومنحها مؤسسات ديموقراطية حقيقية «فإنهم لن يستطيعوا تحقيق ذلك في ظرف أشهر معدودة» .ثم يتساءل قائلا «كيف يمكن للشعب أن يصدق بأنه دخل عهدا جديدا بنفس الوجوه التي صنعت العهد القديم؟ وكيف يمكن له التصديق بمجيء عهد الديموقراطية إذا كان تغيير الدستور نفسه قدتم في ظروف غامضة وبواسطة أناس مجهولين، بعيدا عن المجلس الشعبي الوطني المؤهل لذلك»

موقف هذا التيار، دائما على لسان المؤرخ الزبيري، من الاصلاحات يمكن تحديده في النقاط التالية:

-الاصلاحات تعني المؤامرة المخططة على الثورة، مادامت أقدمت على إلغاء دور حزب جبهة التحرير كما هو مرسوم في الميثاق الوطني.. ومثل هذا الوضع المخطط له أدى إلى إنتشار الفوضى وسيادة روح التمرد والعصيان في أوساط الجماهير وخاصة العمال

- الاصلاحات خيانة، مادام أنها قضت على مبدأ الوفاء لأرواح الشهداء عندما "وضع في كفة واحدة الذين جاهدوا والذين قعدوا والذين ناهضوا، وبديهي أن الذي سيترتب على هذا هو إجهاض الثورة كمشروع شامل جاءت به «جبهة التحرير الوطني لاسترجاع السيادة الوطنية كاملة»

- الاصلاحات تعمل على تعميق التجزئة، مادامت أمال الوحدة الجزائرية الليبية، قد تبخرت في إطارها و"اختفى مشروع الدستور الوحدوي(...) الذي كان من المفروض أن يقود إلى تكوين نواة صلبة تتشكل حولها وحدة المغرب العربي كخطوة أساسية في طريق الوحدة العربية الشاملة»

- الاصلاحات فتحت الأبواب "للأرجل السوداء والصهاينة ولمناهضي الثورة الذين فروا سنة 1962»

- الاصلاحات تعني الردة فقد جعلت "ثورة نوفمبر تستسلم لكامب دايفيد وتتنكر لالتزاماتها مع حركات التحرر الوطني، كما أنها وضعت حدا نهائيا للشعارات الثورية المعبئة للجماهير والمحفزة لها مثل تلك المعبرة عن مناهضة الامبريالية والاستعمار ومحاربة الرأسمالية والاستبداد وإدانة الأنظمة الرجعية والتمييز العنصري. وفي نفس الوقت كتم أنفاس المجتمع الاشتراكي وقضت على أساليب بنائه وإذا ماتواصلت - لاقدر الله- فإن القطاع العمومي سيتعرض لاعتداءات مختلفة قبل أن يقزم ويباع»

- الاصلاحات هي مرادف للغزو الثقافي، فقد شجعت ماديا وأدبيا جمعيات وتنظيمات تسعى إلى «ضرب أسس الشخصية الوطنية»

- الاصلاحات تعني الخيانة الكبرى، فهي بفتحها الباب واسعا للخوصصه تكون قد ضربت "آمال الجماهير الشعبية المعبر عنها في مواثيق الثورة " عرض الحائط.

ويضاف إلى موزاييك هذا الجناح، صحفي اشتهر بمشاكساته، وبكتاباته النارية ضد الاصلاحيين، وكان أحد الأوائل الذين أبدعوا مصطلح "حزب فرنسا" وألصقوه بممارسات الدوائر الفرنكفونية واليسارية الفرنكوفونية، والاصلاحية المتواجدة على مستوى قمة الأجهزة.

أعمدته المنشورة في جريدة "الشعب" تحت عنواني" لحظة تأمل" ثم "نقطة نظام" أثارت ردود فعل عنيفة من طرف هذه الدوائر التي انتهت بمنعه من الكتابة على صفحات هذه اليومية»

واصل انتقاداته للتيار الاصلاحي بشكل خاص، فيمابعد على أعمدة أسبوعية "الوحدة" وهي لسان حال الاتحاد الوطني للشبية الجزائرية..

وفي عددها 488 المؤرخ من 1 إلى6 نوفمبر سعى هذا الارثوذكسي الثوري إلى تعرية ما أسماه بمسرحية الاصلاحات، وذلك من خلال محاولة كشفه النقاب عن «السيناريو" الذي صنعت وفق خطوطه أحداث أكتوبر فيقول

* رئيس الجمهورية السيد الشاذلي بن جديد قال في المؤتمر السادس للحزب (بأن 5 أكتوبر صنعه الطابور الخامس) وقال في مناسبة أخرى (إن الذين صنعوا 5 أكتوبر ندموا).. وفي نظر بوعقبة بعني هذا الكلام أن "صناع 5 أكتوبر معروفون!»

ثم يمضي قائلا: "السيد خالد نزار وزير الدفاع الحالي ونائب قائد الأركان أثناء أحداث 5 أكتوبر قال (إن 5

أكتوبر صنعه الجناح الارثوذكسي في النظام: فمن هو هذا الجناح الارثوذكسي في النظام؟! محمد الشريف مساعدية مسؤول الأمانة الدائمة للجنة المركزية لجبهة التحرير الوطني أثناء أحداث 5 أكتوبر يقول إن أحداث 5 أكتوبر مؤامرة على الحزب والجيش، نفذت بأجهزة تابعة للنظام ويتواطؤ مع الخارج؟! وأن هناك فئة من المسؤولين أرادوا البروز قبل المؤتمر السادس ليدخلوا هذا المؤتمر منتخبين ويكون لهم دورهم في القيادة الجديدة ففعلوا 5 أكتوبر أو افتعلوه لتسمين أنفسهم سياسيا؟!).

"أحمد طالب الابراهيمي وزير الخارجية أثناء 5 أكتوبر، وأحد الذين راجت حوله إشاعات قبل المؤتمر السادس بأنه دبر مع مساعدية الأرضية لنقل سلطة القرار خلال المؤتمر السادس من الجيش إلى الحزب، وبالتالي احتمال إبعاد الشاذلي عن الرئاسة أثناء المؤتمر السادس وأن جناحا من المتفقين على تخييط المؤتمر السادس في هذا الاتجاه المضاد لسلطة الجيش قد باع العملية.. ودبر على الرئيس بانجاز 5 أكتوبر لنسف كل هذه الاحتمالات!" ويستدرك سعد بوعقبة بأن مساعديه يقول: إنه لم يخن الرئيس الشاذلي أبدا "وأن الدكتور طالب الذي صوره، بعض المغرضين، للرئيس على أنه الرجل الخطر.. ينفي أن يسرج له حصان الرئاسة ويركب عليه، مثل هذا الرجل لايمكن أن يتآمر معي على الرئيس»

ويضيف بوعقبة بأن السيد عبد الحميد ابراهيمي، الوزير الأول السابق، يعترف بأن مثل هذه «الفكرة .. فكرة نقل سلطة القرار من الجيش إلى الحزب.. أي تمدين القرار السياسي قد ظهوت بالفعل لدى جماعة الحزب قبيل المؤتمر الخامس، وليس السادس،، وإنه طلب منه شخصيا بأن يدخل في هذا المسار ولكن رفض(...) ورغم ذلك فإن الدكتور طالب يقول عن 5 أكتوبر إنه من صنع السلطة وخرج من يدها إلى الثورة العفوية بسبب التوترات الا جتماعية الحاصلة في المجتمع واهتزازقيم «العدل» ويستمر بوعقبة في ايراد الروايات حول من صنع أكتوبر.

الرواية الأولى: "بعض العارفين بالشؤون الخفية يقولون أن 5 أكتوبرصنعه حقيقة جماعة في السلطة ولكن بدون علم الرئيس" (...) ويؤكد هذه الرواية محمد الشريف مساعديه بقوله: الرئيس وضع ضمن شروط وظروف، ولانتهمه بخيانة رفاقه وشعبه؟! لكن "بيست" آخر ل 5 أكتوبر يقول بأن الرئيس قدتم ابلاغه من طرف مصالح أخرى غيرالتي تعمل رسميا ويشيرون في ذلك إلى السيد قاصدي مرباح باعتباره المستفيد الأول من أحداث 5 أكتوبر.. وأن هذا الأخير، هو الذي نبه الرئيس إلى موضوع تمدين الحكم وتحويل قرار الترشيح من الجيش إلى الحزب؟! أو الجناح المدني في الحزب!»

الرواية الثانية: تشير إلى أن 5 أكتوبر صنعه جناح في الأمن المدني بالتنسيق مع عناصر في رئاسة الجمهورية وأن مرباح نبه إلى الخطورة ولكن لم يسمع وبالتالي استفاد من النتائج»

وبعد روايات أخرى يخلص هذا الارثوذكسي الثوري إلى خلاصة أولى بأن الصراع حول السلطة في جزائر ربيع وصيف وخريف 1988 «يدل دلالة واضحة على أن مثل أحداث 5 أكتوبر كان لابد أن تقع» وأن الصراع تجاوز مستوى الأشخاص إلى الأجهزة، «بل أصبح بين أجهزة بأكملها ضد أجهزة أخرى.. وهنا يكمن خطر إنزال

الخلافات إلى الشارع ليحسم في هذه الصراعات.. وهو ماحدث بالفعل مع الأسف»

ويرى بوعقبة أن المناخ الذي هيىء لاحداث 5 أكتوبر تميز بعدم الأمن السياسي ومن جهة أخرى «كثر فيه الحديث عن الاصلاحات في شرق أوروبا والاتحاد السوفياتي بالخصوص..! وتنقل الناس حتى إلى الصين ليعود للجزائر بفكرة أن الصين في عهد الإنفتاح تكسر القدرة الكبيرة! وبعض المسؤولين في المكتب السياسي في ذلك الوقت يتحدثون عن فكرة أن غوربانشوف يفكرو الجزائر تطبق؟! بل أن بعض الناس قالوا: إن غوربا تشوف ينقل الاصلاحات إلى بلاده عن تجربة الجزائر (...) " وفي هذا الوقت - يضيف بوعقبة" وصلت مسألة إعادة الهيكلة للمؤسسات إلى نهايتها ولم تعط النتيجة.. بل أعطت نتيجة واحدة وهي أنها وضعت البلاد في حالة إنتظار إقتصادي طوال 5 سنوات كاملة". ويقول بوعقبة أن داخل الحزب بدأت "أصوات كوجيلية وبوحارية (اصلاحيي جبهة التحرير) تحضر نفسها كبدائل لمساعدية- وأثمرت زيارة 1983 إلى فرنسا عن برنامج لعودة الأقدام السوداء والحركة»

وتم في ظل هذا المناخ أيضا «الانفتاح على المغرب (...) وتبع ذلك بالانفتاح على أمراء الخليج وخاصة السعودية (...) وُبعد زيارة الرئيس للولايات المتحدة الامريكية سلمت أمريكا أمر الجزائر إلى فرنسا، وكان مطلب أمريكا للجزائر الوحيد خلال هذه الزيارة هو أن تنفتح الجزائر أكثر على مسألة حقوق الأنسان والتعددية السياسية (...) وتميزت صائفة 1988 بظاهرة غريبة هي اتساع دائرة التراشق بين المسؤولين في الجزائر وعبر المصالح والأجهزة بماسمي بالمناشير التي تحمل الفضائح (...) والمجال الاعلامي في عهد رويس أصبح محتلا من طرف فرنسا كلية أو شبه كلي عن طريق عودة الصحف الفرنسية إلى التوزيع في الجزائر على نطاق واسع.. وكذلك أعتماد سياسية البرابول..(....) اختراق فرنسا للمجال الأمني الجزائري تجاوز الحدود "كل هذا تزامن مع" الدعوة إلى عودة الجزائر الى حظيرة الدول الفرنكفونية والدعوة إلى تشييد مغرب عربي بدون ليبيا وبدون الصحراء؟! أو الصحراء موجودة ولكن تحت لواء المغرب (...) نساء الوزراء يتظاهرن مع نساء فرنسا وأشباه الفرنسيين أمام رئاسة الجمهورية احتجاجا على قرار الرئاسة بتأميم ثانوية ديكارت (...) الرئيس يخطب في 19 سبتمبر .. ويندد بالركود والجمود وحرب المناشير ضده وضد عائلته (..) والباكس وبعض الذين يفهمون الاشارات يقررون إضرابا ليوم 5 أكتوبر مصحوبا بمظاهرات معادية ،للحزب وللمادة 120..

وينتهي بوعقبة سلسلة من الفرضيات حول مغزى تنظيم أحداث 5 أكتوبر والأطراف المشاركة فيها والأهداف التي كانت ترمى من ورائها إلى النتيجة التالية " لعل الذين صنعوا 5 أكتوبر قد ندموا الان! كما قال الشاذلي خاصة بعد انتخابات 12 جوان والتي أتت على أمل صناع أكتوبر في تحويل الجزائر إلى الوجهة التي يريدونها»

الجناح الاصلاحي المعتدل

رغم الضعف العددي الذي يشكله هذا التيار داخل حزب جبهة التحرير، إلا أنه يمتلك قوة حقيقية وفاعلة ومؤثرة على مسار الحزب.

ومصدر هذه القوة يرجع إلى عدة عوامل، منها التاريخي أي أن إطارات هذا الاتجاه لم تكن تنتمي إلى مجموعة الجيش أو السياسيين التقليديين خلال الثورة، بل تقلدت مناصب إدارية سياسية داخل الحكومة المؤقتة، ومثل هذه المناصب أكسبتها مهارة في التسيير، وقدرة وحنكة في الإدارة السياسية والمناورة وجلاء في الواقعية والبراغماتية.

وعبد الحميد مهري، الأمين العام لحزب جبهة التحرير، هو أحد إطارات هذا الإتجاه المعتدل، الذي استطاع بخبرته التاريخية في الواقعية والمناورة، أن ينقذ حزب جبهة التحرير من الإنفجار من جهة، ومن الإنجراف وراء حماسة الإصلاحيين المتشددين.

لقد استطاع هذا التيار أن يحافظ على العلاقات المتشابكة والمعقدة بين الكتل الداخلية لحزب جبهة التحرير من جهة، وبين الحزب وأجهزة الدولة من جهة أخرى، ورغم أن مشروع الإصلاحات جاء من خارج حزب جبهة التحرير، إلا أن عبد الحميد مهري تمكن من إحتواء هذه الإصلاحات، وتقليم خطوة، خطوة ما يتناقض والمبادئ النظرية للجبهة.

وفي حديثه عن موقع جبهة التحرير في ظل الإصلاحات، يعتقد الأمين العام للجبهة بأن هذا يرجع "للموقع الذي يحكم على جبهة التحرير الوطني كجبهة صانعة للحدث، وصانعة للإصلاحات (!) ومن الطبيعي أن هذا لا يعترف به كل الناس، لأن الجبهة في موقع الحزب الحاكم، فكثير من القوى لا تريد أن يكون هذا الفضل لجبهة التحرير الوطني، خاصة وأن مناضلي جبهة التحرير الوطني ومسؤوليها لم يكونوا في مستوى واحد من الإدراك والتأقلم والتفاعل مع الإصلاحات على أرض الواقع في ظروف بالغة الصعوبة، ويمكن أن نتصور بشكل أفضل موقع جبهة التحرير الوطني، لو افترضنا نظريا أنها قامت بهذه العملية في ظروف أخرى"

ويعلق على الأطروحة القائلة بأن جبهة التحرير ماتت في مؤتمر طرابلس بأنها خاطئة مادامت ترتكز على حكم ذاتي، فموقع أصحاب هذه الأطروحة من التاريخ «جعلهم يتصورون أن تغير الأشخاص وتعاقب الأجيال على الجبهة يعني زوال القيم والمعاني التي صنعت الجبهة.. إذا نظرنا إلى الجبهة كتركيبات بشرية فمن الواضح أنها آيلة إلى الزوال، أما إذا نظرنا إليها كمجموعة من القيم والتوجيهات التي فتقت عبقرية الشعب الجزائري، وهذا الجانب مع الأسف لا يؤخذ بعين الإعتبار عندما يراد الحكم على الجبهة ونحن نتمسك بالجبهة باعتبارها الحركة السياسية القادرة على تغيير طاقات الشعب الجزائري وعبقريته ومن هنا يأتي حرصنا عليها" ويعترف الأمين العام لحزب جبهة التحرير، أن الجبهة خلال السنوات الأخيرة من عقد الثمانينات، "لم تستطع التطور، ولم تستطع التأقلم ولم تستطع سبق الأحداث وأن مسؤوليتها هي أن تفاجأ بأحداث أكتوبر، وحزب-يضيف عبد الحميد مهري- تفاجأ بأحداث مثل أحداث أكتوبر معنى هذا أن هناك شيأ في تركيبته وعمله وتوجهه يحتاج إلى إصلاح"

وعبد الحميد مهري جد محتاط من أ طروحة الإتجاه الأرثوذكسي القائل بإن أحداث أكتوبر كانت مؤامرة على الجبهة، لأن هذه الأطروحة في نظره تجعل البحث في الأحداث ومحاولة تحليلها صراعا داخل الجبهة، وأعتقد-يضيف السيد مهري- أن هذا يعني أن نواصل سياسة النعامة وأن كل شيء كان على ما يرام وأن القضية لا تعدو مجرد مؤامرة مديرة ضد جبهة التحرير الوطني، قلت أحتاط من هذا التفسير (الأطروحة) لأنه يترك الجدل بين مناضلي الجبهة ومسيريها ، ويذكي كل أسباب تكسير الجبهة من الداخل واعتقادي ان هذه هي المؤامرة..

والجدل-يضيف السيد عبدالحميد مهري-لا يمكن أن يؤدي إلى أي نتيجة على الإطلاق، صحيح أنه وفي مستوى القيادة لم تكن العلاقات بين المسؤولين على ما يرام وأن هذه العلاقات المعقدة نشأت في جو مغلق هو جو الحزب الواحد وفي صيغة من التنظيم تجعل قيادة الحزب منعزلة في قراراتها السياسية الهامة مع القادة، ومن الطبيعي أن تنشأ علاقات معقدة وفي بعض الأحيان، غير سليمة بين القادة ومثل هذه التفسيرات هي انعكاس لهذه العلاقة"

ويعتبر هذا التيار الإصلاحي المعتدل على لسان عبد الحميد مهري أن نتائج الإنتخابات المحلية "كانت تعكس الأوضاع السياسية التي كانت قائمة قبل الإنتخابات وأنه من هذه النظرة يمكن أن نعتبرها نتيجة طبيعية لأن هذه التجربة الأولى للممارسة الديمقراطية المتعددة الأحزاب يمكن أن نسميها بتجربة سوء الفهم، تميزها سلسلة من سوء التقديرات، فجبهة التحرير بصفة عامة لم تستطع التخلص من نظرتها الماضية للإنتخابات والذهنيات التي سادت وردود الفعل التى ظهرت كانت كلها تنطلق من هذه التجربة، سواء التنافس الكبير على الترشيح الذي كان يمثل في النظام القديم الإنتخاب الحقيقي، أو في الإتكال على الإدارة يوم الإنتخاب، أو في تعدد الترشيحات من طرف المناضلين في قوائم حرة، وهو إنعكاس غير سليم للديموقراطية التي تنفي أي إنضباط حزبي »

وفيما يتعلق بقضيتي تشبيب جبهة التحرير الوطني وتحديثها ، فهو يعترف "أن مستقبل الشباب ليس بالأمر السهل، لأن النظرة"التي كانت ولا تزال سائدة لدى التيارات الأرثوذوكسية مشوبة بالحذر لكل منخرط جديد و"هذا ماحرم الجبهة من كثير من الطاقات التي كانت تود الإنخراط في الجبهة، وهذا الحذر كان يتمثل في الإجراءات المعقدةالتي تطلب ممن يريد الإنخراط في الجبهة الإنتظار هذه كانت تطول إلى سنوات...فإذن الخروج من هذه النظرة، نظرة الحذر ممن يريد الإنخراط في الجبهة مازالت مع الأسف سائدة فهناك خلط كبير بين اليقظة وبين الحذر المرضي الذي جعل الجبهة تتقلص تدريجيا وتبتعد عن فئات كبيرة من شرائح المجتمع وحتى الأن مازال الانفتاح على الشباب ينظر إلى من بعض المناضلين القدامى، على أنه محاولة لتصفيتهم >>

ويعلق عبد الحميد مهري على طروحات الأرثوذكسين المتخوفة من نتائج الإصلاحات قائلا"هذا التخوف في محله، لأن الإنتقال من تنظيم ممركز ومخطط للإقتصاد إلى نظام السوق ليس عملية سهلة فهي محفوفة بالمخاطر والصعوبات ومن الأساسي وهو ماأكدناه لنواب جبهة التحرير، أن التحول إلى إقتصاد يأخذ بعين الإعتبار قوانين السوق لاينبغي أن يتم على حساب الطبقات المحرومة وأعتقد أن الحكومة تسعى للأخذ بهذا التوجه، لأنه لا

مناص من بعض التغييرات الهيكلية في قضية المداخيل وقضية الأجور كلها تبررحسن إستعمال الطاقات الإنتاجية الموجودة في حسن إستثمار اليد العاملة الموجودة، هذه كلها تفترض مرحلة إنتقالية وإضاءات تحد من سلبيات الإنتقال، فإذن بالنسبة لنا فصلنا في موضوع الإصلاحات وتوجهنا بشكل جماعي وأنا ألح على مصادقة اللجنة المركزية في مارس من السنة الماضية على جوهر الإصلاحات، يبقى علينا الأن أن نتابع بكل حذر وبكل يقظة تطبيق هذه الإصلاحات "

ويوضح عبد الحميد مهري الأسلوب الذي يميزه، ويميز التيار الذي ينتمي إليه بأنه "أسلوب خاص في التعامل مع الأحزاب السياسية فأنا-يؤكد مهري -أومن بأن الصبر في السياسة أيضا هو عمل، وطبعا قد إختلف في هذه النظرة مع البعض، لكن هذا لايعني بأنني أميع القضايا السياسية، وإنما عندي قرف واضح من إغراق القضايا السياسية في مسائل جزئية وذاتية. فلو أنا القضايا الذاتية والشخصية دفعت إلى مقام القضايا الوطنية الكبرى، لاأعتقد أن جبهة التحرير الوطني إستطاعت أن تحقق ما حققته، لو أنها غرقت في مثل هذه القضايا"

التيار الإصلاحي المتشدد

وهوالخلاصة الصلبة لمجموع تيارات جبهة التحرير الأخرى، ويمثله رئيس الحكومة السابقة، مولود حمروش.

ولد هذا الأخير في 3 جانفي 1943 بمدينة قسنطينة، ينحدر من أسرة فلاحية متواضعة، خريج معهد العلوم السياسية إبتداءا من1968 تم إلحاقه بالرئاسة من طرف وزارة الدفاع. في 1979 أصبح رئيس سلك البروتوكول، ثم أصبح في 1984 أمينا عاما للحكومة، وفي نفس السنة إنتخب كعضو في اللجنة المركزية. في 1986 عين أمينا عاما للرئاسة..ثم رئيسا للحكومة بعد آستقالة قاصدي مرباح، عام 1989، وفي جوان 1991 يقدم استقالة أمام عجز حكومته في الحفاظ على الامن خلال الاضراب السياسي الذي شنته الجبهة الاسلامية للإنقاذ.

يعرف مولود حمروش الاصلاحات التي رفعتها حكومته وتياره كشعار قائلا:

إذا أردنا أن نعطي لكلمة «إصلاحات» مفهوما فهو يعني حرية الاختيار للشعب، الاصلاح يستوجب عدم إقرار شيء خارج إرادة الشعب، وإذا كان الشعب قد وضع ثقته الى حد الآن في قادته المنحدرين من حزب جبهة التحرير - بغض النظر عن مسار البعض وعن الاخطاء والنجاحات - فإن هذه الثقة كان لها ما يبررها لأن هؤلاء الرجال يمثلون مرحلة مجيدة وهامة من كفاح التحرير الوطني وكان ممكنا أن يقبل الشعب أن يسير دون أن يخاف على مستقبله أو مصيره، واليوم فقد أصبح أمرا حتميا أن يتمتع الشعب بكامل ثقته ويمنحها دوريا للأشخاص الذين يعتبرهم أجدر بتسييره ويصوت على البرنامج الذي يستجيب أكثر لتطلعاته، هذه هي الاصلاحات قبل كل شيء وهي كذلك بناء مجتمع لا يفصل ولا يهمش فيه أحد كما هي كذلك إمكانية للمواطن في التنظيم من أجل الدفاع عن مصالحه وحقوقه.

الانسان الحر هو الذي يتحمل مسؤوليته بطريقة منسجمة مع ذاته ومع مجتمعه في السراء والضراء دون تمييز، هذه هي روح الاصلاحات»

وعن علاقة هذا التيار الاصلاحي المتشدد بالاشتراكية يعترف حمروش قائلا «حقيقة أنه في فترة معينة من حياتي النضالية كنت أميل الى الاشتراكية التي قد تقترب يوما من تفكيرنا وثقافتنا وقيمنا، خلال الثورة كنا نتحدث أحيانا عن مستقبلنا وعن إستقلالنا؛ اي كيف تسوى الامور وكيف تسير وكنا نتكلم كثيرا عن العدالة الاجتماعية والانصاف والحرية.

حقا أنه في سنة 1962 انتزعنا بالفعل استقلالنا الوطني ولكننا لم نمارس حريتنا تماما كأفراد وهو ما بدأنا في ممارسته ونتمتع به منذ ظهور الاصلاحات ولهذا كنت قد صرحت في إحدى تدخلاتي انني أتحدى اي أحد يقول أن الدستور الذي صادق عليه الشعب الجزائري في فيفري 1989 هو في تناقض مع بيان أول نوفمبر 1954، وفي حدود علمي لا أحد أجاب، وعندما تحدثت مع أخوة ومناضلين قلت أني لا أومن باشتراكية الدولة التي تستولي على إرادة الناس وعلى إختياراتهم، إن الاشخاص البسطاء الذين كانوا يناضلون من أجل أفكار ومن أجل الاشتراكية قد انتزع منهم السلاح عندما قيل لهم في عام 1976 منذ الآن فصاعدا أصبحت الاشتراكية قضية الدولة والسياسة، وأنها ستقدم لكم الاشتراكية على طريقتنا الخاصة، هذه الاشتراكية أندد بها وأقول أنني لست اشتراكيا إذا كان تعريفها بهذا الشكل، إن الاشتراكية التي هي ملك الاجهزة السياسية والادارية ليست إشتراكية بل هي إستغلال، كما أن الاشتراكية التي تتنكر للحرية والديموقراطية ليست إشتراكية.

وإذا كانت الإشتراكية حاليا تعني الحرية والديمقراطية وتعني كذلك توزيعا عادلا للدخل القومي فأقول نعم أنا إشتراكي أما إذا كانت تعني العمل لصالح جهاز دولة متحفظ يسيره بعض الرجال فلست اشتراكيا ولن أكون أبدا، أما الليبرالية فلا أعرفها، عندما كنت طفلا قبل وإبان حرب التحرير الوطني كنت أعيش في عائلة ككل العائلات الجزائرية البسيطة والمهمشة وبالتالي فإنني لم أعرف لا لون ولا طعم لليبرالية. غداة الإستقلال اخترنا الإشتراكية التي عرفت تقلبات وتحولات شتى غير أنه يجدر التأكيد على ضرورة تفادي الإلتباس عندما نتكلم عن النجاعة الإقتصادية وقواعد السوق والمردودية في الإشتراكية لا توجد تناقضات التسيير الإقتصادي والفعالية، فليس لهما صيغة خاصة، والمردودية والربح ليس لهما كذلك لون غير أن توزيع العائدات والثروات لهما لون وصبغة سياسية"

ومشكلة هذا التيار أنه يريد تطبيق الاصلاحات ذات الطابع الليبرالي بعقلية اشتراكية ذات طابع شعبوي.. ونموذج تجربة حكومة حمروش، يؤكد ذلك بقوة... إن حمروش سعى إلى تجسيد الوجه البومديني للشاذلية.. ففي أسلوبه، وفي طريقة اختياره لمحيطه ورجالاته وفي كرهه وفي اندفاعه وفي تكتيكه، وفي استراتيجيته كشف لنا حمروش عن خيوط كثيرة من سمات شخصية الرئيس الراحل هواري بومدين.

أحيانا يفلت الخيط من رئيس الحكومة السابق فتتجلى ملامح الوجه البومديني من خلال سلسلة منظومة المفاهيم الشعبوية ذات الطابع الاشتراكي والجمعوي، ومن خلال صلابة الموقف الذي يرفع العمود إلى درجة جريئة لكنها قد تحمل في طياتها روح الاستشهاد أو الانتحار في ظل ظرف لايتسم حقيقة بالوضوح وتكافؤ موازين

القوى على أقل تقدير.

وهنا الأمثلة كثيرة، بومدين في إعلانه الحرب على الثراء الفاحش، وحمروش في فتحه النيران على مافيا الطراباندو، وفي كلتا الحالتين نعثر على سيناريو واحد، التراجع بنفس سرعة الانطلاق في العملية.

المثال الثاني: في رغبته التطبيق السريع للاشتراكية اعتمد بومدين على تكنوقراطيين وانتهازيين لاصلة لهم بالمشروع البومديني للمجتمع، بل وحتى الذين وضعهم على رأس مراكز حساسة، نذكر من بينها أجهزة الإعلام كان بينهم وبين الرئيس الراحل بومدين بون شاسع إن لم نقل أنهم كانوا في الجهة المضادة للتيار الذي اختيروا من أجل خدمته، وأنه لنفس السيناريو تكرر مع حمروش، محاولة التطبيق السريع للإصلاحات المتشددة واعتماده على رجال لايتفقون مع فلسفة وسياسة الاصلاحات إلا بالدرجة التي تخدمهم وتخدم مصالحهم الفئوية والشخصية،،

الشاذلية؟!

إنها دقيقة في خطابها، وجلية في قسماتها، وواضحة في غاياتها، ومكيافيلية في تكتيكاتها وبرغماتية في استراجيتها.

استعملت في بداية مشروعها الاديولوجي شريف مساعدية، ليصعد والحزب إلى قمة الهيكل، وكلما أزداد الصعود ازداد خطاب الايديولوجيا ونقضيها هوة.. كلما برزت ملامح هيمنة الصعود كلما خبا الحذر وازدادت العزلة بين الايديولوجي (رمز الديماغوجية والوهم) والواقع، بين سلطة الحزب والشعب.. في خطوتها الثانية استعملت التقنيين الحاملين للمشروع الليبرالي بصيغة حرفية ومحدودة (عبد الحميد ابراهيمي) هؤلاء استعملوا للحد من هيمنة الايديولوجيين (الارتوذكسيين) وتعبيد الطريق لمرحلة الاصلاحات المحتشمة البتراء.

بعد انفجار اكتوبر 88 جاءت الخطوة الثالثة. لإخراج مشروع الاصلاحات من دائرة الخطاب غير المعلن صراحة عن هويته (فترة قاصدي مرباح) للدفع به إلى دائرة الخطاب المعلن عن هويته صراحة (فترة حمروش)، الشاذلية إذن كل هذه العملية المعقدة لكن الواضحة رغم ميكيافيلية تكتيكاتها وبرغماتية استراجيتها.

البعض الذي سار مع حمروش في البداية وافترق معه الآن في منتصف الطريق يرى أن الشاذلية إذا ما أرادت تحقيق مشروعها إلى أقصى حد وخروجها من معركتها ضد الارتودكسيين منتصرة عليها التخلص من إرث البومدينية، وحمروش المعبر القوى على تيار الاصلاحية المتشددة يشكل جَانبا غامضا منها.

8 - حمى الاستقالات

الاستقالات. هل هي مؤشر آخر، ساهم في إنضاج الوضع الذي أدى إلى حالة الإضراب السياسي، وبالتالي إلى حالة الحصار وما ترتب عنها من نتائج حزينة؟

هل كانت هذه الاستقالات مخطط لها من طرف أياد محترفة أم كانت وليدة الظرف الضروري المقدر على تجربة المسار الديمقراطي في الجزائر؟

لقد اتسعت رقعة حركة الاستقالات ومست مختلف التنظيمات والمؤسسات، ومايهمنا في هذه السطور، هي تلك الاستقالات التي كان لها بعض الرجة على الساحة السياسية، ونقصد بها على الخصوص استقالات بعض الرموز من حزب جبهة التحرير، أو من بعض مواقع هذا الحزب الحساسة، ومن وظائف مؤسساته السامية.

ففي لحظة وجيزة، تمت استقالات كل من رابح بيطاط من على رئاسة المجلس الشعبي الوطني، قاصدي مرباح من حزب جبهة التحرير، وعبد الحميد ابراهمي من اللجنة المركزية وغيرهم..

الرجل الثاني في جبهة التحرير، عبد الرحمن بلعياط يقول مفسرا ظاهرة هذه الاستقالات التي ابتلي بها حزب جبهة التحرير بشكل خاص قائلا "إن الاستقالة من الحقوق المنصوص عليها في القانون الاساسي للحزب، فالانتماء إلى الجبهة عمل تطوعي، وهذا الطابع يحمل في طياته حق الاستقالة.

من الناحية السياسية استقالة بعض المناضلين سواء في القاعدة أو في القيادة أمر له دوافعه ومبرراته لايعلمها إلا أصحاب القرار أنفسهم: فلقد قرأنا-يقول بلعياط- في الصحف كل المبررات التي قدمها كل من الإخوة: قاصدي مرباح، وعبد الحميد ابراهمي، فنحن نحترم قرارهما إلا أننا من جهتنا كنا نود أن يواصل هؤلاء الاخوة معنا المسيرة لايصال جبهة التحرير إلى مكانة مرموقة ومحصنة حتى نثبت مصداقية مسيرتها الثورية.. أما عن الاستقالات العديدة في القاعدة وانضمام أصحابها إلى تشكيلات حزبية أخرى أو بقائهم على الحياة، فهذا أمر عادي في عهد التعددية» لكن استقالة رابح بيطاط من كرسي رئاسة المجلس الشعبي الوطني لم تكن عادية لأعضاء المجلس الجبهويين، أو بالنسبة لحكومة حمروش سابقا..

في تقرير لها تصف اسبوعية "البديل" أجواء هذه الاستقالة غير العادية في أكتوبر 1990..

هذا اليوم لم يكن عاديا في المجلس الشعبي الوطني "أي يوم افتتاح آخر دورة لهذا المجلس، فعشرات النواب لم يصلوا بعد إلى العاصمة إثر اضراب شركة الطيران الجزائرية .. وفي هذا اليوم تم استقبال مكتب المجلس والشعبة البرلمانية من طرف الرئيس بنجديد. ورغم ذلك فقد كان الكل في انتظار هذا الافتتاح، في ظل أحاديث عن سحب الثقة من الحكومة وعن موقف رابح بيطاط وبيان الستة وهل انضم إليهم بيطاط وغير ذلك.. كل هذا في الكواليس وفي نهاية الساعة الرابعة يدق الجرس ليدعو الجميع إلى التوغل داخل قاعة المداولات.. وأول مالوحظ هو عدد مهم من أعضاء الحكومة من بينهم رئيسها وخاصة في مثل هذه المناسبة، فيعلن السيد رابح بيطاط عن افتتاح الدورة الخريفية بالاستماع إلى قراءة الفاتحة وإلى النشيد الوطني بما فيه مقطع:

يا فرنسا قد مضى وقت العتاب

وطويناه كما يطوي الكتاب

يا فرنسا أننا يوم الحساب

آن في ثورتنا فصل الخطاب

فاشهدوافاشهدوا

الذي أثار الانتباه-يؤكد التقرير- "أن رئيس الحكومة (السابق) مولود حمروش دافع على حذف هذا المقطع بحماسة وغيره على سمعة الجزائريين أمم الدنيا أيام كان أمينا عاما للحكومة وممثلا بها لأول مرة بحجة أنه لايجوز دبلوماسيا ذكر فرنسا بالشكل الوارد في النشيد وتذكير الفرنسيين بمواقف الجزائريين ابان الثورة، فذلك تاريخ لايجوز التذكير به في المحافل الدولية، وقد احسنت الحكومة وقتها الاختيار، فالمجلس مجلس حزب جبهة التحرير الوطني الذي حرر البلاد و أسس الدولة وحمروش مجاهد وابن شهيد... فلم يفلح حمروش ولامن قذفوا به إلى رحاب المجلس (....) وبقى النشيد قانونيا (...) فور انتهاء السيد رابح بيطاط من كلامه بدأ النواب يضربون على الطاولات رافضين استقالته"

بعد تساؤل السيد رابح بيطاط عن مفهوم الديمقراطية المتمثل في "التعددية الحزبية الموجودة بوفرة" على حد قوله لاحظ -في تلاوته خطاب الاستقالة- أن السلطة غائبة عن السلطة رغم أن من واجبها السهر على حماية هذه الديمقراطية، وأضاف "لقد صادقنا كمؤسسة تشريعية، على كل قوانين الاصلاحات، نظرا لانتمائنا إلى حزب واحد، من أجل تمكين البلاد من استقلالية القرار في المجال الإقتصادي وبالتالي السياسي لتبقى قوة جهوية كما كانت في السابق إلا أنه للأسف فقد أصبح القرار السياسي تبعي وغير مستقل، واصبحنا نسير نحو انفتاح لبيرالي بطريقة وحشية" وأتهم السيد رابح بيطاط حكومة حمروش بأنها تعمل على التطبيق الصلب والساخط للنصوص القانونية، وقد أدى ذلك حسب نظره إلى "سقوط عملتنا وكذا تدهور القوة الشرائية للطبقات العاملة من غير سابق انذار وكذا تعطيل الألة الانتاجية الوطنية (....) بدون ايجاد حلول بديلة ذات مصداقية في مجال الدفاعالاقتصادي"

وصرح السيد بيطاط بعد ذلك للصحافة، أن استقالته جاءت في الاساس "لعدم قناعتي السياسية والأدبية لما يجري على الساحة الآن (..) والحقيقة أنني كنت مستقيلا، منذ حوادث 5 اكتوبر 1988، بصورة معينة، وقد ضغطت على نفسي للبقاء على رأس المجلس الوطني نظرا للمصلحة العليا للبلاد، أما الأن فلا يكلف الله نفسا إلا وسعها، كما أنه اعلن آنه سيبقى نائبا عاديا في صفوف نواب المجلس، احتراما للتزكية السياسية لحزب جبهة التحرير الوطني الذي قدمه للنيابة، والتزاما لا نتخابه من طرف مواطني الدائرة الانتخابية..

ردود الفعل على الاستقالة كانت متعددة ومتباينة.

فبالنسبة للنائب عبد القادر شرار، فالأزمة التي يمر بها المجلس، ترجع طبيعتها إلى الأزمة السياسية، وهذه الأخيرة نفسها ترجع جذورها إلى 1979 وبالتحديد منذ تولى السيد الشاذلي بن جديد رئاسة الجمهورية... وقد

أدت هذه الأزمة إلى حدوث هزات اجتماعية عنيفة. وأعنفها كان ما حدث يوم 5اكتوبر 1988، وهو انفجار على حد تعبيره "مصطنع من قبل السلطة، لقد سبق أن قلت هذه الكلمة في هذا المكان وبحضور رئيس الحكومة بعد انتخابات المجالس البلدية والولائية، فالأزمة الآن في حل المجلس وليس في الانتخابات التشريعية المسبقة، الأزمة هي نتيجة السياسة العشوائية التي تنتجها الحكومة ولاسيما في الجانب الاقتصادي حيث أدى ذلك إلى تأزم الوضع الاجتماعي وتعقيد حياة المواطن الجزائري، ولقد ذكرت في الفترة الأخيرة استقالة وزير الاقتصاد لأنه يبيع البلاد يوما بعد يوم.

نحن ذاهبون لكن هناك جزائريون آخرون سيحلون مكاننا. وقد قلت بهذا الخصوص بأن ما يفرحني هو اليوم الذي نذهب فيه لتذهب الواجهة السياسية الضعيفة.

لقد قلت في هذا الصيف بأني سأكون من بين الأشخاص الذين سيقدمون على التصفية ومازلت عند وعدي ومادام هناك بعض الناس يخدمون المصالح الأجنبية حتى ولو لم تسقط الحكومة، فإنني سأضع حدا فاصلا بيني وبين هؤلاء الناس

النائب حراوبية: أولا (مخاطبا رابح بيطاط) أود أن أتوجه بالشكر إلى شخصكم الكريم سيدي الرئيس على الصراحة التي اتسمت بها الكلمة التي تفضلتم بها. "ويضيف" سيدي الرئيس... إذا كنت من بين النواب الذين يفضلون الجلسة العلنية أمام إخواننا الصحافيين فذلك لاقتناعي بالضرورة اعتماد الشفافية حتى نناقش ونحاول تصويب ماهو خطأ وتقويم ماهو معوج للوصول إلى طريق الصواب.

لقد تفضلتم منذ لحظات وتكلمتم على المجهود الجبار الذي قمتم به، وقام به المجلس من خلالكم وما تحملتم في الظروف الصعبة خاصة بعد أحداث اكتوبر وصادقنا على قوانين صعبة على النائب.. ولذلك أطلب من زملائي النواب تجديد الثقة في رئيسنا المحترم.

رابح بيطاط: اشكر السيد حراوبية على ما تقدم به، ولقد كان بامكاني ان أقدم خبر استقالتي خارج المجلس ولكن اعتبارا لكونكم أنتم الذين انتخبتوني طرحتها أمامكم (....) وهذه إرادتي (...) لذلك أرجو ألايعيد الإخوة طلب الرجوع عما قلته.... فالقضية قد حسمت ولايكلف الله نفسا إلا وسعها"

النائب مختار مرزاق: الرجال مواقف، ويبقى الموقف موقفا عندما يصدر عن رجل ساهم في صنع التاريخ وساهم في قيام ثورة الثورات... لقد سبق بالفعل لهذا المجلس ومنذ 1988 أن مر بمراحل صعبة، مراحل مصيرية ولولا حكمة وحنكة الرجال لصارت البلاد إلى الهاوية، إلى الفوضى، وبالرغم من التنازل الكثير منا عن الكثير لفائدة ومصلحة العباد.

إلا أن هذا الموقف المفاجىء يقبل تأويلات كثيرة، فإذا كان هذا الموقف لمصلحة البلاد والعباد فالأخ رابح بيطاط مشكور على هذا الموقف، وإذا كان هذا الموقف لقطع الطريق على المتآمرين فهو موقف وطني يقتضي كل

التشجيع، أما إذا كان هذا الموقف سياسيا فإنني أرجو أن نعقد جلسة مغلقة لنتبين معا الحالة السياسية والإجتماعية والإقتصادية التي وصلت إليها البلاد. والمسؤولية هنا لانتحملها وحدنا فقط بل يشترك فيها رئيس الجمهورية ورئيس الحكومة ودفاعا عن رئيس الجمهورية ولقد حان الوقت لمصارحة بعضنا ولايمكن أن يتم إلا في إطار جلسة مغلقة.

رابح بيطاط: إذا كانت هناك جلسة مغلقة حتى نتجنب الفراغ ، وطبقا للقانون الداخلي للمجلس أرى أن نستدعي أكبر الأعضاء سنا وشخصين من أصغر الأعضاء سنا ونشكل لجنة لاختيار رئيس جديد، وهذا موقفي واعلنه أمامكم واتحمل كل المسؤولية وهو قرار لارجعة فيه.

النائب عبد العزيز بلخادم الذي خلف السيد رابح بيطاط: لقد فوجئنا فعلا بهذا الإعلان، وأظن سيدي الرئيس أن هموم المواطن اليومية ومعاناته اليومية لا تسمح له بمتابعة الصراعات السياسية فعند قراءتي لتدخلكم المكتوب وجدت إشارات سياسية إلى المؤسسة التي ننتمي إليها جميعا وليس قصدي محاولة إقناعكم بالتراجع عن قراركم وإنما اقصد توضيح بعض المفاهيم التي جاءت في هذا التدخل المكتوب وذلك عندما يتحدث عن عدم تمثيلنا الشرعي للشعب، فإلى أن ينتخب الشعب نوابا آخرين فإننا لازلنا نمثل الشعب بكل تنظيماته السياسية(.....) ويقودني هذا الحديث سيدي الرئيس إلى الحديث عن الدستور، لأنكم لستم نائبا عاديا. أنتم ترأسون هذه المؤسسة، وبالتالي وبغض النظر عن الاعتبارات السياسية التي لا أحبذ أن أناقشكم فيها فإن قراركم لا يخضع لرغبتنا. (...) ونقترح عليكم سيدي الرئيس أن ترفع الجلسة وأن يتم التشاور خارج القاعة، ثم نعود للقاعة فنبلغ الإخوة أعضاء الحكومة والصحافة بما يتم.

رابح بيطاط 1: إن الورقة التي وزعت أنا المسؤول عنها.

2- أقول باعتباري ما زلت في الحزب اتمتع مثل بقية إخواني النواب بكوني منتخبا. وهذا ما يمكن أن يطالبني به النواب وأنا مستعد للاجابة عليه في إطار آخر. أما الآن فهناك قانون داخلي وكل نائب له الحق في الاستقالة، ولا أستطيع في هذه الحالة أن أفرض على نفسي شيئا قد قررته..وإن كان الأمر قد بدا لكم مفاجئا، فأنا متفهم لكم،، بيد أنني كنت أشرت منذ مدة مرتين أو ثلاثة إلى تفكيري في الاستقالة. ووقع اختياري هذه المرة أن آتي هنا أمامكم لأقدم استقالتي، وهذا من حقي كنائب وكرئيس للمجلس.

3- أما المسائل الدستورية فتحدد وضعية الرئيس، اعرف ذلك يا سي بلخادم، وإنما بودي أن أتكلم عليها كثيرا لأن ممارسة هذه المهمة تجعلني أقول أن هناك نوعا من الانحرافات، وصرت كرئيس فرقة يسمح لكم بتمرير الملفات بعد دراستها من طرفكم، وبدون أن أضيف فإني وبكل صراحة سلمت هذه الورقة وسلمت نصها للصحافة والخبر الآن صار في الخارج وكفى.

والآن إذا رغب المكتب أن نجتمع بدون رئيس أظن أن هذا غير ممكن، نرفع الجلسة، وليجتمع المكتب للاستشارة وتقديم قائمة بأسماء الاخوة الراغبين في الترشيح، والجلسة مرفوعة"

على إثر هذه الاستقالة، فهمت حكومة حمروش الإشارة السافرة، فجاء ردها دفاعيا وهجوميا في نفس الوقت حيث صرح السيد مولود حمروش للإذاعة الوطنية أنه في الأيام الأخيرة برزت بعض التصريحات تعبر عن مجموعة من المواقف والطموحات من ضمنها التصريح والموقف الأخيرين لرئيس المجلس الشعبي الوطني في اعقاب استقالته من رئاسة المجلس، وقال حمروش بأن الموقف الذي اتخذه السيد بيطاط في حد ذاته لا يحتاج إلى تعليق ولكن المبررات والتحاليل التي قدمت كأسباب لهذا الاجراء تستدعي منه ومن حكومته باعتبارها معنية بهذه المسببات التعبير عن موقفها في هذا المجال مشيرا إلى أنه فيما يتعلق بالاصلاحات الاقتصادية فإن هذه الأخيرة هي مجموعة من القوانين صيغت ونوقشت في المجلس الشعبي الوطني الذي صادق عليها وهذا يعود إلى سنة 1988، بالإضافة إلى قوانين تكميلية تمت المصادقة عليها خلال السداسي الأول من سنة 1990.

ويمضي حمروش قائلا بأن التعبير عن موقف معارض للإصلاحات اليوم لم يعد في رأيه مناف تماما للمواقف التي تمت على مر السنوات الثلاث الماضية منذ بدء مناقشة النصوص والمصادقة عليها وتنفيذها متسائلا ماهو الجديد في الموضوع بالنسبة للإصلاحات. وأضاف أن هذه القوانين الجديدة التي أضيفت في السداسي الأول تدخل في إطار عملية التطهير التي تمس مختلف المجالات، منها المجال الإقتصادي وبالدرجة الأولى الميدان الفلاحي وإن كل المواطنين في كافة الولايات وخاصة الفلاحين بمن فيهم المؤمنين يدركون أن عملية التطهير متواصلة بكل جدية وصرامة و"أننا بمن نتسامح أبدا مع أي تجاوز أو امتياز ومحسوبية والجميع في كل الولايات مطلعين على الملفات والأسماء (...) إذا اضطررنا يوما سننشر ونعلق كل أسماء الذين استفادوا بغير حق من الأراضي الفلاحية وهذا هو الشيء الجديد في الإصلاحات (...) أما الشق الثاني بالنسبة للجديد في الإصلاحات فهو إعادة الإعتبار لتجارة الجملة والوكلاء التجاريين وهذه العملية التي انطلقت أثارت حساسية أولئك الذين سيفقدون امتيازات مخيفة وغير مشروعة ولعل المواطنين والمواطنات يتذكرون كلمتي في لقاء الصحافة في بداية السنة لما ذكرت من المستفيد من عملية الطراباندو ومن وراء السوق السوداء وأشرت إلى من نصبوا أنفسهم أوصياء على التجارة الخارجية وأوصياء على أجور المهاجرين الذين كانوا يرسلون من قبل إلى الجزائر ما يقارب 10 ملايير فرنك فرنسي وأصبحوا اليوم لا يرسلون أكثر من 50 مليون فرنك والباقي يمر عبر الحقائب وكذلك دم المهاجرين ويعملون في نفس الوقت على تحطيم السوق والإنتاج الوطنيين.

وأكد في رده العنيف على الإستقالة أنه بهذا الإجراء الذي لم يرض السيد بيطاط وتياره وهو الشيء الجديد اجراء الشفافية والحق وقلنا على كل من يريد ممارسة التجارة أن يعلن صراحة عن اسمه، وأنه يمارس هذه المهنة، في شفافية ولو أن الحكومة قد اتهمت أنها ستسمح لهؤلاء بتبييض أموالهم، لكنهم اكتشفوا في الأخير أنه لا يمكنهم تبييض أموالهم لأنهم أصبحوا أمام خيارين،إما أن يعلنوا عن أسمائهم مباشرة وتصبح لهم عناوين وبالتالي ستسقط مجموعة كبيرة من الأقنعة وسيفاجأ الرأي العام ببعض الأسماء التي تملك هذه الأموال، هذا يرفضونه، أو الإحجام نهائيا عن ممارسة التجارة اللامشروعة وهذا سيسد لهم الأبواب أمام الكسب غير المشروع وأشار أن كل هذه الضجة المثارة من حول هذا الموضوع من الإستقالات ناتجة عن الخوف من الإصلاحات ووتيرتها السريعة.

وبعد رد مولود حمروش على استقالة بيطاط سجلت أيضا بعض الردود لدى الأحزاب السياسية، فالحزب الإجتماعي الليبرالي، اعتبر الإستقالة في غير حينها وتأسف كثيرا على ذلك لأن هذا في نظره يثبت أن "العديد من الجزائريين يخلطون بين مصالحهم الذاتية مع مصالح الدولة"، أما بالنسبة للحزب الإجتماعي الديمقراطي (جناح خوجة)، فقد اعتبر هو الآخر أن هذه الإستقالة غير ملائمة ومن شأنها ضرب الإستقرار، ويذهب حزب التجديد الجزائري في بيانه قائلا بأن السيد بطاط كان سيعفى من مهامه آجلا أو عاجلا.. ولذا اختار هذه الوسيلة وفضل الإستقالة.. مضيفا أن الرجل الذي مثل الشخصية الثانية لمدة 13 سنة تفطن اليوم أنه كان مجرد إسم أكثر منه حقيقة.. وقد عرف النظام فائدة استعمال هذا الشخص كرمز للتاريخ أكثر من الإستفادة من قدراته الشخصية وعبر حزب التجديدالجزائري عن سروره بهذا التغيير وتمنى أن تحذو البقية من الذين تعسفوا في حق الشعب ونهبوا أموالهم، حذو هذا الرجل قبل أن تكون نهايتهم أمام المحاكم.

وذهبت الصحافة الحكومية والمستقلة المؤيدة للإصلاحيين المتشددين إلى اعتبار هذه الإستقالة مناورة سياسية، تعمل على عرقلة المسار الديمقراطي وبث الزعزعة..

اعتبرت يومية "المساء" الحكومية أن "هذه الإستقالة في هذا الوقت بالذات لا يمكنها إلا أن تكون محاولة لاسقاط حكومة حمروش وتجاوبا مع لائحة سحب الثقة التي يروج لها النائب عبد القادر.. واستجابة لنداء بن بلة لاسقاط الحكومة وتعويضها بحكومة إنتقالية لا مهمة لها سوى تحضير الإنتخابات القادمة ويعزز هذا الإعتقاد إخلاء السيد بيطاط لحظيرة سيارات المجلس من سيارات النواب لتخصيص ساحتها لاستقبال بن بلة ووجود السيدة زهراء ظريف وصديقه الحميم عبد العزيز زياري في لجنة مساعدة العراق التابعة لابن بلة وزيارتهما له في جنيف بأيام قبل عودته للجزائر. وهذا لتبييض صورته السوداء التي تكونت لدى بن بلة أيام وجوده في الحكم إلى جانب الفقيد هواري بومدين ويكفر عن ذنوبه ويدرجه في الحكومة التي يعتقد أنها على وشك التشكيل"

رجحت المساء أن تكون "لهذه الإستقالة علاقة بالخطط الإستراتيجية للسيد بيطاط ودهائه السياسي الذي مكنه من التعايش مع كافة الأنظمة بما فيها المجموعة الأولى التي فجرت الثورة المسلحة، ومحاولة منه لاسقاط الأخبار التي تدور حول تورطه في مسألة بيع سيارات المجلس بأسعار بخسة ورمزية لزملائه الإداريين والكاتبات وكذا لجنة التحقيق في الغرفة الوطنية للتجارة واحتمال تورط ابنه في عناصر التحقيق ومحاولة إبداء بعض المسؤولين السابقين الإدلاء بتصريحات يمكن أن يكون بيطاط طرفا فيها لجنة التحقيق في قضية 26 مليار ومطالبة عدد من النواب نشر نتائج تحقيق هذه اللجنة بعد فترة معينة وكشف مدى تمسك بيطاط وأمثاله بالقطاع العام وتفسيرهم له بما يخدم طرفا دون آخر"

9 - حرب المساجد

الإنتخابات المحلية على الأبواب..

الأحزاب السياسية ليست متحمسة لهذه الإنتخابات، فهي لا تزال جديدة، وينقصها الكثير من الخبرة

والإمكانات والشعبية.. الفيس وحده كان على أتم الإستعداد برغم حداثة سنه الرسمي.. هذه الشعبية الساحقة أثارت قلق الأحزاب الأخرى التي اتهمته باحتكار الإسلام...

حزب جبهة التحرير التليد برغم كل الوسائل والإمكانات الضخمة التي هي في حوزته وجد نفسه في وضع لا يحسد عليه.. ووجد المساجد التي طالما استعملها هو الآخر في الماضي كأسلحة سياسية وإيديولوجية، تطير من بين يديه، وتصبح المرتع الخصب لخصمه السياسي الفيس..

لقد توفى حزب التحرير مرتين، الأولى غداة الإستقلال، والثانية خلال أحداث خريف الغضب الدامي، في أكتوبر 88، فهل سيسترجع ربيع عمره من جديد و يعلن التحدي أمام الفيس، ويدخل ميدان المواجهة؟!

في منتصف شهر أفريل لسنة 1990، يدعو حزب جبهة التحرير في بيان له الى مسيرة تكون إنطلاقتها صباح يوم الجمعة من محافظة الحزب الى مقره المركزي وذلك «إحتجاجا على إستخدام المساجد لأغراض حزبية وإنتخابية» منظماته هي الاخرى تجندت حول هذا الشعار، وإستعدت للدخول في قلب المعركة المشنة ضد الفيس، إتحاد النساء الجزائريات دعا النساء للخروج يوم الجمعة قصد «التنديد بإستعمال بيوت الله لأغراض إنتخابية وسياسية» الاتحاد الوطني للشبيبة الجزائرية هو بدوره في بيان له يدعم ويدعو الى «تنظيم مسيرات شعبية لكل المواطنين والشباب والطلبة يوم الجمعة 20 أفريل من أجل «وضع حد للمبالغة والافراط في هذا الاستخدام المغرض لبيوت الله»

قيادة الفيس ترفع التحدي الى أقصاه عندما تختار نفس اليوم لمسيرة حزب جبهة التحرير المنددة بإخراج «الفيس من المساجد» يوما لمسيرتها المتوجهة من ساحة أول ماي الى مقر رئاسة الجمهورية.

النتيجة؟ حزب جبهة التحرير الوطني يتخلى عن مسيرته في العاصمة، ويعلقها ليوم آخر، بعد الصخب الذي أثير على الساحة السياسية، البعض الاخر إعتبر ذلك حكمة من طرف جبهة التحرير الوطني، مادام ذلك يساهم في تجنب أية مواجهة غير محمودة العواقب، والبعض الآخر إعتبرها الميتة الثالثة لحزب جبهة التحرير الوطني.

بينما أصر عبد الحميد مهري، الامين العام لحزب جبهة التحرير على الفصل بين المسيرتين، وقال أن هدفهم واضح ودقيق وبعيد عن أي استفزاز أو مواجهة فهو تجسيد ببساطة في « وضع حد لاستخدام المساجد كمنابر للدعاية الحزبية والانتخابية الذي يشكل خطرا على التجربة الديمقراطية».

إذا كان هذا «الاستعمال» يشكل «خطرا على المسار الديمقراطي» فهو ليس جديدا على التجربة السياسية والحزبية، وليس من «إختراع» الفيس أو الاسلاميين الآخرين.

لقد كان المسجد بالنسبة لرائد الكفاح الوطني المسلح الامير عبد القادرالبؤرة الحساسة للدعوة الى الجهاد ضد

الغزاة الفرنسيين، وكان بالنسبة للشيخ عبد الحميد بن باديس وجمعية العلماء المسلمين نقلة البداية للنضال الاصلاحي.

وبعد 1962، سيلحق المسجد بالدولة، وسيصبح قناة من قنواتها السياسية والايديولوجية، بعدما كان المركز الموازي لسلطة الدولة إن لم نقل مصدرها في البدايات الآولى للأمة الجزائرية الحديثة خلال فترة الأمير عبد القادر.

إن المناخ الذي حصلت الجزائر في كنفه على الاستقلال، هو مناخ ثوري، ومتناقض تميز بالصعود الحماسي لحركات التحرير الوطني في العالم الثالث، واتساع رقعة الفكر والممارسة اليساريين، وانتشار ايديولجيا القومية العربية، وصعود تيارها إلى السلطة، ودخول الثنائية القطبية أوج الحرب الباردة، ودخول التيار الاسلامي مرحلة السرية بعد موجات القمع التي سلطت عليه من السلطات القومية، أو ماسمي بسلطة الدولة الوطنية..

في هذا المناخ المتميز اذن خلال الفترة الستينية ثم السبعينية فيما بعد، وجدت السلطة الحاكمة في الجزائر نفسها منقادة نحو بريق اليسار الشعبوي، فكان تعاملها مع المؤسسات الدينية مشوبا بالحذر، والديماغوجية، والشعبوية، وبعبارة أدق واوضح مشوبا بالغموض والتناقض والرقابة. في بداية السبعينيات انتهجت سلطة بومدين خطين متوازيين إن لم نقل متناقضين، وهذان الخطان يعكسان بجلاء الازدواجية الإديولوجية للسلطة في جزائر الستينيات والسبعينيات.

الخط الأول يتجسد في الاقتراب من اليسار، فلقد أطلق بومدين سراح المعتقلين السياسين من حزب الطليعة الاشتراكية الذين تم سجنهم غداة انقلاب 19جوان 1965، فتح أبواب المنظمات الجماهرية أمامهم ليحتلوا فيها مواقع القيادة، خاصة منظمتي الأتحاد الوطني للشبيبة الجزائرية، والاتحاد العام للعمال الجزائريين، وأيضا قام بالشروع في الثورة الزراعية التى قادتها العناصر والتيارات اليسارية، وتمكنت من خلالها تمرير خطابها الايديولوجي والسياسي إلى القاعدة الشعبية في الأرياف والقرى، وعلى المستوى الخارجي، تفتح بومدين على الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية وسعى إلى تجريب عدد من تجارب هذه الدول في مجال الاقتصاد والزراعة.. وعمل كذلك على تغليب الاتجاه اليساري التحرري داخل حركة عدم الانحياز وهذا تم في عام 1973، لدى ترؤسه للحركة.

الخط الثاني الذي تبناه بومدين أيضا يبدو في الظاهر على الأقل متناقضا ومتضادا مع الخط الأول ويتمثل في "تدعيم" النهج غير اللائكي للدولة، ويظهر هذا في الاعلان دستوريا أن الإسلام دين الدولة، وفي تشجيع جناح من الاسلاميين، وهو جناح المثقفين والجامعيين بإقامة مؤتمر فكري سنوي دولي حول قضايا الفكر الإسلامي. وقاد هذا الخط كل من وزير التعليم الأصلي السيد مولود قاسم، ووزير الشؤون الدينية عبد الرحمن شيبان.. هاتان الشخصيتان قامتا بالإسهام في تشجيع الحركة الدينية، بحكم تكوينهما الفكري الايديولوجي من جهة، ومن جهة أخرى لخلق تربة تساعد على الحد من هيمنة اليساريين الفكرية والسياسية على مختلف مؤسسات المجتمع المدني، وعلى مقاومة الاتجاه الفرنكفوني العلماني، الذي كان يقاوم أي مشروع يسعى إلى تعريب

المنظومة التربوية والإدارة.

جزائر السبعنيات، جزائر الثورة الزراعية، والتطوع، والصناعة الثقيلة والتسيير الاشتراكي للمؤسسات، وديموقراطية التعليم، والطب المجاني، والبيروقراطية كانت تشكل رعبا بالنسبة لمعارضي هذا الخط،، فهؤلاء كانوا يرون أن نتيجة هذا المارطون ستنتهي بالجزائر إلى مرحلة الماركسية اللبنية على الطريقة الكوبية، لذا اختاروا أن يكون رد فعلهم على هذا الخط مكتسبا طابعا تكتيكيا ذي بعد استراتيجي، وبعض الرموز من هؤلاء كانت على رأس السلطة وداخل مجلس الثورة، ونذكر على الخصوص العقيد محمد أحمد عبد الغني الذي كان يشرف على قيادة الناحية العسكرية (67-1976) والعقيد الشاذلي بن جديد الذي كان على رأس الناحية العسكرية الثانية.

جسدت هاتان الشخصيتان العسكريتان رفضهما لتصاعد التيار اليساري على مستوى السلطة، في التعامل معا على إنشاء مشروع يكتسي في الظاهر طابعا ثقافيا بريئا يتمثل في بناء مسجد الأمير عبد القادر بقسنطينة، ومسجد الشيخ عبد الحميد بن باديس بوهران.

هذا المشروع في البداية كان مجرد فكرة داعبت أذهان أعيان قسنطينة الذين كانت لديهم علاقات عائلية ومصلحية مع السلطة مثل السيد مولود مهري وهو خال الأمين العام لحزب جبهة التحرير الوطني عبد الحميد مهري، والسيد نور الدين برارحي، وعبد الحق برارحي وزير التعليم العالي، ثم وزير الشباب والرياضة إلى غاية أحداث أكتوبر 1988، والشيخ مرزوق بن الشيخ بلحسين، شقيق الشيخ عباس باحسني إمام مسجد باريس في الفترة المتراوحة 1980 و1989، وبالإضافة إلى كل هذا، فمجموعة الأعيان التي أظهرت الفكرة على الساحة، منذ 1968 حيث كان النشاط اليساري يعرف ذروته، اقتربت بحكم إنتماء بعض عناصرها في الماضي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، من السلطة أكثر عن طريق قناة ابن الرجل الثاني بعد عبد الحميد بن باديس في جمعية العلماء، وهو الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي الذي تقلد عدة مناصب وزارية في عهد كل من هواري بومدين والشاذلي بن جديد. وعلى يد العقيد محمد أحمد عبد الغني تحول مشروع بناء مسجد قسنطينة من مسجد يتسع لـ1000 من المصلين إلى مسجد ضخم يتسع لـ 10 آلاف شخص مضافا إليه عدد من المرافق السكنية ومعهد للدراسات الإسلامية وتحول المسجد حسب صاحب كتاب، الإخوان والمسجد" (المصدر: الجزائر في مفترق الطرق للباهي محمد) "مسرحا تدور على خشبته أعمال واستراتيجيات متناقضة وغير متوافقة في أغلب الأحيان، فمن جهة كان هناك أولئك الذين يعتبرون البناية مخزونا احتياطيا يستطيعون أن يجلبوا منه المواد المفقودة في السوق، ومن جهة ثانية كان هناك أولئك الذين يعتبرونه وسيلة للحصول على وظيفة هؤلاء الآخيرين يحرصون أشد الحرص على أن تكتب أسماؤهم جنبا إلى جنب مع مدير القطاع العسكري وأخيرا هناك الحكومة الراغبة في تحويل المشروع إلى أداة دعائية"

ويضاف إلى الحلف المتكون من بعض الشخصيات الرسمية والأعيان لمواجهة المد اليسارى بعض الأثرياء

(المحسنين) وأمراء السعودية الذين كانوا يسعون من أجل "انقاذ الجزائر من الدب الأحمر".

لقد كان المسجد بالنسبة لرجال الحركة الاسلامية المعاصرين النواة القوية لبناء الحركة، وتدعيم المعارضة تجاه السلطة،، وباتساع رقعة المساجد وانتشارها ازدادت الحركة الاسلامية قوة وجماهيرية، خاصة خلال نهاية السبعينيات وطيلة بقية الثمانينيات التى اتسمت، بنجاح الثورة الاسلامية التى قادتها الشيعة في إيران، وبدخول وخروج السوفيات من أفغنستان، وبوجود الاسلاميين على قمة السلطة في السودان، وبالهجوم على المسجد الكبير بمكة من طرف جناح ثوري من الاسلاميين، في 20 نفمبر 1979، وكان من بين هؤلاء أحد الاسلاميين الجزائريين ، المدعو الشيخ قاسم بلقاسمية، وباغتيال رئيس مصر السابق محمد أنور السادات من طرف إحدى المنظمات الاسلامية الانقلابية، وبالحرب العراقية الايرانية، وبالمواجهة العنيفة بين عدد من الانظمة العربية والاسلاميين، وبدخول الأحزاب الاسلامية لأول مرة في العالم مجال الشرعية في الجزائر..

ومساجد مثل مسجد العاشور، والارقم بالجزائر، وعثمان بن عفان، والسلام بسيدي بلعباس كانت المؤشر الأول على هذا التصاعد العضوي بين الحركة والمسجد كوجه من وجوه المعارضة الثورية للنظام وللمجتمع، مادام هذا الأخير في نظر الكثير من الاسلاميين يعتبر أسير الجاهلية وعليه أن يتحرر من كهنوته الجديد، ومن جاهليته الجديدة، جاهلية القرن العشرين كما سماها شهيد الإخوان سيد قطب، ليتأسلم من جديد..

السلطة في الجزائر، خاصة في عهد الشاذلي بن جديد أرادت أن تمهد لمشروعها الاصلاحي الليبرالي، بإضعاف اليساريين عن طريق تقوية الاسلاميين، وذلك بكسب ثقتهم وامتصاص احتجاجاتهم "بالأسلمة" الجديدة لكن "الرسمية" للمجتمع، ولبعض مؤسسات الدولة، خاصة التربوية منها حيث تم محاصرة الفكر الماركسي في الجامعات، وتشجيع المواد الدينية في المدارس، وفتح فروع ومعاهد لعلوم الشريعة. وسجل على مستوى المخطط الخماسي لعام 1980 مشروع انجاز جامعتين للعلوم الاسلامية في عاصمتي الشرق والغرب، وثلاثة معاهد لعلوم الشريعة في كل من المدية ومعسكر وتلمسان، ومسجد ومدرسة قرآنية لكل من 160دائرة المنتشرة على التراب الوطني ومركز ثقافي إسلامي في كل ولاية من ولايات الوطن.

في 17 نوفمبرمن عام 1981، تمت المصادقة على مرسوم وزاري لإنجاز قائمة 45 مسجدا"لهم طابع وطني"كماتم إستصدار قانون بتاريخ 1 ديسمبر1981حول شروط تكوين الأئمة ومدرسي القرأن.

في 6 أوت 1983أعيد من جديد هيكلة مدرسة تكوين الإطارات الدينية التي أنشئت عام 1971.وفي 1984 عين على رأس الجامعة الإسلامية،الأميرع القادر الداعية المصري محمد الغزالي.

وبعد التقارير التي قدمتها المصالح المختصة لرئاسة الجمهورية، حول تطور طبيعة العمل الدعوي السياسي داخل المساجد من طرف المجموعات الدينية المنظمة، أعاد السيد رئيس الجمهورية الشاذلي بن جديد النظر في مشروع السياسة التي إنتهجتها السلطة في المجال الديني بداية من الثمانينيات، واعتبر في خطاب له بتاريخ

11 نوفمبر1986 أن عمليةبناء المساجد يجب أن تخضع للمراقبة الإداريةوللتخطيط..وناشد الإدارة أن تكف عن سياسة الديماغوجيا بسماحها لكل من هب ودب أن يقوم ببناء مسجد، فذلك في نظر، السيد رئيس الجمهورية لا يجلب إلا الضرر على الإسلام والمسلمين.

في1986وصل عدد المساجدإلى3283 ليصبح 5000 مسجدا في عام 1988حسب المصدر الرسمي..وفي حقبة الثمانينيات وصل عدد المساجد على مستوى العاصمة من 135 إلى 200 مسجد عام 1988 وعلى مستوى الوطن سجل عدد المساجد قيد التشييد في 1986 حوالى 1055 مضافا إليها، 6 ألف مسجد جاهز.

ويقسم صاحب كتاب "الإخوان والمسجد "(المصدرالجزائر في مفترق الطرق) المساجد المنتشرة في الجزائر إلى أربعة أنواع: النوع الأول: مساجد الشعب.

النوع الثاني: المساجد الحرة.

النوع الثالث: المساجد الخاصة.

النوع الرابع: مساجد الدولة.

يقول أحمد رواجية «إذا كانت جميع المساجد، من الوجهة القانونية ملكا للدولة، وفقا لبنود الدستور والميثاق الوطني التي تجعل النشاط المعماري في المجال الديني مقصورا مبدئيا على الدولة، فإن هذه المساجد، بما فيها تلك التابعة لوزارة الشؤون الدينية، لم تكف يوما واحدا عن أن تكون حقلا وسلاحا وهدفا بين أيدي كافة القوى الإجتماعية المتصارعة على الساحة، وبين أيدي كل الرموز والفعاليات السياسية والإيديولوجية. ولأنه لم يكن هناك، قبل خريف الغضب الدامي، أي مجال تتنفس منه المعارضة ضد نظام الحزب الواحد، فقد أصبحت المساجد، مع مرور الوقت، ساحة التعبير الوحيدة في البلاد. وبالطبع لم تكن هناك قوة أخرى، سوى التيار الإسلامي، مرشحة للإستفادة من هذه الحالة»

ويضيف أحمد رواجية أن تسمية مساجد الشعب متأتية على أساس أنها أماكن للعبادة تم تشييدها في الخلاء «على ضفاف الأنهار وفوق فضاءات مهجورة لا تصلح لهذا النمط من العمران (...) وتسمى كذلك لكونها موزعة فوق مجالات خضراء غير محددة الهوية وهي تسمى «مساجد الشعب) من طرف الذين بادروا ببنائها من دون حصول على رخصة الدولة بينما يطلق عليها الرسميون «(المساجد الفوضوية)»

«ويأتي صاحب الجزائر في مفترق الطرق » بشهادة على لسأن الشيخ محمد الصالح عابد تكشف عن طبيعة المعارك التي خاضتها «مساجد الشعب» وعانتها مع نظام الحزب الواحد.

يقول الشيخ محمد الصالح عابد «كنا نشيد مساجد من تنك في البداية، نؤدي فريضة الصلاة لفترة من الوقت وبعد ذلك ننزع جزءا من جدار التنك أو القصدير، ونعوضه بحائط جاهز. وبعد مرور أربعين يوما أو

شهرين، يزداد عدد المؤمنين وتزداد قوتهم. فنقوم بهدم قسم من ذلك البناء القصديري، وغالبا ما يكون ذلك في الليل. وفي نفس الوقت نعوض القصدير بمواد صلبة نشيد منها جدرانا ومحرابا بدائيا ونفرش مجموعة من الزرابي. ومن مزايا المواد الجاهزة إنها متينة، قابلة للإستعمال بسرعة. هكذا كنا نضع السلطات أمام الأمر الواقع. إنها لا تستطيع أن تدمر مكانا للعبادة مثل هذا، إلا إذا فجرته بالألغام، وقبلت مواجهة المؤمنين. وكنا نتقدم بعد ذلك إلى السلطات، ونحن مرفوعي الرؤوس، ونطالبهم برخصة البناء، وسواء قبلوها أو رفضوها، في تلك الحالة فالأمر لا يهمنا. إننا نسمي هذا السلوك «لعبة» ونستطيع القول بأنها «لعبة» مكنتنامن الوصول إلى أهدافنا. ثم إن الأخبار تنتشر بسرعة سريان النار في الهشيم. والمؤمنين الذين تعبوا من تسويف السلطات ومماطلتها ومراوغاتها، إكتشفوا اللعبة، ولم يعودوا في نهاية المطاف يكلفون أنفسهم مشقة توجيه طلب إلى الإدارة. بهذه الطريقة السرية أو التي تكاد تكون سرية، تقدم الإسلام، مثلما يسري الدم في الشرايين وهل تستطيع الدولة أن تعرف ما يدور في خلد المواطن؟ إنها لا تستطيع أن ترى وإلاّ ماهو ماثل للعيان، ولا تملك أن تعرف مايجري في رأس أي رجل. «وإذا، فالإيمان لايمكن مراقبته لكونه يعمل في أعماق مناطق النفس وأكثرها سرية »

أما بالنسبة "للمساجد الحرة" حسب نفس المصدر السابق فقد تم بناؤها «من طرف السلفيين الجدد، وهي على عكس مساجد الشعب ومساجد الدولة، تستخدم لأغراض سياسية واضحة، يشكل الخطاب الديني سلاحا سياسيا مكشوفا. مساجد الشعب، في وجه من الوجوه تعبر عن نمط من أنماط المقاومة السلبية ضد الوضع القائم، ومساجد الدولة، هي ضرب من ضروب القهر والإرهاب، الإيديولوجي بينما المساجد الحرة تشكل فضاءات لصراع مفتوح ضد النظام السياسي بكل تجلياته الطبيعية وغيرها.. وهذه المساجد الحرة تستند إلى المهمشين والمحرومين من كل ثمرات الحداثة .

خطباء المساجد الحرة، في غالبيتهم من الشباب المتخرج من الجامعات أو المعاهد العليا، الذين لا عمل لهم، والمتهم الوحيد لديهم هو الدولة»

وتتصف خطب هؤلاء بالثورية والعاطفة الجياشة التي تعبر بعنف عن الوضع المأساوي للأوساط التي يتوجهون إليها.

المساجد الخاصة كثيرا ما يكون وراء بنائها عدد من المترفين أوالأعيان المحليين، التجار الوصوليين. وهذه المساجد حسب ما يذهب إليه الصحفي باهي محمد في كتابه المشار إليه أعلاه « كثيرا ما تكون مناسبة لا ستثمار أموال طائلة، تستوجب تحويل ملايين من العملة الصعبة إلى الخارج لشراء عناصر الإنارة والديكور وعدد من المواد غيرالمتوفرة في السوق المحلية، والمحسن الذي يتولى بناء مسجد خاص، يتعرض في حالة مروره بالقنوات الرسمية لمخاطر عديدة، ليس أهونها أنه قد يفقد سمعته في هذه المناسبة مرتين: مرة أولى حين يظهر وكأن الدولة هي صاحبة المشروع، ومرة ثانية حين تنكشف بعض الجوانب غير المشرفة له.

عملية تحويل العملة واستيراد مواد البناء. والتاجر أو الوجيه أو المحسن الراغب في بناء المسجد، حريص كل الحرص على استعادة أمواله، على الأقل في شكل (رد اعتبار رمزي).

قبيل الانتخابات المحلية عرفت حرب المساجد بين الفيس والسلطة أوجها، ثم خمدت بعض الشيء لتعود من جديد قبيل التاريخ الذي كان محددا لأول انتخابات تشريعية في ظل التعددية، وفتح هذا الصراع على مصراعيه خاصة بعدما أقبلت حكومة حمروش على إستصدار قانون جديد يسمى «بقانون المسجد» هذا الأخير اعتبره الفيس استفزازا لمناضليه، وقيد لاتكي على الدور الحقيقي للمسجد في دولة غير لائكية.

هذا الصراع دعمته حكومة حمروش، عندما حاولت ضرب الفيس من الداخل» أي من داخل الحركة الاسلامية، فظهر إنحيازها لحركة حماس التي لم تلق من السلطة إلا الدعم المعنوي والمادي، فلقد تلقت مساعدة من السلطة خلال مؤتمرها الأول قدرت بلميار سنتما،.

ولجأت السلطة أيضا إلى سياسة إخراج شيوخ الزوايا من الكهوف التي أقبعهم النظام فيها في الماضي، عقدت لهم مؤتمرا تأسيسيا في قصر الصنوبر مدعمة إياهم بجمعية أئمة مساجد الدولة الرسمية... إنها نفس السياسة التي حاولت فرنسا الكولونيالية استعمالها لقطع الطريق أمام المد الثوري للحركة الوطنية الجزائرية بالأمس القريب.

ولم تقتصر حرب المساجد فقط على المعارك الكلامية بين الخصوم، بل تعدت ذلك إلى حرب حقيقية سافرة، استعملت فيها قبضات الأيدي، والسلاح الأبيض، والأسلحة التقليدية كبنادق الصيد وغيرها..

فمسجد سعيد بن زيد ببلدية سبعة شيوخ، دائرة الرمشي، ولاية تلمسان مثلا تحول أثناء أحياء ليلة القدر إلى معركة حقيقيةدارت رحاها بين أعضاء الجمعية الدينية لهذا المسجد الذين كانوا يشرفون على تنشيط حفل ديني ساهر والمترشحين الأحرار لانتخابات 12 جوان، وقد استعمل في هذا العراك حسب تقرير هذه الجمعية التي رفعته إلى السلطات المحلية المعنية والمكتب التنفيذي الولائي للجبهة الاسلامية للإنقاذ - السلاح الأبيض من عصي وسكاكين وقطع حديدية.

«وتعود أسباب هذه الأحداث حسب نفس التقرير إلى عدم السماح للجمعية الآنفة الذكر بإحياء ليلة القدر داخل المسجد بحيث يضيف التقرير أن الجمعية الدينية التابعة للمسجد المذكور قامت باستعددات لإحياء ليلة القدر بعد موافقة سابقة لإمام تابع لمديرية الشؤون الدينية لكن هذا الأخير أطال صلاة التراويح وطلب منه أن يختصر فأحال الإمام الكلمة إلى هذا الأخير ليشرع في تقديم برنامجه الديني وإذا بأحد الحاضرين يقوم ويصفع أحد المنظمين ويدعو إلى الكف عن السياسة داخل المسجد لكن سرعان ما عادت الأمور إلى نصابها. وما ان انتشر الخبر في الخارج حتى أسرع رئيس البلدية المنتمي إلى قائمة الترشيحات الحرة إلى ساحة المسجد وطفق ينادي زملاءه المترشحين وحرضهم على الهجوم على الجماعة الموجودة داخل المسجد وبذلك انتهك حرمة المسجد بدخول أناس لا يصلون أبدا، بأحذيتهم حاملين في أيديهم السلاح الأبيض...» وحسب التقرير دائما فإن المعركة

كانت حامية الوطيس حيث «جرح من جرح وصرع من صرع، ولو لا تدخل رجال الدرك الوطني في الوقت المناسب لا نتهت هذه الأحداث المؤسفة إلى مأساة لا تحمد عقباها »

ونفس السيناريو نجده يتكرر في مساجد زين العابدين بسيدي بلعباس، ومسجد معسكر، إلخ... وفي رفضها للمرسوم الحكومي التنفيذي الصادر بتاريخ 23 مارس 1991، اعتبرت رابطة الأئمة الحرة أن هذا المرسوم لا يخرج عن إطار السياسة الهادفة إلى تهميش المسجد وتقزيم وظيفته تحت الرقابة السياسية للإدارة.

والملاحظات التي أبدتها الرابطة حول المرسوم كانت كالتالي:

1 ـ « من المفروض أن المراسيم والتنظيمات والقوانين التي تنظم قطاعا معينا يستشار فيها أصحاب المهمة ويناقشون بنود مشارعها قبل صدورها ولعل جميع المؤسسات في بلادنا يسودها طابع المشاركة الجماعية. وما يؤسف له شديد الأسف هو غياب الإمام عن المرسوم حيث لم يشارك في إعداده ولم يدع لقراءته إلا بعد صدوره كمرسوم وحينها دعته مفتشية الشؤون الدينية للقراءة والإطلاع والسؤال هو ان منطق السير بالعصا قدولى مع مجيء عهد الحرية.

2 ـ وكتأكيد على هذا الغياب رأينا ونحن نتمعن بنود المرسوم أن الإمام مهمش تماما يكاد وجوده ينعدم سواء داخل المجلس العلمي أو مجلس البناء والتجهيز أو مجلس إقرأ ومجلس سبل الخيرات، فهو لا يمثل حتى ثمن أعضائها في المجموع، وبالتالي فهو أقلية في مؤسسة تعنيه بالدرجة الأولى، فالمجالس في أغلبيتها إدارتان وموظفون مختصون في مختلف الميادين ومشرفون لا علاقة لهم بالإمامة.

3 ـ لقد سمي المرسوم باسم مؤسسة المسجد، ويبدو أن هذه التسمية من باب التبرك فقط، لأن المسجد وضع في آخر السلم الهرمي الاداري فهو تابع ومسير لا غير لأن المرسوم يسلب منه روح المبادرة ويكبل ويقيد فيه طابع القيادة الروحية، والتأثير في المجتمع، فلماذا يتسع صدر الحرية بالنسبة للمؤسسات المختلفة وتضيق مع المساجد؟ !

4 ـ ميز هذا المرسوم طابع الأحادية الحزبية والهيمنة، فهو يهدف بصفة مباشرة وغير مباشرة إلى تقييد دور المسجد بالمركزية الشديدة وتقزيم الإمام بجعله مجرد موظف في سلك إداري، وتخويفه بواسطة إرهاب السلطة والقوانين.

5 ـ في الوقت الذي همش فيه الإمام ووضعت القيود باسم مؤسسة المسجد وسعت صلاحيات النظار وجمعت حوله كل السلطات وهذا الأسلوب كنا عهدناه أثناء فترة حكم الحزب الواحد، وكنانظنه قد ولى إلى غير رجعة.

6 ـ يلاحظ على المرسوم إنه يتسم بسياسة التعيينات الفوقية والمركزية ولا يعطي أية قيمة للقاعدة في هذا الشأن فناظر الشؤون الدينية يعين من فوق وكذا أهم الفعاليات ـ في هذا المرسوم، والحق يقال إن سياسة التعيينات الفوقية هي التي أودت البلاد والعباد إلى حافة الخراب والإفلاس.. »

7 ـ ومن المتناقضات التي لاحظناها أن قانون الأوقاف التي صودق عليه مؤخرا لا يقيدها با لقيود الإدارية الملتوية، ، لكن المرسوم المتعلق بمؤسسة المسجد يقيد هذه الأوقاف. ويرجع مآل التصرف في ريعها إلى النظام،

وهذا التقييد نراه بمثابة المسار الذي يدق في نقش هذه الأوقاف لأنه يقضي على روح المبادرة إلى تجميد المشاريع الخيرية وقتل ماهو موجود فيها.

8- وما يدعو للأسف والحزن هو عدم اهتمام الحكومة بتنفيذ جهاز التلفزة، خاصة فيما يتعلق بالسموم التي تبثها يوميا والتي تضرب في الصميم أخلاق الشباب وأصالة المجتمع، ومسارعتها بالمقابل إلى إصدار المرسوم المتعلق بالمسجد بهذه السرعة وفي هذا الوقت بالذات فهل لعبت الأغراض الحزبية لعبتها في المرسوم، أم أن خطر المسجد على الأخلاق يفوق خطر التلفزة عليها ؟!»

وبناء على هذه المعطيات سجل السيد الطاهر عامر الناطق باسم رابطة الأئمة مايلي: رفض هذا المرسوم مادام لم «يراع حرمة الامام والمسجد ولم يشارك الأئمة في إعداده وإثرائه» هذا المرسوم يخدم بالدرجة الأولى أغراضا حزبية وهو في حالة تطبيقه سيؤدي لامحالة حسب الرابطة إلى الظلم والتعسف في حق المسجد والإمام. ولما كان الإمام يضيف الناطق باسم رابطة الأئمة «مهانا من كثير من الأطراف فإننا نرفض قوانين ومراسيم تكرس هذه الإهانة وتزيد الغبن غبنا.. ونرفض سياسة التعيينات الفوقية»

10 - مسلسل العنف: حقيقة أم سيناريو؟!

من أين يولد العنف؟

كيف اكتسحت هذه الظاهرة أدبيات النثر السياسي والشارع العربي خلال عقد السبعينيات؟

وكيف أصبحت الشغل الشاغل بالنسبة لجزائر التعددية، وأضحت ورقة غير واضحة الهوية في الصراع بين الجناح الإسلامي الثوري والتيارات السياسية والحزبية الأخرى ؟

في دراسة له، منشورة بمجلة المستقبل العربي، عدد 140 بتاريخ أكتوبر 1990، حول العنف السياسي في الحياة السياسية العربية المعاصرة يلاحظ رئيس قسم البرامج السياسية في إذاعة الاسكندرية السيد محمد سعد أبو عامود أن عقد السبعينيات والثمانينيات عرف اتساعا جليا لدوائر العنف في مجتمعات الدول العربية بشكل عام وفي واقع الممارسة السياسية العربية بشكل خاص. فعدد كبير من الأقطار العربية خلال هذين العقدين عرف أحداث عنف سياسية اتسمت بمشاركة عريضة من الجماهير التي تبنّت أسلوب استعمال القوة أو التلميح باستخدامها قصد نيل بعض المكاسب ذات الطابع الإقتصادي والاجتماعي بصورة خاصة، وهذا ما حصل بالنسبة لمصر في 18 و19يناير 1978، وفي يناير 1986 لدى تمرد الأمن المركزي، وفي تونس في سنوات 1978 و1981 1984

وفي الجزائر في سنوات 80، 85، 86، 1988 ، وفي الاردن عامي 88، و1989. وبالاضافة الى العنف السياسي الجماهيري، عرفت رقعة العنف السياسي المنظم هي الاخرى اتساعا ملحوظا، وقادت مثل هذه الاعمال مجموعات من الافراد تتمتع بقدر من التنظيم من أجل تحقيق الاهداف «العقائدية والسياسية» باستخدام القوة، وهو ماحدث في مصر في سنوات 75، و78 و81 وسوريا عام 1980 والسعودية عام 79، وايضا الجزائر، المغرب وتونس في الثمانينات. وحسب السيد محمد سعد فان لظاهرة العنف في العالم العربي عدة أسباب معتبرة

لكن أهمها يرجع الى الظروف الاقتصادية والاجتماعية العربية فالنتائج التي تمخضت عنها الحقبة النفطية كانت لا تدعو إلى الامل فالازمة الخانقة بدأت تلتف على رقاب اقتصاديات الدول العربية مع إنتهاء الحقبة النفطية التي تميزت بالانهيار الصارخ لأسعار النفط بدءا من 82 إلى غاية 1985.

ويحصر صاحب الدراسة تعابير الأزمة عن نفسها في خمسة مظاهر.

ويتمثل المظهر الأول في اتساع الفجوة الغذائية في دول العالم العربي التي أصبحت تستورد أكثر من نصف غذائها من الخارج. المظهر الثاني لأزمة الاقتصاديات العربية يتمثل في البطالة «الهيكلية الناتجة عن ارتفاع معدلات النمو السكاني والتوسع في النظام التعليمي مقابل ضعف المقدرة الاستعابية للقطاعات الحديثة في التشغيل الناجمة عن الخيارات التقانية التي عمت المنطقة العربية خلال الفترة النفطية» المظهر الثالث، للأزمة يتمثل في تبعية اقتصاديات هذه الدول للعالم الرأسمالي ومازاد من تعميق هذه النتيجة حسب صاحب الدراسة هي هذه الميكانزمات التي رصدها على النحو التالي:

1ـ الاعتماد شبه الكلي للدول العربية على النفط والخدمات المرتبطة به كمصدر أساسي للدخل القومي.

2 ـ وجود اقتصاديات الدول العربية تحت رحمة الشركات متعددة الجنسية «من خلال قيامها بتنفيذ العديد من المشروعات الكبيرة بنظام المفتاح. الأمر الذي أوجد تبعية تقانية لهذه الشركات»

3 ـ الأموال العربية تفضل الهجرة إلى الخارج، خاصة الولايات المتحدةالأمريكية وأوروبا بحثا عن فرص الاستثمار.

المظهر الرابع يتمثل في تفاقم مشكلة المديونية الخارجية للدول العربية التي وصلت إلى حوالي 120 مليار دولار... الذي اضطرها للدخول في التفاوض وفي إعادة الجدولة.. وفي قبول تطبيق بعض شروط صندوق النقد الدولي التي أدت على سبيل المثال إلى حدوث انفجارات شعبية عنيفة في كل من مصر وتونس والمغرب والجزائر والسودان والأردن.

أما المظهر الخامس للأزمة فهو يتمثل في سيادة الانشطة الطفيلية في اقتصاديات الدول العربية مثل التوكيلات التجارية، والتهريب، والسمسرة، الأمر الذي أفرز قطاعا ماليا غير رسمي إلى «جانب البنوك والمؤسسات المالية الأخرى في المجتمع»

ونتج عن هذه الأزمة الاقتصادية الهيكلية العامة وضعيات اجتماعية حادة يمكن حصر خطوطها العريضة في ازدياد الفارق العميق بين الذين يملكون والذين لا يملكون، وفي «الاختلاف بين معايير الأداء ومعاير الجزاء، واختلال القيم المتعلقة بالمكانه الاجتماعية للفرد في المجتمع»

والنتجة الأساسية التي يصل إليها صاحب الدراسة هي «أن الظروف الاقتصادية العربية المتأزمة وما نتج عنها من تداعيات اجتماعية سلبية قد أوجدت البيئة المناسبة لنمو ردود الأفعال العنيفة من قبل أبناء المجتمع العربي»

ويضيف السيد محمد سعد أن «العنف (مستشهدا بمحمد عبد القادر الهرماسي) هو نتاج للمجتمع الذي نعيش فيه يرجع إلى اليأس والخوف من المستقبل نتيجة الإحساس بإحباط الطموحات، وهو نتيجة أيضا لعجز الدولة القطرية العربية عن التقدم وتعتبر محاولات التنسية وتخلصها من التزاماتها تجاه القوى الاجتماعية المنتجة وبخاصة في مجال العدالة والتوزيعية»

وإلى جانب هذه المقاربة ذات المنحى الاقتصادي الاجتماعي، ثمة مقاربة أخرى للظاهرة، ذات منحى سوسيو - ثقافي وتصب دراسة المنصف وناس «حول مقولة العنف في السلطة العربية» في هذا الإطار .حيث يرى الدارس في مقدمة عرضه بأن الحديث عن الواقع العربي مما يتميز من خصوصيات على مستوى الاستبداد السياسي والفعل العنفي »يفترض التفريق بين المنطق المتولد عن تطويرات داخلية لهذه الحضارة أي الحضارة العربية الاسلامية بما لها من تعقيدات ثقافية ومعطيات خصوصية أنماها التطوير الداخلي وبين العوارض الناتجة عن الصدام الحضاري واللقاء المباشر بين حضارات مختلفة»

ويرى المنصف وناس بأن المشروع السياسي العربي «كحقل دلالي هو توظيف للشرعية الدينية وللنصوص (القرآن والحديث) في بناء دولة ذات تركيبة حضارية معينة»، وترتكز سمته الأساسية حول المزج بين الشرعية الدينية والادماج الحضاري التوفيقي الذي ينتج عن تثبيته (المزج) عنف مزدوج من قبل السلطة الحاكمة.

ويعود المنصف وناس في قراءته لظاهرة العنف إلى تاريخ هذه السلطة «العربية» التي لم تستحوذ وحسب على «سلاح الشرعية» بل استحوذت أيضا على أنواع أخرى من «القمع وتقاليد من التهجين والعنف لتنظيم الحياة العامة تأخذ في ظاهرها صفة إجرائية عقلانية مثل الحفاظ على الاداب والمصلحة العامة ولكنها ذات خلفية سياسية واضحة المعارضة واختيار الولاء الجماهيري عن طريق ربط الممارسة الاجتماعية للفرد بمقدار تحمسه للسلطة الحاكمة»

بالنسبة للجزائر، ظاهرة العنف كانت ملازمة للعمل السياسي.. وترجع بذرة ذلك إلى البدايات الأولى من المقاومة الشعبية.. ثم بعد ذلك ارتبط بمسار الحركة الوطنية في لحظات تأزمها الثورية إلى غاية الاستقلال.

لكن عندما عجزت السلطة غداة الاستقلال عن تحقيق مشروعها الاجتماعي، والاقتصادي والسياسي الثقافي عاد العنف من جديد ليلازمها في عملية كبح أي معارضة لأعراض مرض العجز السياسي والفقر الايديولوجي..

لقد تمكنت السلطة من قمع المعارضة المسلحة، التي ظهرت غداة انقلاب 19 جوان 1965 بقيادة منظمة المقاومة الشعبية اليسارية، وتجدد ظهورها لتخمد أيضا تحت نيران الرصاص مع حركة مصطفى بويعلي الاسلامية، لكنها وجدت نفسها مضطرة إلى التراجع خطوات إلى الخلف بعد أحداث أكتوبر الدموية... ولتفتح المجال أمام تعددية سياسية عميقة، ويبرز فيها التيار الإسلامي بمختلف فصائله كأول مستفيد...

هذا التيار لا يملك من ماضيه مع السلطة إلا تراث السرية القيصرية، وغياهب السجون ومرارة التعذيب

النفسي والجسدي، وباختصار ذاكرة العنف والعنف المضاد... فهل دخول مرحلة الشرعية والعلنية ينسيه ملف تلك العلاقة السوداء مع السلطة، أم ينقلب السيناريو ليجد نفسه في قفص الإتهام بلعنة العنف، وفي موقع الدفاع عن الذات. وبتعبير أخر في فصل جديد من الصراع مع السلطة لكن بأسلحة أكثر سياسية واحتراما لقواعد اللعبة؟!

لم يكن مر زمن طويل على إقالة حكومة السيد قاصدي مرباح، عندما أوردت اسبوعية المنقذ، لسان حال الفيس هذا الخبر المطول

«ألقى حراس الجبهة الاسلامية للإنقاذ القبض على محتال خطير في مروانة يدعى فيصل قندوز المولود بتاريخ 1973/6/19 بسيدي محمد، بلكور، وهذا الشاب المحتال ابتكر وسيلة فريدة من نوعها في ابتزاز أموال المسلمين حيث كان ينتقل بين المدن الجزائرية. (تبسة، غرداية، بشار، أرزيو، وهران سطيف، باتنة، شلغوم العيد، خنشلة، بسكرة، طولقة، وتوقرت، تلمسان وغيرها... إلخ) زاعما أنه تلميذ للأخ الداعية الهاشمي سحنوني، وأنه يعيش مشاكل مصطنعة أوحى له بها شيطانه وخياله الخصب فتارة يزعم أنه يتيم الأباء، وتارة يزعم أنه حصل على سكن ولم يجد ثمنه، وتارة يزعم أن الأخ الداعية الهاشمي سحنوني كلفه بجمع المال له، ومرة يدعي أنه مقبل على عملية جراحية لا يجد مال تكاليفها وقصص أخرى يطول سردها عبر القطر. وليكن في علم المسلمين أن حراس الجبهة الاسلامية للانقاذ بالمرصاد لكل من تسول له نفسه أن يلصق بهاالتهم أو أن يبتز أموال المسلمين باسمها أو باسم رجالها ودعاتها.

ومع هذا أحسنت الجبهة الاسلامية للانقاذ لهذا المحتال فلم تمسه بسوء لا في جسده ولا في كرامته ولم تغلظ له القول وإن كانت أغلظت معه في التحقيق عملا بأحكام الشريعة الاسلامية الغراء ، في معاملة المجرمين فقد أكل من أطيب أموال المسلمين اقتداء بمعاملة رسول الله (ص) لثمامة بن أثال وغيرها واقتداء بسيرة الخلفاء الراشدين في معاملة المجرمين والأسرى وستنظر الجبهة الاسلامية في أمره بما يوافق روح الشريعة الاسلامية..

اخوة الاسلام كونوا على حذر من أمثال هؤلاء الدجالين النصابين الذين يغشون الاسلام والمخادعة به، قال تعالى (يأأيها الذين أمنوا خذوا حذركم) هذا الخبر الذي نشرته أسبوعية المنقذ في عددها الثاني، لم يمر في صمت..بل كان افتتاحية صاخبة لمسلسل العنف الذي أثارته مختلف وسائل الاعلام .. صدور العدد الثاني من المنقذ تزامن مع أول ندوة صحفية لرئيس الحكومةالجديد يومذاك بقاعة ابن خلدون واختار أحد الصحفيين الزمن المناسب ليلقي بالخبر كنقبلة ويضع السيد مولود حمروش أمام الامر الواقع.. اجهزة الاعلام الأخرى، خاصة التلفزة جعلت من قضية هذا الشاب الذي ألقي عليه القبض من طرف حراس الجبهة حدث الساعة..

علي بلحاج يستغل هذا الظرف الذي وجهت فيه أصبع الاتهام إلى الفيس على أنه حزب العنف، ليرمي، بالكرة من جديد إلى ساحة السلطة معتبرا أياها مصدر العنف فيكتب عن «واجب المسلمين نحو اخوانهم من المساجين السياسين» قائلا «عجب حقا أمر المسلمين في عصرنا هذا - ينتقص من أطرافهم وهم غافلون، وتموت

أبعاضهم وهم لا يشعرون، ويتعرض خيرة اخوانهم في العقيدة لألوان من الحيف والظلم ويزج بهم في غياهب السجون المظلمة وهم آكلون شاربون فرحون كأن شيئا لم يكن !!! فهكذا يا قوم أوصى الشارع الحكيم ؟؟! الإجابة قطعا لا ؟؟

في العدد التاسع من جريدة المنقذ يستمر علي بن جاج في هجومه المضاد على من يريدون اتهام حزبه بالتعصب وتحميله مسؤولية العنف، يفتتح مرافعته بتنبيه «إخوة الاسلام وجنود الرحمن وحراس العقيدة» متسائلا معهم «من من الفطناء يجهل أن الغزو العسكري في عصرنا - هذا - تحول إلى غزو ثقافي ماكر خبيث هدفه غسل مخ الجيل الجديد من كل ماهو إسلامي صميم ومن أجل تحقيق هذا الهدف - خرج علينا بعصابات من الأدباء والإعلاميين والمؤلفين والفنانين الذين لاهّم لهم إلا النيل من الاسلام وأهله» ويواصل مرافعته قائلا بأن الساحة الجزائرية تشهد هذه الأيام حملة. منظمة ضد المسلمن وعقائدهم التي تجري في أو صالهم، مستخدمين فيها سائر الوسائل الاعلامية - والثقلية- وبث الرعب والهلع في قلوب الجماهير - خاصة - الذين يجهلون حقائق الإسلام الناصعة واصفين الإسلام وأهليه بكل ساقط من القول من مثل قولهم إنه دين (عنف، وشدة، وتعصب، وتطرف) قصد تنفير الناس منه وعقدوا من أجل هذا ندوات صحفيةوتجمعات - مشبوهة - تندد بالعنف وترمي الجبهة الاسلامية للإنقاذ بكل فرية وقارعة ما أنزل الله يها من سلطان، وذهب الحقد ببعضهم - هد اهم الله- إلى وصفها ووصمها بأنها جبهة (فاشية، نازية، متعصبة ومتطرفة إلى آخر ما في قاموسهم من شتائم وسخائم وصدق الله العظيم إذ يقول «قد بدت البغضاء من أفواههم من شتائم وما تخفي صدورهم أكبر» ويؤكد علي بلحاج أنه من خلال مرافعته هذه لا يسعى أن يكون مدافعا «شأن المنهزمين فكريا ونفسيا الذين سقطوا صرعى تحت مطارق الحملة - الشرسة - وأثرت فيهم الحروب النفسية التي شنتها علينا الأحزب العلمانية والجمعيات المشبوهة فأردد قول بعضهم (الاسلام دين بريىء من العنف والتعصب وإنما هو دين الرحمة والتسامح والسلام) وهذه كلمة حق أريد بها باطل، نعم الاسلام دين رحمة، وتسامح، وسلام ولكن لمن ياترى؟!

إن موقفي اليوم موقف المهاجم المنتصر بالله تعالى الذي يرى أن الاسلام دين رحمة وسلام وعطف وهو في ذات الوقت دين قوة وجهاد وجلاد لمن كابر وعاند وركب رأسه، فهو دين يجمع بين المصحف الهادي والسيف الناصر، بين الرأفة بالمسلمين والشدة والغلظة على أعداء الدين»

وتحت عنوان فرعي «إفتراء قديم في ثوب جديد» يكتب علي بن حاج «أن وصم الاسلام العظيم بأنه دين عنف وشدة وسيف ليس بالامر الجديد المدهش فقد روج لهذه المقولة - الداحضة - لفيف من المستشرقين ثم ردده عندنا أنصاف المتعلمين وأذناب الغرب - المارقين - يقول المستشرق الفرنسي كيمون(إن الديانة المحمدية جذام تفشى بين الناس وأخذ يفتك بهم فتكا ذريعا بل هو مرض مريع وشلل عام وجنون ذهولي يبعث الإنسان على الخمول والكسل ولا يوقظه من الخمول والكسل إلا ليدفعه إلى سفك الدماء) وقال المنسنيور كولى في كتابه"البحث عن الدين الحق"(برز في الشرق عدو جديد هو الإسلام الذي أسس على القوة وقام على أشد أنواع التعصب ولقد وضع محمد السيف في أيدي الذين اتبعوه وتساهل في اقدس قوانين الأخلاق ثم سمح لاتباعه

بالفجور والسلب ووعد الذين يهلكون في القتال بالإستمتاع الدائم باللذات في الجنة) وقال جوليان في(تاريخ فرنسا) (أن محمد -مؤسس دين المسلمين - قد أمر أتباعه أن يخضعوا العالم وإن يبدلوا جميع الاديان بدينه هو، ما أعظم الفرق بين هؤلاء الوثنيين والنصارى!! إن هؤلاء العرب قد فرضوا دينهم بالقوة وقالوا للناس اسلموا أو موتوا، بينما اتباع المسيح أراحوا النفوس ببرهم وإحسانهم)

وجاء في كتاب"تقدم التبشير العالمي" الذي ألفه الدكتور"غلودر" ونشره في نيو يورك سنة 1960 (أن سيف محمد القرآن أشد عدو وأكبر معاند للحضارة والحرية والحق، ومن بين العوامل الهدامة التي اطلع عليها العالم إلى الآن) هكذا نطق السادة في الغرب!!

أما الأذناب عندنا فقالوا ما هو أقبح وأشنع!"" ويستمر السيد على بن حاج مؤكدا"وواضعا النقاط على الحروف كما يقولون أقول أن العنف أشكال وألوان بعضها أخطر من بعض، بل بعضها أعنف من بعض فثمة العنف الجسدي، وعنف الكلمة، وعنف الإعلام، عنف الدعاية، وعنف السلطة، وعنف الإرهاب الفكري وأشدها خطرا وأعظمها ضررا العنف المتمثل في تحدي مشاعر الأمة والإعتداء على مقوماتها الأساسية وهذا اللون هو الذي يولد المقاومة" ويوضح الشيخ الشاب بأن"أخطر ألوان العنف الذي يمارس ضدنا ليس هو العنف الجسدي لأننا مستعدون بإذن الله أن نقدم أنفسنا فداء لعقيدتنا" وانما العنف الخطير، يواصل علي بن حاج كلامه في نفس العدد التاسع من المنقذ هو «ذلك الذي يتمثل في تحدي مشاعر الأمة المسلمة بتحكيم شريعة هي من وحى الشيطان بد لا من شريعة الرحمن التي فيها سعادة الانسان في الدنيا والأخيرة.» ويتساءل بن حاج بمرارة عن «أي عنف أشد من نشر وتشجيع ما حرم الله، فمصانع الخمور تشاد وهي رجس من عمل الشيطان، وبيوت الدعارة تحرس من طرف رجال الشرطة!! أما العهر والاختلاط فحدث عن البحر ولا حرج» وبنوع من الغضب الصاخب يعرض الشيخ الشاب ألوانا من العنف عندما يتساءل متعجبا « اليس من العنف أن يصف حاكم ساقط الرجولة المسلمين بقوله الأصوليون أخطر من السيدا، وأي عنف أشد من أن تخرج المرأة إلى الساحات العمومية وتحرق الحجاب أمام الناس وتقول إن قانون الاسرة - الحالي - قانون عقاب المرأة وتجد من المخنثين وأنصاف الرجال أو الرجال النسائيين من يساعدها في ضلالها الجديد، وأي عنف أشد من تحريض السلطة الحاكمة ضد المسلمين عامة وضد جبهة الانقاذ خاصة بحمل شعارات مرقوم عليها «سكوت الحكومة تشجيع للفاشية»، ولكن اطمئنوا فإن رئيس الحكومة - أدام الله عزه - وقع تحت تأثير هذا العنف الاعلامي فوعد وتوعد بأنه سيكون صارما في تطبيق القانون ! فانشاء الله، حسبنا الله ونعم الوكيل(...) وأي عنف أشد من الاستهزاء بالدين الاسلامي ض الله؟! وأي عنف أشد من أن ورجاله؟ وأي عنف أشد من نشر أخبار المطربات وتجاهل أخبار المجاهدين في أر يفتح ملف قضية المغنية الفاسقة «لندا» بأمر من رئيس الحكومة - أبقاه الله ذخرا للجزائر المجاهدة - ولم يفتح إلى يومنا هذا ملف الأخ الفاضل مختار بويعلي الذي اغتيل برصاص الغدر أمام ولده، منذ 1983، بل لماذا لم تفتح ملفات السرقات الموصوفة والخيانات الاقتصادية في مختلف أجهزة الدولة؟

بل لماذا لم تفتح ملفات قضايا التعذيب في قضية الأخ مصطفى بويعلى رحمه الله في حوادث 5 أكتوبر الفاضلة؟!! وهذا فيض من «غبض»

بعد ذلك يتجه مخاطبا القراء بنفس النبرة الغاضبة «أيها الناس هل من العنف المطالبة بحكم الله في أرضه ليسعد العباد والبلاد؟!

هل من العنف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في ضوابط الشرع؟!

هل من العنف منع ذهاب الشباب المسلم إلى أماكن اللهو والفجور ودعوة اخوانهم إلى الخير لأن الدين النصيحة؟! هل من العنف المطالبة بأن تقر المرأة في بيتها ولا تخرج منه إلا لضرورة أباحها الشارع الحكيم في جو من العفة والحياء والحشمة؟! هل من العنف المطالبة بفصل الجنسين في الدراسة التعليم وعدم الاختلاط الذي فاحت رائحته - العفنة - وتسببت في ظاهرة العنف الجنسي الذي أريد أن أطوي صفحته لأنها سوداء قاتمة؟!

هل من العنف أن نقول للناس عامة وللشرطة وللجيش أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق فلا يطاع الرئيس ولا الوزير ولا... ولا... فيما يخالف الشرع الحنيف ماقولكم - عباد الله - في شباب ذهب إلى حفلة راقصة ليقوم بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في ضوابط الشرع خرج لهم جماعة من رجال الشرطة فضربوهم بالقنابل المسيلة للدموع، من الأثم ها هنا؟! الشرطة التي تحمى قانون الأرض أم الشباب الذين يدعون إلى الله تبارك الذي يقول« أن الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت» فإذا كانت الألوان السالفة الذكر من العنف عندكم معشر المنهزمين وقادة الارهاب الفكرى فنحن أهل عنف على مصطلحكم ولا مشاحة في الاصطلاح وأهل دعوة وجهاد في مصطلح القرآن والسنة...»

ويصنف علي بن حاج أولئك الذين «يقفون وراء هذه الحملة المسعورة على حد تعبيره إلى مايلي

1 ـ معظم رجال الصحافة والاعلام.

2 ـ الانتهازيون والمرتزقون من الكتاب والأدباء.

3 ـ رجال «الفن الذين جعلوا من الاسلام نشاطهم»

4 ـ علماء السلطة الذين يسميهم الشيخ الشاب ساخرا «بعلماء الشرطة»

5 ـ الأحزاب العلمانية وهؤلاء في نظر الابن المدلل للشيخ عباسي «صنيعة الاستعمار في بلادنا وهم عندي أشبه بعرائس القرقوز»

6 ـ السلطة، ويعلق علي بن حاج متعجبا«.. هنا مكمن العجب العجاب إذ كيف يعقل أن تحارب السلطة الحالية العنف وهي التي مارسته بجدارة وبمختلف فنونه وأشكاله طيلة 27 سنة»

7 ـ المخابرات: ويقول عنها بن حاج بأنها هي السلطة عينها، وأن لها الخبرة في ممارسة العنف وفي التوقيع «

بين الجماعات الاسلامية خاصة والأحزاب عامة، همهم أن يضربوا الأحزاب بعضها البعض ليتوطد سلطان السلطة لهم»

ولهذه الحملة بالنسبة للشيخ بن حاج أهداف ومقاصد متنوعة «منها القريب الملموس ومنها البعيد الذي لا يتفطن اليه إلا من عرف قواعد اللعبة كما يقولون» وهذه الأهداف يعددها الرجل الثاني في الفيس كالتالي.

1 ـ شن حرب نفسية على المسلمين

2 ـ اشباع الرأي الوطني بالنزعة الاستعدائية «ضد المسلمين فيجعلوا الحبة قبة كما في قضية (قندوز)

3 ـ ايجاد حالة إرهاب فكري وهو أخطر الوان العنف في العصر الحديث كما يقولون»

أما الأهداف البعيدة فيختصرها الشيخ على بن حاج في النقاط التالية:

1 ـ العمل على القضاء على روح المسجد، وذلك بحصره في مجال العبادة والتربية فقط و«عدم تدخله في شؤون السياسة والحياة العامة» ويقول بن حاج في هذا الصدد أن الذين يريدون تحقيق هذا الهدف» إنما ينفذون رغبة اليهود، مع العلم أن تقديس الأشخاص في المسجد والدعوة إلى حزب في بيت من بيوت الله أمر لا نرغب فيه إلا دفاعا عن الحق»

2 ـ اضعاف روح الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في نفوس المسلمين بحجة أننا في زمان الديموقراطية والحرية وكل واحد حر فيما يفعل وكأن الديمقراطية نا سخة لفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي يعده الكثير من الناس تدخلا في حياة الغير ويجعلونه من أساليب العنف ونسى هؤلاء أنه من صميم الدين».

3 ـ العمل على إضعاف روح الجهاد في نفسية الشباب فالتربية الجهادية لدى الشيخ على بن حاج تعتبر العمود الفقري في العمل الدعوي، وفي استراتيجية بناء الدولة الاسلامية، لان هذه الاخيرة يجب أن تحضرلها سبل ووسائل الأمن الاستقرار.

ويعتبر الرجل الثاني في الفيس أن الحامل على هذه الحملة العنيفة يرجع بالدرجة الاولى إلى عامل الخوف من الاسلام «من أن يسود العالم بأسره».

ويورد بعض الأدلة على حكمه هذا، تتمثل في بعض الاقوال لرجال مثل، بن غوريون رئيس وزراء اسرائيل 1955 الذي قال (إن أخشى ما نخشاه أن يظهر في العالم محمد جديد» ولورنس يروان القائل بأن (الخطر الحقيقي علينا موجود في الاسلام) والمستشرق غارذنر (إن القوة التي تكمن في الاسلام هي التي تخيف أوربا) والمؤرخ ارنولدتوينبي (إن القوة الاسلامية نائمة لكن النائم قد يستيقظ) والمستشرق جيب (الحركات الاسلامية لا ينقصها إلا وجود الزعامة ولا ينقصها إلا ظهور صلاح الدين جديد)» والرئيس جيمي كارتر الذي طلب من المخابرات الأمريكية اعداد ملف حول الحركات الاسلامية حتى لا تجد الولايات الامريكية نفسها أمام ثورات لم

تكن في حساباتها، قد تلحق الضرر بمصالحها في المنطقة العربية والاسلامية. ثم يختم الشيخ علي بن حاج كلامه موجها إلى « معشر الأحزاب ورجال السلطة قائلا » اعلموا علم اليقين أن هذه الأمة المسلمة الأبية سوف تستعصى على كل حل غير إسلامي سوف تبذل المحاولات الدامية لإكراهها على تجرع أدوية لا تريدها سوف تبدد طاقة الشعب والدولة معا بين الأخذ والرد وفي غضون هذا التناقض الداخلي يكسب الاستعمار العالمي معاركه يفرض نفسه بطريقة أو بأخرى إذ كيف نكلف أمة بنسيان شخصيتها وحضارتها، هذا في الواقع تكليف لها بالانتحار وتلك هي المهمة القذرة التي ينفذها بعض الساسة المرتدين عندنا ».

في 29 ديسمبر 1989، يعلن السيد غري الجمعي، رئيس جمعية الإرشاد والاعمال الخيرية/للمنقذ عن موقفه من مسألة العنف المثارة على أعمدة الصحف، فيقول معترفا « أما دائرة استعمال القوة واللجوء إليها فإنها توضع حينما لا يجزي القول الحسن ويحاصر ويخنق ويحال بين الناس وبين سماعه، حينما يحاول أنصاف الالهة أو رباعها أن لا يتركوا صوتا يسود إلا صوتهم ولا كلمة تعبر إلى الشعوب إلا كلمتهم : يجب حين ذاك أن يقلب المجن « وتوضع العصا حيث لا تدفع العصا » ويواصل بعد ذلك متسائلا « فهل على الاسلام في ذلك من لوم أو عتاب، أو على المسلمين إن وضعوا أحكام الاسلام وتعاليمها في مواضيعها من حرج أو جناح في أطار الضوابط الشرعية للتعبير الاسلامي؟ » وبصدد وسائل الاعلام التي قامت بشن « حملة على شباب الاسلام (...) واصفة إياه بالتطرف واللجوء إلى العنف » فإنه يعلق قائلا « كيف يبكون العنف من الشباب المسلم وقدما رسوه ضدهم آمادا طويلة فما نطق منهم ناطق؟! (....) لماذا ينسون أحداثا سبقت في بلادنا وفي غير بلادنا ذهب ضحيتها الألاف المؤلفة ظلما وعدوانا تحمل من العنف ألوانا وفنونا بين قتل وتعذيب وتشريد وسجن نفي »

في عددها الصادر بتاريخ 5 جويلية 1990، تزيد (الجزائر الاحداث) من حدة هذا المسلسل عندما تكشف عن قضية اختلاس المتفجرات من ورشة بناء سد في منطقة جيجل لشرق البلاد.

يقول مدير بناء المشروع « وقع حادث السرقة يوم الخميس 17 ماي 1990 على الساعة الثالثة صباحا، بالرغم من أن ورشة البارود هنا من أقوى الورشات حراسة وأكثرها استجابة لمتطلبات الأمن، وأننا استقبلنا لجنتين للرقابة واحدة من إدارة المناجم والثانية من الولاية، ورغم أن الاضاءة والمراقبة وطريقة التحكم في المداخل و في المخارج جد دقيقة، وقد حدثت السرقة وتركت أثار مخاوف عميقة من أن تتعرض الورشات الأخرى المماثلة لعمليات سطو مشابهة (...) لقد استولى المهاجمون على حوالي اربعمائة وخمسين كيلو غرام من مادة « الغرانيت » التي تعتبر من أقوى أنواع المتفجرات وأكثرها تدميرا، سرقوا تلك الكمية وسرقوا معها كل اللوازم الأخرى من صواعق وفتائل وأسلاك وغيرها » ويواصل مدير المشروع روايته « كان عدد المهاجمين ستة أوسبعة اشخاص، قاموا بتكبيل، الحراس ثم شحنوا 18 كارطونا يتضمن كل واحد منها 25 كلغ من المتفجرات إلى جانب التجيهزات والأعتدة الأخرى الضرورية لا ستعمالها »

وتنقل الصحفية عن الحراس العاملين بالسد قولهم أنهم « وجدوا في اليوم التالي لحادث الاختلاس جزاما

عسكريا مهملا، منسياوسط الأعشاب»

وفي 08 جويلية من 1990، أي ليلة عيد الفطر، تمت عملية سطو مماثلة أخرى بالقرب من مدينة تلمسان، في أقصى غرب الجزائر، وقام هذه المرة المهاجمون بسرقة حوالي 350 كلغ من المواد الانفجارية. وفي ظل هذا المناخ تعلن السلطة أنها احتجزت بعض المتفجرات في أحد مساجد العاصمة... هذا الجو تولدت عنه الكثير من التساؤلات والمخاوف والشكوك...

ماذا ينتظر جزائر الغد القريب، ومن يختفي وراء ميلاد مثل هذه المناخات المكهربة والمشحونة بالتوتر؟!

صاحب كتاب «الجزائر في مفترق الطريق» يعلق على هذا الجو متسائلا اذا ما كانت ثمة تنظيمات سرية عسكرية موجودة فعلا أم أن «هناك جهة أوجهات تريد تسليط الأضواء على الجيش أو استثارته أو تحريضه وماهي الجهة التي من مصلحتها أن تخلق مثل هذه التصورات التي تثير مشاعر الخوف عند الرأي العام، وتقلل من مصداقية الدولة؟»

ـ«اسئلة تبقى معلقة من دون جواب» هكذا يستسلم صاحب «الجزائر في مفترق الطرق» أمام مسلسل العنف الغامض.

الصحافة الوطنية تتحدث عن «الشرطة الاسلامية» و«حراس الاسلام» و«شرطة الأخلاق»، قالت عنها أنها تتكون من مجموعات مسلحة من الملتحين، تمارس العنف على الطلبة والطالبات في الاحياء الجامعية، وفي قاعات الحفلات، وفي الساحات العمومية... وعرفت نبرتها تصعيدا خطيرا مع الأحداث التالية:

ـ إحراق امرأة كانت تمارس الدعارة، ويذهب طفل لها، يبلغ من العمر 3 سنوات ضحية هذا الحريق. مكان الحادثة ورقلة. وفي 24 - 12 - 1988 يصرح الشيخ عباسي مدني لجريدة (جزائر الأحداث) أن هذه المرأة هي التي تخلصت من ابنها برميه في النار بعد الهلع الذي أصابها.

ـ في مدينة الأمير عبد القادر معسكر، بنت تحرق حية من طرف أخيها، وهو حسب التقارير الصحفية ينتمي إلى الإسلاميين، بعدما رفضت أن تتوقف عن العمل.

ـ في دلس الاسلاميون يمنعون المصطافين بالقوة ارتداء التبان والتجول بها في المدينة.

ـ في العاصمة، بليدة وبوفاريك حيث قدم الاسلاميون إلى المحاكمة، حدث الضغط من طرف المتظاهرين على المحكمة لإطلاق سراحهم.

وبتاريخ 18 مارس 1991، يومية الجزائر الجمهورية ذات الميولات اليسارية والشيوعية تتهم في افتتاحيتها صراحة مناضلي الفيس «بزارعي» الرعب وتشير في أحد عناوينها المثيرة على الصفحة الأولى «أعمال عنف في حسين داي... اسلاميون مسلحون يهاجمون السكان» إلى أنه لا يمر يوم، دون أن «يتوانى الأصوليون عن القيام

بأعمال العنف واللاتسامح، فمنذ ثلاثة أيام فقط فرض بعض الأصوليين بحسين داي مواجهات جسدية تتسم بالعنف على مجموعة من شباب الحي» وحسب الجريدة ففي الحي كان يوجد مقهى يؤمه عدد من الشباب ليقضوا وقت الفراغ في اللعب بالدومينو، لكن جماعة من الاصوليين كما تطلق عليهم الجريدة، لم يرقهم ذلك، واعتبروا تلك اللعبة منافية للأخلاق الاسلامية فأمروا صاحب المقهى بغلق المحل، لكن سرعان ما تحولت أوامرهم إلى مشاجرة عنيفة امتدت إلى الشباب، وكان ضحيتها صاحب المحل وأخوه، وترى الجريدة أن هذا السلوك ينافي الحرية العامة، وعلى السلطة أن تتخذ الموقف الملائم... وفي عدد أخر من نفس الشهر تدعو الجريدة - وكان ذلك أثناء أحداث حرشة، والأطلس - الحكومة إلى اتخاذ مواقف صارمة. ففي نظر الجريدة، ليس من حق الاسلاميين الفيسيين أن يمنعوا حفلات كل من قاعتي حرشة والأطلس باسم الدين،وكان رد الحكومة على لسان وزير داخليتها السابق جليا ودقيقا، خلال ندوة صحفية عقدها في تلك الظروف، حينما قال «السلطة عازمة على مواجهة العنف بالعنف وأنها ستضرب بقوة»، مضيفا أنه إذا اقتضت الضرورة إحاطة قاعات الحفلات بفرق مكافحة الشغب لحمايتها وضمان سير نشاطاتها وأمن الجمهور المتواجد بداخلها فإن الداخلية لن تتأخر في أعطاء الأوامر.

وأمام وضع مشحون بالرعب والاتهامات وجدت فصائل أخرى من الإسلاميين، خاصة حركة حماس نفسها تلعب ورقة أخرى، ورقة متناقضة تماما وما يشاع عن الفيس... هل أراد الشيخ نحناح بذلك مساعدة الفيس من زاوية استراتيجية، أم أراد أن يسحب من تحته الغطاء، مستفيدا من تجار ب اتجاهه الاخواني في العالم العربي؟

هل كان الفيس حقيقة المسؤول الحقيقي عن تلك الأعمال التي وصفتها مختلف الأجهزة والوسائل الاعلامية بالعنيفة، أم كان ضحية مخطط نسجته بدقة مصالح الأمن والمخابرات لتجره جرا إلى وضع معقد وبائس لا يحسد عليه. الأيام التي تلت كل هذا الصخب الاعلامي والسياسي حول خطابي العنف والتسامح وما حملته، ابتداء من إعلان الفيس عن إضراب سلمي ،مفتوح والذي سيتحول فجأة، وربما بالرغم من قادة هذ ا الحزب إلى عصيان مدني ساهمت فيه فئات أخرى من خارج مناضلي وأنصار الفيس وأجهزة أخرى، إلى حالة الحصار العسكري الثاني منذ أحداث خريف الغضب الجزائري، كشفت لنا أن صخب هذا المسلسل، مسلسل «العنف» لم يكن بريئا ولا محايدا، ولا من انتاج طرف سياسي واحد ومحدد بل كان حقيقة لا غبار عليها ضمن سيناريو عام، يعيد المدى ومعقد.. سيناريو فرض نفسه على الفيس، وعلى زعزعة مساره الطبيعي» ليكون المنتصر في نهاية المطاف السلطة الحاكمة، فهل سيكون النجاح حليفها فعلا؟!

11 - قصة البلديات المفخخة

« أولاش الفوت» أو أنا مانفوطيش» كان هذا هو الشعار الصاخب الذي رفعة زعيم الأففس، أيت أحمد قبيل الانتخابات المحلية لعام 1990... زعيم الأم دأ، اتخذ نفس موقف رفيقه التاريخي في جبهة التحرير التاريخية.

عباسي مدني كان لديه موقف آخر، موقف التحدي، «ندخل الانتخابات وفي حالة التزوير سيكون لنا موقف آخر»

المحللون استنبطوا من هذا الكلام، منطق الترغيب والترهيب، أو منطق التلويح بعصا الجهاد في حالة الخسران.. لقد قبل عباسي اللعبة وذهب إلى أقصى حد في ممارستها، وكانت النتيجة فوز حزبه الساحق بنتائجها فهل ستبقى قواعد هذه اللعبة ثابتة ومستقرة في جوهرها وقواعدها، أم سيطرأ عليها تغيير في فصلها الثاني» وكيف ستكون خيوطها إن حيكت من جديد، وماهي القسمات التي سيتخذها محياها في ميدان الصراع السياسي على السلطة؟

بعد حوالي أسبوع من انتصار الفيس في الانتخابات المحلية، أجرت جريدة السلام، بتاريخ 21 جوان 1990 حوارا مطولا مع زعيم الفيس... هذا الأخير حاول منذ البداية أن يعطي مفهوما جديدا لبلدية الانقاذية، ويرسم ملامح الصورة للبلديات التي تسلمها حزبه الفتي...

يقول الشيخ عباسي مدني محاولا تحديد مفهوم حزبه للبلدية وكيفية إمكان التوفيق بين البرامج الحزبية المختلفة في البلديات ذات المجالس المختلفة مايلي: «إن البلدية الاسلامية التي تقدمها الجبهة الاسلامية للإنقاذ (الفيس) هي بلدية انقاذ.

أولا : الكل يعلم أن وضع البلديات وضع مخيف، فالخزينة مفلسة،والإدارة مضطربة، والامكانات مضيعة، والمشاريع معطلة، إنها أشبه بتلك التي ورثناها أيام المنظمة العسكرية السرية، إذا لم تكن أخطر، لأن البلديات التي ورثناها من الاستعمار لم تكن مدانه، بينما هذه سنجد أغلبها مثقلة بالديون، معنى ذلك، أن تلك انطلقت من الصفر، أما هذه فمن تحت الصفر، لذلك نجد أن تعطيل النمو الديموغرافي الذي تشهده البلاد منذ الاستقلال وما نجم ،عن ذلك من قلة للسكن حتى صار بضاعة المرتشين وسوق الناهبين، وفرصة الناهمين، فضاعت الأمانات بضياع المسؤوليات وهو ما يجعل بداية البلدية الاسلاميةالانقاذية من أصعب البدايات.

ثانيا: إن عملية الانقاذ ستكون محددة في رزنامة برنامج الجبهة الإسلامية تحديدا حاسما لأن عامل الزمن بمقتضى منهجيتنا يعتبر من أشد العوامل خطورة، وأنه يجعل برنامج الجبهة الاسلامية للانقاذ أثقل بكثير مما تتحمله الولاية، وهو ما يجعل الزمن يتدخل في قضية الاسراع في حل المجلس الشعبي الوطني، لأن المجلس الوطني اعجز من أن يواجه برنامج الجبهة الاسلامية للانقاذ» ويمضي الشيخ عباسي متحدثا في هذا المجال عن برنامج حزبه الذي يقتضي مايلي» أن العاصمة تتحول إلى هذا المحيط، من الحراش إلى بولغين إلى شرشال، وتعود إلى العفرون إلى البليدة إلى أولاد موسى إلى بودواو، وستصعد الجبل إلى تابلاط، هذه سلسلة الأطلس البليدي من هنا، وهذه سلسلة الجبال إلى جبل شنوة هي التي تكون العاصمة إن شاء الله. ستبقى متيجة خضراء، لا ترون فيها إلا آخضرارا.

هذا مشروع من مشاريع الجبهة الاسلامية للانقاذ في قضية مشكلة السكن فقط، وكما تحدثه البلدية الاسلامية الانقاذية في العاصمة يكون نفسه في وهران وعنابة وفي قسنطينة وفي سطيف وفي كل البلاد بإذن الله - سترون قريبا كيف يدخل ما يسمي بالبيلدوزر الذي هدم الأكواخ ليبني «هبل»)(مقام الشهيد) سيدخل الجبال ممهدا طرقها ويعد الأراضي للسكن، هكذا حتى الذي ضاقت بيته وضاقت به قصبته أن يجد على الأقل خيمة لهي عندي في أرضي خير لي من السكن في القصبة، ستجدون كيف أن الحلول ستوزع بطريقة عادلة وتبدأ بمن هو أكثر ضررا ، وأكثر حاجة إلى ماهو أفضل، وكلها مراحل...هذا يعيش في مرحلة - أ- والأخر في مرحلة -ح - على أن الحركية موجودة، ليس بالضرورة، أن يبقي صاحب الضرورة في الضرورة، وأن يبقى صاحب الكماليات في الكماليات قوانين إنما ستكون حركة كلية»

وحول التعارض بين مفهوم عباسي مدني وحزبه للبلدية وقانوني البلدية والولاية والمصادق عليها من طرف المجلس الشعبي الوطني يعتقد زعيم الفيس بأن «القوانين التي تتعارض مع المصلحة ليست قوانين. إن القانون الذي يمنعني من أن أخرج ساكن (بيت الماء) لا ينظر صاحب القصر متى يسن قوانينه، فأنا لا انتظره.

إن هذه القوانين - يضيف عباسي - التي وضعت في عهد لم تبق صالحة لهذا العهد، فنحن لا نقدر على التورط في خيانة ولا في ظلم ولوكان باسم القانون.

إن القانون الذي يقول لنا : لا حق لكم في وضع خطة عمرانية مناسبة لأزمة السكن، قانون من؟ إذا كان قانون فرنسا ، ففرنسا ذهبت» إذا كان قانون غير فرنسا ، بقي قانون حكم الله، عدله، ثم قانون الشعب الجزائري بمقتضى مصلحته.

إن القوانين أوالتشريعات، حتى التشريع الرباني مناط حكمه المصلحة، إن القانون الذي يتعارض مع المصلحة باطل مفعوله ولوكان ربانيا. ولا اعتقد أنكم تغفلون هذه الحقيقة، إن الله أرسل الرسل وانزل الكتب ليشرع، وما شرع إلا لضمان المصلحة، ومصلحة الانسان، فإن كان القانون الرباني يخضع لمصلحة كيف تقيدنا ياسيدي بسؤالك هذا ، تقيدنا بقانون بشري وضع في ظروف لم تعد قائمة، ولا اعتقد أن أي تشريع في العالم يتفق مع هذا التصور، لقد درسنا التشريع المقارن، درسنا القانون النابليوني، ومنظومته والقانون البريطاني القائم على العرف، والقانون السويسري والقانون الامريكي، فلا نكاد نجد في العالم قانونا ضد المصلحة.

إذن نحن، مع العنصر الثاني للبلدية الاسلامية، وهو أن البلدية الاسلامية ليست انقاذية فقط ولكنها أيضا ذات بعد مستقبلي حيث أن رزنامة الزمن تجعل عملية الانقاذ تبدأ بتوفير الأدنى في زمن محدد، عملية الأدنى لا تطول فنسير إلى الأفضل بأذن الله، معنى ذلك إن البرنامج لا يوضع لتوفير الحد الأدنى دون أن يضع معالم الحد الأعلى، ومرحلة كلها على اساس العدل والمساواة وعدم الاحتكار وإبعاد المحسوبية ،كل الميولات الشخصية عند التصرف في أمانات الأمة، انها بلدية الأمن والأمان. بلدية العدل والاخاء والوئام بلدية الجميع بلدية ستكون في خدمة الأمة.

ثالثا : الادارة. إن من أخص مهام البلدية انها جهاز مسير ضامن لتوظيف الامكانات المادية والبشرية حسب مقتضيات سياسة جبهة الانقاذ، حيث لا يكون الاداري مسيرا للعضو السياسي، فلا يكون الحمار فوق صاحبه، الادارة، لابد أن تنضبط انضباطا شرعيا حيث توفر وتكفل الحقوق تماما للموظفين، ولكل المتعاملين، ولكن الواجبات تكون أيضا مجال التنافس نحو الأفضل انتهى عهد طلب الأكثر في الحقوق والأقل في الواجبات، إن الذي يريد بقرة حلوبا ولا يعطيها شيئا، هذا الذي إذا شح ضرع البقرة يأكلها فيبقي بعدئذ جائعا إلى الأبد... إنك إذا أردت بقرة حلوبا لا بد لك تعطيها حقها في الرعاية والعناية والغذاء، وإذا أردت أن تثري بلدك وتغني بلديتك، أن تؤدي واجباتك على الوجه الأكمل، وليس على القدر الأدنى، إذن التنافس الذي هو الآن على الحقوق ينقلب إلى تنافس على الواجبات لأن الحقوق منتهية مقننة منضبطة، تكفل، تضمن - بقيت الهمم، حتى يتحول هذا الانسان إلى إنسان جبار في انتاجه، في عمله، إلى إنسان خلوق متخلق ذي رسالة حيث أن الادارة لن تكون إدارة المتقاعدين وإنما تصير لأهل السياسي والحضاري المدركين لعظمة مسؤولياتهم، فيتنافسون على الإنتاج، والعمل المنضبط تتحقق على مستوى الكمية والكيفية نتائجه» .

بعد مرور شهور على إعتلاء الفيس سدة الحكم على رأس العديد من المجالس البلدية والولائية، اكتشف على أرض الميدان أن المهمة لم تكن بالصعوبة التي كان ينتظرها وحسب، بل أعوص من ذلك وأعقد... لقد وجد نفسه في ميدان صراع ليس في صالحه، لكن تورط في حمأته حتى العنق، حصار عصيب من كل الأطراف، المواطنون، الحكومة وقوانينها، خصومه من الأحزاب الأخرى، قاعدته المشبعة بالعواطف والانتظار المكهرب الطوباوي والمجردة من ذخيرة التكوين العقائدي الصلب والسياسي... وبعض أطره الذين لم يكونوا ومنذ البداية متفقين وجماعة عباسي حول الدخول إلى مغامرة الانتخابات المحلية والكوادر الانتهازية التي التقت به بعدما اعتقدت أن حزب جبهة التحرير مات، وسيخلفه الفيس فحملت معها إلى هذا الحزب المجمع كل تراثها في سوء التسيير والبيروقراطية والأخلاقيات الانتهازية والنزعة الانشقاقية والجهوية وعلى أرضية هذه التربة، تربة البلديات المفخخة بدأت المعركة المتعبة التي ستساهم بقدر فاعل في دفع الفيس إلى الإعلان عن الاضراب السياسي...

ولنبدأ من أول فخ المتمثل في الوضعية المرعبة للبلديات، التي تركها حزب جبهة التحرير كتركة أثقلت كاهل هذا الحزب الفتي، وسناخذ هنا كنموذج لذلك بليدة على لسان رئيس مجلس الشعبي السيد ساعد بن عثمان.

بالنسبة للوضع المالي لهذه البلدية فهي تعاني على حد تعبير رئيسها من عجز مالي كبير، حيث وجد صعوبة عند تحضير الميزانية الاضافية للسنة المالية 1990، ويرجع السبب الأساسي في نظره إلى العجز المالي الذي تشكو منه بلديته والذي يقدر بنحو 3 ملايير سنتيم وهو ما تركه يضطر لتجميد بعض المشاريع حتى يوازن ميزانية البلدية. ويضيف السيد ساعد بن عثمان هذا الدين« يعرقل أية مبادرة لتنمية البلدية» ولاحظ رئيس البلدية المذكور أن ثمة تسيب كامل ولامبالاة وعدم اكتراث بعمليتي المتابعة والمراقبة للمشاريع التي أمر

بإنجازها المجلس البلدي السابق« رغم أنها كلفت البلدية أموالا باهظة» ويرى بأن الشيء المثير الذي لايكاد يصدق هو أن المجلس البلدي السابق، رغم توفر البلدية على مكتب للدراسات به 7 مهندسين معماريين و2 طبوغرافيين و2 متارين ومهندس مختص في الإسمنت المسلح ومهندس مختص في الهندسة المدنية، كان يقوم بتكليف مكاتب دراسات أخرى لانجاز دراسات مختلفة« مقابل أموال باهظة» ويذكر رئيس البلدية أنه كان هناك مشاريع مدارس كان من المفروض أن ينتهي انجازها خلال عام 1990 لكن ذلك لم يحدث. لماذا؟ «عدم إحترام المقاولين الآجال المحددة وهذا ناتج عن عدم المراقبة» وبالنسبة لوضع حظيرة السيارات فإنه الطامة الكبرى حسب قول رئيس البلدية، فهذه الأخيرة لديها« إمكانيات ووسائل هائلة لكن جلها من شاحنات وسيارات معطلة»

أما ما يتعلق بالاحتياطات العقارية فالبلدية حسب رئيسها المذكور كانت لديها احتياطات عقارية كبيرة بإمكانها أن تؤدي أغراضا عديدة لو تم استغلالها بطريقة عقلانية، غير« أننا لاحظنا أن المجلس السابق قبل خروجه بذرها كلها ولم يترك لنا إلا المشاكل مع المواطنين، خاصة مشكلة توزيع قطع الأرض المخصصة للبناء الذي قام به رئيس المجلس بالتواطؤ مع الوالي والمجلس الشعبي الولائي، يوجز السيد ساعد بن عثمان القضية في النقاط التالية:

1- ان الجو الذي وزعت فيه هذه الأراضي كان عبارة عن دعاية انتخابية حيث تم التوزيع بطريقة فوضوية خاصة في أواخر شهر أفريل 1990 فارتكبت عدة أخطاء لدى تنفيذ هذه العملية.

2- ان المداولة والاعلان المتعلقين بما سمي بالشطر الثالث من عملية بيع الأراضي ينصان على بيع 400 قطعة لكنه وجد 688 اسما في القائمة النهائية للمستفيدين أي أن 688 قطعة قد بيعت وهذا على حد قول رئيس البلدية يتناقض مع ماحرر بالمداولة وما أعلن للمواطنين.

3- بدل القائمة الواحدة للمستفيدين وجد رئيس البلدية ثلاث قوائم مختلفة العدد وهذا دلالة على حدوث« تلاعب في عملية التوزيع حيث لاحظنا بعد الفحص أن أشخاصا استفادوا من قطع أرض وهم ليسوا بحاجة إليها لكن معارفهم مكنتهم من ذلك أما المحتاجون فقد رفضت طلباتهم»

4- وثمة اشخاص حصلوا على قطع أرض دونما إرسالهم لأي طلب، أو ايداع أي ملف قانوني لدى المصالح المعنية، والبعض الآخر يقطن خارج إقليم البلدية، وآخرون رفضت ملفاتهم من قبل اللجنة المختصة لكن وجدت أسماؤهم ضمن القوائم النهائية.

5- «بعض القطع التابعة لاحتياطات البلدية تداول المجلس السابق على عدم امكانية التنازل عنها (مثل المساحة التي تحتلها شركة سوناكوم بحي غبوسي) ومع ذلك تم التنازل عنها»

6- «مخططات التجزئة غير مصادق عليها، طبقا للتعليمة الوزارية المشتركة المؤرخة في 26 جويلية 1990 التي تحدد المساحة من 100 م2 إلى 250 م2، لكن بعض الأشخاص استفادوا من قطع تتجاوز هذه المساحة»

7- دفاتر الشروط يقول رئيس البلدية متقدمة باستثناء تلك المتعلقة بأربع تجزئات فقط.

8- قائمة المستفيدين لا تقوم على أساس قانوني، فهي لم تراع أحكام المادة 11 من قانون الإحتياطات العقارية الصادر سنة 1974 الذي ينص على تجزئات فقط.

9- الضباط السامون وأقاربهم هم المستفيدون من القسط الأكبر من الإحتياطات العقارية، البعض منهم تحصل على قطع أراضي ذات مساحة شاسعة تكفي لأن تبنى عليها مئات المساكن، والبعض الآخر اشتراها بأثمان بخسة .

10- البعض منحت لهم قطع أرض قصد الإستفادة منها بصفة شخصية لكنهم تنازلوا عنها لآخرين بمبالغ خيالية.

وبالنسبة لقضية المحلات التجارية (نموذج حي مصغر، حي جيلالي بونعامة) فمثل هذه المحلات التجارية يقول رئيس البلدية المذكورة كانت مخصصة للمجاهدين وذوي الحقوق لكن التحريات كشفت أن هذه المحلات تحصل عليها أشخاص آخرون بعيدة كل البعد عن هاتين الفئتين، بل حتى القوائم التي بعثت بها مفتشية المجاهدين إلى البلدية بغرض الإستفادة لوحظت فيها المحسوبية، وعن المخطط الخاص بهذه المحلات فهو يختلف عما هو موجود في الواقع حيث لاحظ رئيس البلدية بأنه إضافة محلين ليس لهما أثر في المخطط. ويرى أخيرا أن عملية إنجاز وتوزيع هذه المحلات غير قانونية «لأننا لم نجد أية مداولة تشير إليها »

الفخ الثاني الذي وجد الفيس نفسه فيه، هو مجموعة القوانين التي نصبت للحد من صلاحيات البلديات. وقد حصرها بعض رؤساء البلديات ورؤساء المجالس الولائية لأسبوعية النور في عددها الرابع عشر في النقاط التالية

1- قضية الإنتداب، فهذا الأخير حصر في شخص رئيس المجلس الشعبي البلدي فقط، وهذا ما كان له التأثير السلبي على سير مصالح البلدية.

2- قانون السكن جرد هذا القانون البلديات من صلاحيات توزيع السكن وجعلها محصورة في ديوان الترقية والتسيير العقاري، "بينما للوالي الحق في توزيع حصته المقدرة بنسبة 15٪.

3- قانون التوجيه العقاري، هذا القانون حرم على البلدية التصرف في الأراضي الواقعة على ترابها « مما حرمها من إنشاء المشاريع الإجتماعية والإقتصادية والثقافية »

4- البرامج التنموية، فلقد أصبح تسجيل المشاريع والبرامج التنموية من اختصاص الولاية.

5- القانون الخاص بعمال البلديات: "خصوصا فيما يتعلق بتعيين الكتاب العامين للبلديات، حيث يتم التعيين في البلديات الكبرى من طرف وزراة الداخلية"

6- المداولات التي صادقت على الكثير منها المجالس البلدية ظلت حبيسة أدراج الإدارة، (دوائر، ولايات) وألغي معظمها بعد مرور النصاب الزمني للمداولة.

7- القانون البلدي، هذا الأخير يحيل الكثير من القضايا إلى التنظيم حيث تتم العرقلة.

8- إحداث الدوائر الجديدة.

9- الميزانية «رغم الوعود بإلغاء الديون وتدعيم الميزانية، لم تفده للبلديات شيئا يذكر.

بتاريخ 30 ماي 1991 تتحدث «السلام» عن بعض المتعاطفين مع الفيس الذين يعتقدون أن مشاركته في الإنتخابات المحلية السابقة كانت خطأ جسيما و"سوء تقدير فادح للموقف السياسي وتطوراته" وأن الفيس لو أنه أجل مفاجأته إلى الإنتخابات التشريعية أو الرئاسية لكان ذلك أجدى وأنفع له وللحركة الإسلامية بصفة عامة. وتعلن السلام مؤيدة هذا الرأي الذي أثبتت الأحداث صوابه، تقول السلام بأن الأحداث كشفت "أن البلدية فخ نصب بإحكام من قبل النظام الذي تظاهر كلاعب الشطرنج بالتضحية بموقع بسيط نسبيا وهو البلدية، في سبيل الحفاظ على مواقع أهم مثل البرلمان والرئاسة... وقد ترتب على ذلك الخطأ الأصلي أخطاء فرعية مرتبطة بتسيير البلدية ذاتها، فمنطق المشاركة في الإنتخابات يقتضي تسيير البلدية في ظل قوانين ومؤسسات النظام القائم، وهذا ما كانت جبهة الإنقاذ ترفضه منذ البداية وكأن المؤسسة البلدية كيان قائم بذاته؛ أو دويلات انقاذية في دولة تهيمن عليها -صوريا على الأقل- جبهة التحرير الوطني "

الفخ الثالث، الإنقياد وراء المواجهة السياسية غير المتكافئة، ونأخذ هنا مثالا على ذلك سلوك المقاطعة وعدم الإستقبال الرسمي لممثلي السلطة المركزية، وهذا ما حدث مع رئيس الحكومة السابق في عدد كبير من بلديات الفيس.

السيد عبد القادر سلول، رئيس بلدية جندل التي يبلغ عدد سكانها 21 ألف نسمة، وتبعد عن العاصمة بـ 120 كلم، كان أحد رؤساء البلديات الإسلامية التي رفضت استقبال حمروش، عن الأسباب التي أدت به إلى ذلك صرح بتاريخ 12-05-1991 لأسبوعية الهداية قائلا «أولا نحن كمجالس منتخبة آخر من يسمع بهذه الزيارة أمام الإدارة الوصية والحزب الذي ينتمي إليه هذا الرئيس كانا على علم بهذه الزيارة قبل الموعد بحوالي شهر أو شهرين، فاجتمعنا مع المجلس المنتخب وقررنا إصدار بيان عن عدم استقبال مرشح جبهة التحرير (للإنتخابات التشريعية التي كان من المقرر إجراؤها في نهاية جوان من نفس السنة) ولم نقل رئيس الحكومة.

البيان «لا لمرشح حزب جبهة التحرير الوطني»

نحن رئيس بلدية جندل الإسلامية لولاية عين الدفلة نرفض استقبال الوفد الحكومي ونقاطع الإجتماع به للأسباب التالية:

أولا: تدهور الوضعية الإقتصادية والإجتماعية للبلاد والغلاء نتيجة إفلاس الإصلاحات.

ثانيا: عدم استجابةالحكومة لمطالب البلديات الإسلامية في مسيرة الندوة الوطنية.

ثالثا: تهميش تمثيل رؤساء البلديات في قانون الإنتخابات المعدل وتعويضهم برؤساء الدوائر الجدد

رابعا: تحول الحكومة الحالية من جهاز تنفيذي إلى جهاز سياسي معارض ومعرقل للبلديات الإسلامية

خامسا: إنتهاج سياسة الإستفزاز والتهديد والقمع ضد رؤساء البلديات الإسلامية».

وأدت هذه المواجهة غير المتكافئة من رؤساء بلديات الفيس إلى الوقوف أمام المحاكم والحبس الإحتياطي، مثلما حدث لرؤساء بلديات المحمدية، وبوفاريك، وعنابة وغيرهم.

وأمام مثل هذه الضغوطات والدوامة المتعبة، والمناطق المفخخة التي وجد الفيس نفسه على أرضيتها أرتأى أن يعقد أول ندوة وطنية للبلديات والولايات الفيسية، وتزامن مع هذه الندوة مسيرة لرؤساء المجالس البلدية والولائية إتجاه الرئاسة. زمن انعقاد هذه الندوة كان بتاريخ 14-15-16 نوفمبر 1990 وعبرت لائحة منتخبي البلديات والولايات الإسلامية التي وجهت إلى رئاسة الجمهورية عن يأسها من وعود الحكومة العرقوبية في مجال المساعدة «مما دفع المجالس البلدية الولائية إلى تقديم هذه العارضة لرئيس الجمهورية وتحميله مسؤولياته»

1- وضع حد للتقنيات التي توضع بذهنية الحزب الواحد وتطغى عليها الإنتهازية التشريعية كمشروع تعديل قانون الإنتخابات حتى لا يصبح القانون أداة صراع سياسي تستعمل ضد الحلول المنتخبة.

2- وضع حد لتجاوزات السلطة التنفيذية على القوانين: مثل فرض سلطة الدوائر على البلديات دون أي إسناد قانوني.

3- وضع الإدارة المحلية في طاعة المجالس المنتخبة وضرورة تجاوب الإدارة المركزية مع قرارات المنتخبين.

4- التقرير الفوري لانتداب النواب على مستوى البلديات والولايات حتى يتسنى لهم خدمة مصالح الأمة على أحسن وجه.

5- إعفاء المجالس المنتخبة من كل الديون الموروثة عن العهد السابق وتكفل السلطة المركزية بتسديدها.

6- رفع كل العراقيل القانونية والبيروقراطية التي يفرضها القابض البلدي والمقيدة للتصرفات المالية لرئيس المجلس الشعبي البلدي بصفته أمرا بالصرف حتى يتمكن من تسخير الأموال لخدمة مصلحة الأمة.

7- إلغاء قانون الإحتياطات العقارية الأخيرة، وإبقائها تحت سلطة البلدية لأنهاء التدخل التعسفي للسلطات في توزيع أراضي البلدية كإعطاء 120 هكتار المقرر لمشروع سكن لشركة أجنبية في بلدية المحمدية لإنجاز ملعب غولف.

8- إعادة سلطة القرار للمجالس المنتخبة في الميدان الإجتماعي والثقافي كالتشغيل والسكن والصحة والتربية ووضع حد لتجاوزات الهيئات التنفيذية في هذا المجال

9- نظرا للعجز الخطير للإسكان في أغلب المدن الجزائرية فإننا نطالب بتدعيم مال خاص بهذا القطاع لإنجاز مشاريع سكنية مستعجلة، وإفراغ الثكنات المتواجدة في كبريات المدن لنقل المنكوبين لها.

10- إعادة النظر في فكرة تشغيل الشباب والسمو بها إلى فتح مجالات إنتخابية إقتصادية واستثمارية زراعية في خطة إنمائية تكون في مستوى توظيف طاقات شباب الأمة.

11- تدعيما لاستقلالية القضاء وعملا بمبدئه ليقدر عدم التورط في ما يحدث من عملية الحصار ضد البلديات والولايات مما جعله يفقد حريته ويعجز عن البث في القضايا المتعلقة بهما تطالب بالسماح له بتطبيق

قرارات المجالس المنتخبة في حدود صلاحيته.

12- وضع حد للاستفزازات والإهانات التي يتعرض لها منتخبو الشعب من طرف بعض عناصر الأمن والدرك (...)

13- الإيقاف الفوري لحملة الطرد القضائي التعسفي للسكان وإيجاد حلول مستعجلة للعائلات المشردة.

14- تخصيص حصص في التلفزة والإذاعة لتغطية مختلف نشاطات المجالس المنتخبة وفي كلمته الافتتاحية بالندوة توجه عباسي إلى المنتخبين قائلا حقا «إنكم تعاونون من حصار تورطت فيه السلطة المركزية من أمن وقضاء وإدارة وغيرها حتى الشركات الوطنية تآمرت عليكم وحيدت جميع طرق العمل لكي تتوقفوا لكنكم بحمد الله بصبركم ومثابرتكم فرضتم وجودكم، وإن ما حققتموه ولو كان قليلا فهو كثير»

هل هذا الكلام من باب التحدي أو من باب رفع المعنويات أم كلاهما معا؟

الإجابة عن ذلك نكتشفها من بين سطور هذا الحوار (المصدر جريدة المنقذ عدد 34) الذي تم بين وفد الفيس ورئاسة الجمهورية **السيد آيت شعلال** (ممثل الرئاسة): نتمى أن تكون هناك تطورات إيجابية وتعاون مثمر ونحن نعتقد أن جميع المسؤولين على مستوى البلديات يجب أن يلعبوا دورا كبيرا في هذه البلاد لأن الخلية الأساسية في المجتمع هي البلدية وهي أقرب مؤسسة من المواطن وهي التي تباشر الواقع، يجب أن نتفاهم بأن هناك تجربة جديدة تتطلب صبرا لأن هناك روتينات وعوائد وغيرها في حاجة إلى أن نتغلب عليها فلا يمكن أن نمحو هذه الأمور بين عشية وضحاها..

الشيخ عباسي : تقولون هذا من جهة ومن جهة أخرى لما بلدية أو ولاية تقول في مداولة بتحريم الخمر تقولون بأن القانون لا يسمح! قانون من؟

آيت شعلال: في الوقت الحاضر هناك قوانين.

عباسي مدني: أي قانون؟ هل يعقل أن تتحكم فينا قوانين نابليون؟ هناك قانون جزائري وضع في عهد بن بلة عام 1963 لتحريم الخمر ولم ينسخ.

آيت شعلال: في الوقت الحاضر هناك قوانين في هذا البلد وهذه القوانين ينبغي أن تحترم

رئيس بلدية عنابة: إننا ألفنا أن يقال لنا بأن هناك قوانين في هذا البلد أنا والله أتحدى أيا كان أن يقول لي بأن هناك قانون المتاجرة ببناتنا ونسائنا. ليس هناك قانون إطلاقا، ونحن نقول تغلق بيوت الدعارة وهم يقولون تفتح بيوت الدعارة وباسم الإسلام أيضا، ومن جهة ثانية لقد شبعنا من كلام أن البلدية هي الخلية الأساسية ومن الناحية العملية أعطيك مثالا بسيطا جدا، بلدية مثل عنابة اعتمادها هذه السنة بالعملة الصعبة 70 مليونا وهو اعتماد من اعتمادات المحلات التي تتأجر بالخمور و70 مليون لا تكفي حتى لتنظيف المدينة ولذلك فعندنا أزمة في تنظيف المدينة.

ومن جهة أخرى فإن البلدية كبلدية عنابة تتخذ قرارا من أجل تعريب البلدية، فالدستور يقول هذا والقرآن يقول هذا والسنة تقول هذا والشعب يقول هذا إلخ والوالي يقول لا لأن التعربيب في الجزائر يمس بحرية المواطن!؟ وهو الشيء الذي يؤسف له أشد الأسف بل أكثر من هذا وصلنا إلى البلديات والذي أوصلنا هو الشعب ووصلنا ببرنامج وهذا البرنامج يقول بأن كتاب الله في يدنا اليمنى والسنة في يدنا اليسرى وصلنا بهذا البرنامج إلى البلديات بـ80٪ من الشعب فالآن عندما نقول نعم للإسلام، بكل أسف تقول السلطة لا للإسلام.

آيت شعلال: أنا أظن أن هناك سوء تفاهم في الوقت الحاضر القوانين موجودة ويجب أن نحترم القوانين الموجودة وإذا كان فيه نزاع أو فوارق في التغيرات فعندنا هيئات يمكنها أن تفصل هذه هي قواعد اللعبة.

الشيخ زبدة: ماذكر اللعب في القرآن الكريم إلا في صفة الذم وهذه الأمة جاءت تعمل بالقرآن الكريم إذن كلمة اللعب عندنا لا تستعمل إلا للذم، لأن الله سبحانه وتعالى لما جاء يستعمل كلمة اللعب قال «ليفوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون»

آيت شعلال: إن هذه التجربة التي نعيشها تجربة جديدة نتمنى أن تكون مثمرة ولكن لا بد أن يكون هناك تحكم وصبر من كل جهة

عباسي مدني: أسمح لي أن الأكواخ التي أوقفناكم عنها سابقا لا يمكن لأصحابها أن يصبروا.

آيت شعلال: إن هذه المشاكل لا يمكن للإنسان أن يحلها في يوم واحد.

عباسي مدني: هناك عمارات فارغة، فكيف لا يمكن أن يسلموها لشعبهم ويتركوه يموت؟

آيت شعلال: السلطة يجب أن تأخذ مسؤوليتها في جميع الميادين ونحن نحاول أن نجعل حلا لجميع المشاكل. إن الظروف التي نعيشها ظروف أزمة كبيرة إقتصادية واجتماعية وسياسية والآن هناك تغيرات جذرية في البلاد والحمد لله أنتم بأنفسكم عشتم التاريخ (الشيخ عباسي)، وقد أصبحت الآن والحمد لله مسؤولا على حركة رسمية كحزب الله يبارك يمثل آلاف ومئات الآلاف هذا هو التقدم وأنا أقدره.

عباسي مدني: نحن بفضل الله اوقفنا الدورة الموفقة وجئنا لتقديم لائحة، هل السيد الرئيس مستعد أن يستقبلنا أم لا

آيت شعلال: في الوقت الحاضر؟ لا له التزامات سابقة.

عباسي مدني: التزامات توقف هذا الشعب ينتظر. آنظر سيدي تعرفون، بأن ارتجال الحكومة لهذه السياسة التي أشار إليها الآخ الكريم أوقف الزراعة وأوقف الحركة الإنمائية الإقتصادية وسيشل الحركة السياسية ثم هذه الحكومة لعل الرئاسة بريئة، ولعلها تكون في المستوى ونحن جئناكم وإذا بالرئيس غير موجود!! فما معنى أن لا يكون الرئيس هنا؟ إنكم تتحملون مسؤوليتكم.

آيت شعلال: حتى لا يكون سوء تفاهم، الرئيس له التزاماته فلا يمكن أن يكون هنا الأربعاء مساء ولا الخميس ولا الجمعة، فإن كان لديكم وثيقة تبلغونها له أهلا وسهلا، وبكل صراحة لم أكن أتوقع أن الشيخ عباسي سيأتي. قيل بأنهم مسؤولو البلديات وبأن لهم وفدا يبعثونه للرئاسة لتقديم لائحة يتفقون عليها في الإجتماع.

عباسي مدني: نظرا لخطورة الموقف تبلغ الرئيس بما يلي:

- الموقف خطير والوضعية خطيرة فالحكومة الحالية أدت البلاد إلى كارثة، وقف الحرث، عرقلة حل المشكلات، جهاز إداري رافض لإرادة الشعب وعلى كل حال نحن مازلنا مجتمعين اليوم وغدا إن شاء الله، فقدم له هذه اللائحة والرجاء أن تجيئوا قبل أن ينتهي الإجتماع

آيت شعلال: هذا ليس معقولا ياشيخ، أقول لك بأن رئيس الجمهورية غير موجود، أنا مستعد أن أقدم له توصياتكم أو شيئا مكتوبا الأمانة مستعجلة بناء على هذا اللقاء المبارك الذي جرى بيننا.

عباسي مدني: الأمانة ستحمل إليه ولكن لا بد من رد!!

آيت شعلال: رد رئيس الدولة؟ لابد من احترام بعض الأساليب، أساليب العمل، ولا يمكن أن يأتي إنسان ويقول لرئيس الدولة أن تجيبني، لرئيس الدولة أسلوب في الإجابة قبول مطالبكم، تصريح الخ. وأنا عندي يقين بأنه يأخذ بعين الإعتبار جميع الآراء.

عباسي مدني: وكيف نجيب نحن هؤلاء؟

آيت شعلال: هذا اجتماع حزبي وعلى مستوى حزبي.

عباسي مدني: هذا ليس اجتماعا حزبيا

رئيس بلدية عنابة: نحن لسنا حزبا فقط، نحن حزب ومن ناحية ثانية نمثل أمة ومن ناحية ثالثة نمثل حتى رئيس الجمهورية في أماكن عملنا نحن مسيرون ونمثله ولكننا نتأسف لهذا الموقف.

آيت شعلال: ياشيخ لا بد من دراسة اللائحة ويكون فيها جواب ونحن لا نتهرب من مسؤوليتنا فرئيس الجمهورية إذا قدمتم له شيئا فإن هذا الشيء يدرس وإن شاء الله تأتي الفرصة عن طريق اتصال مباشر أو بصفة رسمية. الحوار بيننا يستمر وينبغي أن يكون على أعلى مستوى لتوجد الحلول لجميع المشاكل.

الشيخ زبدة: لوسمحتم، هذه المعطيات في الحقيقة لا توفر مناخ الحوار فالدكتور عباسي مدني وهيئة المنتخبين للمرة الثانية يأتون إلى رئيس الجمهورية يحجم على مقابلتهم، هذه في الحقيقة لا تزيد القضية إلا نوعا من التباين.

آيت شعلال: أنا لا أشاطرك الرأي.

الشيخ زبدة: ولذلك أيضا لم أشاطرك الرأي، فالرؤساء عندما يسمعون بإن هناك حدثا في البلد يقطعون

زيارتهم من بلد إلى بلد ويأتي الرئيس إلى أبنائه ليتخاطب ويراهم فما بالك والرئيس موجود في البلد. يعني هل التزامه تكون فوق التزامات الأمة؟

آيت شعلال: نحن نتتبع باهتمام كبير الشيء الذي تعملونه ونعتبره عملا إيجابيا وبناء.

الشيخ زبدة: بل تعتبرونه لا شيء!!

رئيس بلدية المدية: تقولون إنه عمل حزبي-نحن تبعنا السلم الإداري التقينا بالولاة ثم بوزراء كوزير الداخلية والوزير المنتدب لدى... أين هؤلاء الوزراء؟ ماذا يفعلون؟ ثم ماذا قلنا للشعب عندما انتخبنا. قدمنا له برنامجا واليوم يجب أن نتداول طبقا لبرنامج مستمد من الشرع ثم يأتي موظف بقانونه الذي كما تفضل الشيخ وضعه نابليون يلغي باسم القانون .. أين القانون؟ إن القانون الذي سمح بوجودنا هو الذي يريد أن ينفينا ولقد قدمنا عينة من التجاوزات القانونية التي تقوم بها الدولة حاليا.

آيت شعلال: ومن ناحيتكم حتى رموز الجمهورية ليسوا محترمين، فماذا يعني نزع شعار من الشعب وإلى الشعب وهذا في الدستور؟

عباسي مدني: شعار من الشعب إلى الشعب تجعلونه مثل الآية؟ اللهم إذا أردنا أن نرجع إلى الجهل وإن شعار من الشعب إلى الشعب ليس له أية قيمة تاريخية!

آيت شعلال: إنها في الدستور.

عباسي مدني: وهل هي من القرآن؟

علي بن حاج: (بعد البسملة والصلاة على الرسول (ص)) على كل حال نحن عندما أتينا إلى رئاسة الجمهورية لم نأت فرادى وإلا ما كان هناك مبرر لتواجدنا في هذا المكان: نحن جئنا لأن من ورائناشريحة كبيرة انتخب عليها الشعب، عندما اختارها اختار الحل الذي تقدمه له فوجد إخواننا حالة مزرية للغاية لعلكم سمعتم بها في الصحافة، بقي التحقيق وهذا مسألة ثانية. هل يمكن لرجال البلدية أن نطلب منهم أن يخدموا الشعب وأن يقدموا أعمالا ونحن الذين نخنقهم كل يوم بسبب قوانين معينة وإضافة قوانين في جملتها تخالف الشرع وفي بعض الأحيان، القوانين التي وضعوها هم ينتهكونها، فلا قوانين الله أمسكوا بها ولا قانون الأرض أمسكوا به إذا؟

آيت شعلال: هذا لا يمكن أن نقبله ينبغي أن نكون صرحاء ونزهاء مع البعض!! **علي بن حاج:** نحن نظن أنه ليس حرصا منا على ملاقاة رئيس الجمهورية الآن ذلك في الحقيقة له مجال آخر من الناحية الفقهية والناحية الشرعية ولكن إذا كانت الأمور تتعلق بمصير أمة لا بد أن نلتقي به. إذا كان الرسول (ص) يوقف جيشا بأكمله ويقول لهم أحرصوا على هذه الكلبة حتى تضع ما عندها، هذه الأمة جاءت من شرق البلاد، وغربها وشمالها وجنوبها ووسطها ولا بد أن نلتقي به على الأقل ساعة، يلتقي فيها بهذه العينة إذا لم يردنا نحن كرجال حزب

فليتناقش مع هؤلاء.

آيت شعلال: لا، إنه يلتقي بكم ويحدثكم.

علي بن حاج: نحن نرى الفعل ونرى العراقيل كل يوم سبحان الله العلي العظيم عندما تأتي المداولات إلى وزير الداخلية وهي بإجماع من المجالس الشعبية يقوم بمنع هذا أو منع ذاك، فيقول لا، هذه مسألة وطنية!! إن الجبهة الإسلامية للإنقاذ (الفيس) تمثل أغلب الشعب وحتى ناحية القانون ينبغي أن نسير في طريقها.

نحن في الحقيقة اعتدنا منذ 27 سنة النقاش كثيرا في مثل هذه الأمور ونحن جئنا نقول هاهي المشاكل وهاهي لائحة. وهذه اللائحة يجب أن تصل إلى رئيس الجمهورية ولا بد أن يكون عليها جواب لا بد أن يجيب إما بالنفي أو بالإثبات. فهو حر على كل حال. ولكن حتى نتخذ نحن موقفنا.

آيت شعلال: نحن لا يمكن أن نتهرب من مسؤوليتنا وإذا كانت لكم لا ئحة بلغوها ولا بد من الإجابة عليها.. إذا كانت فيها أشياء مضبوطة فلا أحد يتهرب من المسؤولية، نحن حريصون وسنعمل جميع الإجراءات حتى نحترم القانون.

عباسي مدني: أسمح لي، هل الإنتخابات قانون أم لا؟ فإذا كان كذلك كيف يمكن لقدماء المجاهدين (الحقيقة أصحاب جبهة التحرير) تأتي ضد البلدية وتقول ننزع البلدية

آيت شعلال: هذا غير ممكن!!

عباسي مدني: نحن نوقف الشعب ونوقف الهلكى والحكم يتفرج ويعتبر هذا درسا. وقد عرفتم ما حدث في الطارف، إنهم يزعمون بأننا ضد مبادئ نوفمبر ونحن الذين أحيينا مبادئ نوفمبر ثانيا، إن السيد صعد لتعليق العلم وأنتم تعرفون هذا.

آيت شعلال: والله ماني عارف!

عباسي مدني: كيف لا تعرفون هذا؟

آيت شعلال: كل واحد أعطى رأيه.

عباسي مدني: البلاد كلها تعرف الحقيقة والضحية الثانية لا يزال على قيد الحياة، ولنفرض أن شخصا جاء لإنزال العلم هل يقتضي هذا قتله؟

آيت شعلال: ليس للقاتل الحق في هذا، هناك عدالة وينبغي أن يبدأ احترام القانون هنا.

عباسي مدني: بأي حق يمتلك مجتمعون في ولاية الاسلحة؟

علي بن حاج: الحقيقة أننا جئنا والإخوة ينتظرون في الخارج ونحن نقدم اللائحة ولم نجد رئيس الجمهورية؟

الهاشمي سحنوني: نحن لا نقبل أبدا أن يكون مصير هذه اللائحة، هو مصير اللائحة الأولى التي لم يكن عليها رد ولذلك فالآن نتفق على أن يكون الرد في مدة معينة.

آيت شعلال: هذا والله ليس أسلوبا، وليس معقولا.. وينبغي أن نتعاون.. إن صلاحيات الرئيس لا تخول له الكلام في مثل هذه الأمور. لأن هذا من اختصاص الحكومة.

عباسي مدني: إذا كانت الحكومة فنحن نسحب ثقتنا منها، لقد جئناكم من قبل وقدمنا لكم أشياء ولم تعملوا شيئا.

آيت شعلال: لا، قمنا بأعمال.!

عباسي مدني: ربما قمتم بأعمال ولكن الحكومة لم تطبق.

أيت شعلال: لقد تكلمتم لنا عن مرتبات رؤساء البلديات وقد اتخذ قرار بتسديد مرتباتكم أما الإنتداب ففيه مشكل وقد وضع القانون في أفريل أي قبل الإنتخابات.

عباسي مدني: كيف يمكن لبلدية كبلدية الجزائر أن يسيرها واحد؟ اللهم إلا إذا حولتم سلطة البيروقراطي على المسؤول!!

رئيس بلدية عنابة: إننا نسجل يوميا، المئات من الفقراء الجدد الذين هم في حاجة مستقبلا إلى السميد لكي يعيشوا والشباب يتسكع في الطرقات والعتاد الذي اشترته الحكومة الموقرة لتشغيل هذا الشباب أخذه فلان أو فلان والحكومة على علم والشرطة على علم، كل الناس على علم وليس هناك من يحرك ساكنا ونحن مستعدون أن نضيف لك المئات من المشاكل وأمام هذا كله من المستحيلات وأنا متأكد أن الدولة والحكومة على علم بهذا. ونعلم مسبقا بأن رئيس البلدية من المستحيل أن يواجه هذه المشاكل بالإضافة إلى أن رئيس الجمهورية والدولة والحكومة تعلم علم اليقين بأن الفساد في الإدارة ضارب أطنابه من رشوة ومحسوبية وأنها لم تملك ولم تعمل ولم تتأخر ولم ترث وبنت قصورا وشيدت فالشعب متذمر وهو في حاجة إلى عمل وإلى سكن إلى حل مشاكله وإلى نظافة.. الخ. ويظهر لي أمام هذه المشاكل ككل من الواجب على الدولة كي تهتم بهذه القضية وفي أقرب الآجال لأن المستقبل غير مضمون.

علي بن حاج: احترموا الأمة!! هل أنتم أفضل من الرسول (ص)، الذي كان يلاقي جميع الناس، هل أنتم عمر رضي الله عنه، أفضل من أبي بكر، أفضل من هؤلاء الصحابة الذين كانوا يباشرون القضايا بأنفسهم، هناك من يبيت في الكهوف والحمامات، أنا أقول والله لو تأتوا بسكان القصبة وتسكنوهم بالرئاسة لا صارت الأمور لابأس.

آيت شعلال: نحن مسؤولون وهذه المسؤولية أخذناها منذ مدة.

عباسي مدني: على أي حال لقد وعدتم بالإجابة ونتمنى أن تكون الإجابة ايجابية وبودنا أن تكون في مستوى الحدث، وفي مستوى الأمة، وبودنا أن نجنب أمتنا كل خطر.

آيت شعلال: فقط لا نستعمل أسلوبا معينا.

علي بن حاج: نحن نستبشع الألفاظ ولانستبشع الأعمال!! اسمعوا كلام رؤساء البلديات لتعرفوا ماذا يحدث.

عباسي مدني: الحمد لله لقد تم بتوفيق من الله دراسة أهم المشكلات واستقراءها على مستوى الساحة القاعدية بكل موضوعية واجتمع خيرة الأمة من منتخبيها واتفقوا على لائحة تقدم للرئيس.. قدمت باعتبارها

إنها ليست طرفا ولم تقدم إلى الحكومة باعتبارها أنها طرفا واسمحوا لي أن أعطيكم بعض النقاط والرجاء أن تبلغوها للرئيس:

إن اختيار اقتصاد السوق دون اتفاق(..) وأن قضية الأرض لأهلها في ظروف غير واضحة دون أن يرفع للآخرين أيضا حظهم منها أو مقابلها مما أوقف استغلال هذه الأرض وفي مثل هذا العام من الجفاف قد تعرض البلاد إلى مجاعة. وإن إرتجال تشغيل فكرة الشباب بدل تعيين قسط منهم للإستثمار موزع على البلديات والولايات يجمع فيفيد، ويفوق فيضيع. إن موقفا ارتجاليا من الحكومة دون أن تستشير هذه القاعدة المنتخبة زادت من المضايقة، لابد من التشاور ولابد من التعاون لأن التعاون والتشاور يزيدنا تكاملا لنحقق الاصلاح المرجو في وقته على أحسن ما يرام. بناء على هذه النية المتفق عليها وبناء على هذه المبادىء نحن جئناكم بهذه اللائحة فتفضلوا قدموها إلى رئيس الجمهورية الجزائرية الموقر وبلغوه عميق اسفنا على عدم استقبالنا في مثل هذه الظروف الحرجة وفي مثل الموقف الذي تأتي فيه ثلة من المنتخبين ولأول مرة في التاريخ. لعل الجزائر في هذا الموقف برهنت على أن شعبها أكثر نضجا حتى من النظم الحديثة حيث نرى أن السلطة المحلية لأول مرةتجمع نفسها وترقى إلى حل المشكلات الحقيقية، ان الله يشهد أن القاعدة القيادية أثبتت نضجها بينما وجدت تثبيطا بعدم استقبال الرئيس لها نشكركم.

آيت شعلال: إن موقف الرئيس ليس ضد ودائما وأبدا نحن مفتوحون للحوار على أسس صحيحة وواضحة ونزيهة وعندنا هذه القاعدة هي القاعدة القانونية وأنا استطيع أن ألتزم أمامكم أن القانون يحترم من طرف الحكومة ولازم يحترم أيضا من جميع الأطراف.

عباسي مدني: إن شاء الله جاء قادما عهد الشرع. كما اجتمعنا في المسجد(صلاة العصر) نجتمع في البرلمان.

12 - حي على الجهاد؟!

ماذا يريد الفيس في "زمن" حرب الخليج؟! تساءل المحللون حينذاك. الشاذلي وبقية أطراف سياسية قالوا أنه يلعب على الوتر الحساس والوضع المشحون ليستولي بمفرده على السلطة.

الفيس رد على التهمة بقوله على لسان رجله الأول «نريد أن نكون كما كنا في الماضي قوة عسكرية واقتصادية ليس إلا» وعلى لسان الرجل الثاني على بن حاج «لانريد السلطة.. نترك لكم الكراسي.. نريد الجهاد، الجهاد فقط وملاقاة الله».

* رئيس الجمهورية يلوح بالعصا الغليظة

"جاء ليضع النقاط على الحروف "هكذا علق أحد المحللين على خطاب الرئيس أمام المجلس الشعبي الوطني، حاول أن يكون رقيقا في شرح الموقف الجزائري الرسمي من حرب الخليج وصارما في توجيه رسالته إلى قادة الفيس الذين طالبوا بضرورة إنشاء ميليشيات "تسمح بالإستعداد للوقوف أمام أي عدوان صليبي" كما صرح

بذلك الناطق الرسمي الأول للفيس.

أحد المسؤولين في حكومة حمروش آنذاك اعتبر دعوة الفيس بإنشاء ميليشيات خطرا على أمن البلاد وعلى مستقبل المسار الديمقراطي الوليد، بل رأى ذلك تناقضا صارخا في خطاب الفيس الذي دعا بالأمس إلى التقليل من الإهتمام بالقطاع العسكري واليوم ينادي بفتح مراكز تدريب «شعبية»

علي بن حاج اعتبر ذلك تخاذلا وخوفا من الأمريكان وقال «إننا سنتدرب برغم أنف الشاذلي» الناطق الرسمي الأول في الفيس رد على أسئلة الصحافة بابتسامة توحي بالثقة إثر محادثته مع وزيري الدفاع والداخلية «نحن واثقون بدعم الحكومة لخطنا هذا» لكن سرعان ما تحولت هذه الإبتسامة الواثقة إلى تقطيبة غاضبة بعد رسالة الرئيس التي وجهها إليهم من على منبر المجلس الشعبي الوطني.

«ماذا يخبئ الفيس للرئيس» تساءل البعض بعدما لوح رئيس الجمهورية بالعصا الغليظة.

الفيس نادى إلى مسيرة احتجاجية تنطلق من ساحة الشهداء. الأوراق بدأت تظهر على الطاولة. أصوات لعدد من الأحزاب والشخصيات السياسية شرعت تمهد إلى نوع من التكتل ولو غير الرسمي والإتحاد في صف بعيد عن الفيس، قريب من رئيس الجمهورية. في الكواليس حديث عن الجيش في حالة استنفار قصوى، خطابات كثيرة تغيرت لهجاتها تجاه السلطة، رفع شعار الوحدة، لم يقتصر هذا على التيار الديمقراطي والوطني بل مس ذلك حتى دائرة فصائل التيار الإسلامي الأخرى وعبر عنه بوضوح كل من زعيم حزب الأمة بن يوسف بن خدة وزعيم حركة حماس محفوظ نحناح.

تساءل البعض لماذا كانت رسالة الرئيس متصلبة على هذا النحو؟

بعض المحللين أجابوا بأن الرسالة الموجهة للفيس كانت متصلبة، لأن الشاذلي بن جديد كان يحمل في جعبته بعض الأوراق التي تجعله منه في موقع قوة.

1) أن الخيط الذي كان يجمع بين الفيس والسعودية كحليف مادي ومعنوي قد تقطع بعد المواقف المتجذرة التي تبناها الفيس إزاء حرب الخليج تحت تأثير ضغوط الشارع.

2) لم يبق للفيس إلا رفع شعار الجهاد، بصورة غامضة ليكسب الشارع كورقة ضغط تسهل له السبيل إلى السلطة، وهذا رهان صعب مادامت الحركة الإسلامية منقسمة من جهة، ومن جهة ثانية لا تزال جبهة التحرير إلى جانب، القوى السياسية الأخرى تشكل في معظمها في اللحظات الحرجة باسم الدفاع على الوحدة الوطنية ومستقبل المسار الديمقراطي، كتلة واحدة لها وزنها في المواجهة السياسية للفيس

3) امتلاك السلطة للجيش كقوة منظمة وإلى حد بعيد منسجمة والخطاب الرسمي أداة للردع في حالة استنفاذ السياسي.

* الفيس كان في الموعد لكن..

الخميس 31 يناير 1991

هذه المرة لم يختر الفيس الجمعة لمسيرته، بل اختار صبيحة الخميس.. كان يوما ممطرا، لكنه كم كان ربيعيا

عندما لم يحدث ما كان متوقعا ولم تمتزج فيه سيول المطر بسيل الدماء.

على الساعة الثامنة صباحا، جموع المناضلين بدأت بالتوافد، حلقات هنا، وحلقات هناك.. الأصوات تدوي «لا إله إلا الله، الله أكبر، نصر عبده وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده»

مناضل من باتنة يتجاوز الخميسن بقليل، ذو لحية مظرفة، يرتدي معطفا عصريا، يتلو نشيد فتح مكة والجمع يردد خلفه، وعلى بعد خمسين مترا، شاب يتجاوز الثلاثين بسنتين على أكثر تقدير، ملتحي هو الآخر، أردف في الجهة العلوية، يردد والجماعة خلفه تراتيل الجهاد.. وعلى بعد مائة متر تقريبا شاب آخر، قوي البنية، كثيف اللحية ينادي «ياأهل قسنطينة، ياأهل قسنطينة»

البعض الآخر يقرأ الجرائد الصباحية، أو يتناول فطور الصباح، أو مرتكنا لوحده أو مع بعض المناضلين يحللون الوضع ويتساءلون بشيء من الإستخفاف والثقة بالنفس هل ستكون فيما بعد مواجهة مباشرة مع قوات العسكر.

كانت الساعة تشير إلى الثامنة والنصف صباحا عندما سألت أحد المناضلين الآتين من المدية عن الغاية من مشاركته، ابتسم وبعد البسملة قال "جئنالنثبث أن الشاذلي في واد وأن الأمة في واد أخر"

على الساعة العاشرة وخمس دقائق بدأت المسيرة بالتحرك تجاه ساحة أول ماي. لماذا أول ماي وليست الرئاسة.؟!

عباسي مدني في رده على هذا التساؤل قال "لم نختر ساحة أول ماي تحت أي ضغط ولايعيقنا أي شيءيوم نقررالسيرباتجاه الرئاسة"

الوفود كلها هنا.إشارة الإنطلاق أعطيت. رايات ولافتات كثيرة. كتب على بعضها لاإله إلاالله محمد رسول الله، ورسمت على بعضها سيوف مختلفة الأشكال.

شعارات أخرى رفعت "الجهاد ماض إلى يوم القيامة"، "الشاذلي لايمثل إلا نفسه"، "القضية الفلسطينية فرض عين على كل مسلم "، "الحل الفوري للمجلس الشعبي الوطني"، ثم إنطلقت الهتافات "خيبر خيبر يايهود جيش محمد سيعود"، "لاإله إلاالله الشاذلي عدو الله"، "الجهاد، الجهاد"، "دولة إسلامية"...

- على الساعة العاشرة و15 د إلتحق عباسي مدني رفقة علي بن حاج وزبدة بن عزوز، والهاشمي سحنوني ومحمد السعيد بالمسيرة..وعلى الساعة الحادية عشر و30 د بدأ قادة الفيس بإلقاء خطبهم المنتظرة. علامات تعجب وتساؤل كثيرةأثارها الملاحظون وهي كالتالي:

1- وعد عباسي أن يأتي بالأمة لتقول لا للشاذلي وعلى أقل تقدير يكون تعداد هذه،مليوني مشارك في المسيرة، وإذا بعدد المشاركين يشكل أضعف نسبة بالمقارنة لأية مسيرة كان قد قام بها الفيس.

2- كيف سيكون سلوك الفيس فيما بعد إثر هذا <<الفشل>>السيا سي الذي سجل عليه

3- لقد إعترف الفيس صراحة بعجزه في تكوين ميلشيات أمام تصلب السلطة. فكيف سينعكس ذلك في المستقبل القريب على مصداقية خطابه على المستوى الداخلي؟

شكرا للجيش، تبا للشاذلي.

قبل دقائق من إلقاء الخطب. علقت أعلام دول الحلفاء على الجسر وتزامنت عملية حرقها بالأصوات المدوية "الله أكبر. الله أكبر"وفي تلك الأثناء وصلت حالة التهيج إلى أقصاها حيث أغمى على كثير من المناضلين.

كان يجلس في المنصة الصغيرة المزينة بالعلم الجزائري والعراقي كل من عباسي وحاج محمد السعيد والهاشمي سحنون وزبدة بن عزوز من المنبر وضع على رأسه قبعته الروسية وقال"في الحقيقة لم أكن مبرمجا لأتحدث إليكم بل إني اقحمت لأتكلم" واعتبر النظام هو الذي يشوه اليوم الحقائق الناصعة، ويجعل العراقيل أمامنا، ،يلوح بالتهديدات"وأرى أن الحرب في الخليج هي معركة النصارى واليهود ضد الإسلام والمسلمين"

أما بالنسبة لعباسي وبن حاج وسحنوني فقد كان موقفهم خاليا من كل نقد أوإنتقاد للجيش بل ذهبوا إلى حد التفاخر بماضيه واعتباره جزءا منهم ونصحوه من مغبة تكرار مأساة أكتوبر ومن مغبة استعماله من طرف "الذين لا يريدون له الخير"أما عباسي فقد إعتبر الشاذلي بن جديد "طاغية لا يفي بوعوده"أما الهاشمي سحنوني فنصحه بالتوبة وبالنسبة لعلي بن حاج"فا لشاذلي لايمثل إلا نفسه"وإذا كان حقا يمثل الأمة فلم تنقصه الجرأة ليواجه الأمة مثلهم بذل أن يذهب "إلى مجلس خائن"لا يعترف به أحد على حد تعبير علي بن حاج.

عنصران ظهرا في خطاب الفيس هذا الخميس. الأول في قول عباسي مدني"لم نأت اليوم لنحتل الرئاسة ويوم نقررنذهب إلى هناك" والثاني في قول علي بن حاج"نحن إرهابيون بالمعنى المستمد من القرآن والسنة"

13-زوبعة الدم والتمويل

من جديد قضيتان ستطرحان على الساحة الإعلاميةوالسياسية في الجزائر، الأولى قضية الدم والثانية قضية تمويل الفيس.

قادة الفيس اعتبرواذلك حلقة من حلقات الحرب النفسية التي تشنها عليه السلطة بمساعدة أجهزة الإعلام وبعض الأحزاب الديموقراطية واللائكية للانتقاص من قيمته ومن مصداقيته وتشويهه لدى الرأي العام الوطني.. فأين خيط الحقيقة من المناورة السياسوية من كل هذا الصخب؟

في الأيام الأخيرة من حرب الخليج ظهر عباسي مدني على الشاشة، في حصة حوار الأسبوعية، اللهجة التي ظهر بها الشيخ هذه المرة، لم تكن مثلما كانت عليه قبل حرب الخليج، تلك اللهجة التي طالما اشتهر بها عباسي مدني، لهجة المرونة والمراوغة والعمومية والإعتدال" لقد كانت لهجة واضحة حادة وعنيفة ومباشرة في اتهاماتها وكما أنها كانت أيضا التعبير الحالي والمكثف عن أول خطوة في المواجهة، مواجهة النظام الحاكم.

السلطة تريد تدجينهم، ووضعهم مع باقي الأحزاب المنعدمة الشعبية وسلطة التأثير والعناء في حظيرة واحدة، عباسي مدني متيقن من هذا المنطق ومساره، بل تسعى إلى إذلالهم لو وجدت الطريق سانحا إلى ذلك.

الوضع الداخلي للحزب على مستوى القمة لا يدعو إلى الإرتياح، أعضاء من مجلس الشورى أبدوا صراحة

معارضتهم للخط العدائي السافر الذي تبناه الحزب ضد السعودية، مجاراة لعواطف الشارع المتقلبة والزائلة، إن هذا التبني للخط المعادي للسعودية، والمؤيد بصورة انتهازية وعاطفية لنظام صدام حسين، عدو الأمس، اعتبره بعض أعضاء مجلس الشورى سلوكا ينم عن "الإرتجال واللامسؤولية" من جهة وعن "مؤشرات خطيرة توحي "بالإنفراد في اتخاذ القرار والديكتاتورية"

ونشط هؤلاء بصورة سرية في عدم انجاح المسيرة الإحتجاجية التي شنها الفيس في 31 يناير 1991، والتي كان مخططا لها أن تتجه رأسا إلى رئاسة الجمهورية، بدل ساحة أول ماي، بعد تحذير سلطات الجيش الصارم لبعض قادة الفيس" فتلك المسيرة الإحتجاجية في نظر الجناح المعارض لعباسي، وهو متكون أساسا من أعضاء المدن الداخلية. والمنتمين سابقا إلى جماعتي الجهاد، وجماعة بويعلي.

عباسي وجد نفسه أمام ضغط مزدوج، الأول من السلطة التي تسربت إليها المعلومات حول هذا التذمر الداخلي، والثاني هذا التذمر الداخلي الذي كان أعضاؤه يهددون بإخراج الصراع إلى العلن.

في هذا الجو فجر عباسي قنبلة، عندما اتهم السلطة بتحويل الدم الجزائري الذي كان موجها إلى العراق إلى فرنسا. الشيخ لم تكن بين يديه الأدلة القاطعة على ذلك" لكنه مع ذلك غامر خلال حصة "حوار" أن يذهب في خط المواجهة مع النظام إلى أقصى حد.

الهلال الأحمر الجزائري يعقد ندوة صحفية يتهم عباسي مدني بالقذف، وبالإدلاء بمعلومات لا أساس لها من الصحة لتتحول القضية فيما بعد إلى المحكمة.. وهنا ضربت السلطة ضربتها القوية من أجل الحط من مصداقية الفيس، وكانت هذه القضية في جوهرها سياسية أكثر منها قضائية..

وفي عددها150 المؤرخ بـ 30 مارس 1991، تفجر جريدة «الوطن» القضية الثانية، بعنوانين مثيرين على الصفحة الأولى «إتهامات خطيرة سعودية» و«هل اخترق الفيس القانون؟»

في عددها القنبلة تعتمد الجريدة على تصريحات الأمير سلطان بن عبد العزيز، النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء السعودي ووزير الدفاع، الواردة بيومية «الشرق الأوسط» الصادرة بلندن، والسعودية الإتجاه.

التصريحات تشير صراحة إلى أن السعودية كانت تمول الحركات الإسلامية وقياداتها، لكن بعض هذه الحركات لم تكن في مستوى الثقة، عندما آختارت أن تقف في حرب الخليج إلى جانب العراق، وذكر وزير الدفاع السعودي من بين هؤلاء، حسن الترابي زعيم الحركة الإسلامية في السودان، وراشد الغنوشي زعيم النهضة في تونس، وعباسي مدني زعيم الفيس في الجزائر» أهداف مساعدتنا لهذه الحركات يقول وزير الدفاع السعودي (دائما حسب الجريدة) كانت «من أجل أن يضمن للجماهير ثقافة إسلامية» لكن قادة هذه الحركات استغلوا هذه المساعدات لأغراض سياسية. وتعتبر جريدة "الوطن" أن هذه التصريحات خطيرة جدا، وإذا ما ظهرت أنها صحيحة فمثل هذه العلاقات تمس بالسيادة الوطنية ومستقبل المسار الديمقراطي في الجزائر. وتضيف الجريدة مذكرة بأن قانون الجمعيات ذات الطابع السياسي يمنع هذه الأخيرة من قبول منح أموال من طرف حزب أو حكومة أجنبية لتنتهي بالحكم التالي، أن الفيس قام باختراق القانون. وتطلب في الأخير من السلطات المعنية أن تفتح

ملف التحقيق حول هذه القضية. وحول موقف عباسي من هذه القضية المثارة تورد "الوطن" مقتطفات من حديث توجه به زعيم الفيس أمام مناضليه بمسجد "النصر" حيث نفى هذه الإتهامات واعتبرها حلقة من مسلسل الكذب والتشويه الذي يشن ضد حزبه من أجل التقليل من قوته ومصداقيته.

وفي عددها120 بتاريخ 30 مارس 1991، وتحت عنوان «الفيس والسعودية» لافتتاحيتها، تتأسف يومية الجزائر الجمهورية لعدم أخذ قضية تمويل الفيس بالجدية المطلوبة من طرف السلطات المعنية، بسبب النقاش الدائر داخل المجلس الشعبي الوطني حول مسألة تعديل قانون الإنتخابات. تعلق الجريدة على قول وزير الدفاع السعودي بصدد نواياه الخيرة في مساعدة الحركات الإسلامية، بأنه مثير للضحك لكنه في نفس الوقت يعتبر إجراميا. تضيف بأن المساعدة السعودية للإسلاميين، ومن بينهم قادة الفيس لم تكن تخدم في جوهرها إلا المصالح الأمريكية، ثم تدعو الجريدة قراءها العودة معها إلى الوراء، مذكرة أياهم أن خلال الأيام الأولى من الحصة التلفزيونية «لقاء الصحافة» قد أشار أحد الصحفيين إلى العلاقة بين الفيس والسعودية في مجال المساعدة المادية، لكن عباسي نفى كل مساعدة وأشار أن تواجده بالسعودية في تلك الفترة كان بسبب أدائه العمرة، وأيضا ذكرت التجمع الذي كان قد أقامه الفيس بمدينة ورقلة حيث قال علي بن حاج قولته الشهيرة في صدام عندما وصفه بالهدام، وأشارت أن عدداً من المناضلين كانوا يحملون رايات سعودية.. ثم عددت الجريدة «مسلسل العنف» الذي تميز به هذا الحزب عن غيره ومعاداته للسلوكات الديمقراطية لتنتهي إلى الإشارة بعد الصخب الذي أثاره رفضه لمشروع القوانين المعدلة ركن إلى الصمت مباشرة بعد الحوار الذي أجرته جريدة «الشرق الأوسط» مع وزير الدفاع السعودي، وذهبت الجريدة إلى حد وضع الفيس ضمن التيار التابع لأمريكا والمعادي للعراقيين والفلسطينيين!!

14 - القانونان اللذان كسرا الكأس..

قانونا الإنتخابات والتقسيم الإنتخابي لم يفيضا الكأس، بل كسراها لقد اعتبر عباسي مدني مصادقة المجلس الشعبي الوطني خيانة كبرى في حق الأمة نظرا "لما فيهما من حيف وزور وشطط" ويعلق عباسي مدني على الطريقة التي قدم بها تعديل قانون الإنتخابات قائلا «هذه الطريقة عبر عنها رسميون فقالوا: لسنا مستعدين لكي نتخلى عن السلطة بسهولة وهو مايتناقض مع المادة 44 من الدستور، ومعنى هذا أنهم لم يعتبروا القانون ولا الدستور إلا ما ناسب بقاءهم الرسمي على الكرسي بقطع النظر عن أضرار ذلك بالمصالح العليا للبلاد» وفي نظر الناطق الرسمي الأول في الفيس فمعنى ذلك «أن الأزمة السياسية زادت تعقيدا بظهور عدم صدق نية من الحكم والتصريح بعدم استعدادهم لتركها للشعب في الإختيار... إن هذه الظروف تجعل انتخابات رئاسية مسبقة من ضروريات الحل السياسي الجذري أو تبقى البلاد في حلقة مفرغة لا يمكن الخروج منها إلى الأبد»

نبقى في حلقة مفرغة؟!

هذا التحذير لم يزد حكومة حمروش السابقة إلا عنادا وتعنتا، فبدل التريث أعلنت عن ترشيح حوالي 17 وزيرا للإنتخابات التشريعية وحمروش على رأسهم.. وليس هذا وحسب، بل يذهب رئيس الحكومة السابق إلى حد استفزاز حركة الإسلاميين (الفيس خاصة) عندما يصرح «إن قناعتي الشخصية هي أنني لو لمست لحظة ورأيت في هذه الحركة ما يمثل عملا عميقا وقويا وناجعا لصحوة إسلامية حقيقية لما تأخرت في أن أكون من مناضليها لكن الواقع أن هذه الحركة.. أصبحت تشكل تهديدا حقيقيا وتعطل مسيرة التحول لنهضة حقيقية جديدة أصيلة ومعاصرة»

بعد حوالي شهرين من هذا التصريح، وقبيل الشروع في الحملة الرسمية للإنتخابات التشريعية بأيام «فاجأ» الفيس السلطة بإعلانه الإضراب لمدة غير محدودة.

هل هي مغامرة أم مناورة؟ تساءل البعض..

وبقدر ما كان التساؤل يدعو إلى الحيرة والقلق، فإنه أيضا يدعو إلى التأمل الهادئ في المسار الصعب للإسلاميين، هذا الذي خرج من معطفه المسمى "فيس" أو بتعبير فصيح الجبهة الإسلامية للإنقاذ.



الإسلاميون الجزائريون:

المسار الصعب

2 - المسار الصعب

1) مسارات الرجال

* الشيخ العرباوي الإمام المعارض.
* مصباح الشيخ مبارك.
* عبد اللطيف سلطاني الزيتوني الراديكالي.
* مالك بن نبي: الفدائي المنعزل.
* عباسي مدني: نحو دولة إسلامية بزسلوب براغماني.
* علي بلحاج: أو الميثالية الثورية.
* محفوظ النحناح: رجل الشوراقراطية.
* جاب الله: الوجه النخبوي للحركة الإسلامية.
* مصطفى بو يعلى: الوجه الجزائري للإسلام المسلح.

2) الإسلاميون وإنتفاضة أكتوبر

موقف جماعة الجزأرة.

2- المسار الصعب.

في السبعينات فقط كان الكثير من الأجانب والعرب ينظرون إلى الجزائر على أنها دولة فرنكفونية لائكية، ويسارية.. وبعد أقل من عشر سنوات كان هؤلاء في حيرة من أمرهم أمام الظهور الصاخب للمعارضة الاسلاموية التي انتقلت من ميدان الدعوة والاحتجاج الكلامي إلى ميدان المواجهة المسلحة.. ثم تمضي سنوات قلائل، ويحدث الانفجار البركاني الذي هز الجزائر في خريف 1988، فتظهر من جديد الجماعات الإسلاموية وبقوة هذه المرة على رأس المسيرات الكبرى التي عرفتها شوارع العاصمة، رغم أنها لم تكن هي من وراء الاحداث، لكن نظرا لفراغ الساحة، الذي نتج عن ضعف فصائل المعارضة الديمقراطية واليسارية، وجد الاسلاميون أنفسهم في قلب الشارع بدون منازع...

وغداة الانتخابات المحلية، أي بعدما دخلت الجزائر مرحلة التعددية الحزبية تتجدد المفاجأة بحصول الاسلاميين على أغلبية الأصوات «وكثر بعد ذلك اللغط والتأويل.. وأيضا الشيء الكثير من التساؤلات، عن هؤلاء الاسلاميين، وعن خلفيات حركتهم التاريخية، وطبيعة نشاطهم ومشروعهم السياسي وأهم اتجاهاتهم ورجالاتهم» وباختصار التساؤل حول ميكانزمات مسارهم الكبير الذي جعل منهم اليوم في زمن التعددية أهم قوة سياسية يحسب لها ألف حساب.

يذهب البعض إلى أن الاسلاميين ليسوا بالظاهرة الجديدة، وليسوا بوليدي اليوم، أو نتاج حركة الاخوان التي أسسها حسن البنا بمصر، أو نتاج قيام الثورة الايرانية وسقوط الشاه «بل أن ماضيهم (الاسلاميون الجزائريون) يرجع إلى أول مقاومة فريدة من نوعها في العالم الاسلامي، قادها المجاهد الأمير عبد القادر، منذ 1830، أي غداة الغزو الاستعماري الفرنسي للجزائر» وهذه المقاومة كانت من صلب العمل الاسلامي الاصيل، ويقول الشيخ محفوظ نحناح في هذا الشأن، «لعل العمل الاسلامي في الجزائر يتمثل في أول رجل حمل السلاح مجاهدا لإعلاء كلمة الإسلام وصد العدوان الفرنسي على الجزائر وهو الأمير عبد القادر الذي وقف كالطود الأشم أمام غزو مركز كان يستهدف القضاء على الاسلام واللغة العربية والإبادة الفردية والجماعية للإنسان الجزائري المسلم»، كما يذهب عبد الكريم لمشيسي في كتابه «الاسلام والنشاط الاحتجاجي في المغرب العربي» الصادر عن دار هارماتان، باريس، عام 1989 إلى أن نشاط الاسلاميين اليوم لديه خلفيته التاريخية في ذاكرة حركة المقاومة الشعبية، والحركة الوطنية» فحسب عبد الكريم لمشيسي فغداة استيلاء الاستعمار الفرنسي على الجزائر، الاسلاميون المنظمون في الزوايا وعلى رأسهم الأمير عبد القادر، ابن زاوية القادرية، هم الذين اعلنوا الجهاد، وحتى وإن كان بعض هذه الزوايا لعب دورا سلبيا تجاه الجهاد، وبالتالي أضفى الشرعية من خلال بعض «العلماء الذين تعاملوا مع السلطة الأجنبية» ونتج عن ذلك تقسيم البلاد وسهولة سقوط بعضها بين أيدي المستعمر، مثل سقوط قسنطينة عام 1830، غزو الجنوب في 1847 - 1854، خسران الأمير عبد القادر لمعركةوادي ايسلي في 14 أوت 1843، الهجوم على القبائل

لكن مع ذلك استمرت المقاومة فيها، بإسم الاسلام، في شكل انتفاضات وثورات شعبية، مثل انتفاضة بومعزة 1845، وثورات القبائل 1858 - 1860،ثم 1871، والأوراس 1859 - 1879، والثانية التي دامت من 1881 إلى 1883، والحضنة 1860، والجنوب الغربي 1864 - 1865 وتلمسان 1911 ..

أما المرجع التاريخي الثاني للإسلاميين، فهو بدون منازع أو غموض يتمثل في جمعية العلماء الجزائريين، ورئيسها الشيخ عبد الحميد بن باديس، ثم خليفته المخضرم الشيخ البشير الابراهيمي.

1 - مسارات الرجال

عبد الحميد ابن باديس

حسب مذكرات، المؤرخ توفيق المدني، في الجزء الثاني من كتاب «حياة كفاح» فقد ولد عبد الحميد بن محمد بن المصطفى بن مكي بن باديس في ليلة الجمعة الرابع من شهر ديسمبر عام 1889 في مدينة قسنطينة، وكان الولد البكر لوالديه.. أما والده فهو السيد مصطفى بن مكي بن باديس من حملة القرآن، ومن أعيان قسنطينة، وكان عضوا بالمجلس الجزائري الأعلى والمجلس العمالي لعمالة قسنطينة، كما أنه كان أيضا نائبا عن مدينة

قسنطينة.. وأما والدته فهي السيدة زهيرة بنت علي بن جلول، وهي من أسرة ارستقراطية وثرية متعلمة.

ويقول توفيق المدني عن شهرة عائلة ابن باديس أنها وصلت إلى المغرب العربي كله «فقد لعبت دورا كبيرا في تاريخ المغرب الاسلامي سياسيا، وعلميا، ودينيا، ومنذ القرن الرابع الهجري، وتولى افراد منها السلطة فيه بعد انتقال مقر الخلافة الفاطمية من القيروان عاصمة افريقيا والمغرب الأوسط إلى مصر في القرن الرابع الهجري، فقد أسند الخليفة الفاطمي «المعز لدين الله» السلطة على افريقية والمغرب الأوسط إلى الجد الأول لأسرةابن باديس، وهو الأمير «بلكين بن زيري بن مناد» المكنى بأبي الفتوح والملقب «سيف العزيز بالله» وهو من قبيلة صنهاجة الأمازيغية» . ومن رجالات هذه الأسرة يضيف المؤرخ الفقيد توفيق المدني « المشهورين في التاريخ الذين كان يحلو للشيخ عبد الحميد بن باديس أن يفتخر بهم كثيرا (المعز لدين الله بن باديس) الذي عمل قبل نهاية حكمه على انفصال المغرب الاسلامي سياسيا ومذهبيا عن الخلافة الفاطمية بمصر، وحارب الشيعة الرافضة في إفريقية والمغرب الأوسط وقتل دعاتهم في سائر بلاد افريقيا كما يقول ابن خلدون. وأخذ يحمل الناس على اعتناق المذهب المالكي السني، ونبذ المذ هب الشيعي الرافضي وقد نفذ هذا الانفصال بالفعل في حدود عام 443 هجرية على الارجح وأصبح يدعو من على منابر افريقيا إلى الخليفة العباسي في بغداد (القائم بأمر الله) بدل الدعوة إلى الخليفة الفاطمي بالقاهرة كما كان العمل عليه جاريا في السابق» وفيما يتعلق بتعليم عبد الحميد ابن باديس، فقد كان مثله مثل أبناء جيله، تربى على الطريقة التقليدية.. حفظ القرآن وهو لا يتجاوز 13 سنة، ونظرا لأعجاب المؤدب به، قدمه لأمامة المصلين في صلاة التراويح في شهر رمضان ولمدة بلغت ثلاث سنوات متتالية في الجامع الكبير بقسنطينة.

في 1903، «اختار له والده أحد علماء مدينة قسنطينة، (حمدان لونيسي)» فلقنه العلوم الإسلامية، وقواعد اللغة العربية، وفي 1904، كان يبلغ عبد الحميد بن باديس 19 سنة، سافر إلى تونس قصد استكمال تعليمه الثانوي والعالي بجامع الزيتونة، حيث قضى به 4 سنوات، نال في نهايتها شهادة (العالمية) وذلك عام 1911 - 1912، وكان عمره آنذاك 23 سنة، ثم أمضى عاما آخر مدرسا في جامع الزيتونة.

وعن الأساتذة الذين تتلمذ عليهم مؤسس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين يقسمهم الدكتور تركي رابح إلى قسمين، فالقسم الأول هم الأساتذة الذين تتلمذ عليهم بن باديس مباشرة وفعلا، ويذكر الدكتور منهم الاساتذة التاليين:

1) الشيخ محمد المداسي وهو أول معلم لابن باديس.

2) الشيخ أحمد أبو حمدان الونيسي، وهو الأستاذ الذي لقنه الدراسة في الابتدائي، في مادة اللغة العربية والثقافة الاسلامية، بقسنطينة قبل سفره إلى تونس.

3) الاستاذ محمد النخلي القيرواني، الأستاذ بجامع الزيتونة وأحد زعماء النهضة الفكرية به.

4) ذ محمد الطاهر بن عاشور، الاستاذ بجامع الزيتونة وباعث النهضة بالجامع الأعظم.

5) الاستاذ محمد لخضر بن الحسين الذي درس عليه. قبل أن يشد بن باديس الرحال إلى تونس.

6) الاستاذ محمد الصادق النبيخر الاستاذ بجامع الزيتونة.

7) الشيخ سعيد العياضي الجزائري المصلح المجدد

8) الاستاذ محمد بن القاضي، الاستاذ بجامع الزيتونة،

ومن هؤلاء الاساتذة، يذكر الشيخ عبد الحميد بن باديس في كل من مجلة «الشهاب» وجريدة «البصائر» أربعة أساتذة أساسيين كان لهم التأثير البالغ والعميق على توجهاته الاصلاحية، الشيخ حمدان الونيسي والشيخ محمد بن الطاهر بن عاشور والشيخ محمد النخلي القيرواني، والاستاذ بشير صغير..

أما الصنف الثاني من الاساتذة الذي تأثر بهم عبد الحميد بن باديس في نظر الدكتور تركي رابح، فهم «أولئك الذين لم يلتق بهم وتتلمذ عليهم عن طريق أثارهم» ومن بينهم الاستاذ الطاهر الجزائري الذي كتب عنه الشيخ عبد الحميد بن باديس «هو الذي ربى عقلي، وهو الذي حبب إلي هذا الاتجاه الفكري، منذ أن كنت طفلا إلى أن صرت رجلا ولا أعرف مؤلفا، ولا حامل قلم نشأ في ديار الشام إلا وقد كانت صلة له به إما مباشرة أو بواسطة الذين استفادوا منه» إضافة إلى أفكار الشيخين جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وأيضا الإمام ابو بكر بن العربي المتوفى سنة 543 ه صاحب كتاب « العواصم من القواصم» و« العقائد الإسلامية» والشيخ محمد بخيت المطيعي، زميل محمد عبده وتلميذ الافغاني «وقد اتصل به الشيخ عبد الحميد بن باديس أثناء رجوعه من الحج سنة 1913 وزاره في بيته بحلوان وكتب له إجازة في دفتر إجازته وعند وفاته ترجم له ابن باديس في مجلة (الشهاب) ترجمة وافية»

في ماي 1931، وبالضبط بتاريخ 5 ماي، تأسست الجمعية بالعاصمة.. وقد تشكلت من 72 عالما جزائريا يكونون مختلف الحساسيات والاتجاهات الدينية، وقد تمثلت أهداف الجمعية كما يقول الدكتور سعد الله في «بعضهم قصرها على التعليم العربي ومحاربة الخرافات وتصفية الاسلام مما علق به من الشوائب، خلال القرون المتأخرة، وبعضهم قرنها بالنشاط السياسي ومعاداة الاستعمار وبفكرة الدولة الجزائرية، بينما آخرون نظروا إلى العلماء على أنهم مجموعة من أنصاف المثقفين وردوا على الجزائر من الخارج يحملون معهم مذاهب هدامة وأفكار أجنبية عن المجتمع الجزائري، وقد لخص أحد أعضاء الجمعية سنة 1935 أهدافها فيما يلي «إحياء الإسلام بإحياء القرآن والسنة، وإحياء اللغة العربية وآدابها وإحياء التاريخ الاسلامي وآثار قادته» وحول شخصية رجل الجمعية الأول يقول الدكتور سعد الله بأنه «كان في الواقع (ابن باديس) هو بسمارك الجزائر خلال الثلاثينات فكان يدير لعبة الدين كما كان بسمارك يدير لعبة االسياسة.» وجمعية العلماء التي انضمت إلى جبهة التحرير الوطني في 1956، كأفراد وليس كتنظيم، عمل بعض قادتها، (الشيخ الإبراهيمي) بالموازاة مع ذلك، من خلال

نشاطاتهم ضمن جبهة التحرير، خارج الجزائر، وفي مصر بالتحديد على تكوين أفرادها على أساليب المعارضة السياسية والسماح لمناضلي الجمعية، خاصة الشبان منهم، الدارسين بجامع الأزهر والمعاهد المصرية بالإنضمام إلى خلايا حركة الإخوان المسلمين.. وهذه السياسة المزدوجة التي تبنتها الجمعية أثناء حرب التحرير، هي التي جعلت من الشيخ البشير الإبراهيمي، يعارض بعد الإستقلال حل جمعية العلماء، ويقاوم نظام الحزب الواحد والاشتراكية.. وهذا الرجل الذي وضعه نظام احمد بن بلة تحت الاقامة الجبرية إلى غاية وفاته وأصبح فيما بعد أحد «شهداء» الاسلاميين، وأحد معالمهم الأساسية الأولى في الصراع مع السلطة، يقول عن نفسه «ولدت عند طلوع الشمس من يوم الخميس الرابع عشر من شوال عام 1306 هجرية الموافق للرابع عشر جوان 1889 ميلادية، سمعت ذلك من عمي وقرأته بخط جدي الأدنى على ظهر كتاب من كتبه سجل فيه مواليد الأسرة ووفياتها، وفيها مواليد اخواتي اللاتي ولدن قبلي، ولم يعش لوالدي من الذكور غيري» وعن نشأته وتعليمه يقول خليفة ابن باديس: «نشأت على ما نشأ عليه أبناء البيوتات العلمية الريفية من طرائق الحياة، وهي تقوم دائما على البساطة في المعيشة والطهارة في السلوك والمتانة في الأخلاق، والاعتدال في الصحة البدنية، كان أريافنا ، في ذلك العهد على عناد للحضارة الجليبة ومواقعها من المدن، فلما بلغت التاسعة أصيبت رجلي اليسرى بمرض، وكان للاهمال والبعد عن التطبيب المنظم أثر كبير في اصابتي بعاهة العرج في رجلي، وقد أنساني ألمها والحزن عليها ما كنت منكبا عليه من التهام كتب كاملة بالحفظ، فكان لي بذلك اعظم سلوى عن تلك العاهة، وفيما عدا تلك العاهة فأنا مدين لتربيتي الريفية في كل ما أتمتع به إلى الآن من قوى بدنية وفكرية وخلقية قام على تربيتي وتعليمي من يوم درجت عمي، شقيق والدي الأصغر الشيخ محمد المكي الابراهيمي عالم اقليمنا المعروف بوطن «ريغة» وفريد عصره في اتقان علوم اللسان العربي، وكانت الاسر العلمية بوطننا قائمة على تقليد قديم متوارث وهو أنها تقوم بوظيفة المدرسة المعروفة، فيأوي إليها المنقطعون لطلب العلم عشرات ومئات، وتتكفل الأسرة بإطعام الغرباء منهم مهما كان عددهم احتسابا، ويقوم عالم الأسرة أو علماؤها بتعليمهم دروسا منظمة على ساعات اليوم، غالبها مما يدرس في الأزهر إلى عهد قريب وإلى الآن، ومن هذه الأسر، أسرتنا التي توارثت العلم من خمسة قرون مضت في ما هو معروف، ومن نوابغها المعروفين للنفع ابتغاء مرضاة الله: الشيخ محمد الشريف العمري الابراهيمي، والشيخ المبارك الابراهيمي، وكل هؤلاء وغيرهم عاشوا في القرون الثلاثة الأخيرة»

ويضيف الشيخ البشير الإبراهيمي قائلا عن تعليمه « لم أفارق في تعليمي بيت أسرتي، فهي مدرستي التي تعلمت فيها وعلمت، أخذني عمي بالتربية والتعليم منذ أكملت السنة الثالثة، وكنت ملازما له حتى في النوم والطعام، فكان لا يخليني دقيقة واحدة من فائدة علمية، وكانت له طريقة عجيبة في تنويع المواضيع والمحفوظات حتى لا أمل، واختصصت بذاكرة وحافظة خارقتين للعادة، وعرف رحمه الله كيف يصرفهما فيّ، فحفظت القرآن في آخر الثامنة من عمري، وحفظت معه وأنا في تلك السن نتيجة للتنويع الذي ذكرته- ألفية بن مالك وتلخيص المفتاح، وما بلغت العاشرة حتى كنت احفظ عدة متون علمية مطولة، وما بلغت الرابعة عشرة حتى كنت احفظ الفيتي العراقي في الأثر والسير ونظم الدول لابن الخطيب ومعظم رسائله المجموعة في كتابه ريحانة الكتاب،

ومعظم رسائل فحول كتاب الأندلس كابن شهيد وابن أبي الخصال وأبي المطرف ابن أبي عميرة، ومعظم رسائل فحول المشرق كالصابي والبديع، مع حفظ المعلقات والمفضليات وشعر المتنبي كله وكثير من شعر الرضى وابن الرومي وإبن أبي تمام والبحتري وأبي نواس، كما استظهرت كثيرا من شعر الثلاثة جرير والأخطل والفرزدق.. وحفظت كثيرا من كتب اللغة كاملة كالاصلاح والفصيح، ومن كتب الأدب كالكامل والبيان وأدب الكاتب، ولقد حفظت وأنا في تلك السن أسماء الرجال الذين ترجم لهم نفح الطيب واخبارهم وكثيرا من اشعارهم، إذ كان كتاب « نفح الطيب » طبعة بولاق هو الكتاب الذي تقع عليه عيني في كل لحظة منذ فتحت على الكتب، ومازلت أذكر إلى الآن مواقع الكلمات من الصفحات واذكر أرقام الصفحات من تلك الطبعة، وكنت احفظ عشرات الأبيات من سماع واحد، مما يحقق ما تقرأه عن سلفنا من غرائب الحفظ، وكان عمي يشغلني في ساعات النهار بالدروس المرتبة في كتب القواعد وحدي أو مع الطلبة ويمكنني ساعة من آخر كل يوم في فهم ما قرأت فيطرب لصحة فهمي: فإذا جاء الليل أملى علي من حفظه - وكان وسطا- أو من كتاب ما يختار لي من الأبيات المفردة أو من المقاطع حتى احفظ مائة بيت، فإذا طلبت المزيد انتهرني وقال لي: أن ذهنك يتعب من كثرة المحفوظ كما يتعب بدنك من حمل الاثقال، ثم يشرح لي ظواهر المعاني الشعرية، ثم يأمرني بالنوم رحمه الله.

مات عمي سنة 1903 ولي من العمر اربع عشر سنة، ولقد ختمت عليه دراسة بعض الكتب وهو على فراش المرض الذي مات فيه، واجازني الاجازة المعروفة عامة، وأمرني بأن أخلفه في التدريس لزملائي الطلبة الذين كان حريصا على نفعهم، ففعلت ووفقني الله وأمدني تلك الحافظة العجيبة بمستودعاتها، فتصدرت دون سن التصدر، وأرادت لي الأقدار أن أكون شيخا في سن الصبا، وما أشرفت على الشباب حتى اصبت بشرأفة يصاب بها مثلي وهي آفة الغرور والإعجاب بالنفس، فكنت لاأرى نفسي تقصر عن غاية حفاظ اللغة وغريبها وحفاظ الأنساب والشعر، وكدت أهلك بهذة الآفة لولا طبع أدبي مرح كريم، ورحلة إلى الشرق كان فيها شفائي من تلك الآفة»

وعن رحلته إلى الشرق يقول الشيخ البشير الإبراهيمي «ورحلت من الجزائر إلى الحجاز سنة 1911 وعمري احدى وعشرين سنة ملتحقا بوالدي الذي اتخذ المدينة قرارا له وأمرني بالإلتحاق به، فمررت على القاهرة وأقمت بها ثلاثة أشهر، طفت فيها بحلق الدروس في الأزهر، وزرت أحمد شوقي الذي كنت راوية لشعره، وحافظ ابراهيم في مقهى من مقاهي القاهرة، والشيخ رشيد رضا في دار الدعوة والارشاد، وجماعة من علماء الأزهر، ثم ألقيت الرحال إلى المدينة حيث استقر والدي، وعكفت على القراءة والإقراء، فكنت القي عدة دروس متطوعا واتلقى دروسا في التفسير والحديث، واعانتني تلك الحافظة على استيعاب اسماء الرجال وحفظ كتب كاملة في الحديث وكنت أغشى ثلاث مكتبات جامعة غنية بعشرات الآلاف من المخطوطات النادرة: مكتبة شيخ الاسلام ومكتبة السلطان محمود ومكتبة شيخنا الشيخ الوزير التونسي مع مكتبات أخرى شخصية، فبلغت منها غايتي حفظا واطلاعا مدة خمس سنوات وشهور.. هذا الطور من حياتي هو الذي تفتح فيه ذهني للأعمال العامة، فشاركت برأيي في الأراء المتعلقة بالسياسة العامة للدولة العثمانية، وفي علاقة العرب بها، وفي الاصلاح العلمي بالحرم المدني، وباشرت هذا الأخير بنفسي مع ثلة من شباب الطلبة المتنورين، وقد كاد ينجح ويؤتي ثمراته لولا أن

فاجأتني الحرب العالمية الأولى ثم ثورة الشريف حسين بن علي التي كنت من المقاومين لها بقلمي ولساني، ثم كانت هي السبب في إجلاء سكان المدينة عنها إلى الشام والأناضول»

وفي المدينة المنورة كان اللقاء التاريخي الذي جمع البشير الإبراهيمي بالشيخ عبد الحميد بن باديس، ويصف لنا الابراهيمي اللقاء فيقول «كان من تدابير الاقدار الالهية للجزائر ومن مخبآت الغيوب لها أن يرد على استقراري بالمدينة المنورة سنة وبضعة أشهر أخي ورفيقي في الجهاد بعد ذلك، الشيخ عبد الحميد بن باديس، أعلم علماء الشمال الافريقي ولا أغالي، وباني النهضات العلمية والأدبية والاجتماعية والسياسية للجزائر... كنا نؤدي صلاة فريضة العشاء الأخيرة كل ليلة في المسجد النبوي ونخرج إلى منزلي فنسمر مع الشيخ بن باديس منفردين إلى آخر الليل حين يفتح المسجد فندخل مع أول داخل لصلاة الصبح، ثم نفترق إلى الليلة الثانية إلى نهاية ثلاثة الأشهر التي أقامها الشيخ بالمدينة المنورة.. كانت هذه الاسمار المتواصلة كلها تدبيرا للوسائل التي تنهض بها الجزائر ووضع البرامج المفصلة لتلك النهضات الشاملة التي كانت كلها صورا ذهنية تتراءى في مخيلتنا وصحبها من حسن النية وتوفيق الله محققها في الخارج بعد بضع عشرة سنة... وأشهد الله على أن تلك الليالي من عام 1913 هي التي وضعت فيها الأسس الأولى لجمعية المسلمين الجزائريين التي لم تبرز للوجود إلا في عام 1931»

وبعد وفاة الشيخ عبد الحميد بن باديس، عمل خليفة بن باديس الشيخ البشير الابراهيمي على تعميق العلاقة بين جمعية العلماء والحركات الاسلامية في العالم الاسلامي، وخاصة مع الاتجاه الانقلابي الثوري الذي كان ينادي بالعودة إلى الخلافة، وإلى الإقامة المجددة لسلطة الدولة الاسلامية، ونذكر من بين هؤلاء، أصحاب هذه الأطروحة، الشيخ العالم الباكستاني أبو الأعلى المودودي، الذي أثر فكره بعمق على مجمل الحركات الاسلامية ذات الخطاب الجهادي الثوري في العالم العربي»

في العدد 232 وبتاريخ 1953 من جريدة البصائر، يكتب خليفة ابن باديس عن أبي الاعلى المودودي قائلا «بأنه أمير الجماعة الاسلامية بباكستان» ويضيف واصفا اياه من نفس المقالة المذكورة «وصف العارف الذي قرأ وشاهد، فهو رجل لم تر عيناي كثيرا من مثله، بل لم أر مثله في خصائص امتازبها عن علماء الاسلام في هذا العصر، منها الصلابة في الحق، والصبر على البلاء في سبيله، والعزوف عن مجاراة الحاكمين فضلا عن تملقهم، وهو أفقه من رأيته أو سمعت به في باكستان والهند في حقائق الاسلام تشريعا وتاريخا، واسع الاطلاع، منير الفكر، كبير العقل... مستقل في الإستدلال إلى حد يمضي من الشريعة إلى مقاصدها العامة، دون احتفال بالجزئيات إلا بمقدار ما يدخل من هذه إلى تلك»

وعن علاقة المودودي بجمعية العلماء يقول الشيخ البشير الابراهيمي «العلامة المودودي وثيق الصلة بجمعية العلماء الجزائريين» وعندما حدث الاصطدام بين حكومة غلام الله والمودودي، وحكم على هذا الأخير بالإعدام أبرق الشيخ الابراهيمي بإعتباره رئيس جمعية العلماء الجزائريين ورئيس تحرير جريدة البصائر، إلى جانب الشيخ

الفضيل الورتلاني، وهو عضو في الجمعية وداعية اسلامي، إلى حاكم باكستان، وجاء في البرقية بعد البسملة ما يلي: «حضرة صاحب الفخامة السيد غلام محمد حاكم باكستان العام- كراتشي حضرة صاحب الدولة السيد محمد علي رئيس الوزارة الباكستانية- كراتشي شاع في أنحاء العالم أن المحكمة العسكرية بمدينة لاهور حكمت بالإعدام على عالم من أكبر علماء الاسلام، ومن أعظم دعاته، وهو الشيخ أبو الأعلى المودودي، ثم شاع الخبر بأن الحكومة الباكستانية خففت هذا الحكم إلى السجن أربع عشرة سنة.

إن هذه الأخبار احزنت مئات الملايين من المسلمين في العالم، وسرّت اعداء الاسلام كلهم، ومهما تكن الدواعي بهذه الأحكام القاسية فإن المسلمين في جميع الدنيا لايرضون لحكومة باكستان الاسلامية أن يسجل عليها التاريخ قتل علماء الدين أو سجنهم، لأنها لا تعدم بإعدام المودودي شخصا، وإنما تحطم سيفا من سيوف الإسلام، وتسكت صوتا من أصوات الاسلام، وتطمس مفخرة من مفاخر الاسلام، ويا فرحة اعداء الاسلام بذلك.

إننا باسم جمعية العلماء الجزائريين وباسم ثلاثين مليون مسلم في المغرب العربي نتوجه في شدة وإلحاح إلى دولة باكستان الرشيدة التي نفخر ونعلق عليها الآمال في إعلاء كلمة الإسلام أن ترجع هذه الأحكام التي تزعج نفوس المسلمين وتطلق سراح المودودي عاجلا لترد الاطمئنان إلى نفوس جميع المسلمين، إن فرح المسلمين بنشأة باكستان، وعطفهم عليها، وانتصارهم لقضاياها هو رأس مال عظيم للدولة الباكستانية، الواجب أن تزكيه بإطلاق حرية رجل من أكبر رجال الإسلام مهما كانت جريمته السياسية فإنها لا تعدو أن تكون جريمة رأي»

وبعد حوالي احدى عشر عاما من تلك البرقية التي بعث بها الشيخ البشير الابراهيمي وجد نفسه في وضع يشبه إلى حد ما، وضع المودودي.. والتهمة كانت «جريمة رأي» من خلال البيان الذي قال فيه «كتب الله لي أن أعيش حتى استقلال الجزائر ويومئذ كنت استطيع أن أواجه المنية مرتاح الضمير، إذ تراءى لي أني سلمت مشعل الجهاد في سبيل الدفاع عن الإسلام والحق ، والنهوض باللغة، ذلك الجهاد الذي كنت أعيش من أجله، إلى الذين أخذوا زمام الحكم في الوطن، ولذلك قررت أن ألتزم الصمت، غير أني أشعر أمام خطورة الساعة، وفي هذا اليوم الذي يصادف الذكرى الرابعة والعشرين لوفاة الشيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله، أنه يجب علي أن أقطع ذلك الصمت

- إن وطننا يتدحرج نحو حرب أهلية طاحنة
- ويتخبط في أزمة روحية لا نظير لها!
- ويواجه مشاكل اقتصادية عسيرة الحل

ولكن المسؤولين-فيما يبدو- لا يدركون أن شعبنا يطمح قبل كل شيء إلى الوحدة والسلام والرفاهية، وان الأسس النظرية التي يقيمون عليها أعمالهم يجب أن تنبعث من صميم جذورنا العربية الاسلامية، لا من مذاهب أجنبية.

لقد آن للمسؤولين أن يضربوا المثل في النزاهة وأن لا يقيموا وزنا إلا للتضحية والكفاءة، وأن تكون المصلحة العامة هي أساس الاعتبار عندهم..

وقد آن أن يرجع لكلمة «الأخوة» التي ابتذلت معناها الحق، وأن نعود إلى «الشورى» التي حرص عليها النبي(ص) وقد آن أن يحتشد أبناء الجزائر كي يشيدوا جميعا «مدينة» تسودها العدالة والحرية «مدينة» تقوم على تقوى من الله ورضوان «وقد حرر هذا البيان بتاريخ 16 أفريل. وبعد عام من هذا التاريخ يغمض الشيخ عينيه ويوارى التراب» ويشرع مشوار الحركة بعده، انطلا قا من نشاطات جمعية القيم، ورجال مثل الشيوخ أحمد سحنون، وعبد اللطيف سلطاني، والياجوري، ومثقفين إسلاميين مثل مالك بن نبي وتلميذه رشيد بن عيسى، وغيرهم ممن ساهموا في تطوير معالم الحركة ضمن مسارها العام المعقد.. وفي هذه السطور التالية رواية متواضعة لسيرة الحركة الاسلامية من خلال مسارات بعض رجالاتها..

الشيخ العرباوي: الإمام المعارض

شهادة السيد م. ع

"ولد الشيخ العرباوي سنة 1912 بمدينة سيدي عيسى ولاية المسيلة، من أسرة متواضعة وهو إبن الشيخ صالح بن عبد الكريم الذي كان معلما في الكتاتيب القرآنية.

بدأ الشيخ عمر تعليمه على يد والده وبعض المشاييخ، ثم توجه بعد ذلك إلى زاوية سيدي ساعد اليوطويلي (ولاية المدية) فحفظ القرآن وعمره 15 سنة، ثم إنتقل بعد ذلك إلى زاوية سيدي المهدي (ولاية البليدة) درس هناك تفسير القرآن وأحكامه وأصول الفقه.

-لما تم تعليمه شرع في إعطاء دروس لطلبة مدينة البليدة، إنتقل بعدها إلى بئر الخادم حيث أسس هناك مدرسة لتعليم مبادئ الإسلام واللغة العربية، وقد إتصل بالشيخ الطيب العقبي رحمه الله وتأثر بحركته الإصلاحية، ثم إتصل فيما بعد بأعضاء جمعية العلماء المسلمين، فأصبح عضوا نشيطا فيها، قام بتربية مجموعة من الطلبة بمدينة السحاولة حيث كانت إقامته مدة من الزمن، إنتقل بعدها إلى باب الوادي وبلكور، فعلم في مدارسها وأعطى دروسا في الوعظ والإرشاد في مساجدها إلى سنة 1955، وفي شهر رمضان بالضبط ألقت السلطات الإستعمارية عليه القبض وهو يصلي بالناس صلاة الجمعة في المسجد العتيق ببلكور بحجة أنه كان يحث الناس ويدعوهم إلى الإلتحاق بصفوف جيش التحرير الوطني، والجهاد في سبيل الله، فاستنطق وعذب عذابا شديدا ونقل إلى سجن البرواقية ففتح مدرسة يعلم المسجونين اللغة العربية والعلوم الشرعية، وبقي هناك مدة 3سنوات حيث نقل بعدها إلى معتقل "بوسوي"؛ حيث إلتقى بالشيخ أحمد سحنون والشيخ مصباح، اقتيد بعدها إلى معتقل "أركول" فبقي هناك حتى أواخر سنة 1961حيث أفرج عنه، وبقي تحت الإقامة الجبرية حتى

عهد الاستقلال.

انخرط في صفوف المعلمين وواصل مهمة الوعظ والإرشاد، بمساجد العاصمة وضواحيها حتى سنة 1967، انتقل بعدها إلى الحراش فاستقر بها وركز إصلاحه في هذه الفترة على تكوين الشباب وغرس العقيدة الاسلامية السليمة، وتوجيههم توجيها صالحا علما بأن الشباب هم الذين يحملون مشعل الاصلاح بعد زوال العلماء إلى سنة 1975 حيث أخذ التقاعد وواصل مهمته الشريفة في الاصلاح وقضى هذه الفترة الأخيرة من حياته في التأليف والوعظ والإرشاد والعبادة وتلاوة القرآن والتمعن في احكامه ومطالعة الكتب كما كان له موقف مشهود سنة 1977 إذ منع عرض مسرحية «محمد خذ حقيبتك» التي قيل عنها أنها كانت تشتم الاسلام والمسلمين، وكرر هذا الموقف سنة 1980 بالجزائر «المسرح الوطني الجزائري»

أدى عمر العرباوي فريضة الحج واعتمر مرات عديدة ولم يتوقف نشاطه السياسي الاسلامي حتى وافته المنية، بل كان يتألم كثيرا لأوضاع المسلمين حتى وهو طريح الفراش يعاني من مرض السكر أشد المعاناة.

توفي رحمه الله صبيحة يوم الأحد 2 ديسمبر 1984 وقد شيعت جنازته يوم الإثنين بمقبرة سيدي رزين «طريق براقي» حيث حضرها عشرات الالاف من المسلمين قدموا من كل حدب وصوب، بمن فيهم بعض رموز الدعوة الاسلامية في الجزائر كالشيخ أحمد سحنون، والاستاذ عباسي مدني والأستاذ محفوظ نحناح.

قام الشيخ بإلقاء عشرات من المحاضرات وله كتابان: الأول: الاعتصام بالاسلام والثاني: «التخلي عن التقاليد والتحلي بالأصل المفيد»

مصباح الحويذق: الشيخ المنفي

شهادة السيد محمد العلجي:

"ولد الشيخ مصباح الحويذق سنة 1902، بقرية الطريفاوي من ضواحي مدينة وادي سوف، تلقى دروسه الابتدائية بمسقط رأسه على يد شيوخ أتقياء حيث أجاد حفظ القرآن الكريم سنة 1917 ومبادىء الدين وبعض المتون، ثم التحق بالكلية الزيتونية بالقطر التونسي سنة 1931 وبقي سنة هناك وفي هذه الأثناء كان يزاول دراسته خارج «نظام الدفتر»

شرع الشيخ مصباح في العمل سنة 1942 بقرية الطريفاوي، فكانت وفود طلبة العلم ترد على مدرسته بلا انقطاع. وقد كان من نظام مدرسته أنه كان يرسل بعثات إلى المعهد الزيتوني للدراسات العليا وبعدها أصبح الشيخ يرسل بعثات للتدريس في نفس المعهد.

دعى الشيخ «مصباح» لحضور مؤتمر جمعية العلماء سنة 1946 مكث الشيخ مصباح بمدينة الحراش ثلاث

سنوات (1949-1946) وكان يشغل منصب مدير مدرسة «الشبّات» وبعدها عين مديرا بمدرسة «الصلاح» بحسين داي وخلفه بالحراش الشيخ «ربيع بوشامة»

في سنة 1951عين الشيخ مصباح للدعاية وجمع المال وتأسيس مدارس حرة إلى سنة 1952حيث عين بمدرسة «بني هزيل» في ضواحي تلمسان ومكلفا بالناحية أيضا »

وبالنسبة لمشاركته في الجهاد تقول الشهادة «أن الشيخ مصباح اتخذ مدرسة مستغانم مركزا سريا لتهيئة القذائف اليدوية، كما كانت مركزا لتوجيه الجنود ليلتحقوا بصفوف المجاهدين ولم تكشف سلطات الاستعمار هذا السر إلا أن خطب الجمعة التي كان يلقيها الشيخ بالمسجد أثارت مخاوف الادارة الاستعمارية، فألقت القبض على الشيخ مصباح يوم الأحد 25 مارس 1956 ونقلته إلى معتقل بوسوي ؛ حيث التقى برفاقه في الجهاد الشيخان: عمر العرباوي وأحمد سحنون.

تلقى الشيخ مصباح في المعتقل شتى أنواع العذاب والتنكيل، لكن لم يزده ذلك إلا صمودا وثبات، وكم أزعجت مواقفه جنود الإحتلال حتى وهو بين أيديهم، إذ كان يحث إخوانه على الصبر والثبات، وكان يؤمهم في الصلوات الخمس، كما كان يؤذن لكل صلاة رغم الكلمات والركلات التي كان يتلقاها وهو يؤذن للصلاة.

مكث الشيخ مصباح في المعتقل خمسة وأربعين شهرا حيث أطلق سراحه في 19 ديسمبر 1960 واستمر في أعماله السرية، وفي سبتمبر 1960 أنشأ مدرسة قرآنية بحي مرفال «وهران» وقد أحرقتها العصابة السرية في جانفي 1962

في أواخر سنة 1962، عين الشيخ مصباح إماما وخطيبا بالمسجد الكبير بالحراش وذلك في أواخر سنة 1962، وقد غمرت الفرحة الجميع حيث عاد إليهم شيخهم المجاهد الوقور.

أحس الشيخ مصباح ورفقاؤه عدول وانحراف قادة البلاد عن النهج المتفق عليه قبل اندلاع الثورة التحريرية والذي من أجله استشهد مليون ونصف مليون شهيد، فنبه الشيخ رفقاءه وذكرهم أن السكوت عن هذا يعتبر خيانة لله وللشهداء فتعاهدوا على إظهار الحق والحقيقة مهما كلفهم ذلك من ثمن واتخذوا مسجد الحراش مركزا لذلك.

لما شعر المسؤولون في الحكم بخطورة الأمر أخذوا يدبرون الأمر، فرأوا مساومة الشيخ خير سبيل في ذلك لكنهم وجدوا أنفسهم أمام جبل راسخ.... وبعد مرحلة المساومة- يضيف صاحب الشهادة- تأتي مرحلة الإرهاب، فكم مرة استدعى الشيخ مصباح إلى الأمن للاستنطاق والتخويف لكنه في كل مرة كان يزداد شعورا أنه على الحق وأنه أصبح يقلق المسؤولين في هذا الوطن، وكان يظهر ذلك في خطبه الجريئة حين كان يظهر الحق ولو كان متعلقا بكبير المسؤولين.

وقد وجد الشيخ مصباح في مدينة الحراش أرضا طيبة حيث أنه كلما أخذ لاستنطاق تبعته جموع الشعب

تطالب بالإفراج عنه، وكم من مرة حاولت وزارة الأوقاف استبدال الشيخ مصباح بإمام حكومي لكن الشعب كان يطردهم من المسجد ويقول لا نرضى بديلا عن الشيخ مصباح.

لقد كانت الحراش مركزا للدعوة في أيام الشيخ مصباح كانت ترد الوفود إليها من كل مكان، من داخل الوطن ومن خارج الوطن (وفود مصر وسوريا وباكستان) وكان الشيخ على صلة دائمة بالحركات الاسلامية العالمية وكم آسفه الحكم بالإعدام على «سيد قطب» إذ كتب رسالة وحملها إلى سفير مصر بالجزائر طلب منه أن يحملها إلى الرئيس جمال عبد الناصر.

وتشير الشهادة «أن قلوب المسؤولين في هذا الوطن وخاصة بعد إرسال الشيخ مصباح رسالته لرئيس الحكومة هواري بومدين والذي عبر له فيها عن سخطه على سياسة البلاد، فانتزع أمر الشيخ مصباح من الأمن ليتكفل بها مجلس الثورة. وهددوه لآخر مرة لكنه لم ينثن وواصل الجهاد إلى يوم الجمعة 30 جانفي 1970 حيث خطب خطبته الأخيرة بالمسجد الكبير بالحراش وصرح للشعب بالتهديدات، فقال: «لقد قالوا لي إما أن تنتهي عن عملك هذا وإما قتلناك كالكلب» وقد بكى الشيخ في خطبته الأخيرة وأبكى معه الشعب.

أي رجل هذا، رغم التهديدات، ورغم سعي إخوانه وأقربائه إلى أن يمكث قليلا في بيته لم تجد سبيلا إلى قلبه ولكنه قال: أمكث في البيت ولكن ان طلبني الشعب فسأخرج وأخطب، فقيل له نعم، وجاء يوم الجمعة وخرج مدرس وخطيب الوزارة فانهال عليه الشعب بالشتم والضرب وقالوا لهما: لا نريد إلا الشيخ مصباح، فدخل الشيخ المسجد وصعد المنبر، فكانت آخر خطبة له بالحراش بعد اعتقاله، قرر مجلس الثورة أن ينفي الشيخ مصباح من مدينة الجزائر وأن لا يسمح له بدخول المدن الكبيرة (عنابة، قسنطينة، وهران) وأخيرا رأوا أن ينفى إلى الأغواط ومنها إلى آفلوا، وقد أخذ الشيخ مكبل القدمين واليدين.

ومن مدينة آفلو نقل الشيخ إلى مدينة مستغانم، ومكث فيها إلى أن وافته المنية يوم الأربعاء 28 فيفري 1973، وقد حاول إخوانه واقرباؤه دفنه بمدينة الحراش لكن دون جدوى. ودفن يوم الجمعة 2 مارس 1973 بمستغانم وحضر جنازته جمع غفير من الجماهير رغم الحواجز التي أقيمت (من داخل وخارج الوطن) وقد صلى عليه صلاة الجنازة الشيخ عبد اللطيف سلطاني..»

. عبد اللطيف سلطاني: الزيتوني الراديكالي

الخميس 14 أفريل 1983«يغادر الشيخ عبد اللطيف سلطاني الحياة» يغادرها وهو تحت الاقامة الجبرية،، جزائر الشاذلي بن جديد تقوم بأكبر تصفياتها مع إرث خصمه القديم والعنيد نظام هواري بومدين الاشتراكي.. ألم يكتب عنه كتابه الممنوع «المزدكية أصل الاشتراكية؟!

غادر الجزائر والحركة الاسلامية في مفترق الطرق، جماعة أحداث 82 في السجن، والشيخ أحمد سحنون هو

الآخر تحت الاقامة الجبرية،، وجماعة بوعلي أعلنت عصيانها المسلح على السلطة، والتيار الاخواني في حيرة من أمره..

وفاة الشيخ عبد اللطيف سلطاني لم تمر في صمت ولامبالاة،، بل كانت صاخبة في صمتها المنضبط، لقد كانت وفاته في ذات الوقت الاعلان البارز عن وجود الاسلاميين كقوة فاعلة وذات وزن على الساحة السياسية..

فمن هذا الشيخ الذي تمكنت وفاته وفي ظل ظروف قمع حركة الاسلاميين أن تجلب ذلك العدد الضخم الذي حضر جنازته، ومن هذا المعارض الذي اتسم اسلوبه بالتشدد والراديكالية في مجال صراعه مع السلطة؟ وماهي أهم الأفكار التي طرحها من خلال ممارسته السياسية؟

الشيخ عبد اللطيف بن علي بن أحمد بن محمد السلطاني، من مواليد 1904ببلدة القنطرة، ولاية باتنة، ولم يكن يتجاوز السنة عندما أصبح يتيم الأب، درس القرآن على أيدي الشيوخ، صالح بن شبانة، وأحمد بن العبداوي والمبروك بن سي المسعود، ويحي بن محمد.

وحسب شهادة أحد محرري مجلة "الإرشاد" ابن عبد الرحمن فإن الشيخ لم يتعلم اللغة الفرنسية مثله مثل أخوته الأربعة، فوالده لم يسجله في سجلات «قائد» البلدة كما هو معمول به آنذاك (سجل في سنة 1932) وذلك لأن والده كان يكره تعليم الفرنسية لأولاده ويرى فيه تعطيلا لهم عن مواصلة قراءة القرآن وكان والده يردد كثيرا هذه العبارة:"لا أقرىء أولادي الفرنسية حتى لا يخرجوا كفارا..". في 1915 يغادر الفتى عبد اللطيف سلطاني مسقط رأسه القنطرة ليتجه طالبا للعلم إلى مكان يسمى "مركونة" وهو عبارة عن "ضيعة" تابعة لأحد تلاميذه والده، فأراد أن يكرم أحد أبناء شيخه بأخذ ولده ليتولى تحفيظه القرآن الكريم، فمكث هناك تسعة أشهر حفظ خلالها جزءاً من القرآن الكريم، ثم أتم الأجزاء الباقية في زاوية تقع في سيدي عقبة (بسكرة) ثم في أخرى تقع في مدينة طولقة (بسكرة)، وأكمل بها حفظ القرآن سنة 1920، ثم رجع إلى بلدته القنطرة فاشتغل بها بتعليم القرآن للصبيان خلال سنة واحدة،، وبعد إنتهاء السنة يقول الشيخ عبد اللطيف (دعاني داعي الرغبة في التعليم فتاقت نفسي للعلم والدراسة كوالدي وأخي رحمهما الله فكانت رحلتي لطلب العلم ويضيف صاحب هذه الشهادة السيد إبن عبد الرحمن أنه بعد عودة أخيه الأمين من تونس يحمل شهادة "التطويع" من جامع الزيتونة قرر الشيخ عبد اللطيف سلطاني الإلتحاق بتونس ليدرس بها كما درس والده الذي أخذ العلم في الجريد بالجنوب التونسي، وكما درس أخوه بزيتونة تونس. ولم يقم الفتى عبد اللطيف سلطاني آنذاك لدى عزمه على السفر إلى تونس بإخبار أحد من عائلته،، غادر القنطرة في نوفمبر 1922ليلتحق بتونس. وبمجرد وصوله إلى بلد جامع الزيتونة إنتظم في سلك طلبة هذا الجامع، فقد كان متأخرا عن بدء الدراسة شهرين"وظلت دراسته مستمرة دونما إنقطاع أو إعادة لمدة سبع سنوات متتالية "وهي المدة اللازمة لإتمام برنامج الدراسة النظامية"

وخرج بعد هذه السنوات السبع متوجا بشهادة "التطويع"عام 1929. "وخلال سنوات دراسته في الزيتونة كان الشيخ عبد اللطيف سلطاني يتردد في عطلة الصيف على بلدة القنطرة لزيارة والدته وأهل بلدته إلى أن توفيت

والدته في جانفي 1932بالجريد في الجنوب التونسي، ولم يحضر وفاتها لأنه كان قد إلتحق بسلك التعليم التابع لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين. وقبل ذلك إنتقل الشيخ عبد اللطيف سلطاني إلى الجريد التونسي لإعانة أخيه على تسيير أموره بعد أن طلب منه ذلك في أكتوبر1929" في نوفمبر 1931 استجاب الشيخ عبد اللطيف سلطاني للشيخ عبد الحميد بن باديس الذي رجاه الإلتحاق بالتعليم والانخراط في سلك مدرسي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين حيث تم تعيينه في بلدة «القرارم» .. وهذه الأخيرة تبعد عن عاصمة الشرق الجزائري قسنطينة بـ 45كلم - مدرسا وخطيبا في جامع القرارم الحر.

وبعد ذلك بعام تقريبا أي في 20 أكتوبر 1932 تزوج الشيخ سلطاني. وفي سنة 1933 غادر القرارم راجعا إلى مسقط رأسه "فكلفه الشيخ عبد الحميد بن باديس بجولة في الصحراء لفائدة الجمعية وصحفها، واعتمده للقيام بهذه المهمة في بسكرة وطولقة وسيدي عقبة وتقورت ووادي ريغ وغيرها من المدن، وذلك للدعوة لجمعية العلماء ولنشر صحيفتها "الصراط السوي"، ومجلتها " الشهاب"

وفي 1933 حسب نفس الشهادة يعود الشيخ سلطاني إلى القنطرة ويعمل في مدرستها «الهدى » ويقوم بتوسيعها، ثم من جديد يرجع إلى القرارم للتدريس والإمامة، ويمكث فيها إلى غاية إنتهاء السنة الدراسية بعد أن أنشأ فيها مدرسة على الطراز العصري.

في سنة 1943 يعود وهذه المرة بصفة نهائية إلى بلدة القنطرة، ويشتغل بالتعليم بمدرسة «الهدى» مجددا حيث وسعها وأدخل فيها تعليم البنات وتم فتحها رسميا بحضور الشيخ البشير الابراهيمي رئيس جمعية العلماء المسلمين آنذاك، وبحضور علماء تلك المنطقة وشعرائها، نذكر منهم محمد العيد آل خليفة.

في 1946 تم إنتخاب الشيخ سلطاني عضوا إداريا في المجلس الإداري لجمعية العلماء، «بعد أن كان عضوا عاملا فيها من يوم تأسيسها، وكان آنذاك رئيسها الشيخ البشير الابراهيمي، فأسندت له مهمة المراقبة في عمالة قسنطينة»

في 1950 عينه الشيخ الابراهيمي ناظرا في معهد الشيخ ابن باديس الذي تم إنشاؤه 1948.

وفي 1955 عين رفقة العربي التبسي لتمثيل الجمعية في الإحتفالات التي جرت في المغرب لإستقبال السلطان محمد الخامس لدى عودته من منفاه في جزيرة مدغشقر.

«تولى الشيخ عبد اللطيف سلطاني بطلب من «لجنة التنسيق والتنفيذ» جمع المال للثورة التحريرية بمجرد إنطلاق شرارتها في 1954، وفي جوان 1956 طلبت منه اللجنة السماح لها بعقد إجتماعاتها في بيته الذي كان يسكنه رفقة عائلته بعمارة أغلب سكانها من الأوروبيين وذلك في «ساحة أول ماي» فلبى الطلب من غير معارضة رغم ما في الأمر من أخطار وأهوال لو كشف من السلطات، ومن الذين كانوا يجتمعون في بيته الشهيد عبان رمضان.. وابن يوسف بن خدة، وعبد مالك تمام وغيرهم.. ويكفي أن نذكر أن مؤتمر الصومام ومقرراته أعدت

في بيته المذكور. وتعرض بيته للتفتيش من طرف الفرنسيين ست مرات كان في كل مرة يؤخذ للتحقيق والسؤال ورغم ذلك لم يبح بسر، ولم يصب أحد من قادة المجاهدين بسببه. ومن صور مشاركته في الثورة التحريرية قيامه بالدعوة لها لما كان إماما في مسجد حى العناصر(رويسو)

كان يتولى صلاة الجمعة في مسجد العناصر الذي بنته جمعية «النور»، لكنه إنتقل إلى حي المدينة ليصبح واعظا في مسجدها التي قامت ببنائه جمعية الصادقية واستمر فيه إلى غاية 1960 .

وحسب شهادة السيد ابن عبد الرحمن فبعد تحرير الجزائر وحصولها على إستقلالها عرض على الشيخ سلطاني أن يتولى الخطابة في جامع كتشاوة.. فكانت أول صلاة فيه، صلاة عيد الفطر في 24 فيفري 1963 حيث سلك فيه الشيخ «في وعظه مسلكه المعروف في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بصراحته، وبلغ ذروته في ذلك في خطبة الجمعة ليوم 26 مارس 1965 والتي كانت مذاعة عبر الإذاعة الجزائرية وفيها عارض سياسة إخراج المرأة من بيتها التي دعا إليها رئيس الدولة آنذاك، فكان جزاؤه الإبعاد من الخطابة في جامع كتشاوة لكنه إستدعى لنفس المهمة بنفس الجامع بعد تغيير النظام الحاكم ، فعاد إليه في جويلية 1965 ولنفس الأسباب السابقة لم يدم في مهمته طويلا حيث جرت احتفالات بمناسبة اندلاع الثورة في نوفمبر1965 ووقعت انتهاكات للاخلاق والآداب الإسلامية في تلك الاحتفالات فانكر ذلك الشيخ عبد اللطيف انكارا شديدا في خطبة الجمعة ليوم 5 نوفمبر 1965، التي كانت مذاعة، فاستدعته الدوائر المسؤولة، وعلى إثر ذلك تخلى من تلقاء نفسه عن الإمامة في جامع كتشاوة. وكان متطوعا بها، ثم تولى الخطابة في جامع ابن فارس بحي القصبة بعد انتزاعه من اليهود، وترميمه في 1966، وبقي فيه إلى أن طلب منه وزير التعليم الأصلي والشؤون الدينية أن يخطب بخطبة الوزارة التي ترسلها إلى الأئمة في القطر فرفض هذا الطلب لأنه اعتبره إهانة. وأغلب مواضيع تلك الخطب تمجيد للإشتراكية، والدعاء لجنود الفيتنام بالنصر على أمريكا! وكانت آخر جمعة صلاها في 1971»

في سبتمبر 1964 يلتحق الشيخ عبد اللطيف سلطاني بالتعليم التابع لوزارة التعليم ليعلم سنتين في ثانوية حسيبة بن بوعلي للبنات بالقبة ثم انتقل بطلب منه إلى ثانوية الادريسي للبنين بساحة أول ماي

ويضيف صاحب الشهادة أن عبد اللطيف سلطاني قام بالسفر إلى الحج ثلاث مرات الأولى في مارس 1968، والثانية في 1975، والأخيرة في 1977، كما اعتمر ثلاث عُمرات منفصلة.

في 1977 يحضر الشيخ سلطاني المؤتمر العالمي لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة التي تشرف عليه المملكة السعودية.

وحسب نفس الشهادة فقد «طلبتْ جمعية «الحياة الاسلامية» التي كانت تشرف على بناء المسجد الكبير في القبة، مسجد الشيخ عبد الحميد بن باديس من الشيخ عبد اللطيف أن يتولى الخطابة فيه، فلبى الطلب متطوعا وشرع في صلاة أول جمعة فيه يوم الجمعة 31 مارس 1972 مع قيامه بإلقاء دروس الوعظ والإرشاد به، وفي

تلك الفترة ألف كتبه الثلاث التي تركها وهي:

1 - المزدكية هي أصل الإشتراكية.

2 - سهام الإسلام.

3 - في سبيل العقيدة الإسلامية.

والكتابان الأول والثاني وجدا مضايقة كبيرة من طرف السلطات فالأول لم يؤذن بطبعه في الجزائر والثاني طبع ثم صودر من المكتبات

كانت معاناة الشيخ عبد اللطيف من النظام ومن بعض فصائل الحركة الإسلامية، كجماعة السلفية، والجزأرة.. وفي أحداث 1982، كان أحد موقعي بيان «النصيحة» و«بعد محاكمة شكلية من طرف محكمة أمن الدولة وضع الشيخ عبد اللطيف سلطاني تحت الإقامة الجبرية في بيته من يوم 9 ديسمبر 1982 .. »

العالم والسلطة.

علاقة العالم بالسلطة، شكلت أحد الأسس النظرية والعملية التي قامت عليها الممارسة النظرية الدعوية والسياسية للشيخ عبد اللطيف سلطاني» فهذا الزيتوني، لم يرد لنفسه ذات مصير شيوخ الزيتونة والأزهر الذين يرضون لأنفسهم عملية التواطؤ مع السلطة..

لقد إعتبر الشيخ سلطاني أن زملاءه الشيوخ المتخرجين من جمعية العلماء قد خانوا الأمانة عندما استسلموا للمناصب، وقبلوا بلعبة السلطة التي وضعت الاسلام مجرد شعار ليس إلا، لكن كيف تحول هذا الشيخ من الاعتدال إلى الخط الراديكالي ؟

لقد كان الشيخ سلطاني طيلة الخمسينات ملتزما بالخط الإصلاحي غير الثوري الذي كانت تنتهجه «جمعية العلماء» لقد إكتفى في نشاطه على العمل الدعوي الديني الأخلاقي حتى وإن أراد السيد ابن عبد الرحمن في الشهادة التي أوردناها أن يضفي على عمله ذاك طابع المشاركة الفعالة في حرب التحرير الجزائرية لقد كان نشاطه لا يخرج عن دائرة الدعم البعيد وغير المباشر للوطنية المسلحة.. وربما مثل هذا التكوين الإصلاحي غير الثوري الذي جعله أن يصرح بعد ذلك بسنوات أن ليس كل الذين ماتوا في حرب التحرير الوطنية يعتبرون شهداء أو مجاهدين..

فالجهاد "في سبيل الله ونشر دينه وتعميمه إلى بني الانسان عبادة كبقية العبادات تحتاج إلى نية صادقة وإخلاص في العمل واجتهاد فيه، لأن النية هي التي تميز العبادة والدافع لها، ولا يقبل الله أية عبادة على ظاهرها إلا إذا كانت بغية وجه الله ونشر دينه، وقد يكون قتال للمغنم والمكسب الدنيوي، وهذا لا يسمى شرعا جهادا، وإن سماه الإنتهازيون للظروف والوقائع جهادا (...) وقد صار القتال لما ذكر «جهادا» والمقاتل مجاهدا.

ويعلم الله أنه لأغراض دنيوية وأطماع أخرى لا تتفق مع مشروعية الجهاد، والدعوة إلى العمل بشرع الله ونصر دين الإسلام ، فقد إنكشف القصد منه كما لمسنا هذا في المحاربين للمستعمرين في وقتنا هذا، حيث صارت كلمة المجاهد تعطي لمن حمل السلاح وقاتل المستعمرين الغاصبين للأوطان، أو لمن سجن، أو عذب لذلك الغرض، فأخرجت كلمة المجاهد من إطارها الديني الخاص بها وأعطيت لأناس هم ضد الدين، إن لم نقل أنهم من أعظم خصومه الصادين عنه، وقد إتضح أمرهم أنهم يعملون ضد الاسلام ولمحوه وقتله «قاتلهم الله أنى يؤفكون»" ويضيف الشيخ سلطاني (المصدر سهام الاسلام) «ظهر أن من لم تكن عنده نية صادقة في جهاده لرفع شأن الاسلام وإعلاء كلمة الله لايسمى قتاله جهادا ولا يكون من مات فيه على غير نية إعلاء كلمة الله، شهيدا شرعا، ولو كانت موته في وسط المعركة مع العدو، كما قضى على مايدعيه المجاهدون من الجهاد والشهادة، لكل من مات في أيام حرب التحرير الجزائرية من أجل تحرير الوطن من قبضة المستعمرين في عصرنا الحاضر...فالإسلام لم يأمر المسلمين بأن يحاربوا عدوهم من أجل قطعة من التراب أو من الحجر أو من الشجر وكسب الدنيا، فهذا أمرت به ودعت إليه الأنفة والغيرة والغضب للأوطان المحتلة من طرف الغاصبين لها، بل أمر الإسلام بالحرب من أجل العقيدة وحرية العبادة لله وحده"

بعد 1962، تمنع جمعية العلماء مثلها مثل باقي الأحزاب الأخرى من ممارسة نشاطها السياسي، ويجد عناصرها أنفسهم على هامش الشرعية السياسية، ويركب نظام أحمد بن بلة وبومدين فيها موجة الإشتراكية الشعبويةوالثورية،، وخلال هذه الفترة يتصاعد الصراع إلى درجة الدموية بين الإخوان المسلمين وجمال عبد الناصر، ويقدم المفكر الإسلامي سيد قطب إلى المشنقة ،، وتنقسم حركة الإخوان على نفسها ليبزغ من بطنها بذور فكر إنقلابي ثوري، يأخذ قواعده الأساسية ورؤاه الراديكالية من المؤلف الأخير لسيد قطب "معالم في الطريق" الذي أكد فيه على أن الحاكمية ليست إلا لله وحده..وكان شعارها "لاإله إلا الله" محمد رسول الله"..

في إطار هذا المناخ الصدامي بين الإسلاميين والسلطة عرف الشيخ عبد اللطيف سلطاني نقلته من الدائرة الإصلاحية المسالمة إلى الراديكالية ذات النزعة الجهادية..

لذا يولي الشيخ سلطاني في معادلته العالم والسلطة، أهمية قصوى لدور العالم.. ونقصد هنا بالعالم "العالم الفقيه" فهذا الأخير هو القادر على إقامة دولة الفقيه التي تقوم على الشرع .. وهو المسؤول على قيادة الشعب وتوجيهه وإنقاذه من براثن السلطة ذات الطابع الإيديولوجي والسياسي والثقافي..

وحول مسؤولية العالم في علاقته مع السلطة يقول الشيخ عبد اللطيف سلطاني "نفكر كثيرا في هذا السلوك الذي سلكه حكام المسلمين إزاء الإسلام والدعوة إليه وتبليغه نرى أنهم اختاروا هذه الخطة ليؤمنوا مراكزهم وكراسيهم المضعضعة لأنهم يخافون غضبة الأمة المسلمة وانتفاضتها في يوم مّا إذا هي فقهت دينها وأرادت أن لاتحيد عن نهجه وخطه، وانني أفكر من الآن، إن دام هذا الحال، في أنه ربما يأتينا يوم لانصلي فروضه إلا برخصة من الحكومة، كما في الحج الأن، أما صوم رمضان فإنه قد فرغ منه، إذ صار يعين أول يوم منه مقدما بسنة أو ما

يقرب منها، عند طبع وإخراج اليومية للسنة الجديدة، والعتاب الشديد واللوم القاسي والتوبيخ اللاذع إنما يتوجه إلى من يسمون أنفسهم بالعلماء لسكوتهم وجبنهم، أورضاهم بالأمر الواقع حسب الإصطلاحات السياسية، والأمر واضح لو أرادوا أن يقفوا إلى جانب الدين، لأنه لا دخل للحكومات في أمر ديني بحت، يعود النظر فيه من قديم الزمان إلى العلماء لا الحكومات لأنه يندرج في إختصاصاتهم ودائما حول علاقة السلطة بالعالم يقول الشيخ عبد اللطيف سلطاني (المصدر سهام الإسلام) "وقالوا لهم لايسمح لكم بالتعليم في المساجد إلا باستظهار رخصة من الوزارة المكلفة بالشؤون الدينية تسمح لكم بالقيام بما تريدون (وهذا ماكان سائدا في زمن الإستعمار، ويكفي أنه إستعمار غربي ضد الدين) فإذا طلب العلماء هذه الرخصة فإنها لا تمنح لهم، لأنهم لم يكونوا من الموالين للحكومة الحاكمة في البلاد، أو لأنهم يسيرون في اتجاه معاكس لاتجاهها أي في خط مناقض لخطها غير الإسلامي، وهذه كلها أسباب واهية اتخذت وسيلة للمنع لاغير، وفي المساجد أئمة لم تكن لهم، الكفاءة للقيام بهذا الغرض العظيم، إما لعجزهم وضعفهم وأكثريتهم من هذا النوع، وإما لموافقتهم على خطة حكومتهم»

ونقده للسلطة من خلال حديثه عن العلاقة بين العالم والسلطة يتسع أيضا إلى نقد العلماء غير الراديكاليين انفسهم عندما يقول أن ثمة «صنف آخر من الناس كانوا يتسمون بالعلم في فترة قريبة خلت، ويسمون علماء المسلمين رأيناهم قد تخلوا عن هذا اللقب الشريف وانكمشوا وانزووا على أنفسهم، وتركوا ما كانوا يلهثون وراءه يوم كان الأمر بيد جمعية العلماء، فما بالهم اليوم سكتوا ؟! وأين ذهبت صيحاتهم وانفعالاتهم وحماسهم والإسلام يهان ويبعد عن معاقله؟!»

أما الصنف الآخر من العلماء، فليس هو الذي اختار الصمت، بل وجد نفسه مجبرا عليه من طرف السلطة التي تملك كل وسائل الاسكات، ويعلق الشيخ عبد اللطيف سلطاني عن ذلك متعجبا أنه « لم يحك التاريخ-فيما حكى- أن المسلمين السابقين منعوا علماء المسلمين من أداء ما هو فرض عليهم إلا ما صدر من بعض الحكام لأغراض ودوافع سياسية أو شخصية بعيدة عن عدائها للدين والعقيدة، إلا ما فعله حكام المسلمين في وقتنا الحاضر، ذلك أنهم منعوا العلماء من إلقاء دروسهم الوعظية الدينية في مساجد المسلمين المشيدة بأموال المسلمين لا بأموالهم هم، فتجاوزوا سلطتهم المحدودة إلى ما ليس لهم فيه أي حق، فارتكبوا بهذا خطأ كبيرا وشنيعا لا ينجيهم منه أمام الله أي عذر أو اعتذار، فتركوا أمتهم المحكومة بقوانين غير إسلامية على أيديهم، تركوها تتخبط في ظلمات جاهلية جهلاء، مع فساد الزمان "وفساد الزمان إنما يكون بفساد أهله مع قلة علماء الدين الذين هم أهل للقيام بهذا الغرض الكبير"

وفي لحظات تتراوح بين الأمل والخيبة يصعد الشيخ عبد اللطيف سلطاني خطه الراديكالي عندما يتوجه بشبه بيان، أو صرخة كما يسميه هو إلى العلماء على تحمل مسؤولياتهم والانخراط في تيار المواجهة الراديكالية للسلطة. جاء في البيان-الصرخة: "إلى من اصطفاهم الله ليكونوا ورثة أنبيائه ورسله في تحمل شرائعه والذود عنها، وحملهم أمانة العلم والدين، ها أنتم تبصرون بأعينكم وتسمعون بآذانكم وتدركون بعقولكم ما نال الدين والعقيدة الاسلامية من مهانة وما استقر في قلوب المسلمين من ضعف في الإيمان، ونكران لفضل الاسلام على

البشرية قد رفع بعض ضعفاء الايمان رؤوسهم وأصواتهم عالية، منادين بإبعاد الاسلام عن ساحة المسلمين مرددين كلمات ألقيت إليهم من خصوم الاسلام فتناقلوها بلهفة تلقف الجائع للقمة الحقيرة وابتلعوها-من غير مضغ- على ما فيها من سموم قاتلة، تاركين وراءهم عيشة الإسلام الهنيئة الطاهرة المرضية.

أين أنتم يا علماء الاسلام في مشارق الأرض ومغاربها؟ أين أنتم من خطة أسلافكم؟ والاسلام يهان ويضطهد، أما رأيتم ما أصابه وأصابهم؟ أما سمعتم ما نزل بأرضه؟ أرضيتم له كل هذا وأنتم من جنوده وأنصاره؟ تناهشته السباع العادية تريد تمزيقه وتقطيع أوصاله لتقضي عليه فيما تزعم كلا!!! والله ما تستطيع ذلك إنما هي محاولات يائسة، ومساعي خائبة، لأن الاسلام دين الله-لايموت وهو حي باق إلى يوم البعث والنشور.

الإسلام في حاجة إلى مواقفكم الشجاعة، مواقف تشبه مواقف الرعيل الأول، حين صارعهم الباطل فصرعوه، وهزموا جنده وأذلوه، ألا أن جند الله هم الغالبون-وسدوا عليه مسالكه إلى صفوف المسلمين فعاد أدراجه مهزوما ومخذولا.

ما هذا السكوت-إلا من القليل النادر- بعدما شاهدتم ما هو جار في أوطانكم؟ «أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة؟ فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل» قد رأيتم محافل الالحاد والتشويه تجوس خلال الديار، تعثو في الأرض فسادا، إن شرف العلم عظيم، ودرجته أعلى وأرفع، وهذا بالطبع لا يكون إلا للعاملين بعلمهم «يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين آتوا العلم درجات ، والله بما تعملون خبير»

إن مسؤولية العلم وخطره أعلى وأعظم، رفعة وانحطاطا، وقديما قال الحكماء «في زلة عالِم زلة عالَم»

ساءت أخلاق المسلمين، فقال الناس: هذا من سكوت العلماء!! تركت الفروض والواجبات الدينية، فقالت العامة هذا من عقلة العماء!!

قل الوفاء وكثر الغدر، وضاعت الأمانة من أوساط المسلمين، فقال النقاد هذا من طمع العلماء!!

كثر التملق والتزلف والتمسخ بأعتاب الحكام والتقرب منهم وتحسين أعمالهم المنافية لأسس الدين فقال الناس هذا من رغبة العلماء في وظائفهم وأموالهم.

ما هو دوركم في هذه الأوساط التي تشاهدونها؟ هل هو دور المرشد النصوح أو دور المبهوت المفضوح؟

أصحاب الضلال والباطل والفتنة يعملون بحزم ونشاط، وأصحاب الهوى، والحق والرشد سامدون صامتون، يراقبون الزحف على الحق والخير والدين من بعيد!! ما سبب هذا الفتور والحيرة؟ هل لم تستبينوا واقع الاسلام والمسلمين؟

أو لم تدركوا المصير؟ هل تذكرون بهذا وأنتم المذكرون؟

اعيذكم بالله أن تكونوا من الذين لا يهمهم أمر الاسلام والمسلمين في شيء، إن كنتم من الذين لايعنيهم هذا

فإن خصوم الاسلام-وما اكثرهم يهممهم شأنهم وشأن باطلهم فهم في غيهم مجدون، وإلى تنفيذ ما يأمرهم به باذلهم مسرعون، يدعوهم فيستجيبون ويأمرهم فينفذون»

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الأساس الثاني الذي تمحور حوله عمل الشيخ عبد اللطيف سلطاني الدعوي والسياسي يتمثل في مقولة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر« فهذه الأخيرة يعتبرها الشيخ «من أولى وأجل وأفضل ما يقدمه المسلم الخالص لدينه وأمته» وبالنسبة للشطر الأول من المقولة أي الأمر بالمعروف يقول الشيخ سلطاني عنه أنه من بين «الفروض المؤكدة على من كانت فيه أهلية القيام به، سواء أكانت هذه الأهلية بسلطان الدولة أو بسلطان العلم والجاه، وكلا السلطانين مسؤول أمام الله عما هو واجب عليه، ولا تبرأ ذمته إلا بأداء ما هو فرض عليه، وخاصة من كان بيده قوة الزجر والردع، للكلمة المشهورة والمنقولة عن الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه وهي (إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن) » وفي ذات الوقت فالأمر بالمعروف في نظر الشيخ عبد اللطيف «داع يدعو الناس إلى فضيلة وخير وصلاح، وهذا واجب على كل المسلمين، لا ينجو منه أحد دون أحد» إلا إذا وجد من يقوم به- وهذا هو فرض الكفاية- ويصلح الخلل الذي يطرح على الفرد والمجتمع» إنه فرض كفاية على جميع المسلمين« فإذا قام به قائم منهم سقط فرضه عن غيره، وإذا لم يقم به أحد من المسلمين تعلق الفرض والعقاب بالجميع، شأنه في هذا شأن سائر فروض الكفاية، كغسل الميت وتكفينه والصلاة عليه ودفنه»

ويلاحظ الشيخ سلطاني أن أحد الوجوه الخطيرة للمنكر، هو المنكر الثقافي الذي يتصل أساسا بالسلوك الأخلاقي، وحيث يرى الشيخ أن العصر الذي نعيشه قد تبدلت أخلاق العديد من المسلمين فيه، وهذا «بسبب اتصالاتهم بغير المسلمين» عن طريق« مساكنتهم إياهم في المنازل والبيوت والمتاجر وفي الأسواق والمجتمعات» بل«حتى في المعاهد التعليمية والجامعات» لقد جعل هذا الاتصال سلوكات المسلمين يقلدون المسيحيين حتى في أعيادهم الدينية، ثم يتساءل الشيخ غاضبا«كيف يقف العالم المشاهد لأمثال هذه المهازل ساكتا أمام هذه العقائد الضالة والمضللة؛ وكيف لا يجد العون والتشجيع من لدن حكومته التي كتبت في دستورها«الاسلام دين الدولة» وهل يقر الاسلام هذا ؟

اللهم لا، فإذا لم يفسح المجال للعلماء كي يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكرفإن عاقبتنا غير مرضية»

وعن الشطر الثاني أي النهي عن المنكر يقول الشيخ سلطاني بأن المنكر هو ماأكره الشرع ونهى عنه لما فيه من المفاسد والأضرار التي يعود ضررها على الفرد أو المجتمع وذلك لقبحه أيضا» ويرى بأن عملية القيام بهذا الشطر يفرض على المسلم القادر عليه أن« يقفل ما هو مطالب به دينا من غير حاجة إلى إذن خاص من الحاكم» ويضيف بأن هذا الشطر وجد نكرانا وإهمالا من طرف السلطة إما لجهلهم به أو اغترابهم عنه»

ويعدد الشيخ سلطاني شروط القيام بالمعروف والنهي عن المنكر قائلا عنها أنها يجب أن تكون مدروسة ومعروفة، «منها الأهلية والقدرة على ذلك، وحرية الكلام وافساح المجال له، كالمساجد والمجتمعات العامة، فإذا

نظرنا بعين الواقع-اليوم- إلى الأوطان الإسلامية تكشف لنا هذه الأمة وشعبها، فمن بيده من حكامهم الحل والعقد، والاباحة والمنع هم رجال السلطة القائمة في البلاد، وهذه السلطة بيد أناس تعلمهم كان في غير مدارس المسلمين، ومعلموهم من غير المسلمين طبعا» ويرى الشيخ سلطاني أن من هذا نتج الخطر على الاسلام، مادام هؤلاء لم يهتموا بشؤون الإسلام والمسلمين، فهو ليس منهم. ويحمل الشيخ سلطاني المسؤولية لهؤلاء الذين« لم يفسحوا المجال للقائمين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»

ويتساءل الشيخ عبد اللطيف سلطاني كيف يستطيع المسلم القيام بهذا الفرض الكفائي أو العيني وهو"مكمم الفم مكسر القلم، معطل التفكير وقد حيل بينه وبين قيامه بهذا الواجب الديني العظيم الحاث على الاستقامة على صراط الله المستقيم، في حين أفسح المجال لأعوان ابليس ودعاة الضلالة والفجور يقولون ما يشاؤون ويفعلون ما يريدون؟»

ويشير الشيخ سلطاني إلى القائم بهذين السهمين(الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) ما يصيبه ما تعافه النفوس غير الصبورة من ألم وأذى وضرر ومكروه، وينصح الشيخ سلطاني القائم بهما بالصبر والتحمل والقدرة على المقاومة والمغالبة والاستشهاد، أما عن العقاب الذي يلحق بتاركي هذين السهمين فيقول الإمام الشيخ أنه«من أقدم الأزمنة إلى يومنا الحاضر، أن المسؤولين عن تدبير أمور البلد-الولاة- إذاأحسوا بحدوث أي مرض خطير كالطاعون مثلا فإنهم يسارعون لدفع خطره عن الوطن بالعلاج النافع الذي يقي الأمة شره وخطره كالتطعيم وغيره، فإذا تركوه من غير عناية به وأهملوا شأنه فإنه يلحق بالأمة اشد أنواع الأمراض وأخطرها ولربما يؤدي إلى هلاكها... وترك المعروف.. وفعل المنكرات يؤدي حتما إلى غضب الله وسخطه»

الجهاد

أما العنصر الثالث الذي يتشكل منه النشاط الدعوي والسياسي للشيخ سلطاني فهو أطروحة الجهاد،، والشيخ في هذه المسألة دقيق وواضح، يطرحها دون غموض أو التواء، فالجهاد لديه هو «محاربة الأعداء الذين يحاربون الاسلام وعقيدته» ويقول الشيخ عن هذا العنصر «بأنه فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقين» ويجد الشيخ سلطاني تبريره في ذلك أن الجهاد يعني في جوهره الانتصار للإسلام والعمل على إعلاء كلمة التوحيد، ويضيف قائلا بأنه« يتعين في حالة دخول الأعداء إلى بلاد المسلمين- بمعنى يصير فرض عين-على كل من هو قادر عليه بأي شيء من أنواع القدرة، بالنفس أو بالمال أو بالجاه ويقول الشيخ سلطاني أيضا أن الجهاد يطلق كذلك «على مجاهدة النفس والهوى والشيطان وكل ما يصدر عن العمل بدين الله(...) فالجهاد هو المبالغة في استفراغ الطاقة والقوة والوسع، سواء بالحرب أو باللسان أو بأية وسيلة تكون لتثبيت العقيدة ونشر الدين ومحاربة الصادين من الناس عن دين الله بكل ما يطيق الانسان من نفس أو مال أو علم، أو غير هذا من كل ما فيه من توجيه صالح لعباد الله»

ويشير الشيخ عبد اللطيف سلطاني إلى قدرة الجهاد الشرعي على التكثيف«في كل زمان بحسب أسلحته

وكيفيتها » حيث بهذا « يتنوع الجهاد على حسب السلاح المستعمل في كل زمان سواء في النصر أو في الهزيمة » كما يحصر الشيخ عبد اللطيف مهمة الجهاد« بوسائل العصر الحديثة من اذاعة وتلفزة إلخ في دائرة اثنين لما لهما من القدرة عليه وهما إما(1) الحكومات المسلمة (2) هيأة إسلامية تقوم مقام الدولة في نشر الدين.

بالنسبة للأولى يرى الشيخ أنها لم تتجاوز مرحلة شعار« الاسلام دين دولة » إلى مرحلة ممارسة هذا الشعار نفسه فإنها بإمكانها أن تعدل خططها الانمائية فتدخل ضمنها كل سنة مالية ما يلزمها لذلك من أموال وعتاد ورجال وكل ما تستدعيه متطلبات هذا المشروع الديني« فتدخل في مخططاتها تنمية الروح الدينية، وتكثير سواد المسلمين بدعوة غير المسلمين إلى الإسلام، مع المحافظة على الروح الاسلامية في أوطانها » بالإضافة تشرف بعث الدعاة إلى خارج الحدود » لكن يبدي الشيخ سلطاني خيبته شكوكه في قدرة الحكومات الحالية على إمكانية القيام بذلك. لماذا ؟

فهذه الحكومة في نظره« لم تدخل في حسابها أنها مسؤولة أمام الله يوم القيامة عن تقصيرها في الدفاع عن الاسلام والعمل على نشره في ربوع العالم » ويضيف بأن هذه الحكومات قصرت اهتمامها على السياسة والاقتصاد والصناعة، أي كل ما يجلب لها القواعد المادية، وأهملت بل ألغت الجانب الديني من حساباتها.

وبالنسبة للثانية فيرى الشيخ سلطاني أنها الهيئة المهيأة لسد هذا الاهمال والفراغ عن طريق تولي جمع المال من أغنياء المسلمين وتشرف على توسيع شبكات العمل الإسلامي على مستويات أبعد وأوسع.. وهذه الأشكال التي يقترحها الشيخ سلطاني للجهاد تعتبر بالنسبة إليه مكملة للجهاد الراديكالي.

* مالك بن نبي: الفدائي المنعزل

منذ البدء اختار مالك بن نبي جبهة أخرى، وخندقا مغايرا داخل دينامية حركة العمل الاسلامي،، لقد وقف بعيدا عن الخطة الاستراتيجية للإخوان المسلمين، ووضع العمود أعلى بالنسبة للسلفيين،، ورمى بالبصر الفكري أبعد وأبعد عن آنية وحماسة الجهاديين..

لم يول ظهره للحوار مع الذات، ومع الذات الأخرى (الذاكرة) ومع الآخر.. وهذا الحوار مع الآخر كان مثمرا بقدر ما وعى لحظات الصراع في مجال المواجهة وعملية الأخذ والعطاء...

لكن أين لرجل يأخذ على عاتقه خوض عملية الفداء على مستوى جبهة الجهاد الفكري أن يكون مفهوما ومستوعبا سواء من الطرف أو الطرف الخصم؟!

هذا اللافهم التاريخي والثقافي لعمله الفدائي من طرف الجبهة الواسعة، الاسلاموية والوطنياتيه، جعلا منه فدائيا منعزلا.. وفدائيا أعزل جماهيريا رغم امتلاكه على المستوى النخبوي السلاح الأنجع..

والمأساة عندما تصل هذه الأخيرة درجة وعي ذاتها، ووعي حال محيطها، ولا نستطيع كسر أسوار العزلة المفروضة عليها« ألم يشر مالك بن نبي في كتابه« الصراع الفكري في البلاد المستعمرة » إلى« المثقف العربي نفسه

الذي كافح ضد الاستعمار ضمن« جبهة وطنية »، إنه رغم ذلك، أو على الأصح بسبب ذلك، لم يكتسب التجربة الشخصية التي تتيحها الظروف لمن وجد نفسه في وضع الفدائي، أي منفردا في جبهة الصراع الفكري في بلاده. »
ويضيف الاستاذ مالك بن نبي بمرارة"وهكذا يصبح للصراع الفكري ظروفه الخاصة بالنسبة لمن يجد نفسه متورطا فيه، في بلاد.. كالجزائر، أي في بلاد تجهل هي ذاتها، أن معركة أفكار تدور في أرجائها، فيأتي هكذا الإستعمار أن يعزل من دخل المعركة حتى ليجد نفسه في وضع الفدائي الذي يخوض المعركة على حسابه الخاص، دون أي قاعدة تموله وتسلح كفاحه.. »

هذه الإشارة التي ألمح لها مالك بن نبي في أعماله الفكرية الأولى ستكون الخلاصة التراجيدية لمسار هذا المفكر شبه المنفي داخل الحركتين، الوطنياتيه بالأمس، والاسلاموية اليوم.

من يكون هذا الرجل بالذات، وماهو المسار الذي عرفه، وماهي خلفيات النبذ غير المباشر الذي سلط عليه، وما هي أهم الأفكار التي طرحها وأضافها إلى مسار الحركة الاسلامية بشكل عام، الاسلامية الجزائرية بوجه خاص؟

في مؤلفه« مذكرات شاهد القرن: الطفل » يقول مالك بن نبي عن نفسه انه ولد في الجزائر سنة 1905، يكون قد أتى في فترة يتصل فيها وعيه بالماضي الممثل في آواخر شهوده، وبالمستقبل المتمثل في أوائل صائغيه.

وعلى هذا قد كان لي، حين ولدت تلك السنة، الحظ الممتاز الذي يتيح لي أن أقوم بدور الشاهد على تلك الحقبة من الزمان « أما صديقه الدكتور عبد العزيز الخالدي فيقول في تقديمه لكتاب ابن نبي« شروط النهضة » أن مالك بن نبي ليس في الواقع« كاتبا أو عاملا في مكتب منكبا على أشياء خامدة من الورق ،الكلمات، ولكنه رجل شعر في حياته الخاصة بمعنى الانسان في صوريته الخلقية والاجتماعية، وتلك هي المأساة التي شعر بها بن نبي بكل ما فيها من شدة، وبكل ما صدف في تجاربه الشخصية النادرة من قساوة، وهي التي تقدم المادة الأساسية لمؤلفاته سواء"الظاهرة القرآنية" أو الدراسة التي يقدمها اليوم كأنشودة بهيجة يحي بها« كوكب المثالية » الذي يسجل فجر الحضارات منذ العصور المظلمة، ولكن هذه الأنشودة، ثمرة عقل يحاول فتح آفاق عملية للنهضة العربية الاسلاميةالتي يطالبنا بها في الجزائر. وهو يكشف لنا عن مفهومها الأليم، فإذا كان دقيقا حساسا إلى هذه الدرجة، فليس معنى ذلك أنه رجل عقل مغرم بالتجريد، أو أنه فنان مولع بصور الجمال، فإن الذي يأمره ويستولي عليه إنما هو الرعشة الإنسانية » الألم.. الجوع..الجهل »

ويشير بن نبي في« مهب المعركة » إلى نفسه قائلا: "كنت أعيش بباريس وأحمل بها وحدي لواء الاصلاح في وجه العواصف والأعاصير التي يثيرها الاستعمار على خصومه! حتى اليوم الذي بلغ فيه السيل الزبى في نظر المستعمرين، اليوم الذي، الذي رشحت فيه اسم ابن باديس لرياسة الشرف لجمعية الطلبة المسلمين الجزائريين، وفيما يخصني أنني بذلت شطرا من حياتي في سبيل الحركة الإصلاحية، وشهدت في مناسبات مختلفة بالفضل لجمعية العلماء التي قامت في الجزائر بنشر العلم والدين وتكلمت مرات في معاهدها دون أن أكون عضوا من أعضائها »

وفي الحفل التأسيسي الذي أقيم بعد مرور أربعين يوما على وفاة مالك بن نبي بجامعة قسنطينة يقدم أحد تلامذته وهو الدكتور عبد اللطيف عبادة تصورا لشخصية أستاذه المفكر فيقول: "كان أول عام عرفته فيه سنة 1967عندما بدأ ملتقياته الأسبوعية التي كان يقيمها لإفادة الطلبة بعلمه الغزير وبتفكيره الناجع »

كان الاستاذ مالك بن نبي واسع الاطلاع على الأحداث الدولية وعلى المشاكل التي يتطارحها التفكير في العصر الحديث وفي العالم العربي، وكغيره من العلماء، فإنه قد تمكن من التغلب على ما يطلق عليه البعض إسم العائق الإبستمولوجي.

فلا يركن إلى فكرة حتى يدعمها بالحجج المنطقية الكافية، وقد وسع بفكره العائق الابستمولوجي إلى الميدان الاجتماعي وهي فكرته عن العلاقة-شيطان- ملك وعن إلصاق القصاصات الجاهزة وهي إحدى تقنيات الغزو الفكري» ويضيف الدكتور عبد اللطيف أن هذه الفكرة هي التي جعلته يتعلق بالأستاذ مالك بن نبي أكثر فأكثر لأنها كانت منبثقة من الواقع الذي يعيشه مع جيله وعاشه من قبل أستاذه كما يشير الدكتور إلى أن المنهج الرياضي كان بين الفترة والأخرى يغلب على تفكير مالك بن نبي. وحول ثقافته الاسلامية فيقول الدكتور عبادة أنه اكتشفها فيه من خلال الملتقى الأول للتعرف على الفكر الإسلامي الذي نظم بثانوية« عمارة رشيد » بالعاصمة في آواخر ديسمبر 1968 لدى تحليله مفهوم الزكاة، ويعتبره إضافة إلى ذلك كله عالم اجتماع بالمعنى الشامل للكلمة ومجادلا من طراز رفيع حيث استطاع البرهنة على صحة نبوة محمد(ص) ويعتمد برهانه عى ركائز أساسيةمنها:

1) المعيار النفسي: الصحة العقلية والنفسية للرسول.

2) المعيار الأخلاقي: الإستقامة الأخلاقية للرسول.

3) المعيار المنطقي والعقلي: "فعالية الوحي الذي نزل عليه ومنطقيته واعتماده على الاعجاز العقلي لا على الاعجاز الحسي"

يقول الدكتور عبد اللطيف مواصلا أنه عرف ابن نبي كعالم" يتميز بتواضع العلماء» وعرفه« كداعية إلى الحق وكداعية إلى الطريق المستقيم وكداعية إلى ايجاد إنسان الحضارةوالقضاء على انسان ما بعد الموحدين، ذلك الإنسان المنقاد لغرائزه »

ويعترف الدكتور عبد اللطيف بأن بن نبي لم يقم" بإختراع مفاهيم جديدة في الدين وفي الدعوة الدينية، وانما قام بتصحيح كثير من المفاهيم التي اغرقت في بحر من الجهل واللامبالاة والفوضى والشكلية، إنه لم يجدد الفكر الديني أو الفكر العربي فحسب بل قام بتجديد العمل الديني بالمعنى الواسع للكلمة. ونفهم من كلمة عمل ديني: الاصلاح الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والعقائدي» ويمضي قائلا معتبرا إياه« إنه »إقبال» العمل والتفكير في نفس الآن لأنه استطاع أن ينقدهما ويبين شروطهما، ويبين العلاقات التي تربطها، ويبين المعايير التي يخضعان لها»

ولد مالك بن نبي في 1905، بمدينة قسنطينة، ثم نشأ في مدينة تبسة بعدما ترك جده قسنطينة إلى طرابلس محتجا بذلك على قدر التعايش مع الاستعمار.

عمره آنذاك لم يكن يتجاوز سبع سنوات.

وحسب ما يذهب إليه الدكتور عبد اللطيف عبادة في كتاب "صفحات مشرقة" من فكر مالك بن نبي الصادر عن دار الشهاب فإن والده كان يعاني الفقر وعاطلا عن العمل، وهذا الحال اليائس كان له التأثير البالغ على مالك الطفل، خاصة بعد وفاة خال أمه الذي كان قد كفله بقسنطينة، مما ترك زوجة خاله الأكبر تضطر إلى إعادته إلى تبسة، واستقربه المقام في تبسة« أهلته له دراسته بالمدرسة الرسمية فضمن بذلك لأبنائه موردا قارا للرزق»

وحسب مجلة العالم في عددها الخامس والتسعين: فقد كانت طفولة مالك في ظلال القرآن حيث نهل في طفولته آيات الوحي، وأقبل أيضا على المدرسة الفرنسية إلى جانب تلقيه بعد ذلك"العلوم في المساجد والحلقات الخاصة وشكل ذلك التلقي أولياته في الثقافة العربية الإسلامية التي كانت تتعضد على نحو آخر مع صديقه محمد بن ساعي الذي كان يتمتع بثقافة إسلامية متقدمة خاصة قدرته على استخدام الآية القرآنية استخداما وظيفيا أفاد منه مالك بن نبي كثيرا »

وتعتبر الفترة التي حصل فيها مالك بن نبي على شهادة المدرسة الابتدائية، فترة متميزة وصاخبة بالأحداث، كالحرب العالمية الأولى، وإنهيار الخلافة العثمانية تحت ضربات الاستعمار وسقوط فلسطين تحت مظلة الاحتلال الانجليزي.

ونظرا لأن الاستعمار لم يكن يسمح"لأبناء(الأهالي)بالتفوق حيث يضطرهم إلى الوظائف المتوسطة، لذلك لم تسمح له درجة"جيد" بدخول المدارس الثانوية بل اضطر إلى مزاولة دراسته بتكميلية متوسطة سيدي جليس بقسنطينة حيث كان يعد المرشحون إلى المدارس "الرسمية" ودار المعلمين الإبتدائية والمساعدون الطبيون، وكان مالك بن نبي يعد نفسه- تبعا لتقاليده العائلية- للدخول إلى المدرسة الرسمية، ليتخرج منهما عونا قضائيا، وتعلم العربية على يد الشيخ عبد المجيد.

وفي النهاية حالفه النجاح فدخل إلى المدرسة الرسمية سنة 1923" حيث نهل مالك بن نبي من عيون الأدب العربي والغربي، وأطلع على الفكر الإصلاحي والتراثي مثل غادة أم القرى للكواكبي ورسالة التوحيد لمحمد عبده ومقدمة ابن خلدون، كما كان "مولعا بمطالعة الصحافة العربية والفرنسية، كالمنتقد، والعروة الوثقى ولو مانيتي" ويقول الدكتور علي القريش:في مجلة العالم عدد 95 في مقالة له تحت عنوان "مؤشرات الأصالة والمعاصرة في فكر آبن نبي" بأن "صحف الإصلاح كالشهاب مثلا غذت فيه الطابع القيمي والأخلاقي، وصحيفة لومانيتني الشيوعية كانت في غضباتهاعلى المستعمر تنبه إلى طبيعة (النظام الإستعماري) و(الإقدام) و (الراية) كانت تصنعان في فكره الموضوعات السياسية الأولى الدقيقة التي من خلالها كان يدرك المأساة التي يعيشها الفلاح الجزائري والمجتمع عموما" بالإضافة إلى قراءته في صحيفة (النضال الإجتماعي) والعصر الجديد اللتين كانتا توسعان من إهتماماته ومتابعاته وبالتالي كان لهذه المطبوعات أثرها في إثارة تساؤلاته السياسية والإجتماعية التي ستتبلور فيما بعد إلى عمليات من التأمل والمقارنة والتقصي في مشكلات الواقع وظواهره

السلبية وبالتالي صياغة إهتماماته السياسية والإصلاحية"

وفي 1925 تخرج مالك بن نبي من المدرسة الرسمية، وسافر إلى باريس بعدما فشل في الحصول على وظيفة. داخل كلية الهندسة وتخرج منها مهندسا كهربائيا سنة 1935 و"إمتنع عن الرضوخ للضغوط الإستعمارية مما حال دون توظيفه ودون أحلامه في الهجرة إلى بعض البلدان الإسلامية، وسمحت له روحه النقدية ودراساته الإجتماعية والفلسفية والسياسية واحتكاكه بالأوساط الثقافية بالإنكباب على مشاكل العالم الإسلامي فدرسها محللا وناقدا ومنظرا واتجه نحو تحليل الأحداث التي كانت تحيط به. وقد أعطته ثقافته المنهجية وأخلاقياته الصارمة قدرة فائقة على إبراز مشكلةالعالم المتخلف باعتبارها قضيةحضارية بالدرجة الأولى، فوضع كتبه جميعها تحت عنوان "(مشكلات الحضارة)"

وتذهب صاحبة "مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي وارنولد توينبي" إلى حد القول بأن خبرات بن نبي العملية كانت تؤهله للنبوغ في المجال "التقني" لاالمجال "النظري" لكن محنة بلده"وحركة التحرير التي أشعل شرارتها الزعيم الجزائري ابن باديس وشدة شعور مالك بن نبي بانتمائه إلى وطنه كل ذلك جعله يهجر مهنته الأصيلة ويتجه إلى قضية التحرير و"النهضة" يوليها كل وقته ويسخر لشرحها كل ثقافته . لقد كان رد فعل شعوره بسيطرة المستعمر واحتقاره لكل مظاهر الإنتماء إلى العرب، والإسلام ومحاربته لها كفيلا، لتعميق ثقافته الدينية ولتثبته بها وإبرازها لمواطنيه العرب، في صورة جديدة يعتقد أنها قادرة على المضي بهم نحو النهضة"

أما صاحب المقالة المنشورة في مجلة العالم فيرى أن إكتشاف بن نبي لأمجاد الحضارة الإسلامية كان في بداية الأمر عن طريق بعض كتابات الغربيين التي ساهمت في تكوين ثقافته الإجتماعية وآسس تفكيره الإجتماعي، مثل كتاب "تاريخ الإنسانية الإجتماعي"لكورتلون، يضاف، إليها كتابات كونديال وبعض المستشرقين التي كان لها التأثير البالغ على تفكيره، ككتابات "زويم" و"دوزي"وإيزابيل إبرهارت نديت صاحبة "في ظلال الإسلام الدافئة" وأوجين يونغ صاحب "الإسلام بين الحوت والرب"ورونية غينو، ومترجم مقدمة ابن خلدون سلفستر دو ساسي.

وعن تأثر مالك بن نبي بابن خلدون وبلزاك يرى صاحب المقالة أن تأثير ابن خلدون يتجلى في نظريته حول الدورة الحضارية و«التي يمكن إعتبار فكرته الأساسية فيها إمتدادا متطورا للفكر الخلدوني» ويمضي الدكتور علي القريش قائلا بأن بن نبي قد إستفاد أيضا في مرحلته الدراسية الفرنسية من قراءاته لأعمال بلزاك«التي كانت تتصف وتتحدث عن المجتمع الفرنسي الذي شهد إنطلاقة العهد الصناعي بعد نابليون حيث أخذ من خلال إستخلاصاته لمعطياتها أن يتتبع التطور التاريخي للحضارات بما يثيره ذلك التتبع في ذهنه من عمليات مقارنة بين المجتمعات التي تصعد وتهبط وبما تثيره تلك المقارنات من حوافز تدعو إلى التغيير. يقول عن مطالعاته وملاحظاته هذه كانت(الملاحظات والمطالعات والمقارنات حقلا خصبا لأفكاري الاجتماعية الناشئة)

وبالنسبة لتأثر بن نبي بطاغور الذي كان يقول بأن العبقرية لا تولد على ضفاف السين والتايمز فحسب وإنما قد

تولد أيضا على ضفاف «الكانج» فقد عبر عنه بن نبي نفسه عندما كان يقول أن إغراء طاغور كان يحررني من العبودية التي كانت ثقيلة شديدة الوطأة على روح المثقفين العرب تجاه عبقرية أوروبا وثقافتها.

وفي نهاية المطاف يأتي تأثير نيشته، كانت وديوي على مجال تفكيره التربوي حيث أصبحت فكرة«الواجب الحق قبل الحق» في فكره«لازمة تربوية أساسية كأنواع التغيرات الإجتماعية والسياسية والإقتصادية وظل دائم التأكيد عليها في كل كتاباته» وتمثل تأثير جون ديوي على فكره التربوي بشكل خاص على المستوى البرغماتي.

المسار الفكري

في العدد 20 من أسبوعية« نوفال إيبدو» طرح الصحفي المحلل عيسى خلادي في مقالة له تحمل عنوان«الذاكرة المنسية لشاهد القرن» تساؤلا مفاده هل من المبالغ فيه جدا لو قلنا أن الجزائر لم تعرف مفكرا مثل بن نبي بهذا المستوى منذ ابن خلدون، أم يعتبر ذلك نوعا من الإستفزاز حينما يلاحظ أن الجزائري لا يعرف عن بن نبي الحد الأدنى ويضيف الصحفي متسائلا بحيرة لماذا ظل هذا المفكر الأصيل إلى يومنا مجهولا ؟!

ويجيب خلادي عيسى: إن كتب بن نبي ليست متوفرة لدينا وفي المشرق لم يكن الإبن الروحي مفهوما لأي مفكر عربي» لقد وجدوا صعوبة من حيث وضعه في أية خانة من الخانات.. مساره الفكري كان جد معقد، ويتسم بالجدة والمغايرة»

لا يجيد العربية، ومخطوطاته تعاني التبعثر في مثل هذه الكلمات يلخص خلادي عيسى «النبذ الذي عانى منه فكر بن نبي من طرف الوطنيين والاسلاميين واليساريين.. وحول الحقبة الجزائرية الأخيرة من مسار مالك بن نبي يشير الصحفي المحلل خلادي عيسى أن في بداية الستينات كانت أنظار أتباع بن باديس(عباسي، سحنون، سلطاني) مصوبة نحو فكر سيد قطب الانقلابي بينما كانت كتابات بن نبي تسعى وبصعوبة لتثير الكثير من الإهتمام والفضول الفطري لدى الفئات المثقفة ذات التكوين الفرنكفوني من الاسلاميين. ويذكر الصحفي أنه أثناء رجوع بن نبي من المشرق إلى الجزائر قام بتأسيس نادي من الجامعيين والمفكرين وبدأ ينظم ندوات أسبوعية في بيته 50 شارع روزفلت، ومن الذين تتلمذوا على يديه آنذاك رشيد بن عيسى، عمار طالبي، حمودة عبد الوهاب، بوكعباش محمد (فيس) بوجلخة محمد التجاني (الرابطة) الدكتور أحمد عروة (رئيس الجامعة الإسلامية الأمير عبد القادر) الدكتور الخالدي، والسؤال الذي يطرحه المؤلف في النهاية ويحاول الإجابة عنه، وهو كيف نفسر غياب الشيخ عباسي، والشيخ سلطاني وكذا الشيخ أحمد سحنون عن تلك اللقاءات التي كان يعقدها مالك بن نبي،! ويلخص الصحفي إجابته عن هذا التساؤل في الإنقسام اللغوي الذي كان يفرق بينهما. ويقول أحد تلاميذ مالك بن نبي الطيب برغوث بصدد العزلة التي فرضت على فكر مالك بن نبي من طرف بعض الإسلاميين"كثيرا ما نسمع من فئات من الشباب المثقف بعد أن توفق في الإتصال بعالم بن نبي الثقافي وتنجذب بقوة إلى أطروحته الفكرية وتتفاعل بشدة مع منهجيته في تناول قضايا الفكر والواقع والتاريخ وتكشف نواحي الأصالة والسبق والتجديد فيها ، تتسأل متأسفة ومتمنية، لماذا لم يكتب لأفكار مالك بن نبي الذيوع والانتشار

حتى تستفيد منها الحركة الإسلامية. ويجيب تلميذ بن نبي أنه من الأسباب الهامة التي حرمت فئات كثيرة من الحركة الإسلامية من الإستفادة من فكر ومنهجية مالك بن نبي في دراسة وفهم تاريخنا وواقعنا » طبيعة المرحلة التي كانت تمر بها الأمة الاسلامية عامة والحركة الاسلامية خاصة في ظل الهيمنة الإستكبارية الغربية الحديثة التي عملت بمنهجية على المصعيدين العسكري والثقافي على إفراغ الأمة من محتواها الحضاري المتميز المستقل وإلحاقها بحظيرة عبيده وخدامه ففي أجواء يضيف الطيب برغوث- هذه الأوضاع المتفجرة فرض على الحركة الإسلامية إلى حد ما، أن تنتهج أسلوب "الإثارة العاطفية" لتعبئة الجماهير وتجنيدها ضد المشروع الغربي لهوية الأمة ووجودها فاتسمت منظومتها الفكرية بصفة عامة بالعمومية والمثالية والمبالغة أحيانا وقلة الإلتفات إلى الذات وإهمال النقد الذاتي ورفضه واعتباره من عوامل الهدم والتخذيل "وهو الجو الذي إستمر بعد "إستقلال البلاد الإسلامية وإتخذ أبعادا درامية جديدة باصطدام الإسلاميين مع السلطة"

إن مثل هذا الجو المتسم بالتوتر والقلق والألام والإحباط والكبت كان الإطار الأصلي لنشوء أجيال كثيرة من الشبان الإسلاميين الذين تعاني حركتهم التهميش والقهر والغربة و" تتجرع مع الجماهير المسحوقة ألامها فاتحة الخطاب الإسلامي تحت الواقع المنحرف إلى الإدانة" وتسارعت خطى هذا الخطاب على درب عملية التبرير، تبرير " الإبتلاء" إلى مشجب" تعلق عليه الأخطاء والنكسات وإلى مقياس لا يخطىء للصواب والمصداقية، حتى الناس أصبحوا يتباهون من الإبتلاء، فراح بعضهم يعدد سنوات الإعتقال واستقر في أذهان الشبان أن طريق الجنة لابد أن يمر على هذه الصورة من الإبتلاء، فراح بعضهم يستدعيه ويعطي ظهره للسياط والإهانة لنيل شهادة الإعتراف بالجندية والبطولة"

ويضيف الطيب برغوث قائلا "وقد أدى هذا الوضع النفسي لفئات كثيرة من الشباب الإسلامي إلى التفاعل العاطفي الجاد مع النزعات الخطابية المتحمسة والإقبال الشديد على الكتابات المتسمة بالعنف الكلامي والإدانة للأخر في الصف أو خارجة أو تبرئة الذات وطمأنتها صراحة أو ضمنا بشكل يخل بالموضوعية. والواقعية في مواجهة القضايا والحكم لها أو عليها"

ويعتبر الطيب برغوث أن أستاذه مالك بن نبي ذهب ضحية لهذا الجو الإجتماعي السياسي النفسي المشحون بالتوتر والمتسم بالعاطفية، فكان قدره أن يعيش على الهامش، في وضع الفدائي المنعزل، مع أنه كان على حد تعبير تلميذ بن نبي (يتحرك في عمق المعركة الحضارية) أي مثلما كان وضع ابن خلدون في «عصره والعصور التي تلته مغيبا لم تأبه الأمة لأطروحاته الفكرية والمنهجية التي لو إلتفت إليها المسلمون واستوعبوها وتداركوا بها أوضاعهم لغير مجرى التاريخ»

وفي محاولة مقاربته لأفكار بن نبي يكتب تلميذ بن نبي برغوث قائلا «أنا لا أعرف ممن قرأت لهم أو سمعتهم من الناس، ولا من في أيديهم مقاليد أمور الشعوب العربية والاسلامية رجلا فيه مثل هذا الحس الرقيق بالنكبة أو مثل هذا التنبه الشامل للدسيسة، أو مثل هذه الاستقامة في فهم الوسائل المعقدة التي يستخدمها الاستعمار،

أو مثل هذه الخبرة بالخسة التي تلبس ثياب النبل والشرف (قول محمد محمود شاكر) ويشاطره في ذلك العلامة محمد المبارك الذي أدرك مكانة الرجل فقال «إن مالك ليس مفكرا كبيرا صاحب نظرية فلسفية في الحضارة فحسب بل داعية مؤمنا، يجمع بين نظرة الفيلسوف المفكر ومنطقه، وحماسة الداعية المؤمن وقوة شعوره وإن آثاره الحقيقية، تحوي تلك الدفعة المحركة التي سيكون لها في بلاد العرب وبلاد الاسلام ثانيا أثرها المنتج وقوتها الدافعة، وقلما استطاع كاتب مفكر أن يجمع كما جمع هو بين سعة الإطار والرقعة التي هي موضوع البحث وعمق النظر والبحث وقوة الإحساس والشعور»

ويضع السيد الطيب برغوث ميزة فكر بن نبي ضمن خانة الامتداد الطبيعي للخط الخلدوني على رقعة الفكر العربي الإسلامي لأن مالك بن نبي في نظر تلميذه«تجاوز في معاناته الحادة مشكلات الأمة الإسلامية، كوضعية اللوم والبكاء على الأطلال والتعويض بالماضي عن الحاضر والذاتي عن الموضوعي وانتهاج اسلوب الادانة والانسحاب وتعليم الجماهير ترانيم المطالبة بالحقوق والذهول عن الواجبات إلى وضعية البحث الجدي المفهوم عن الخلل في تفكير الأمة وسلوكها ومناهج عملها ،لاكتشاف اسباب العطالة والعثور والوقوف على مكامن العلل في أنظمتها الثقافية والاجتماعية والسياسية، فقد تجاوز في كل ما كتب إطار أو دائرة مدح الاسلام والافتخار بماضيه«المشرق» والهروب من مواجهة علل الانحطاط، وجوانب السلب في تراث الأمة واتجه للبحث عن الخلل في مسيرة الأمة»

وتحت عنوان فرعي«مسألة السنن الحضارية» يحاول الطيب برغوث أن يقدم أحد المفاتيح المكون منها فكر بن نبي، وهذا المفتاح يستمد مفهومه من التصور الخلدوني للحضارة في مجال الريادة، ويحاول أن يقدم هذه الفقرة النقدية لمالك بن نبي عن الفكر الاسلامي:

«منذ قرون مضت كان الفكر الاسلامي عاجزا عن إدراك حقيقة الظواهر، فلم يكن يرى منها سوى قشرتها، أصبح عاجزا عن فهم القرآن، فآلت في استظهاره، حتى إذا انهالت منتجات الحضارة الغربية اكتفى بمعرفة فائدتها إجمالا، دون أن يفكر في نقدها..ومن ثم وجدنا المسلم لا يكترث بمعرفة كيف تم ابداع هذه الأشياء، بل قنع بمعرفة طرق الحصول عليها»

ويرى الطيب برغوث أن هذه القضية الخطيرة لا تزال الحركة الاسلامية اسيرة لها، بعد أن دخلت مرحلتها الثالثة، وأصبحت معنية مباشرة بالعمل الجدي لتحقيق:-

- تعميم الاحساس وتعميقه بالمركزية الاسلامية من خلال تدعيم الشعور بالأناقة أو الاحساس بالعزلة الايمانية والاستعلاء البعيد بالاسلام.

- الانطلاق الفعلي في بناء النموذج الحضاري الاسلامي المتميز المستقل على المستوى المفاهيمي والاجتماعي والسياسي والاقتصادي والفكري. »

ويستنتج الطيب برغوث من مسار العمل الإسلامي أن بعض اتجاهاته تعاني"من الاعاقة الفكرية والتخطيط

المنهجي خاصة عندما يصر بعضها على اللجوء إلى النماذج التراثية، ليعيد بناء الواقع ومواجهة تحدياته المعقدة بها، زاعما أن ذلك هو الحل الإسلامي وأنه هو حكم الله الذي يجب أن نسلم به ونخضع له" ثم ينتقد على ضوء رؤية مالك بن نبي النزعة الصوفية«الحلول والاتحاد الحركي» ويستخلص الطيب برغوث قائلا:" الواجب كما يرى مالك بن نبي هو أن نتجاوز في تعاملنا مع الوحي وتجارب التاريخ والواقع الاسلامي والانساني هذه النظرة الأفقية المسطحة، والارتباط العاطفي(الصوفي بالأشياء والاشخاص) و«رهن» حاضر الأمة ومستقبلها بها، إلى النظرة الشمولية العميقة، المؤسسة على فقه مكين«بالسنن الحضارية» النافذة في الخلق التي ترشدنا حسب مالك إلى:

أ- التاريخ لا يصنع بالاندفاع في دروب سبق السير عليها وانما بفتح دروب جديدة.

ب- سعة آفاق الإمامة الحضارية.

ج - قياس غنى المجتمع بما فيه من أفكار.

د- مدى قوة الأفكار وقيمتها بتجلي تأثيره في الثالوث الاجتماعي: الاشخاص-الافكار-الأشياء.

ه- بناء الحضارة لا يكون بتكديس الأفكار بل بتجديدها جذريا على خط رسالي واضح ومعلوم الأهداف والغايات.

و- انحطاط المجتمع لا يأتي من فقره المادي بل من فقره في مجال الأفكار.

د- المجتمع الذي يعجز على انتاج الأفكار يذهب ضحية واقع يفرض عليه بقوة الأفكار الغازية.

ي- وعليه فلا يجوز كما يقول مالك بن نبي« أن يضع الحلول والمناهج، مغفلا مكان أمته ومركزها بل عليه أن تنسجم أفكاره وعواطفه وأقواله وخطواته مع ما تقتضيه المرحلة التي فيها أمته، حتى لا يتورط في تقليد يضيع الجهد ويضاعف الداء»

وتحت عنوان«الاتجاه الحضاري في الفكر الاسلامي(نفس المصدر) يضع الطيب برغوث مالك بن نبي كحلقة أساسية من حلقات الاتجاه الحضاري بعد ابن خلدون، ويلاحظ في برامج تكوين بعض الاتجاهات الاسلامية تغييبا لبعض ممثلي الاتجاه الحضاري، ويورد كمثال على ذلك ابن رشد وابن خلدون ومالك بن نبي، بل تزخر هذه الاتجاهات في نظر تلميذه برغوث فقط بما سماه الثقافة الأثرية والفقهية الفروعية والوعظية والاحتجاجية المعتمدة على زخم الشك والانفعال، هذا مما جعل التربة صالحة لهيمنة الاثارة على حساب التفقيه. وتكرس في ظل هذا المناخ النفسي مرض المركزية الفردية والمذهبية والحزبية التي منحت نفسها حق الوصاية على فهم الإسلام، واحتكار العمل له، وعدم الاعتراف بحق الاختلاف والمغايرة داخل حقل العمل الإسلامي، بل و«الذهاب إلى حد الاقصاء بأساليب مختلفة كما فعل على سبيل المثال صاحب كتاب(الفكر الاسلامي المعاصر: دراسة وتقييم) الذي كان يوزع على نطاق واسع في جامعة قسنطينة وغيرها، ويدعو الشباب المراهق فكريا وايمانيا إلى تدارسه، لما ورد فيه

من (نقد وظيفي) لمحمد عبده ومالك بن نبي بالخصوص، ويجردهما تماما من أية صفة اسلامية، أو ميزة علمية»

ويضيف تلميذ بن نبي شاهدا أن مثل هذا الكتاب له أثار سيئة على العمل الاسلامي في الجزائر نظرا لأفقه الضيق وهيمنة نزعة المركزية الحزبية على صاحب المؤلف وتياره والتي تعمل كل ما في وسعها لاقصاء الآخر واغتياله معنويا، بالتقاط هفواته وفصلها عن سياقها وملابساتها الزمانية والمكانية وتحويلها إلى(أوراد حركية) يتلهى بها المعزلون عن الحقائق بعض الوقت، قبل أن تنكشف لهم الأنوار ويخرجوا من المعتقلات التي كانوا يمارسون فيها الدعوة إلى الله»

إن الجديد الذي أضافه مالك بن نبي إلى الحركة الاسلامية، يتمثل أساسا في رأسمالها الفكري والنظري الفلسفي.. وهذه الاضافة بطبيعتها تحتاج إلى وسائل عمل نخبوية، بعيدة عن التبسيطية والسهولة والنزعة الخطابية وظلت هذه الإضافة تبدو بالنسبة للقاعدة، قاعدة الحركة الاسلامية لغزا ملغوما بالشك والغموض والخوف.. وهنا تكمن المفارقة والتناقض الصارخ لمسار الحركة» كيف تنادي بالحل الاسلامي ومعظم فصائلها تضع في صندوق التجاهل الإسهام الأصيل والجاد الذي أتى به مالك بن نبي؟!

لقد اقتنع مالك بن نبي منذ البداية، أن جبهة العمل الفكري الاسلامي تحتاج إلى إنسان متحرر على المستوى الحضاري والثقافي، وهذا العنصر شبه مفقود في معادلة الصراع، وغائب الغياب كله عن مجال انتاج الأفكار من جهة، ومن جهة متغيب ومغيب عن مجال الاتصال بها وترجمتها في حياته اليومية.. لذا كان مالك بن نبي يحس بعمق عزلته وانعزاله وهو ينتج أفكارا في مجال الصراع الحضاري الذي لم تحمله معظم فصائل الحركة الاسلامية إلا كشعار مبسط وأجوف، يفتقد إلى البعد الثقافي والمضمون الفكري..

وهنا بعض هذه الأفكار التي جاء بها المفكر مالك بن نبي إلى ميدان الحركة الاسلامية لكنها ظلت مهملة إن لم نقل محاصرة من الاسلاميين أنفسهم..

1 - مفهوم الحضارة

يرى صاحب «الظاهرة القرآنية» أن الحركة في المجتمع هي أولا حركة تاريخية دائمة وثانيا تأتي هذه الحركة ثمرة لاسباب تنتجها وثالثا أن لها هدفا تريد الوصول إليه.

والحركة عندما تكون المحرك الأساسي لوسط مندمج فيها ومنتج لأسبابها، فإنها تكون عنوان القضاء على اللاحركة أي على الخمود الفطري، طبقا لمبدأ الميكانيكا ويرى مالك بن نبي أن هيغل حاول تفسير ظاهرة تغلب الحركة على السكون بمنطقه الجدلي الذي يعتمد على الأطروحة ونقيض الأطروحة والتركيب، وتذهب الفكرة الماركسية إلى تفسير حركة التغيير بالتعارض والتناقض الاجتماعي، وكل تغيير يكون في الأساس ذا مضمون اقتصادي.. وهذا المضمون والأساس المادي الاقتصادي هو الذي تقوم عليه الحضارة في نظر الفكرة الماركسية..

وهذه الفكرة في نظر بن نبي تقودنا بشكل غير صريح إلى فكرة «جون ارنولد توينبي» وتقول صاحبة كتاب «مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي وارنولد توينبي بأن هذا الأخير انتهج أسلوبا «ينطبق في جانب منه على تخطيط هيغل وذلك حين شبه فكرة التعارض بعقبة ذات طابع اقتصادي أو فني عبر عنها بكلمة (تحدي) وفي رأيه أن التحدي يتوجه إلى ضمير الفرد أو الجماعة، وتكون مواجهته له (الاستجابة) بالقدر الذي تكون عليه اهمية الاستفزاز وخطورته فهناك تناسب بين طبيعة الاستفزاز وبين الموقف الذي يتخذه الضمير في مواجهته، ويضع توينبي التعبير الاجتماعي بين حدين لا يتم خارج نطاقهما وذلك في حالة شبيهة بالتفريط نشأ عن نقص في التحدي أو شبهة بالافراط تنشأ عن زيادته على قدر معين» وبهذه الطريقة يفسر توينبي أهم المراحل في التاريخ الإنساني»

مالك بن نبي يضفي على ذات الفكرة طابعا جديدا مستمدا من النظرة القرآنية فهو يعتبر«بأننا نستطيع أن نفسر هذه الحركة بالعوامل النفسية التي حفزت القوة الروحية في هذا المجتمع أعني شروط حركته عبر القرون. والواقع أن القرآن قد وضع الضمير المسلم بين حدين هما: الوعد والوعيد، ومعنى ذلك أنه قد وضعه في أنسب الظروف الذي يتسنى له فيها أن يجيب على تحد روحي في أساسه»

ومن خلال هذا المنظار يصل المفكر مالك بن نبي أن المحرك الأساسي للتغيير ولحركة التاريخ هي القوى الروحية الفاعلة، وينتهي إلى معادلة تقول بأن صناعة التاريخ هو القوى الروحية الفاعلة، وينتهي إلى معادلة تقول بأن صناعة التاريخ تتم عبر أقطاب أو فئات اجتماعية ثلاثة من حيث التأثير

أ- تأثير عالم الأشخاص.

ب- تأثير عالم الأفكار.

ج- تأثير عالم الأشياء.

ويأتي النشاط العام لهذه الفئات ضمن سمفونية واحدة متسقة مطابقا في صورته لنماذج ايديولوجية من عالم الأفكار ويتم تنفيذه بوسائل من عالم الأشياء من أجل هدف يحدده عالم الأشخاص، كما أن وحدة هذا العمل التاريخي ضرورة، فان توافق هذه الوحدة مع الغاية منها هي التي تتجسم في صورة «حضارة»، يعد ضرورة وهذا الشرط يستلزم كنتيجة منطقية وجود «عالم» رابع وهو مجموع العلاقات الاجتماعية الضرورية أو ما يطلق عليه «شبكة العلاقات الإجتماعية» (المصدر:مفهوم الحضارة...)

وتضيف صاحبة(مفهوم الحضارة..) أن مالك بن نبي يرى شبكة العلاقات الاجتماعية هذه نتاج الظروف والشروط التي تحدث الحركة التاريخية نفسها وأن أصل هذه الشبكة هو الذي يمكن مجتمعا ما، من تأدية عمله المشترك في التاريخ ويكمن ذلك«في تخلق تركيبه العضوي التاريخي، وعلى هذا فإن تاريخ هذا التركيب هو الذي يفسر أصله كما يحدد في الوقت نفسه طبيعة العلاقات الإجتماعية لحظة نشوئها» ويختصر المفكر مالك بن

نبي معادلته في عملية انتاج الحضارة في أن ناتج الحضارة= انسان +تراب+ وقت.

ويعرف مالك بن نبي الحضارة على أنها «إنتاج فكرة حية تطبع على مجتمع في مرحلة ما قبل التحضر، الدفعة التي تجعله يدخل التاريخ فيبني هذا المجتمع نظامه الفكري طبقا للنموذج المثالي الذي اختاره وعلى هذا النحو تتأصل جذوره في محيط ثقافي أصيل يتحكم بدوره في جميع خصائصه التي تميزه عن الثقافات الأخرى والحضارات الأخرى»

وتناول صاحب «شروط النهضة» هذه الأشكال من زوايا ثلاث

الزاوية الأولى من حيث التركيب والزاوية الثانية من حيث الوظيفة أما الزاوية الثالثة من حيث المصدر التاريخي والاجتماعي.

وعن دور الدين في بناء الحضارة فيعتقد صاحب «مشكلة الأفكار في العالم الاسلامي» (أن الحضارة لا تظهر في أمة من الأمم إلا في صورة وحي يهبط يكون للناس شرعة ومنهاجا)، ويرى أن الحضارة التي تقوم على أساس الدين يكون ميلادها مرتين، المرة الأولى لدى نزول الوحي والمرة الثانية عندما تقر الفكرة الدينية في نفوس معتنقيها، أي لدى دخولها ميدان التاريخ، ويورد المسيحية كمثال على ذلك فقد ولدت أولا عندما تلقى سيدنا عيسى عليه السلام الوحي، وولدت ثانيا في عصر النهضة«لكن المولدين حدثا في وقت واحد في الإسلام» ويعود هذا «إلى الفراغ الذي وجدته الفكرة الاسلامية في النفس العربية العذراء التي لم تنشز فيها ثقافة، ولا ديانة سابقة فخلا لها بذلك الجو»

ويجزم صاحب«الظاهرة القرآنية» «أن قوة التركيب لعناصر الحضارة خالدة في جوهر الدين، وليست ميزة خاصة بوقت ظهوره في التاريخ، فجوهر الدين حسب العبارة الشائعة-مؤثر صالح في كل زمان ومكان»

وصية مالك

هذه الوصية، عبارة عن حديث كان قد أدلى به المفكر مالك بن نبي لمجلة المعرفة التونسية في عددها الثامن، سنة 1975.

لقد كانت هذه الوصية تعبير مكثف عن همومه الفكرية ورؤاه المستقبلية التي انفردت بنقطة متميزة وغريبة داخل السلّم الفكري والسياسي للحركة الاسلامية المعاصرة

1 - "..إننا في فترة خطيرة تقتضي تغيرات ثورية" فإما أن نقوم نحن المسلمون بالتغيير في مجتمعاتنا وإما طبيعة العصر تفرض علينا تغيرات من الخارج كما هو حاصل باليمن وظفار وغيرهما، لأن هذه هي روح العصر فالذي يجب أن نؤكد عليه أولا وأن تتذكروه دائما: أننا إذا لم نقم نحن ثورتنا فإن التغيير سوف يأتي من الخارج ويفرض علينا فرضا. أعيد هذا..لأنه أمر أساسي»

2 -"ما معنى الثورة؟"

"إن التعاريف كثيرة وأحسب أن أفضلها ما كان موضحا للجانب العلمي فتقول:

الثورة: محاولة تغيير أوضاع معينة بطريقة مستعجلة

غير أن قولنا:إن الثورة تغييروأنها مستعجلة غير كاف فيجب أن نقول عنها:

إنها عملية هادفة، ويجب أن نحدد أهدافها

فالثورة تعني ما هي الأشياء التي يجب أن تتغير، وتعني تحديد وسائل التغيير ثم تحديد أهداف التغيير

لا ندخل في التفاصيل ولكن نتساءل:

ماذا يواجهنا كمسلمين في هذه المرحلة بالذات، في الثلث الأخير من هذا القرن؟

تواجهنا: حالة عالمية معينة. إلى جانب أوضاعنا الاجتماعية التي يمكن أن نعبر عنها بإختصار بكلمة(التخلف) وكل يدرك ما وراء الكلمة من أبعاد ثقافية واجتماعية وسياسية.

الوضع العالمي:

إنه وضع خطير.. خطير لأمرين اثنين.

1 - خطير في حد ذاته لأنه ربما يحمل في طياته مفاجآت وتغيرات عالمية وجذرية وبطريقة لم تعرفها الانسانية في شتى مراحل تاريخها.

2 - خطير لكوننا لا نعلم هل نحن مهيأون لمواجهة هذه التغيرات أم لا؟ ما معنى مهيأون؟

الشرط الأول:

الاستعداد لمواجهة شيء هو معرفة الشيء ذاته. وفي هذا وجب علينا القول: أن التيارات الفكرية غير مستعدة.. أما القيادات السياسية فبعيدة عن هذا الميدان لأنها مشتغلة بأشياء تعتقد أنها أساسية وإني لا أريد أن أدخل في نقاش مع السياسيين، لا أريد النقاش معهم إنما نحن نحاول توضيح حقائق متعلقة بي وبهم وبالإنسانيةقاطبة.

الجواب عن السؤال: إننا غير مهيئين لا سياسيا. ولا فكريا لمواجهة إلمشكلات التي تعترضنا في هذه المرحلة وفي هذه الفترة من هذا القرن.

لماذا نبحث عن استعدادنا لمواجهة مشاكل العالم؟

الأمر بسيط وهو أن العالم الاسلامي شاء أم كره يعيش هذه المشكلات العالمية.

لأن طبيعة المشكلات العالمية أنها تنعكس على الأجزاء مهما استقلت هذه الأجزاء بذاتها وانكمشت على نفسها فالأحداث العالمية والمشكلات العالمية يصلنا صداها وتؤثر في حياتنا وتقدر أقواتنا. فلابد أن نتجنب سلوك «النعامة» لأن من يعتمد تجاهل الخطر المحدق به يكون واحدا من اثنين مستهترا أو مجنونا»

بعد هذا التعريف المختصر لظاهرة «الوضع العالمي» يرجع مالك بن نبي في وصيته إلى أوضاعنا الاجتماعية فيوجزها في كلمة (التخلف) قائلا: «لنتوسع في هذا المفهوم لتسهل علينا فيما بعد المقارنة بين المشاكل التي

يعاني منها العالم الإسلامي والمشاكل التي يعاني منها العالم الغربي.

في هذه المرحلة من الحديث يمكن أن نتساءل: ما هو التخلف؟

- إنه مجموعة مشكلاتنا وهي ذات طابع اجتماعي سياسي واقتصادي ونفسي إلى حد ما، أما ما يواجه العالم فهي بالأخص مشكلات نفسية.

- لاشك أننا إذا تعمقنا في تحليل مشكلاتنا وجدنا فيها نصيبا هاما ذا طابع نفسي، غير أن الغالب عليها هو الطابع الاقتصادي، السياسي والاجتماعي... »

ويضيف المفكر مالك بن نبي مقارنا: "..مشكلاتنا هي نتائج لظروف وليست جوهرية جدا، لكن مشكلاتهم أساسية وجوهرية جدا.. »

3) "...ماذا تكون أو كيف تكون نهاية القرن؟"

"..إن الغيب بيد الله..إننا نقدر من الأمور أبسطها.

لا شك أن كل التطورات تتبع من هذا وذاك، من التخلف والتقدم الحاصل لمرض الروح والنفس، وكل الأحداث التي سوف يعرفها عالمنا في الثلاثين سنة المقبلة ستكون نتيجة التفاعل بين التخلف المادي« العالم الاسلامي » والتخلف الروحي« العالم المصنع »

هذه صورة *المشكلة العالمية بوجهيها: الصنف الاجتماعي والاقتصادي* و« *نتائجه في المجال النفسي* » و« جوهر مشاكله روحية » هذه هي الخريطة العالمية التي سيحدث إن شاء الله في نطاقها التفاعل بيننا وبين الأخرين وبينهم وبينناانحن.. »

4) .." ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون"

كل واحد منا يعرف الآية« هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون »

هذا وعد من الله. فهل تحقق؟

هذا الوعد قد تحقق. وفي هذا القرن بالذات وقد يبدو في الأمر غرابة أو عدم وضوح عندما نزل القرآن هل كان وعد الله قد تحقق في انتصار الاسلام على المسيحية واليهودية والبراهمانية والبوذية والماجوسية، أي كل الأديان الموجودة آنذاك؟

ذلك هو معنى الآية الكريمة على الأقل. نأتي الآن لهذا القرن، وتنظر إلى خريطة الأديان والايديولوجيات في العالم.

أذكر أرقاما قرأتها في الجغرافية الإنسانية في صغري، أتذكر أن الأديان كانت على النحو التالي:

مسيحية 600 مليون

بوذية 570 مليون

براهمانية 450 مليون

ماجوسية:انتهت.

اليهودية 14 مليون.

الإسلام 400مليون.

أما اليوم، ماذا نجد لو نظرنا إلى خريطة العالم؟ نجد أن الأديان التي نزلت في حقها الآية زالت كلها. المسيحية مسحها التاريخ وفي هذا المجال نذكر أننا قرأنا تحقيقا هاما أصدرته إحدى الصحف الفرنسية Nouvel Obser-vateur عنوان التحقيق:

"2000Ans c'est assez" (2000 سنة كفاية) ! والمقال يحتوي ارقاما وأحداثا عما حصل بأمريكا اللاتنية، فرنسا، انجلترا، إيطاليا والمانيا.

منذ 7 أشهر حصل من بين ما حصل« فضيحة كرالا » وهي مقاطعة هندية سافر إليها أحد القساوسة الطليان،. قس يهتم بأمر دينه ومتعلق بمسيحيته أراد أن يوجد رهبانا لديره. ومشكلة الأديرة تشكل أعوص قضية عند القيادة المسيحية لندرة المستعدين لتحمل المسؤولية حصل أن هذا القس لم يجد لتجنب غلق أبواب ديره إلا شراء بنات فقيرات من هذه المقاطعة الهندية لتلبيسهن القدوس فكانت الفضيحة التي نشرتها صحيفة انجليزية وتناقلتها الصحافة العالمية.

المهم أنه لم يبق من المسيحية إلا الهيكل الإداري (الفاتكان) أما القاعدة الجماهريةفقد إنتهت..

أما البوذية فقد مسحها ماوتسي تونغ مسحا..

و"البراهمانية"اثبتتعجزها..

أما اليهودية فهي لم تعد دينا بأتم معنى الكلمة.. هي سياسة أو دين..أو..هي دين عنصري لا يطلب من أحد الدخول فيه ولا يبشر.

ويخلص في نهاية تحليله لأفول الأديان الأخرى من خلال الأوضاع الموجودة في العالم إلى أن الغرب انتهى بشيوعيته ومسيحيته.. إن الأزمة النفسية طغت على العالم المسيحي وبدأت تنتهش هيكل العالم الاشتراكي.. إذن في نظرة بعيدة المدى للتطور في الثلاثين سنة قادمة إن شاء الله سوف تكون المعركة بين الإسلام والشيوعية.

لكن هل سنترك هذه المعركة لشأنها ؟ »

(5) ... نقر بأن الثلاثين سنة المقبلة حاسمة ستكون أخطر مرحلة في تاريخ الانسانية لأنها سوف تتجمع فيها السلطة الروحية حول منبع واحد إما شيوعية أو إسلاما. ولا فائدة في التذكير بالدور الذي تلعبه المسيحية أي الصهيونيةالمقنعة.

وينبغي على العالم الإسلامي أن يعرف ويعي معنى هذه المرحلة الخطيرة في العالم وبمقتضى معنى هذه المرحلة يتجه لمشكلاته الحقيقية التي يعيشها في عقر داره. وان نجاحنا في المعركة العالمية سوف يكون بقدر نجاحنا في معركتنا سوف يكون بقدر نجاحنا في معركتنا الداخلية.

وحل هذه المشاكل لا يمكن إلا على أساس حضاري أما الحل السياسي فلا يمكن، وكل الحلول الأخرى غير مقبولة فكرة القومية العربية لا تحل القضية أبدا، ولقد بدأت تتكون عندنا بعض الخبرة على النطاق الوطني.

إن حل المشاكل لا يمكن أن يكون في مجال قطري فلو أردنا التشبه ببلجيكا لما استطعنا لاننا لو فصلنا

بلجيكا عن أوروبا لانهارت وسقطت.

إن مشاكلنا لا يمكن أن تحل في نطاق قطري، ولقد أراد بعضهم أن يعوض القطر بحدود القومية فظهر أن القومية وضعت حدودا أخرى وبددت طاقات أخرى في القطر الواحد كانت متجمعة قبل ذلك: هذا أصبح بعثيا وذاكناصريا..

لم يبق إلا شيء واحد وأظن أن الفكر الإسلامي بدأ ينضج عند الشباب وغير الشباب هو أن القضية بالنسبة لأي مجتمع قضية حضارية أساسا ثم تصير وتتجزأ إلى قضايا قطرية وجوهرية، نحن إذن نطالب بمواجهة المعركة الكبرى التي ستؤول نتيجتها إلى تلوين الخريطة بلون عقيدة واحدة، أما الإسلام أو الشيوعية ومن ورائها المسيحية وعندما نقدر شروط انتصارنا في هذه المعركة نراها موقوفة على معركة داخلية لحل قضية التخلف على أساس حضاري وعندها يتهيأ الظرف الملائم كي يستطيع العالم الإسلامي دخول المعركة العالمية مصفى من عقدة نفسية.. هذه هي الوصية التي نتواصى بها..وأشعر وأنا أتحدث إليكم بأني أوصيكم بشيء خطير لأننا لا نراها بل نحن منشغلون بمشكلات أخرى... »

*** عباسي مدني: نحو ثورة إسلامية بأسلوب برغماتي؟!**

.. 1981

حدث ذلك في السداسي الثاني من هذه السنة، عندما تعرفت ولأول مرة على شخصية الشيخ الدكتور عباسي مدني« عينان حادتان مراوغتان، سحنة توحي بالليونة المائعة لكن في ذات الوقت تنطوي على نوع من الحدة والصرامة المستترتين، لسان مجادل ومطاط، وصوت يجمع بين الخفوت الصاخب والصخب الخافت » كان يرتدي بدلة عصرية دكناء ونظارات شمسية سوداء..المناسبة، كانت انعقاد معرض الكتاب الإسلامي، المكان الطابق السفلي من مطعم الحي الجامعي لبن عكنون.

المعرض كان يحتوي على عدد من الصحف المكتوبة والمصورة الجدارية، ومواضيعها الأساسية كانت تتمحور «حول العدوان الصليبي الايديولوجي على الاسلام والمسلمين»، وحول ديكتاتورية معسكر الدول الشيوعية والتأزم الأخلاقي والروحي لشعوب المجتمع الغربي الأوروبي والأمريكي.. في ذات الوقت كان المعرض ميدانا للصراع الايديولوجي بين الإسلاميين وخصومهم من ذوي النزعة البربرية الثقافية والديمقراطية، واليسارية الشيوعية والقومية اللائكية..

في هذا المعرض لفت انتباهي نص يبدأ بالجملة التالية: " إن الطبقة الكادحة المسلمة..." هنا سألت أحد الساهرين على المعرض، حول جدوى استعمال مصطلح ماركسي مثل« الطبقة الكادحة.. » وبعد أن تطور النقاش بيني وبين هذا المشرف لدقائق، تدخل عباسي مدني دون سابق انذارلأجدني وفجأة أمام شيخ يحدثني عن المفهوم البراغماتي للعمل في الآسلام» ويذكرلي من خلال حديثه ذاك أهم الأسماء الممثلة لهذا الاتجاه في مجال الاقتصاد وعلوم التربية، لجون ستيوارت ميل» و «جون ديوي».. «وهذه البراغماتية التي نحن في أشد الحاجة إليها يجب

أن تثرى بالبعد الروحي، وهذا الأخير لا يمكن استنباطه إلا من روح الاسلام.. فالبراغماتية المجردة من هذا البعد، تبقى مجرد فلسفة نفعية عملية متوحشة، لكن باكتسابها العمق الروحي الأخلاقي الإسلامي تتحول إلى سلوك ناجح يجمع بين محاسن النظامين، الاشتراكي والليبرالي» وهذا في نهاية المطاف هو جوهر ومرمى النظام الإسلامي.

وبعد 10 سنوات من هذا التاريخ يصبح هذا الدكتور الشيخ على رأس أكبر تنظيم سياسي أثار الكثير من الصخب الإعلامي والسياسي.. وقاب قوسين من بداية تحقيق المشروع الذي يحلم به الاسلاميون من حسن البنا إلى مصطفى بويعلي.. بعد 10 من ذلك الحوار الطريف والخاطف، تكون الجزائر قد انتقلت من عهد الحزب الواحد إلى التعددية، إلى حالة الحصار العسكري الثاني، ويكون عباسي مدني نفسه محاصرا، لكن هذه المرة ليس بأسئلة وتساؤلات طلبة حي ابن عكنون، بل برشاشات عسكر جزائريين جاءوا لاقتياده إلى حيث اقتيد ذات يوم من نوفمبر 1954 ..! المكان: مقر الفيس الذي يحمل رقم 17، بنهج حماني(شراس) سابقا، يقف عباسي في الطابق الخامس، في منتصف الرواق، وسط مجموعة من أنصاره، يرتدي عباءته البيضاء، وعلى وجهه تبدو علامات الإعياء والإرهاق صارخة في جلائها للعيان» يهرول باتجاهه وفي شيء من التوتر أحد المناضلين ليلفظ على مسمعه..

- "الشيخ.. إننا محاصرون"

ويرد عباسي"ما العمل؟ نمكث هنا أم ننزل؟"

صمت ثقيل ساد إثر ذلك«حدس الشيخ أنهم هذه المرة يريدون رأسه هو» أدار عينيه المثقلتين نحو الوجوه المرتبكة، ثم أخرج قرصا وابتلعه دون انتظار كوب الماء الذي سبق أن طلبه منذ لحظات ..بعد ذلك اتجه عباسي مدني نحو سلم العمارة لكنه وجد معارضة من مناضليه ونصحوه بالتريث قليلا إلى أن يتم الاتصال هاتفيا ببعض الأنصار الآخرين حتى يتم الخروج وسط جمع غفير عل وعسى أن يحول ذلك دون إجراء التوقيف..

وحسب شهادة كل من فتيحة عاقب ومصطفى شلفي(صحفيان بجزائر الأحداث) فلقد أبدى عباسي موافقته لهذا الاقتراح وحاله بين التوجس والحزم، وإذا برجل متقدم في السن يذكره بالزمن الذي قضاه في السجن إبان حرب التحرير فأجابه الشيخ مستوعبا الاشارة.

- " لا خطر في الأمر" وهو مشغول اليدين مع ساعته، عيناه اللتان كانتاتتابعان حركة المناضلين الذين كانوا يستنجدون هاتفيا برفقائهم، ومن حيث المظهر ورغم مالقيه من توتر وتعب خلال الأيام الفارطة، كان عباسي يحرص على الظهور في صورة لائقة، ويجيب بصوت هادىء على الأسئلة التي كانت تلقى عليه. وكان علي جدي وهو عضو في مجلس الشورى واقفا خلفه يصغي ولا يتدخل..."

ويضيف الصحفيان" وفي أسفل العمارة، بينما الساعة تشير إلى السادسة والنصف، كانت سيارة بلاعلامة موقوفة في نهج حماني، قبالة مدخل المقر وداخلها رجال من الكومونودوس، مقنعة رؤوسهم بالأسود، كانوا يراقبون مدخل مقر الفيس، وأصابعهم على زناد اسلحتهم، وفي أعلى النهج وحتى طرفه توقعت سيارات عادية أخرى» والمارة بنهج حماني صعودا ونزولا لم يتفطنوا بعد بوجود رجال الكوموندوس، ووقتئذ بادر مناضلو الفيس الذين أشعروا بالأمر بتقدير الموقف والتعرف على مواقع السيارات. وأما الطابق الخامس، فما انفك عباسي واقفا في

البهو، وهو يجيب على الأسئلة ويتمسك بتهجماته على حالها وبعزمه على المضي إلى نهاية المطاف

"إن لم يستجب رئيس الجمهورية لمطالب الشعب، فهو الذي يتحمل مسوولية ما يجري وما سيجري"

كان عباسي مدني مصمما على الذهاب إلى أقصى حد في المواجهة.. وهذا الحوار الأخير الذي أجرته معه(الجزائر-الأحداث نفس المصدر) يكشف ملامح عمق هذه المواجهة وهذا العناد..

سؤال: لقد وجه الشيخ بشير فقيه اتهامات خطيرة ضدكم فما رأيكم في ذلك؟

جواب: إن الشيخ بشير فقيه يعد بالنسبة إلي عضوا من مجلس الشورى وإن كان لديه مشكل فما عليه إلا أن يطرحه داخل مجلس الشورى.

سؤال: ولكنه فضل طرحه أمام الملأ وفي التلفزة بالتدقيق بحيث يتهمكم أساسا بأنكم تحتكرون السلطة وأنكم لا تحترمون القرارات المتخذة بأغلبية أعضاء مجلس الشورى؟

جواب: هذا غير صحيح لأنني لست العضو الوحيد في الجبهة أضف إلى ذلك أن لجبهة الانقاذ هياكل منها المكاتب البلدية والمكاتب الرلائية والمكتب الوطني فمجلس الشورى.

سؤال: لقد انسحب ما يربو عن 10 (عشرة) أعضاء من هذا المجلس أليس ذلك بالأمر المهم؟

جواب: إنها قضية داخلية للجبهة.

سؤال: ألا يقلقكم هذا الوضع الذي صار يتأزم أكثر فأكثر، وهذه الدماء التي تسيل، وهذا الانزلاق الخطير نحو المزيد من العنف؟

جواب: نحن منشغلون بهذا الوضع ولكن مناضلي جبهة الانقاذ ليسوا هم السبب

سؤال: فمن ياترى؟

جواب: من أمر بنزع تسمية«البلدية الاسلامية» من البلديات.! لقد دعينا إلى تهدئة الأمور إلى درجة أننا أوصينا مناضلينا بترك الجيش ينزعها دون أية معارضة أليس الشعب هو الذي عارض الجيش في ذلك؟!

سؤال: هل هذا يعني أنكم لا تتحكمون في الوضع ما دمتم تؤكدون بأن من يخترقون حظر التجول لا يمتون بأية صلة إلى مناضلي جبهة الانقاذ؟

جواب: نعم. ولكن الناس تسمعنا وتحترمنا.

سؤال: لماذا لا تستعملون هذا الإحترام الأدبي لحث الناس على الالتزام بالهدوء والسكينة؟

جواب: لن نفعل ذلك قبل الحصول على ضمانات فيما يخص رفع حالة الحصار والاعلان عن تاريخ الانتخابات الرئاسية. يجب على الرئيس أن يعلن عن تاريخ ذلك.

سؤال: فما هي الحلول إذن؟

جواب: إن الخلافات السياسية تحل سياسيا وليس بالقوة العسكرية. فمهمة الجيش هي الدفاع عن التراب الوطني، وحتى يعود الوضع إلى حالته الطبيعية، كما نطالب بضمانات بحيث لابد أولا من رفع حالة الحصار ثم تحديد تاريخ إجراء الانتخابات الرئاسية المسبقة في أقرب وقت ممكن وضمان عودة العمال المطرودين إلى مناصبهم والافراج عن المعتقلين كما لابد من السهر على أن تكون الإذاعة والتلفزة ووسائل الاعلام عامة قنوات للأمة وليس للنظام أو للحكومة، ويمكن أن يتم ذلك من خلال استقلالية وسائل الاعلام لأنها غير مستقلة وبالخصوص الإذاعة والتلفزة.

سؤال: ولكن في إنتظار ذلك، فالوضع يتأزم، والخطر يداهم البلاد، ألا تخشون أن يتطور الوضع إلى انقلاب في حالة اصراركم على تغذية التوتر؟

جواب: من قال لكم أن ماحصل ليس بانقلاب مقنع، على أية حال الجيش هو الذي يقود البلاد اليوم

سؤال: لكن هناك حكومة غزالي التزمت بأن يتم تنظيم انتخابات«حرة ونظيفة» في الشهور القليلة القادمة؟

جواب: لقد شعرت بارتياح لدى تعيين غزالي في منصب رئيس الحكومة خصوصا بعد أن أعلن أن حكومته ستتشكل من شخصيات محايدة، لكن الأمر غير ذلك فحكومته لا تضم شخصيات حزبية فحسب بل تبين أيضا من خلال خطابه الأخير أنه يخاطب الشعب بعد موافقة الجيش وتوجيهات من هذا الأخير. وإلى جانب ذلك فإن تصريحاته ليست في مستوى التحدي الذي يزعم مواجهته فهو جزء من النظام وليس بالمحايد، لقد أعطانا وعودا لم يحترمها ولم يف بها.

سؤال: وما هي هذه الوعود؟

جواب: إعادة العمال المطرودين إلى مناصب عملهم لكن ما يحدث هو أننا نستقبل كل يوم عمالا لم يلتحقوا بعد باماكن عملهم.»

اقتيد الشيخ من طرف الكوموندوس إلى احدى ثكنات الجزائر قبل أن يسارع إلى عقد مؤتمر الفيس.. فالأمور بدأت تتصاعد حدتها، وخرج الغسيل الداخلي للحزب إلى العلن لتجد القاعدة نفسها فجأة في حالة من اليتم والحيرة الشديدين.

لمن تسمع هذه القاعدة الآن، لجماعة قشي سعيد والهاشمي سحنوني، أم للمنشقين الذين هم بدورهم ركنوا إلى صمت يائس أم للمكاتب الولائية التي لا ترى زعماء لها إلا أولائك الذين اقتيدوا إلى المعتقل وعلى رأسهم الشيخان عباسي مدني وعلى بن حاج؟!

لكن من هو هذا الشيخ الذي طبع أول حزب اسلامي في الجزائر بهذا القدر القوي من شخصيته وأسلوبه وفلسفته في مجال العمل السياسي، وما طبيعة هذا المسار الذي اختاره من أجل تحقيق مشروع الدولة الاسلامية، وكيف تطورت ميكانزمات نشاطه السياسي، وما هي الظروف التي تكونت فيها هذه الميكانزمات؟

هل هي مجرد صدفة عندما يقترن اسم مسقط عباسي مدني (سيدي عقبة- بالقرب من بسكرة) باسم عقبة

بن نافع الذي جاء «الجزائر» فاتحا وناشرا لرسالة محمد عليه الصلاة والسلام؟

وهل هي الصدفة أيضا عندما يأتي تاريخ ميلاد الشيخ في ظرف مزدوج ومتناقض؟!

ولد عباسي مدني في سنة 1931، أي بعد عام واحد من تلك الاحتفالات المدوية التي أقامتها فرنسا بمناسبة مرور قرن على احتلالها الجزائر.. تلك الاحتفالات لم تزد تلك الجروح الصامتة سوى إيغارا واشتعالا، والمعمرين إلا يقينا في أن الجزائر أصبحت قطعة من فرنسا وجزءا لا يتجزأ منها..

ومن جهة أخرى فقد كان هذا الظرف الذي فتح عباسي فيه عينيه على العالم يتسم بنمو الاتجاه الثوري وتطوره داخل الحركة الوطنية الجزائرية.. فالفارق الزمني بين ميلاد أول تنظيم سياسي وطني ثوري وميلاد عباسي مدني لا يتجاوز الأربع سنوات، فلقد تأسس(نجم الشمال الافريقي) سنة 1926، وقد كانت مطالبه إلى حدما شبيهة بمطالب الأمير خالد في خطوته الأولى مثل المطالبة بالآستقلال وإلغاء قانون الأندجينا وتحسين وضعية عمال المغرب العربي، وإطلاق سراح المساجين السياسين..

في ظل هذا الظرف الذي بدأت فيه الحركة الوطنية في تجديد مواقفها وعملها السياسيين، وبإدخال القضية الجزائرية المحافل والمؤتمرات الدولية، مثل نجم الشمال الافريقي ومصالي الحاج في تدخلاته على استقلال الجزائر وضرورة انسحاب الجيش الفرنسي المحتل وتأسيس جيش وطني وتعويض المجلس المنتخب بطريقة تعسفية ببرلمان جزائري يتم انتخابه بالاقتراع العام وعلى أن المشكل الجزائري حان وقته ليطرح في إطاره الحقيقي وعلى تبني النظرة الشاملة للقضية الجزائرية وهي التحرير التام من السيطرة الأجنبية على جميع مستوياتها السياسية والثقافيةوالاقتصادية.

من الصدفة كذلك أن تكون السنة التي ولد فيها عباسي هي ذات السنة التي تأسست فيها جمعية العلماء على يد الشيخ الحميد بن باديس

إن مثل هذه الصدف التي رسمها القدر، كفيلة أن تجعل هذا الرجل في قلب الأحداث وعلى فوهة الخطر الدائم»

تعليمه كان تقليديا، وهو بذلك لا يختلف عن أترابه من ذلك الجيل الذي تربى وتلقى المبادىء الأولى في التعليم، داخل الزوايا والكتاتيب ثم المدارس الحرة التابعة لجمعية العلماء المسلمين، بعد ذلك انتقل إلى المدرسة الابتدائية الفرنسية لفترة وجيزة فالتعليم فيها المشروط زمنيا للجزائريين كان يعتبر ضرورة بالنسبة للنظام الاستعماري، فهو يمثل في الحقيقة اتمام الترشيح الاستعماري وذلك بغزو الأدمغة. (المرجع عبد القادر جغلول (تاريخ الجزائر الحديث) دار الحداثة)

"لقد تم االاحتلال الأول للجزائر بقوة السلاح، وانتهى عام 1871 بنزع السلاح من القبائل. ويتضمن الاحتلال الثاني قبول إدارتنا وعدالتنا من قبل أهل هذا البلد.

أما الاحتلال الثالث فتم من خلال المدرسة. فالاحتلال سيؤكد تسلطه على لغتنا بمختلف لهجاتها المحلية، وادخال الفكرة التي نحملها نحن بأنفسنا عن فرنسا ودورها في العالم إلى أذهان المسلمين، وذلك بإبدال الجهل والأحكام المسبقة المغالية بمفاهيم أولية للعلم الأوروبي الدقيق."

ويرى عبد القادر جغلول(نفس المصدر) أنه إذا كانت وجهة نظر التعميم المدرسي ضروريةفهي في الوقت نفسه غير ممكنة اقتصاديا في إطار الرأسمالية الاستعمارية، فتعليم الجزائريين يسير بوجهة معاكسة للمصالح المباشرة

للمستعمرين، من حيث أن التعليم بالنسبة لهم، يمثل عبئا ماليافائقا (...) ويعمق اكثر فالتعليم المكثف للجزائريين هو مخالف لهياكل الرأسمالية الاستعمارية،. إن احدى وظائف المدرسة الابتدائية العلمانية والالزامية في فرنسا، هي أن تكون بكثافة قوة العمل التي يحتاج إليها الانتاج الرأسمالي الكبير المتطور، بينما في الجزائر، فإن قسما ضعيفا جدا فقط من قوة العمل الموجودة تستخدم في الانتاج الرأسمالي الكبير (عمال زراعيون، وبروليتاريا صناعية أجنبية)، ومن الناحية الاقتصادية فإنه غير ممكن، لأن تعميم المدرسة يشكل خطرا على المستوى السياسي والايديولوجي»

وحول دراسته الدينية يقول عباسي مدني أنه أخذ قواعدها على يد"الشيخ نعيم النعيمي(المصدر، الأحزاب السياسية في الجزائر، عبد العالي رزاقي) في أحد جوامع بسكرة، حيث درست علوم القرآن الكريم والسنة والفقه"

في العشرينيات من عمره، دخل عباسي مدني المعترك السياسي، أي بعد منتصف الاربعينيات وبداية الخمسينيات. هذا الظرف شكل أحد المنعرجات الكبرى للحركة الوطنية.. لقد اختار عباسي الانخراط في حركة الانتصار من أجل الحريات الديمقراطية، بدل النضال سياسيا في جمعية العلماء الاصلاحية، لقد كانت"حركة الانتصار" وليدة نجم الشمال الافريقي وحزب الشعب المعروفين باعتبارهما حركة ثورية ذات طابع شعبوي من جهة، ومن جهة ثانية تشكل مركز الألتقاء المثير لمجموع الخطابات الايديولوجية الشمولية، من اشتراكية إلى قومية عربية ثورية، إلى وطنية دينية.. وهذه الخطابات كانت تعبيرا جليا عن مختلف الانتماءات الاجتماعية التي كانت تتشكل منها قاعدة هذا الحزب.

لكن"حركة الانتصار" سرعان ما ستتعرض لأحدى الضربات القوية من طرف الإدارة الكولونيالية بعد أحداث 8 ماي 1945، فتحل فروعها ويضطر مناضلوها دخول السرية، ويرمي برئيس الحزب مصالي الحاج في أحد سجون الكونغو الفرنسي.. ويجد اللبيرالي المهادن عباس فرحات نفسه تحت الاقامة الجبرية..

إن الجيل الذي برز بعد الحرب العالمية الثانية، جيل ناضج، يئس من القنوات التقليدية وامكانياتها الهشة في مساعدته على تحرير بلده من الاستعمار"

لذا كان يرى أن سبيل الكفاح المسلح هو وحده الأسلوب الناجع في ميدان المعركة مع الاستعمار؛ وعلى هذا الأساس أقبل جناح من شبان"حركة الانتصار" على تأسيس تنظيم شبه عسكري" ومن بين هذه الأسماء المؤسسة نذكر أحمد بن بلة، علي محساس، مصطفى بن بولعيد، كريم بلقاسم، عمر أوعمران لخضر بن طوبال، محمد بوضياف، محمد خضير، آيت أحمد.

وكان عباسي أحد الأعضاء القاعديين النشطين لهذا التنظيم السري، لكن سرعان ما يتعرض هذا التنظيم مرة أخرى لضربات الادارة الكولونيالية شبه القاضية بعد هجومه الفاشل على المكتب الوطني للبريد في وهران عام 1949 .. وفي هذه الأثناء يلقى القبض على عباسي مدني» وبعد خروجه من السجن يجد نفسه مجددا من الأوائل الذين شاركوا في عمليات نوفمبر 1954، فيلقى عليه القبض في 17 نوفمبر 1954 وتنقل بعد ذلك بين مختلف سجون العاصمة انطلاقا من سجن(سركاجي) مرورا (بباربروس) فالبرواقية، يقول عباسي"في الفترة

الأولى كنت في سجن الحراش ثم البرواقية ثم أعادوني إلى الحراش وخرجت بعد الاستقلال من السجن"

في 1962 يستولي احمد بن بلة على «السلطة بدعم من رئيس الايطاما جور هواري بومدين، بعد صراع عنيف كاد أن يؤدي بالبلاد إلى حرب أهلية" كان عباسي آنذاك في الثلاثينات من عمره، كان بعيدا عن أجواء هذه الصراعات وكواليسها.. لقد كان متعبا من سنوات السجن التي قضاها طيلة فترة الحرب التحريرية، وحزينا إلى درجة الكآبة من هذا "الانحراف" بالثورة الذي ذهب ضحيتها مليون ونصف شهيد؛ وبعد ذلك بسنوات يصرح عباسي مدني"بالنسبة إلي جبهة التحرير الوطني،والجبهة الاسلامية للإنقاذ، هما فرعان لأصل واحد، هو تاريخ الجزائر إلى 19 مارس 1962 .. هذا الأصل هو الذي يشدنا إلى بعضنا احببنا أم كرهنا.. والفرع عندما يختلف، إذا أرجعنا الأصل للفرع حدث الاستلاب وكانت المفارقة، وإذا ارجعنا الفرع إلى الأصل تم الاتفاق..إذا رجعت جبهة التحرير إلى أصولها تجدنا ونكون شيئا واحدا، إذا رجعت جبهة التحرير إلى الاسلام وإلى المبادىء الثورية التي كانت عليها من قبل فسنلتقي دون منازع.. إذا رجعت جبهة التحرير إلى مصلحة الوطن فستجدنا هناك.. أن نخضع كل شيء إلى الوطن، وإلى مصلحته وأن نرد الأمر إلى صاحبه إلى الشعب، من حيث أننا نمثل الشعب ولسنا عيونا على الشعب إذا رجعت جبهة التحرير إلى انسجامها العقائدي وتخلصت من تناقضاتها..إن الذي قضى على جبهة التحرير الوطني أنها فقدت مبادئها، وتخلت عنها وفقدت رجالها، فعوضت عقيدتها بايديولوجية دخيلة، وعوضت رجالها بمنتهزين، وجبهة التحرير في عهد الانتهاز لا يمكن أن تجتمع بنا أبدا.. لأن المنتهزين يضحون بجبهة التحرير وبالوطن ومن أجل مجد جبهة التحرير في وقت الثورة، نحن لسنا تجار المبادىء، ولكن نحن رهن هذه المبادىء.. إذن قضية قيم، أزمة تعاني منها جبهة التحرير الوطني، ولا ننكر أن بها عناصر في المستوى، ولكنها قليلة إلى درجة أن يحرقها حملة الانتهازية(...) والذي نقوله في هذه المناسبة- يدهشهم- أننا نخشى على الجبهة الاسلامية من مثل ما وقعت فيه جبهة التحرير الوطني، وقويت الجبهة الرسلامية لتحل محلها، ليست مشكلة أن يموت الشيخ بعد أن يكون قد ولد ابناء صالحين.

إنما المشكلة عندما لا يلد أو يلد أبناء فالسين، كنا نخشى، أقول، لكم بكل صراحة، إن مكاسب ثورتنا تضيع بضياع ذلك الجيل، جيل المبادىء لأن الانتهازية وجدت ثروة مكاسب، جاهزة بدون ثمن، فالذي وجد شيئا بدون ثمن لا يعرف قيمته، أما وقد هيأ الله هذا النفس الجديد، فاعتقد أنهم قالواعن جبهة التحرير قالوا عنها ماتت، ولم يقولوا عنها أنجبت، وقالوا عنها أنهم قالوا غن جبهة التحرير انها انتهت ولم يقولوا أن الرسالة قد استؤنفت فبكوا على الميت ولم يبتسموا في وجه المولود"

بعد الاستقلال، يتجه عباسي نحو دراسة الفلسفة بالجامعة، يتعرف خلال هذه الفترة على أستاذ إسمه الهاشمي تيجاني فيحدث الاتفاق بين هذا الأخير والشيخ أحمد سحنون، والشيخ عبد اللطيف سلطاني والشيخ العرباوي على تأسيس جمعية تدافع عن القيم الروحية والأخلاقية والحضارية لهذه البلاد، تحت اسم"جمعية القيم" وينضم عباسي إلى هذه الجمعية التي سرعان ما تجد مضايقات في عهد احمد بن بلة، وتحل صراحة في عهد

بومدين، سنة 1966 ..بعد ذلك يركن عباسي إلى الصمت" ثم يتفرغ بعد ذلك إلى الدراسة.. فيتحصل بعد شهادة الليسانس على دكتوراه الدرجة الثالثة في التربية، ثم يسافر إلى بريطانيا ليتحصل من جامعة لندن على شهادة دكتوراه الدولة في مجال التربية المقارنة.

في مقدمة عمله هذا يتناول الدكتور مدني المشكلات التربوية في إطار الأنظمة المتعلقة بالبلدان الثلاثة، انجلترا، فرنسا والجزائر ويرى بأنه"إذا حاولنا البحث عن أهم عوامل التبعية وما نجم عنها من انعكاسات سلبية لا حصر لها، وجدنا مساهمة التربية في ذلك تجعلها من أهم عوامل التبعية خطرا.. ودراسة مناهج التربية الاستعمارية وفلسفتها، تدل دلالة واضحة على أن هذه التربية كانت تعتبر تكوين الانسان اللامنتمي، إنسان التخلف والتبعية أهم أغراضها وغاية غاياتها"

ويحصر الدكتور عباسي مشكلات التربية في البلدان الاسلامية في محورين أساسيين:

المحور الأول يتمثل في حجم الاصلاحات التي تعرضت لها النظم التربوية في البلدان الاسلامية وانعكاساتها الثقافية والحضارية.

ويتمثل المحور الثاني في النظرية التربوية الحديثة وما تعنيه رغم تراثها الفكري والحضاري من عجز عن توفير السعادة للإنسان الحديث وعن تلبية رغبة التوازن الروحي والمادي.

ويصل الدكتور عباسي مدني من خلال عرضه واستقرائه لتاريخ الاصلاح التربوي إلى الاتجاهين التاليين:

1 - الاتجاه النهضوي ويمثله كل من جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وعبد الحميد بن باديس... "فعلى الرغم من محاولة زعماء الغزو الفكري الحيلولة دون تبني الشعوب الإسلامية للدعوة الأصلاحية، فإن الشعوب الإسلامية قاطبة قد استجابت لنداء علمائها، ودعوتهم الاصلاحية وهو ما شجع على ظهور مدارس ومعاهد تمثل النموذج الاصلاحي، الذي اختاروه وكانت الشعوب الاسلامية لا تتراخى في أمر تدعيمها وتمويلها"

2. الاتجاه الحداثي وقد مثله كمال أتاتورك والخديوي أسماعيل وغيرهم، ويرى عباسي أن اعتبار ما قام به هؤلاء-رغم ما أضافوه للعالم الاسلامي من مدارس ابتدائية ومعاهد ثانوية وجامعية- "اصلاحا تربويا سليما هو قلب للحقائق" (..) "فشتان بين الاصلاح التربوي القائم على الأسس السليمة التي يشرف عليها علماء الأمة الذين هم على بصيرة من الأمر.. أحرار في تفكيرهم، وبين تلك التطفلات الارتجالية المفروضة بطريقة ما... إن ما قام به هؤلاء لا تقدر خطورته على الأجيال في الماضي والحاضر والمستقبل"

وفي تناوله المقاييس النظرية والإجرائية في اعداد الخطة الاصلاحية، يرى عباسي مدني أن ذلك يبدأ بإقناع الأمة "وتوعيتها بشرعية واخلاقية العملية واحترام إرادتها في ذلك، فالغرض "لبدائل الحداثة لم يحقق النهضة المرجوة بل عمل على تزييفها، وتحريف إتجاهها والسبب في ذلك أن النهضة وليدة العزائم المحفزة والذكاء المتقد والعبقرية الملهمة والضمائر اليقظة والفكر الحر.. لقد كان إنعدام مراعاة إرادة الأمة في الخطة الإصلاحية التربوية

أن زادت المشكلات تعقيدا، والأزمات تفاقما وحدة.."

ويرى عباسي أن الخطة الإصلاحية الناجعة تمر بالمراحل التالية في أغلب الأحيان. 1. مرحلة ما قبل الإعداد.

2-مرحلة الإعداد.

3-مرحلة التبني.

4-مرحلة التطبيق.

في مرحلة ماقبل الإعداد يرى عباسي مدني" أن ثمة مقاييس فنية تشترك فيها أغلب الهيئات التي يجب أن تكون في مستوى المؤهل العلمي المتخصص، لكن التخصص سوف لن يكون في مجال واحد، فهناك الجانب الإداري والسياسي والإجتماعي والإقتصادي..زيادة على ذلك مراعاة الشروط البيداغوجية المعقدة، من جهة أخرى فإنه لابد أن تكون هيئة الإعداد ممثلة لكل فئات المجتمع لتكون هي الأخرى شرعية .. وما إذا كانت المعايير التي تعين على أساسها هيئة الإعداد مجرد معايير فنية صرفة، فإن الأمة تكون حينئذ تحت سلطة التكنوقراطيين والبيروقراطيين .. وفي هذه الحالة يأتي المشروع حسب إتجاه هؤلاء بقطع النظر عن رأي الأمة وإرادتها "وفي مرحلة الإعداد يعتبر المؤلف الوصول إلى نتائج عليا في مجال النوعية التربوية يتأتى "من العمل المقارن بين المستوى التربوي في العالم" ويؤكد على ضرورة الجمع بين المركزية واللامركزية في مجال تمويل التعليم وتوجيهه فالأخذ بواحدة دون الأخرى قد يؤدي إلى تطرف "لايخفي ضرره بالمنظومة التربوية" كما أنه يرى "أن الإصلاحات التربوية التي حدثت حتى الأن في العالم الإسلامي إذ ركزت على تعميم التعليم الإبتدائي والثانوي فإن اهتمامها كان على حساب النخبة والسبب في ذلك أن الوعي بالحاجة إلى النخبة تأخر ولم يظهر حتى الأن .. بل ظهرت نزعة الخوف من أولى الكفاءة خاصة على الساحة السياسية والإقتصادية ،من نتائج الخوف من النخبة المضايقة عليها وإجبارها على الهجرة" ويسجل عباسي من خلال عرضه حول المشكلات التربوية في كل من الجزائر، بريطانيا وفرنسا بأن "الدراسات التي أجريت في الميدان بينت نجاعة المدارس والمعاهد الحرة في تقليل عدد المجرمين والمشردين والجانحين (باعتبارها تمتص حالات التسرب) في حين أن البلدان التي منعت المدارس والمعاهد الحرة لم يبق عندها إلا المدارس الرسمية والمعاهد التي يخضع الإنتساب إليها لقانون الإمتحان والمسابقات ... ومن ثم يكثر عدد المتسربين".

في نهاية السبعينات يعود عباسي من لندن حاملا معه شهادة الدكتوراه، ويبلغ نشاطه الدعوي السياسي أوجه خلال بداية الثمانينيات..

في 1981، كانت جماعة الجهاد في منتهى قوتها بالغرب الجزائري، وخاصة بمدينة سيدي بلعباس، كان مسجد السلام، هيئة أركانها ومقرها الذي توجه منه خطبها النارية ضد النظام، وضد تعفن السلطة.

الصراع بين جماعة الشيخ عثمان (زعيم الجماعة) والسلطات المحلية كان مفتوحا على مصراعيه، ووصل إلى

أقصى حد في الإستفزاز، حيث حدثت مشاجرة بين أمير الجماعة والوالي في المسرح البلدي للمدينة.

المثال الثاني، بين أمير جماعة الجهاد ومحافظ الأمن السابق بورقعة، وهو اليوم موجود بالمديرية العامة للأمن بالعاصمة، وحدثت المشادة بين الجماعة والمحافظ المركزي للأمن السيد بورقعة أثناء مراسيم دفن أحد أعوان الأمن. وهذا الأخير كانت لديه علاقة بالجماعة.

في ظل هذه الظروف زار عباسي مدني المدينة.. مجموعة عثمان لم تكن تنظر إلى الشيخ بعين الرضا.. بالنسبة إليهم يعتبر الشيخ غامضا ودخيلا على الحركة الإسلامية..الشيخ عباسي لم تكن لديه جماعة من الأتباع، وإن شرع يقيم بعض العلاقات داخل الحرم الجامعي محتميا بالتأييد الأدبي والمعنوي للشيخ المخضرم أحمد سحنون..الدروس التي كان يلقيها الشيخ عباسي في ذلك الوقت، كانت بالنسبة لجماعة الجهادمهادنة للسلطة، إن لم تكن بالتنسيق معها لضرب الإتجاه الثوري في الحركة الإسلامية.

إختار الشيخ عباسي مدني مكانا لدروسه، مسجد "أبوبكر"، هذا الأخير كان عبارة عن كنيسة، وحولتها الدولة إلى مسجد رسمي " وقبيل صلاة العشاء، جاء بعض الأفراد من جماعة الجهاد اعتبرته خائنا ومتورطا مع السلطة لضرب الحركة.. وتطورت التهم إلى معركة كلامية عنيفة" البعض، وممن كانوا من جماعة الجهاد انشقوا عن أميرهم ليلتحقوا بعد ذلك بسنين بالفيس، ونذكر منهم السيد نوار عظيم، الذي حسب فيما بعد على جماعة بويعلي، اعترف البوليس السياسي بأنه استغل هذا "السوء-تفاهم" ليزيد النار أوارا.

حاول البعض من الجماعة إختطاف الشيخ مدني إلى مسجد السلام، لكنهم تخلوا عن الفكرة، وذهبوا تاركين عباسي لأداء صلاتهم بمسجدهم الحر.. لكن سرعان ما ألقي القبض على الشيخ عثمان، وجماعته ومن بينهم فقيه بشير، وأحيلوا على محكمة المدية.

حنقهم زاد على الشيخ عباسي، وشكوكهم تجاهه تعمقت إلى غاية 1982 أي إلى غاية أول تجمع للإسلاميين بالجامعة المركزية الذي كان بتاريخ 12 نوفمبر 1982. كيف تم الوصول إلى ذلك، وكيف كان عباسي من المضيين الثلاثة على ذلك البيان التاريخي وهم الشيخ أحمد سحنون، وعبد اللطيف سلطاني وعباسي.؟

جاء تجمع الجمعة 12نوفمبر1982بعد الأحداث الدامية التي عرفها الحي الجامعي بابن عكنون، حيث ذهب كمال أمزال المولود عام 1963 والطالب بمعهد اللغات الأجنبية، تخصص لغة إسبانية ، ضحية المشادات، حول مسألة إنتخاب لجنة حرة وبكل ديموقراطية في الحي.

وترجع جذور هذه المشادات إلى سنة من قبل، عندما أقبلت جماعة من الطلبة غير المنتمين إلى الأحزاب السرية في البداية، وإن كانت بعض العناصر محسوبة ظاهريا على اليسار لدى مجموعة الحي، التي أرادت أن تبقى لجنة للحي بدون إنتخاب.. فذلك بالنسبة إليها كان أحسن وسيلة للوقوف في وجه الشيوعيين أو اليساريين الذين يريدون الإستيلاء على الحي.

في 1982، وبالضبط في منتصف شهر أكتوبر، حاولت مجموعة من اليساريين وهم المنظمة الثورية التي تفرع عنها حزب لويزة حنون، (حزب العمال) ومجموعة أخرى تنتمي للأفافاس، التي كان يشرف على قيادتها الدكتور سعيد سعدي، المسؤول الحالي والرجل الأول في الارسي دي (حزب التجمع من أجل الثقافة والديموقراطية) أن تستولي على لجنة الحي التي كانت بأيدي جماعة مسجد ابن عكنون، فدعت إلى جمعية عامة، بعد مسيرة متكونة من حوالي 50طالبا، تمت داخل الحي، كان شعارها التسيير الديموقراطي للحي، كمال أمزال لم يكن ينتمي لهذه المجموعات وإن كان شارك في المسيرة.. وفي أمسية 2 نوفمبر 1982، على الساعة الثامنة، عندما حاول كمال أمزال إلصاق االإعلان الداعي إلى عقد جمعية عامة، دوت كلمة الله أكبر بعد مناوشات صغيرة، ووقع ما وقع، وذهب كمال ضحية ذلك.

بعد ذلك بعشرة أيام، كان أول تجمع للإسلاميين في الجامعة المركزية وكان على رأس هذا التجمع الثلاثي عباسي -سحنون- سلطاني وتلا البيان النصيحة- المتشكل من 14نقطة على الجمع الغفير- المرحوم كلالشة سليم.

. بيان "النصيحة"

عن أبي رقية تميم بن أوس الداري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :"الدين النصيحة" قلنا لمن؟ قال :"لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم" رواه مسلم.

"في ضوء الأحداث الأخيرةالتي تعرض لها شبابنا المؤمن من إرهاب واختطاف وسجن وتعذيب وتعرضت لها بيوت الله في الأحياء الجامعية ابن عكنون وتيزي وزو وغيرهما والتي لم تكن الأولى والأخيرة من نوعها، وكذلك المساجد في كثير من المؤسسات التربوية كالثانويات والتكميليات أو المؤسسات العمالية في بعض المصانع والإدارات، هذه الأحداث لاشك أنها كانت بتدبير من الشيوعية العالمية والماسونية والعنصرية والبعثية.. الغرض منها توريط الدولة عن طريق استخدام أجهزتها في تنفيد خطتهم ذات الصلة المباشرة بالمذابح الرهيبة التي تعرض لها المسلمون في لبنان وفلسطين وغيرها من العالم الإسلامي . أن تسخير الدولة في خدمة المستعمر لضرب ديننا الحنيف وتهديد وحدة وطننا والمس بكرامة أمتنا لإعتداء صريح على سيادتنا وشخصيتنا، لأن هدم المنشآت العمرانية لأهون من قتل الضمائر وهدم الشخصية والقضاء على حرب الإعتقاد وتثبيط عزيمة الأمة وإرادتها الخيرة التي تعتبر العامل الرئيسي لبناء حضارتنا وحمل رسالة الإسلام هداية ربانية في عالم طغت عليه النزعات المادية، إن الجزائر المسلمة إذا كانت الجزائر تقع فيها فيها اخطاء على سبيل الرشاد الرشاد على ضوء الكتاب والسنة فإن هذه الأحداث لتندرج في مخطط أخطر غزو ثقافي تعرضت له بلادنا.

وتداركا لوقوع بلادنا، بلاد المليون والنصف مليون شهيد فيما ألت إليه النظم الأخرى لابد من التصدي لهذه المؤامرة بتطهير أجهزة الدولة من العناصر العميلة وإزالة الفساد من البلاد قبل فوات الأوان.

نظرا لخطورة الموقف فإن التعاون المشترك بين العناصر الطيبة في الأمة أصبح أمرا لابد منه وأي تهرب من المسؤولية من أي طرف يعد خيانة كبرى للإسلام وللوطن.وجود هذا التعاون لايتوفر في اعتقادنا إلا في ظل العودة الصادقة إلى الإسلام لنلح على الأسراع بالبت في القضايا التالية:

1- وجود عناصر في مختلف أجهزة الدولة معادية لديننا، متورطة في خدمة عدونا الأساسي، وعملية تنفيذ

مخططاته الماكرة، الأمر الذي ساعد على إشاعة الفاحشة وضياع المهام والمسؤوليات على الدولة وغيرها.

2- تعيين النساء والمشبوهين في سلك القضاء والشرطة وغياب حرية القضاء وعدم المساواة في الأحكام لهو هدم للعدالة التي لاأمن ولااستقرار بدونها.

3- تعطيل حكم الله الذي كان نتيجة حتمية للغزو الإستعماري واحتلاله للبلاد الذي لم يعد له مبرر اليوم بعد عشرين سنة من الإستقلال. فلابد من إقامة العدل بين الناس بتطبيق شرع الله. قال الله عز وجل "لقد أرسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط"

4 -حرمان المواطن من حريته وتجريده من حقه في الأمن على نفسه ودينه وماله وعرضه وحرية التعبير عنها لهو اعتداء على أهم حقوقه ومبررات التزاماته بواجباته الشرعية والأخلاقية.

5- عدم توجيه تنميتنا الإقتصادية وجهة إسلامية رشيدة بإزالة كل المعاملات غيرالشرعية، وتسيير السبل الشرعية لاكتساب الرزق من زراعة وتجارة وصناعة وتسوية الناس، في فرص الإستفادة من خيرات البلاد بدون تمييز.

6- تفكيك الأسرة، والعمل على انحلالها وإرهاقها بالمعيشة الضنكة كانت سياسة بدأتها فرنسا وبقيت تمارس حتى اليوم بالإضافة إلى محاولة وضعها على غير الشريعة الإسلامية تحت شعار نظام الأسرة.

7- الإختلاط المفروض في المؤسسات التربوية والإدارية والعمالية انعكست نتائجه السيئة على المردود التربوي والثقافي والإقتصادي والإجتماعي حتى صار يعطي مؤشرا خطيرا على سرعة الإنحدار الخلقي والحضاري.

8- الرشوة والفساد الممارسين في المؤسسات التربوية من المدرسة إلى الجامعة والإدارة وغيرها مرض بيروقراطي لا أخلاقي خطير لا يسلم مجتمع إلا إذا نقص منه.

9- تشويه مفهوم الثقافة وحصره في المهرجانات الماجنة اللاأخلاقية عرقل النظام التربوي وحال دون توصله إلى إبراز المواهب والنبوغ والكفاءات التي تفتقر إليها البلاد للتخلص من الوضعية الثقافية المفروضة علينا.

10- إبعاد التربية الإسلامية وتفريغ الثقافة من المضمون الإسلامي زاد في تعميق الهوة واستمراريتها.

11- الحملة الإعلامية المسعورة للإعلام الأجنبي والوطني لاستعداء الدولة على الدعوة والصحوة التي تهدد مصالح الدوائر الإستعمارية في بلادنا.

12- إطلاق سراح الذين اعتقلوا دفاعا عن أنفسهم ودينهم وكرامتهم.

13- فتح كل المساجد التي أغلقت في الأحياء الجامعية والثانويات والتكميليات والمؤسسات العمالية.

14- عقاب كل من يتعدى على كرامة أمتنا وعقيدتنا وشرعيتها وأخلاقها وفق الحدود الشرعية الإسلامية.

هذه الأمور هزت مشاعر أمتنا وحركت ضميرها وما وقفتها هذا اليوم إلا دليل على أنها ماتزال تستحق كل إكبار وتقدير واحترام وهذه المواقف التي عرفها شعبنا كافية للتعبير عن نضجه الإسلامي ووعيه السياسي وهذه الخصال جديرة بأن تجعله في مستوى مسؤوليته أمام الله والدار والوطن.

قال تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم {والعصر إن الإنسان لفي في خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر}.صدق الله العظيم

- أحمد سحنون - عبد اللطيف سلطاني - عباسي مدني

لقد كان هذا التجمع أول تجمع ضخم ومثير للإسلاميين، وأول تعبير عن انفسهم كقوة معارضة يحسب لها ألف حساب، واعتبر عباسي أن الدوافع التي أدت بهم إلى تنظيم مثل هذا التجمع أن أحداث 82، كانت بالنسبة إليه" إعتداء على الحريات، وإعتداء على حرمة الأمة بذاتها بإعتباره مواطنا، وأحد مثقفي هذه البلاد، وأحد الدعاة إلى الله فيها، فضلا عن الأبعاد الأخرى لأن الوقوف أمام عبقرية الأمة وذكائها وفكرها ووعيها وإرادتها يعتبر أخطر أنواع القهر التي سلطت عليها في العهد الإستعماري، حيث أفضت بها إلى الهامشية، وهي تفضي بنا من جديد إلى التبعية بكل أبعادها لنبقى دائما تحت قدم الغرب أو الشرق، إنها ليست قضية فرد بقدر ما هي قضية أمة وتاريخ ونهضة وآلام وآمال.

إن حرمات الحريات في أمتنا معروفة، وإن الإعتداء عليها إعتداء على الأمة بكاملها لأن جنايتها تنعكس في الفكر والثقافة وعلى جميع الأوضاع السياسية والثقافية والإجتماعية" (الأحزاب السياسية في الجزائر- المرجع).

وحول لقائه بالشيخين أحمد سحنون وعبد اللطيف سلطاني يقول عباسي" الحقيقة بالنسبة للقائنا، كان لقاء التاريخ. كان لقاء إجرائيا طبيعيا، من يعود إلى التاريخ يجد أن علاقتنا قوية جداً. تربطنا الرسالة المحمدية، والمنهجية الإصلاحية السنية السلفية، وكفاحنا وجهادنا منذ العهد الإستعماري إلى اليوم، لم نفترق ،لم نختلف، وعندما أعلنا ذلك البيان كان يمثل حاجة الأمة إلى نصح ولاة أمورها، عندما كنا نعتقد أن هؤلاء الولاة لهم أذان تسمع ولهم عقول تعي، ولهم إرادة خيرة لكن الأحداث كشفت أن هؤلاء كالاستعمار لا يفهمون إلا منطق القوة، ولا يحتاجون إلى حكمة علماء وإلى نصيحة أخوية ولا إلى توجيه سليم ينبههم كي لا يقعوا في مخاطر، وقد وقعوا فيها، وما نحن فيه اليوم من أزمة ما هو إلا سبب من أسباب ذلك الموقف، ونتيجة لما اتخذوه معنا، إذ لو انتفعوا بتلك النصائح لما وقعوا، ولما وقعت البلاد في كل ما وقعت فيه.. وحتى الآن ما يزالون متمادين وسائرين على نفس المنهج من التعنت والذي ينكر الحقيقة بالحق، فستبقى الحقيقة شاهدة عليه، لأنه لم يرد الحق، لأن ارتباط الحقيقة بالحق كارتباط الموجود بالوجود، إنه لا يمكن أبدا أن نتنكر للواقع ، لأن الواقع يفضي بنا إلى

كشف حقيقة الحق، إن الكفر بالحق لا يغني عنه تغطية الحقائق. ها هي الآن السياسة في تعسفها وفي اضطراب نظامها وانهياره، كذلك الحال في الوضع الاقتصادي المفلس والوضع الاجتماعي القلق.

وهذه الثورة الاجتماعية التي يتأجج أوارها، وهذا الزخم الاجتماعي الذي تطفح طاقاته وتنضح امكاناته وخاصة الامكانات الثقافية العلمية التي أصبحت على مستوى وعي شعبنا الجزائري، وإلى مدى ما يمكن أن يحققه من مشاريع من شأنها أن تجعله من أرقى الشعوب، ومن أقواها في عصرنا"

جمع 12 نوفمبر من زاوية رسمية

لقد كان تنظيم هذا التجمع محكما ومثيرا للانتباه، وقد أوحى ذلك الانضباط والتحكم لمصالح الأمن، أن من وراء ذلك منظمة سرية تشرف على ذلك، وحسب الوثائق الأمنية الرسمية فان الشيخ سحنون كان هو المحرك المعنوي لعباسي مدني الذي لولا هذا التكفل الأدبي لما تبعته الجماهير في النداء الذي وجهه للغرض المذكور.

«إذن بعد النداء الذي وجهه عباسي مدني بدأت (على الساعة التاسعة والنصف صباحا) الناس تتوجه من كل صوب من العاصمة نحو الجامعة المركزية بحيث انتشر الوافدون داخل الجامعة وخارجها بنهج ميلوز وشارع محمد الخامس، كل ذلك في تنظيم محكم يشرف عليه منظمون يحملون أطرافا من القماش الأخضر نصبت على الرأس والذراع لتميز المنظمين عن غيرهم، وقدر عدد المنظمين بنحو المائة والخمسين 150 كانوا ينشطون وهمهم الوحيد تنظيم المصلين بدون مبالاة للغير ولا مصالح الأمن.

وقد تناول الكلمة قبل الصلاة عدة خطباء، وهكذا قدم عباسي التصريح الذي يحتوي على 14 بندا، تناول قراءته المسمى كلالشة سليم الذي اختاره عباسي من أجل صوته الجهوري، ثم تناول الكلمة براهمي مصطفى، أشار في خطبته إلى حوادث ابن عكنون، كما فعل مثله بلقاسمي لونيس ثم تفرقت:الجماهير في هدوء تحت مراقبة واشراف المنظمين"

" وانطلاقا من هذا التجمع-يضيف التقرير- بدأت التحريات حول الجهاز المنظم والمحرض لهذا التجمع، واستنادا على الصور التي كانت تقوم بأخذها مصالح الأمن أثناء التجمع شرع في التحقيق الدقيق الذي دام ما يقرب من الشهر..وانطلاقا كذلك من تصريح المتهم بوجلخة محمد التيجاني يبدو باختصار ما يلي:

لقد تتلمذ هذا الأخير من حيث تكوينه الديني على السيد مالك بن نبي والذي وقع تحت تأثيره، ثم بعد وفاة السيد مالك بن نبي حل محله السيد بن شيكو عبد الحميد استاذ آنذاك في الرياضيات وبعد الحريق الذي شب في مسجد الجامعة المركزية نشأت فكرة تكوين منظمة ثقافية شبه سرية ولد عنها فوج مكون من: بن شيكو عبد الحميد، ابراهيمي مصطفى، ثابت أول محمد- المدعو حامي- بوكعباش محمد، بوجلخة محمد التيجاني- وسميت المنظمة(الجماعة الاسلامية)

عين على رأسها بن شيكو عبد الحميد ومساعده بوجلخة المذكور ومن معه من الأعضاء ووزعت المهمات بين

الأعضاء على مستوى الجامعات والمساجد الجامعية، وعلى أساس هذا التنظيم واصلت الهيئة شبه السرية أشغالها لمدة عامين تقريبا ويقال أنها أسفرت عن نتائج ايجابية، فالتحق بها المسمى لمجداني نور الدين في سنة 1977 وصايشي عبد الحميدبعد تزكيتهما من ثابت أول وبوكعباش، فتوسعت الجماعة الاسلامية فأنشأت الاشتراكات للمنخرطين، وأصبحت الجماعة الاسلامية تسمى مجلس الشورى، وذلك ابتداء من 1980، وخلال هذه السنة عين بوجلخة أميرا بعدما أخذ بن شيكو اتجاها آخر إذ يقال بأنه انخرط في(الهبرية) التي يشرف عليها السيد بلقايد.

وظهر بأن هدف المنظمة الجديدة هو: الاستحواذ على المساجد بالأحياء الجامعية من أجل تنصيب منظمات داخلها على صورة مجلس الشورى تختص بتسيير المسجد.

- الاستحواذ على لجان الأحياء الجامعية
- بسط اليد على «بعض المساجد في الأحياء الشعبية وتنصيب هيئات داخلها مستعملة لخدمة المنظمة
- تدعيم حملات التكوين والتزكية والتجنيد.

ثم في صيف سنة 1981 قرر الأمير بوجلخة إنشاء ولايات ومراكز أقليمية وهكذا أنشئت الولايات الآتية

- ولاية التكوين: يشرف عليها بو كعباش محمد ودوادي أحمد.
- ولاية الابحاث: ويشرف عليها لمجداني نور الدين
- ولاية العلاقات الداخلية: ويشرف عليها عدة أعضاء من مجلس الشورى.
- ولاية المالية: ويشرف عليها جميع أعضاء المنظمة
- ولاية التخطيط: ويشرف عليها بوجلخة وصايشي وثابت الأول، ومهمتها طلب تدعيم الشيوخ أمثال سحنون وعرباوي وسلطاني وعباسي من أجل تبني أفكار المنظمة وبجانب هذا التقسيم هناك تقسيم أقليمي يشمل:

- الوسط: ويحتوي على ولاية الجزائر والبليدة والأغواط وتيزي وزو والبويرة.
- الغرب: ويشمل ولاية وهران وسيدي بلعباس ومستغانم وتلمسان وبشار وتيارت والأصنام.
- الشرق: ويشمل ولاية قسنطينة وعنابة وسطيف وقالمة وبسكرة ومسيلة وجيجل وسكيكدة.
- الجنوب: ويشمل ولايات الجنوب.

ولكن على ما يظهر فلقلة الإمكانات المادية والبشرية بقي هذا التقسيم في صورة مشروع، وتواصلت فقط الانخراطات لجعل اليد على الأوساط الطلابية بالجزائر بما تسبب في الحوادث الدامية في الجامعة في 2 نوفمبر

1982 بين فئة المتدينين ونجم عن هذا الاصطدام موت شخص وعدة جرحى، وعلى ما يظهر قد وجدت في جيب الضحية ورقة محررة باللغة العربية وتحمل تهديدات موقع عليها بالعبارة (جند الله) وبعد هذه الحوادث الدامية اتصل بوجلخة محمد، بعباسي مدني وتناقشا في الأمر ووقع هذا الإتصال في 2 نوفمبر 1982، ثم أثناء صلاة الجمعة في 5 نوفمبر 1982 بمسجد القبة، وجه عباسي مدني يومئذ نداء للمصلين حيث طلب التوجه إلى الجامعة المركزية يوم 12 / 11 / 1982 ويبدو أن عباسي مدني وجه هذا النداء بدون استشارة بوجلخة محمد تيجاني الذي بدوره إجتمع ببيته بالمسؤولين الآخرين وهم:

- حمودة مسعود وصاحي عبد الحفيظ ولمجداني نور الدين وثابت الأول محمد، والذين أشعرهم بخطورة هذا التجمع لكن انقلبت الأوضاع بعد نداء الشيخ سحنون في 07 / 11 / 82 بحيث لم يعمل بهذا الألغاء وفكر المسؤولون داخل المنظمة في التدابير التي يجب اتخاذها حتى يقع التجمع المطلوب بعيدا عن الفوضى والإضطراب باللجوء إلى تعيين منظمين، ويظهر بأن ذلك تقرر بالتشاور مع وزارة الشؤون الدينية.

وفعلا كما لاحظنا- يضيف التقرير- وقع تجمع ثاني قبل 12 نوفمبر وتسربت فيه مصالح الأمن، الأمر الذي سهل مهمتها في إلقاء القبض على كل من تورط في هذه القضية..

وتجدر الإشارة إلى أن حوادث الحي الجامعي بن عكنون كانت محل تحقيق منفصل أحيل لنفس قاضي التحقيق لدى مجلس أمن الدولة بعد التحريات التي قامت بها مصالح الأمن، وذلك على أساس التهم القديمة التي وجهت لفريق بوجلخة، مع إضافة تهم جديدة بإدراج جرائم التعدي والمشاجرة والاغتيال والمشاركة فيه، ومن أجل حسن سير العدالة وقع ضم القضيتين ومبررات هذا الضم متوفرة من الأسباب التي أدت إلى ارتكاب الجرائم المتعددة، ومن هذه الأسباب التنظيمات السرية وشبه السرية التي تولد عنها صراع بين عدة تيارات ومن الأسباب محاولة بسط اليد والاستحواذ على مراكز حساسة ومنها المراكز الجامعية ومساجدها والمساجد الشعبية، وكانت نفس النتيجة التي تمخضت عن هذه التصرفات تلك النتيجة التي أدت إلى المساس بأمن الدولة وسلامة التراب الوطني والإعتداء على الأشخاص بما في ذلك الضرب والاغتيال"

من السجن إلى الشرعية

بعد تجمع 1982، يحكم على عباسي مدني بسنتين سجنا، وخلال هذه الفترة الممتدة إلى 1987، تعرف الحركة الاسلامية مرحلة أخرى من عمرها، هذه المرحلة اتسمت بالسرية الكبيرة ومن جهة أخرى ببروز الاتجاه المسلح داخل الحركة الاسلامية، الذي قادته جماعة مصطفى بويعلي.

نهاية جماعة بويعلي كانت مأساوية، من حيث أنها عجزت عن جر الجماعات الاسلامية الأخرى خلفها، وأنها وجدت نفسها وجها لوجه مع السلطة في مواجهة غير متكافئة.

بعد خروجه من السجن واصل عباسي مدني محاضراته ودروسه من خلال بعض مساجد وقاعات الأحياء

الجامعية، اتسمت هذه المحاضرات والدروس بالاعتدال وباجتناب أي تهجم سافر على السلطة.

في هذه الفترة عرفت الجزائر أزمة اقتصادية خانقة، وجملة من الاعتقالات ضد مختلف فصائل المعارضة ذات الاتجاه الديموقراطي الثقافي، مثل جماعات الحركة الثقافية البربرية، ومناضلي رابطة الدفاع عن حقوق الإنسان، وأنصار الرئيس الأسبق أحمد بن بلة.. كما أنها بداية تبلور الصراع على مستوى قمة السلطة بين تيار محمد شريف مساعدية، المدافع على سلطة الحزب الواحد، وخطاب الاشتراكية الشعبوية، وبين تيار أحمد عبد الغني، ثم عبد الحميد الابراهيمي الداعي إلى استبدال الخطاب الاشتراكي الشعبوي بالخطاب والممارسة الليبيرالية على المستوى الاقتصادي.. واستطاع هذا التيار الأخير أن يحسم الصراع لصالحه بعد أحداث خريف الغضب في أكتوبر 1988..

وعرفت الحركة الاسلامية في الجزائر خاصة بعد مصرع مصطفى بويعلي انحسارا جليا، وانطواء كبيرا إلى غاية انتفاضة أكتوبر..

في قلب تلك الأحداث يبرز عباسي مدني من جديد إلى جانب علي بن حاج على الساحة ويحتل بعد ذلك من خلال الساحتين، السياسية والإعلامية مكانة بارزة بالمقارنة إلى الشيخين نحناح، وجاب الله اللذين فضلا التريث والانتظار.

إن عباسي لم يترك اللحظة التاريخية تفلت من بين يديه، وهذا الاستيعاب المنسجم مع اللحظة التاريخية سمح لعباسي أن يكون على رأس أكبر تنظيم سياسي جماهيري بعد أن دشن دستور 1989 مرحلة التعددية..

بالمقارنة إلى علي بن حاج تمكن عباسي أن يضفي بفضل تجربته وحنكته السياسيتين على شخصه صورة الرجل المعتدل، والمحاور والمتفتح لكن هذه الصورة سرعان ما أصابها الشرخ بعد أحداث حرب الخليج، في صراعه مع السلطة، وتطور ذلك إلى غاية الاضراب السياسي الذي أعلنه الفيس، وانتهى في نهاية المطاف بعودته إلى السجن.

مواقف عباسي مدني

1 - في السلفية ومنهجية الحل الاسلامي

" ... السلف هو مدرسة اصلاحية اجتماعية على أساس العقيدة، كما هي عقيدة الكتاب والسنة، هذا الاتجاه عرف منذ عهد بعيد، عرف مع ابن تيمية، ابن قيم الجوزية، مع إئمة السنة والذين بينهم الإمام مالك بن أنس(رضي الله عنه) الذي قال: " لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها" هذه هي النظرة التي بني عليها منهج السلف.

والحقيقة أن الاتجاه السني في الاسلام هو من أصل سلفي، فإذا اعتبرتم هذا المنحنى منحنى سياسيا فالحقيقة

هنا نصبح في حاجة إلى تحديد المصطلح.

والأحسن ان نفرق بين الموقف النظري والموقف العلمي، وبين النظري والتطبيقي. العلم يتضمن شقيه النظري والتطبيقي، ولاشك أنكم تعلمون أن من فرق بينهما هم الغربيون وليس المسلمون. لأن للمسلمين منهجا شاملا كاملا حتى من حيث الدين والايمان، فالإيمان عند المسلمين اعتقاد وعمل، فكذلك العلم هو نظر وتطبيق، وبالتالي نجد أن المفهوم السياسي التقليدي أقل من أن يحتوي كل هذه الأبعاد. فإذا اعتبرنا العلم أداة وعي الحقائق، سواء كان ذلك على مستوى تصورنا لها أم على مستوى اختيار المواقف المناسبة لحلول مشاكلها، ففي هذه الحال، نجد السياسة جزءا يتمثل في نقطة الاختيار، مع حريته فكل اختيار فاقد للوعي وفاقد للحرية وفاقد للإرادة لا نعتبره موقفا سياسيا في المستوى المطلوب(...) في الحقيقة بالنسبة للاتجاه السلفي فإنه ابتداء من مالك بن أنس إلى مالك بن نبي فإنني لست إلا تلميذا وفيا حاول أن يستوعب ابعاد الاتجاه في شموليته وعمقه، وفي دقته ومنهجه. على أن هذه المبادرات تتوقف عند مستجدات عصر هؤلاء فإذا نظرت إلى مستجدات عصرنا اليوم، وحوادثنا التي نواجهها اجد نفسي مضطرا إلى بعض محاولات أخرى على مستوى منهجية الحل الإسلامي لمستجدات أزمة اليوم، ماهي الشروط المنهجية- الاجرائية التي يمكنها أن تجعل هذا الحل نافذا، مطبقا تطبيقا سليما، كما تحقق في عهد النبوة، وعهد الخلفاء الراشدين؟ لعل هذا ما لم يعالجه مشائخي من قبل" (المرجع، الأحزابالسياسية..)

2 - مسألة الحجاب

" الحجاب- أولا- هو قيمة دينية وأخلاقية قبل أن يكون قيمة جمالية. إذا رجعنا إلى عمق المفهوم الشرعي والثقافي الاسلامي، فعندنا القيم الجمالية والاخلاقية قيمتان معتبرتان، لكن القيمة الجمالية خاضعة للقيمة الاخلاقية، وعكس ذلك مايوجد في الحضارة اليونانية، فعندهم الاصل هو الجمال ثم يأتي بعد الجمال الخير، أما في الحضارة الاسلامية فالخير هو الاساس، فما هو خير يكون جميلا، وما لم يكن خيرا، كالجمال الخارج عن الاخلاق غير مقبول، إذن فالحجاب قيمة دينية، وجانبه الجمالي هو عدم إلفات جماليات المرأة لا تفتن أو تفتن، باعتباره ساترا لها، عندما تخرج خارج بيتها أو تكون أمام أجنبي لها. فهو ساتر لجمالها. واللباس الاخلاقي الذي يستر الجمال، لماذا؟ لان جمال المرأة خاص لمن لها وهو بعلها،

قيم المرأة عندنا مقدسة، فجمالها لبعلها وليس لغيره، ولذلك فلها أن تبدي جمالها بكل الطرق الجمالية والاخلاقية المناسبة لبعلها، أما ماعداه فلا حق له أن يرى ذلك" (نفس المرجع)

3- قضية بويعلي (زعيم الاتجاه المسلح)

إن قضية بويعلي ليس حجة على التيار الاسلامي في الجزائر، ولم ينح أي منحى مسلح، ولكن بويعلي قضيته لها من الحقائق ما يجب أن تكشف عليه:

أولا: أنه ووجه بالعنف

ثانيا: قتل أخوه، قبل أن يضرب أحد،

ثالثا: لم يستعمل العنف الا مع من إستعمل معه العنف، ولم يحمل السلاح الا لمن حمل له السلاح، لكن كيف نقول للحكم الذي وجه السلاح لشعب أعزل؟.. اي الاتجاهين أو الطرفين هو صاحب العنف؟ هل بويعلي الذي أجبر وأحمل على ذلك ليدافع عن نفسه؟

لأن الرأي لم يكن في حاجة للدفاع الا بسلاح الرأي، لأن الرأي هو الرأي؟

.. إن الحرمان من الحريات أخطر عوامل العنف، في أي بلد، لاحق لحكم أن يحتكم إلى الإرهاب ما لم يحترم الحريات. إن المانع للحريات ظالم، والمانع للتعبير عن الذات والوجود فهو منكر للوجود ذاته، والمنكر للوجود قاتل وإن كان بسلاح آخر، واعتقد ان الاعتداء على الحريات مبرر كفيل بأن يلزم صاحب الحرية بأن يدافع عنها.... فإذا ما لم تكن التضحيات من أجل الحريات فمتى تصان الحريات؟ إن من يوجه للإسلام تهمة العنف إنما هي تهمة استعمارية لأن الاستعمار الذي يقتل الالاف لا يعتبر نفسه عنيفا ولكن عندما يموت له شخص واحد يعتبر قاتله عنيفا (نفس المصدر)

4 - مسألة التعددية السياسية والديمقراطية

«إن كانت التعددية، ضامنة لحرية التعبير فلابأس، بمعنى ألا تكون لذاتها، ولا ننسى بأن التعددية، هي تعددية الاتجاهات والآراء لإثراء مجال الحريات وليست تعددية قيادية. يمكننا أن نكون هيئات ذات اتجاهات مختلفة بشرط أن تصب في رافد واحد وهو مصلحة البلاد والعباد، ولابأس أن نختلف في تصوراتنا، فالمهم هو أن نتفق على تحقيق المصلحة..

ان التعدد يصبح تعددا في التنوع والإثراء، وهذا هو المطلوب، ومن هذه الزاوية نتصور أن التعددية ضرورة لتحقيق الحرية، وخاصة حرية التعبير.(نفس المصدر)

ويقول عن الديمقراطية بأنها هي الحرية وهي الصراع ومن محاسنه أن يغربل.

فالله سبحانه وتعالى يقول" فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض"

فالصالح يبقى صالحا، لا تسقطه الديمقراطية بل في الديمقراطية الفساد إلى زوال.. الديمقراطية كغيرها ما هي إلا مجال للعمل فهي مصفاة واختيار، والله جعل هذا الكون مبني على الحركة وجعل هذه الحركة مبنية على الصراع وجعل هذا الصراع ليذهب الفسادويبقى الصلاح ،ما ينفع الناس، هذه هي سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تحويلا ولا تبديلا.(جريدة الصلاح، العدد 147)

5 - مسألة الجيش

«إن الجيش مبادىء وتاريخ وجهاد، كان درعا للأمة وحاميا للواء الإسلامية والريادة الجهادية، ولا نخاله إلا

كذلك، فهو ليس بالجيش المرتزق الذي يرتشي فيسلك مسالك بعض الجيوش المرتزقة ضد شعبه، وضد بلاده بتحريك يد أجنبية... » (نفس المرجع)

6 - قضية الخليج

« قضية الخليج وما تواجد في المنطقة من ترسانة لأحدث وسائل الدمار والتخريب تدل دلالة قاطعة على إرادة الحرب ومدى التحفز الغربي عموما والأمريكي خصوصا لخوض غمارها، وإن اجتياح العراق للكويت لم يكن إلا القطرة التي أفاضت الكأس وضربة المروحة التي أشعلت فتيل الحرب الاستعماري الفرنسي في الجزائر في بداية القرن 19 م

أما منظمة جمعية الأمم ومجلس الأمن فما هي إلا حيلة من صنع المبررات لإيهام السذج في العالم ومن بينهم الرأي العام العالمي كي يعتبر الضحية ظالما إذ أن خروف" لافونتين" الذي كان أسفل الذئب من موقع الماء وادعى انه عكر عليه ماء شربه ولئن أجاب الخروف بمنطق الواقع فقد أجاب الذئب بمنطق القوة: إن لم تكن أنت فقد عكر عين الماء هومن جنس فصيلتك.

ولئن استدرج العراق لاجتياح الكويت فإن امريكا قد انقضت عليه لتكسر شوكته وتحول قوته ضعفا وبلاده خرابا مهما كانت عواقب الحرب المدمرة وانعكاساتها على البلاد العربية والعالم أجمع.

وهكذا فالظلم الأقل، برر الظلم الأكبر، وغلب إرادة الحرب على إرادة السلم وإن كانت الحرب خطرا على الجميع بما في ذلك امريكا والطبقة الشعبية بصفة وخاصة فأثرياء البترول يعيشون ويتمتعون ويثروت بعائداته، والشعوب تموت من أجل تحقيق إحتكاره للمسيطرين على حقوله وأسواقه انتاجا وتسويقا واستهلاكا مما جعل البترول ممتزجا بدم الشعوب وجعل عائداته تحتكر للحكام ومن يحاشيهم من ذوي الثروة والسلطة والسطوة. فأين العدل؟ وأين الحق؟ وأين الشرع؟ وأين المنطق؟ وكل مبررات البقاء وملزمات السلم وضوابط الأمن في العالم ذهبت وانهارت وذهبت معها إرادة السلم.

إلا أن غياب هذه القيم كمقدمة، وانعدام السلم كنتيجة لمن مؤشرات سقوط الحضارة وبداية انحدارها نحو هاوية الخراب، غير أن هذا تزامن مع يقظة الشعوب الاسلامية خاصة وشعوب العالم المضطهد عامة، وإن هذا التزامن مع يقظة الشعوب يشكل صراعا بين إرادة الفناء وإرادة البقاء، والتاريخ، تاريخ البشرية كله يبين أن إرادة البقاء أقوى دوما من إرادة الفناء وأن الشعوب من آمنت بالله وصدقت رسله وتعلقت بالرسالة أجيال من البشر إلا وتكونت في الأمة قدرات على المواجهة وثبات على مواصلة الصراع وأن الغلبة للحق في النهاية لا محالة. قال جل جلاله" ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز"(المنقذ 91)

7 - مسألة المثقفين والمعركة الاعلامية

..إن المثقفين في هذه المرحلة قد تأخروا وتخلفوا عن الركب السياسي الذي انطلق حيث نراهم لا يزالون حتى الآن صامتين رغم أنهم يمثلون شريحة من شرائح الشعب الجزائري.. فإذا لم يتحرك معنا المثقفون لمواجهة الغزو

الفكري ومواجهة هذه الهجمة الإعلامية الاستعمارية الغازية فإنه سيكتب عليهم من الناحية التاريخية موقف الخذول..

وأضيف.. أن المثقفين الجزائريين على اختلاف انواع ثقافتهم مدعوون ليتجندوا في تعبئة اعلامية أصيلة رسالية إسلامية تكون في مستوى المعركة التي نحن بصدد خوضها دون تردد..

فالمعركة الإعلامية هي المعركة الفاصلة بيننا وبين أعداء الاسلام، ان انتصرنا اعلاميا انتصرنا سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا وحضاريا.

وإذا خذلنا- لاقدر الله- اعلاميا لا معنى لانتصارنا السياسي وان تحقق.

ولامعنى لانتصارنا الاقتصادي وإن أمكن حصوله. ان المنهزم فكريا وحضاريا منهزم سياسيا بالضرورة لأن الوعي السياسي مرتبط بالوعي الحضاري.

إن المعركة الإعلامية ليست قضية اشهار وليست قضية مشكلات آنية عابرة، إنما تواجهنا على مدى معركة رسالية وحضارية؛ على مدى قرن من الزمن، إنها معركة قرنية والتقصير هنا من الجبهة الإسلامية والغفلة من الشعب الجزائري وخاصة من المثقفين إذ يكون لهم العذر عندما كنا في المرحلة الأولى قبل الاعتراف بالجبهة الإسلامية أما الآن فقد اجتاحت الساحة وانتهت مرحلة الخوف والمغامرة فما مبرر التقاعس والتخلي مع أن حريكي الثقافة يتحركون!

ومن هم حركيو الثقافة؟ هم عملاء الاستعمار لكنهم ليسوا عملاء بالبندقية ولكنهم عملاء بالقلم، واتعجب كيف يتحرك العملاء ولا يتحرك الوطنيون المخلصون والمسلمون المؤمنون! (، العقيدة 31 اكتوبر 1990)

8 - خلفيات الصراع داخل الحركة الإسلامية

" إن مما تميزت به الدعوة الاسلامية في مسيرتها هو الانسجام والتفاهم وهذا منذ 1962 إلى أوائل الثمانينات، باستثناء بعض ما حدث (وهي أمور معزولة أو هكذا يجب أن ننظر إليها) من بعض الأخوة في وقت من الأوقات في الشرق الجزائري.. عندما ظهر الأخ جاب الله، عندما كان يدرس في جامعة قسنطينة ظهر هذا الأخ، ووجد جهودا صادقة، وأرضا ممهدة.. إذ كان العمل قد بدأ مع بداية الستينات مع ظهور نشاط جمعية اسلامية كان لها دورها الكبير في بذر بذور الخير.. وكان من أبرز رجالها واكرمهم الشيخ الفاضل محمد الصالح النيفر.. وعندما تكونت"جمعية القيم" وحاولنا نشر مبادئها وحركتها اتصلنا بقسنطينة ووجدنا تجاوبا ملحوظا، أكثر مما وجدناه في القبائل الصغرى آنذاك...

ظهرت في البداية حركة واحدة في الجامعات، كل الجامعات، وأول ما ظهرت في الجامعة الوحيدة جامعة الجزائر، حيث تأسس فيها مسجد وتكونت حركة خالية من التحزب والتكتل والتحجر.. كانت حركة في مواجهة أعداء الاسلام.. إلى أن وصلت آثارها الشرق عن طريق الطلبة الوافدين، وبدأت تظهر بعض النزعات التكتلية والتحزبية لكنها في البداية كانت طفيفة، ولم يكن وراءها غرض سياسي في الغالب وكانت تحدث بعض الخلافات حول مراكز العمل وبعض أساليبه.. وكم من مرة جئت شخصيا إلى قسنطينة في إطار محاضرات ونشاطات وعلى

هامش ذلك أحاول دائما أن أقرب بين "وجهات النظر" لكن إرادة الذوبان والتقارب كانت تضعف مع مرور الوقت وما لبثت بذور «التفريق» أن أثمرت صراعات بعد ذلك.. صراعات مؤسفة جعلت العمل الاسلامي ينحرف عن طريقه الصحيح.. إذ بدل أن يكون الصراع حق مع باطل.. صراعا مع الأعداء من الشيوعيين وغيرهم كما كان في بداية العمل الاسلامي المسجدي في الجامعات بدل ذلك تحول إلى صراع على المراكز.. ولم يلبث هذا الصراع للأسف أن انتقل إلى أماكن أخرى وجامعات أخرى ،، وهكذا صار العمل الدعوي مشوبا بشائبة التحزب والتكتل..(نفس المصدر)

9 - قضية التحالف

" إن الجبهة الاسلامية والحركة الدعوية بما فيها من قيادات كل متكامل، وهي أقدر على أن تكون سيدة الساحة والقوة الرئيسية الكبرى فيها ، وكلمة التحالف تقضي أن يكون هناك تنافس على المناصب وتنازع للأمر واختلاف. والتنافس على المناصب يجرنا إلى أمر ننكره وقد يفضي بنا إلى الفرقة وقبل أن نحقق لم شملنا.. يجرنا إلى ما هو أكثر وهو أن ننسى الغاية ونضحي بها وهي التمكين للإسلام فيصير الأمر أمر تمكين الكيانات والأحزاب، فتتحول الوسيلة إلى غاية" والغاية إلى وسيلة وعندئذ يقع الاستلاب والاستلاب هو التقوقع والدخول في حلقة مفرغة لأن فكرة"التنازل" تفضى بنا إلى عدم الوفاء للإسلام وللمجتمع، بحيث أننا لا نعين الأفضل، وإنما نعين حسب اعتبارات معينة للتكتل والتحزب.. وهذا يودي بالقدرات.. إلى تدخل الاعتبارات الشخصية والتكتلية على حساب الشروط المطلوبة والنخبة المطلوبة، في هذه الانطلاقة بالذات وباختصار فإن هذه المسلكية انحراف خطير إذا تمادينا فيه، ونحن لا نرضى الدخول في مثل هذه اللعبة.

ونستثني من كل هذا اخواننا الذين كانوا مع الأستاذ بوجلخة والاستاذ محمد السعيد، هؤلاء قالوا نحن للإسلام.. الحقيقة موقفهم كان في غاية الوضوح، وكان في غاية الجدارة" (نفس المصدر)

علي بن حاج أو المثالية الثورية

" ألقي زوال أمس (30 جوان 90) القبض على علي بن حاج، الرجل الثاني في الجبهة الاسلامية للإنقاذ أمام المؤسسة الوطنية للتلفزيون، عندما كان يهم بالدخول إلى قاعة الاستقبال.. وحسب شاهد عيان فإن الشيخ علي بن حاج ألقي عليه القبض من طرف مدنيين مسلحين، يعتقد أنهم من رجال الأمن"

هكذا أبرقت معظم الوكالات والصحف"الوطنية والأجنبية غداة إلقاء القبض في ظروف مشحونة بالتوتر والمواجهة بين مناضلي الفيس والسلطة على الرجل الثاني في أول حزب اسلامي وسياسي في الجزائر.

هذا الشيخ الشاب المولود في 16 ديسمبر 1956 بتونس، ينتمي إلى منبت إجتماعي متواضع ويملك مستوى دراسي متواضع أيضا(أستاذ بالتعليم المتوسط) تربى في الأحياء الشعبية بالعاصمة، وزاول دراسته

بمدارسها الابتدائية والثانوية..

يتميز علي بن حاج بثقافة دينية وفقهية واسعة، وبقدرة رهيبة على مخاطبة الفئات الدنيا والمتوسطة من المجتمع.. وهذه القدرة في إدارة فن الخطابة هي التي اكسبته شعبية واسعة، ومكانة منفردة لدى الاسلاميين..

لقد كان هذا الشيخ الشاب، صاحب المواقف الصريحة والحادة من أبرز مؤسسي الفيس ومن ألمع قادته" واستطاع بفضل هذه القدرات أن يكون رفقة الشيخ عباسي على رأس الحزب دون منازع.

علي بن حاج، هل هو عدو الديمقراطية؟!

إن القراءة التبسيطية لخطاب هذا الرجل، تجعلنا نصل وبسهولة إلى أنه عدو للديمقراطية وللمرأة، وباختصار عدو للمجتمع المدني"

ولقد ساهم في نشر هذه الصورة التبسيطية و"الشيماتية" القراءة الغربية وخاصة الفرنسية لخطاب علي بن حاج..

لقد صنعت من الشيخ عباسي مدني رجلا معتدلا، ورجل حوار قابل للتنازل، وجعلت من علي بن حاج متشددا، ومتطرفا ليس لتطرفه حدودا واسقطت عليه بعض الكيلشهات لمتطرفي الغرب المسيحيين" والصحافة الوطنية نفسها سقطت في هذا الفخ، حيث أصبحت تقسم الفيس، إلى فيس عباسي مدني المعتدل، وفيس علي بن حاج المتطرف" وترسخت هذه الصورة بشكل خاص، بعد الحوار الذي أجرته جريدة "أوريزون (أفاق) مع الشيخ الشاب.. والإستخلاصات التي خرجت بها الجريدة آنذاك، أن علي بن حاج مع المنطق القائل أن المكان الطبيعي للمرأة في البيت وليس في العمل .. وأن الديموقراطية كفر.. وهذا الحوار الذي كان بمثابة الإنذار بالخطر لدى فئات عريضة من الديموقراطيين، وكان رد الفعل مسيرات جابت فيها مناضلات الجمعيات النسوية وبعض المناضلين الديموقراطيين الشوارع، منددين بخطاب الرجل الثاني في الفيس، فهو في نظرهم التجسيد الجلي لخطاب العنف والاتسامح..

فأين الحقيقة ضمن كل هذا الصخب.؟

إن تكوين علي بن حاج، هو تكوين فقهي بالدرجة الأولى. وهو نفسه يعترف بأنه "رجل شريعة وليس رجل سياسة"، وهذا يثير فينا التساؤل التالي إذن ماذا يفعل هذا الشيخ الفقيه في ميدان السياسة؟

وهنا تبدو المسألة أكثر تعقيدا لو حاولنا الإقتراب منها بمنطق مغاير، أي إذا حاولنا تناولها بذات منطق الغربيين. أما إذا أردنا أن نتعامل مع خطاب علي بن حاج من الداخل، أي من داخل الثقافة الدينية العامة، ومن داخل تقاليد الثقافة الوطنية والمحلية التقليدية، فالمسألة سوف تبدو بسيطة وفي غاية الوضوح" وهذا ما سنسعى إليه. يرفض علي بن حاج الديموقراطية من حيث هي سلوكات سياسية، وإجتماعية أخلاقية ابتذلتها الإدارات الإستعمارية في مجال تطبيقاتها على العالم الإسلامي، وهذه النتيجة ليست خاصة بعلي بن حاج، بل قد توصلت

إليها مختلف فصائل الحركة الإسلامية في العالم الإسلامي، واستنتجها أيضا العديد من المثقفين والمفكرين الإسلاميين الأحرار..

لقد كان العالم الإسلامي، خاصة بلدانه التي تصارعت بصفة مباشرة مع الكولونيالية، لاتملك من الذخيرة والسلاح في عملها المقاوم للهيمنة الإستعمارية سوى تراثها الثقافي وعناصر شخصيتها وتاريخها الروحيين، وكل ذلك كان يتجسد في المحافظة على الأخلاق مقابل الإنحلال"

ولخص ذلك بعض المثقفين فيما بعد بمسألة الصراع بين الأصالة والحداثة، لكن في نظرنا ليس بهذه السهولة .. يمكننا أن نقول بمسألة الصراع بين الأصالة الفقيرة (فكرا) فهي كانت مرادفا لبعض التقاليد البسيطة والعادات والحداثة المبتذلة أي كل ما كان يتعلق بقشور الحضارة الغربية وأمراضها، وهذه الأمراض هي التي طغت وسادت وطمست كل الجوهر الإنساني للحضارة الغربية، وبالتالي للمفهوم الحقيقي للديموقراطية، وللمجتمع المدني.. وضمن هذا السياق يمكننا قراءة خطاب علي بن حاج المعادي للديموقراطية.

وتأتي الحدود هنا، من الطرفين، من الشيخ علي بن حاج من جهة، ومن خصومه ديموقراطيين كانوا أو وطنيين أو إسلاميين..

والرجل الثاني في الفيس صاحب الثقافة الفقهية النقلية، جعلته عاجزا عن الإستيعاب الخلاق لمنطق الإختلاف برغم نواياه الطيبة، وقد جعله ذلك في العديد من المرات يسعى إلى تبرير مواقفه السياسية بحجج فقهية، وهذا ما حدث له ليس مع الديمقراطيين الوطنيين وحسب بل ومع الاسلاميين، عندما راح يكتب من زاوية فقهية بتراء سياسيا مفندا شرعية التعددية والتحالف وهو الذي كان قبل أكتوبر على رأس جماعة سلفية مستقلة ومختلفة عن الجماعات الأخرى العاملة في الحقل الاسلامي.

هل كان بن حاج رجل السعودية؟

إنه سلفي، ووهابي.. هذا صحيح.. لكن هل هذا يجعل منه بالضرورة رجل السعودية مثل الباز، وأبو بكر الجزائري وغيرهما من العلماء الذين فضلوا أن يكونوا مجرد خدم لدى آل سعود، يبررون لهم المواقف، ويضفون على أعمالهم حتى وإن كانت منافية لروح الشرع طابع الشرعية..

لقد ظل علي بن حاج لفترة طويلة متهما بتبعيته لآل سعود" وهذا في نظري إحدى النتائج لأسلوب السهولة في تناول وقراءة الخطاب البنحاجي

فنظرة علي بن حاج إلى السعودية، هي ذات النظرة التقليدية المشبعة بالتقديس التي نجدها عند آبائنا وشيوخنا، فالجزائري نظرا لثقافته الدينية المذهبية الأحادية، جعل من السعودية رمزا للطهارة والقداسة، مادامت على أرضها توجد جميع المقدسات التي لا معنى لوجوده بدونها..إن نظرته كانت على الأقل قبل أحداث الخليج نظرة مثالية دينية بحتة، بعيدة عن أي نازع مذهبي فقهي، أو سياسي وهذا النوع المعين في الثقافة هو الذي جعل من بن حاج أقرب إلى السعودية منه إلى إيران فالعلاقة إذن هي روحية قبل أن تكون مادية، فالأولى هي المحددة وليست الثانية، وقد جسد ذلك بن حاج في موقفه من آل سعود بعد أزمة وحرب الخليج وقد كان في خطابه مثله مثل ذلك الجزائري العميق الذي إنقلب فجأة إلى مناصر متعصب لعراق صدام حسين، وحاقدا على نظام آل سعود الذي طالما نظر إليه بتبجيل وتقديس..

وموقف علي بن حاج من نظام آل السعود غداة أزمة وحرب الخليج عبر عنه كتابة وسلوكا من خلال خطبه النارية في التجمعات الضخمة الصاخبة المؤيدة لبغداد ومن خلال دعوته إلى الجهاد بجانب شعب العراق ومن خلال إتصاله المباشر بالقيادة العراقية أثناء حرب الخليج..

وموقفه إلى جانب العراق كان إنتقاما «دينيا» من السعودية، حليفة الأمس، عدوة اليوم، التي تجرأت" واستعانت بالكفار"، وهذا الإنتقام الديني من نظام آل سعود مستمد لدى بن حاج من الأساس الشرعي أكثر منه سياسي..يقول علي بن حاج مدافعا عن موقفه" إذا كان أهل العلم إختلفوا في حكم الإستعانة بالكفار على الكفار فإن كلمتهم- والحمد الله- إتفقت على عدم جواز الاستعانة بالكفار على المسلمين أو البغاة" ويورد مثالا لذلك بعض ما قاله" أهل العلم في ذلك"

1 - جاء في كتاب الدرر السنية في الأجوبة النجدية، جمع عبد الرحمن بن قاسم العاصمي ج. 7 /ص 376" إن جاز على بعض الأقوال، الاستعانة بالمشرك في حرب غيره من المشركين فلا يجوز بحال من الأحوال الاستعانة بالمشركين في حرب البغاة من أهل الاسلام" وهذا ما فعلته السعودية في حادثة الحرم وفي هذه الأيام في حرب الخليج وهو مخالف للشرع كما هو واقع.

2 - قال الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق في كتابه الولاء والبراء- ص 62" الأمر الثالث الذي تقتضيه البراءة من الكافر وعدم موالاتهم هو عدم جواز إعانتهم على المسلم بحال فإذا كان المسلم دمه وعمله وعرضه حرام على أخيه المسلم وكان سباب المسلم فسوقا واقتطاع حقه موجبا لنار وسفك دمه ظلما موجبا للخلود فيها أيضا فإن إعانة الكافر على مسلم خروج من الدين مطلقا وكفر»

إن ثورية علي بن حاج مثالية تهفو إلى صفاء الممارسة العقائدية على مستوى الميدان السياسي النقي وهذه الثورية مشبعة بالدرجة الأولى بقراءة نقية هي الأخرى في مثاليتها للتاريخ الإسلامي من زاويته الطوباوية لا من زاويته الواقعية الموضوعية..ومشبعة أيضا بزخم الحلم الاجتماعي الجماهيري الذي يعني لديه شعار" الاسلام هو الحل" و" الدولة الاسلامية" عدالة إجتماعية مطلقة وقيم إجتماعية ينقرض في ظلها مجتمع القهر والحرمان الاجتماعيين، وربما من أجل هذا إستطاعت ثورية علي بن حاج تعبئة كل أولئك الشبان المقهورين وشبه المعدمين والمعدمين، لقد كان خطاب هذا الشيخ الشاب خطابا في شموليته نقيضا لشمولية النضال" وراديكاليا في وجه واقع توفيقي مرقع يخشى المواجهة الصريحة للواقع..

لكن هذه الشورية المثالية التي جعلت من علي بن حاج منبوذا لدى الديمقراطيين ورمز الخطر الداهم لدى السلطة، ومتعصبا متطرفا في نظر الغرب، ومغامرا ارعن في نظر بعض الاسلاميين، ورجلا معقدا ومريضا لدى جمعيات النسوية اليسارية، فهو أيضا ويالالمفارقة رجل منافق وجبان غير ثوري بل عميل للسلطة في نظر بعض جماعات الاسلام المسلح (الهجرة والتكفير) ومجرد فقيه محدود الأفق عند الإتجاه الشيعي

جماعة الهجرة والتكفير وعلي بن حاج

وهذا مقطع من رد جماعة الهجرة والتكفير على إعتدالية ولا ثورية علي بن حاج، مادام أنه قبل الدخول في

ممارسة قواعد اللعبة السياسية جاء في الرد المعنون ب(كشف الكشف) مايلي:

«... جاء في العدد 6 من جريدة "المنقذ" لسان الجبهة الاسلامية أوردة والآيات التي صدرنا بها هذا البحث هي في هذا الصدد كقوله تعالى: " يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولاهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين" وكذلك الآيات المتعنة وقد نزلت كما علمنا آنفا في شأن حاطب بن أبي بلتعة الذي أفشى سر الرسول(ص) إلى كفارقريش وبهذا يعلن أن إعانة الكفار على المسلمين لاشك أنه كفر ولم يسمح الله في هذا الصدد بأية صورة من صور الإعانة ولا لأي أحد حتى للمستضعفين في بلاد الكفار أن يقاتلوا مع قوتهم ضد المسلمين كما قال تعالى: " ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم كلما ردوا إلى الفتنة أركسوا فيها فإن لم يعتزلوا لكم ويلقوا إليكم السلم ويكفوا أيديكم فخذوهم وأقتلوهم حيث ثقفتموهم وأولئك جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا"

ويستمر الشيخ علي بن حاج بنفس عنيد ومجابهة حادة يعرض حججه في دراسته التي عنونها بـ" تنبيه الاخيار إلى حكم الاستعانة بالكفار" وقد نشرها على حلقات في اسبوعية المنقذ خلال شهر نوفمبر 1990.

ونفس الموقف الذي أخذه من نظام آل السعود أخذه أيضا وبكثير من التشدد من الحكام الشيعيين في إيران، وقد استدعى ذلك ردود فعل كثيرة من السفارة الإيرانية في الجزائر حيث كتب سفيرها ردا غاضبا على بن حاج معتبرا أياه قد تجنى على مذهب الشيعة وقام بتشويهه عمدا أمام الجمهور الجزائري، كما كانت على أعمدة الصحافة الوطنية ردود فعل أخرى في شكل مقالات إتخذ بعض المحاججة، الرزينة، وقد قام بذلك المناضلون والمثقفون المقربون من التيار الشيعي في الجزائر، والمندس بعضه داخل صفوف الفيس نفسه!

وفي« الإنقاذ» المؤرخة في 10 رمضان 1410هـ مقال لعلي بن حاج تحت عنوان (كشف النقاب في بيان ضوابط دخول الانتخاب) أورد فيه بعض ماقيل في تفسير قوله تعالى (اجعلني على خزائن الأرض أني حفيظ عليم) واستنتج في خلاصة الخلاصة ضوابط الدخول إلى الانتخاب وهي كالتالي:

1 - إقامة العدل ودفع الظلم.

2 - إيصال الحقوق إلى أصحابها وفق الشراع.

3 - إذا كانت الحقوق لايمكن تحقيقها إلا من هذا الطريق.

4 - الكفاءة لمن رشح لذلك من حفظ وعلم وأمانة وقوة.

5 - أن يفوض إليه الأمر في البلدية فلايعارض، أي يأمر فيطاع لا أن يؤمر فيطيع.

6 - أن لا يكون رئيس البلدية مجرد خادم لأوضاع الجاهلية بل يعمل على إزالتها وفق سياسة شرعية حكيمة مع مراعاة الظروف.

7 - أن يرفض كل أمر يخالف الشراع، لقوله تعالى (إنما الطاعة في المعروف)

ويذهب رد جماعة التكفية إلى اعتبار هذه النقاط «صراحة مع الدستور والقانون» الذي التزم الفيس باحترامه مثله في ذلك مثل باقي الجمعيات ذات الطابع السياسي الأخرى، وترى هاته الجماعة أن علي بن حاج الذي تأسس حزبه "وفق الأحكام العامة لتأسيس الأحزاب في الجزائر" وأخذ التأشيرة «بعد اطلاعه على هذه

القوانين ورضاه بها » أنه يلعب "بعقول المسلمين الذين لايقرؤون ولايعلمون مايراد بهم" فعلي بن حاج وقيادته تتخذ "سياسة في المساجد" و"أخرى في الحوار مع الحكومة" فهو وقيادته بلغة المسجد يسبون" الديموقراطية "ويصفونها" بالكفر وأنها دين لم يأذن به الله" وبلغة السياسية الثانية « يجادلون الحكومة بالدستور والقوانين ضعية" ويضيف الرد قائلا "نحن لانعذر الجبهة بجهلهم بالقانون لأن الطواغيت الذين أعطوهم لن يرضوا عنهم الو حتى يخضعوا لشروطهم الموجودة في قانون تأسيس الأحزاب.. جاء في الدستور (..) لامساس بحرمة حرية المعتقد وحرمة حرية الرأي وهي مادة (م 35) معناها بلغة شرعنا الحنيف "حرية الردة" إلى غير ذلك من المواضع الكفرية (...) وهذا وحده كفر وردة وخروج من الملة" ويواصل نص جماعة *الهجرة والتكفير* نقده لمقال علي بن حاج ومواقفه السياسية تجاه السلطة قائلا «فإن زعمتم أنكم تكفرون بهذه القوانين والدساتير والأحكام، وإنما تتخذونها وسيلة للوصول إلى الحكم كما جاء في النقطة 3 من "خلاصة الخلاصة"،ومن تم ترضون على الأمة الاسلام، قلنا لكم أن الله أمرنا أن نكذب إيمان من ادعى ذلك قوله تعالى (ألن تر الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل وما أنزل قبلك بدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به. ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا) (...) وقد تقرر أنه من قال الكفر دون إكراه فقد كفر(..) وبعد فإن مطالبتكم بحل المجلس الشعبي الوطني وانتخاب السلطة التشريعية امر يتعجب منه كل امرىء له قلب أو القى السمع وهو شهيد... إن شرع الله تعالى عندنا نزل على النبي محمد (ص) لكي يطبق لا لكي يتعقبه أحد وينظر إليه مجلس مؤلف من مجموعة من الناس لكي تصادق عليه أوترفضه كما هو مقرر في الدستور (...) فهل يوجد كفر وحادة لله ورسوله أكثر من هذا ؟ وهل يعقل أن يخرج المسلمون في مسيرة مطالبين بحل هذا المجلس وإعادة انتخابه.. نعوذ الله من الكفر بعد الإيمان، ومن الضلال بعد الهدى. "ويتساءل نص الجماعة في نقده لمقال علي بن حاج" إذا كان الرئيس مسلما وهو قولكم.. فلماذا تريدون تغييره؟؟؟ وتجهدون أنفسكم أن تأخذوا مكانه بعزمكم على الاشتراك في كل الانتخابات حتى الرئاسية وقد أمر رسول الله (ص) أن لاتنازع الأمر أهله إلا أن نرى كفرا بواحا، فإذا لم تروا الكفر منه وذلك من خلال حكمكم عليه بالاسلام، فلم كل هذه الضوضاء؟»

ثم يعرض صاحب النص بعض القوانين التي جاءت في الدستور، ويرى أن مواد هذه القوانين منافية تمامًا لروح الشرع، وللإسلام، ويرى أن علي بن حاج وقيادته قبلوا هذه القوانين، ويطالبهم بمراجعة أنفسهم «فقد أهلكتم وأهلكتم، وأحد ثتم أمورا تكاد السماوات ينفطرن منها»

والآن أين نضع الشيخ علي بن حاج مادام وجد نفسه في وضع غير مرغوب، من جميع الأطراف، السلطة، الإسلاميون، (الاتجاه الإخواني والاتجاه الشيعي، واتجاهات جماعة الهجرة والتفكير، وغيرها من الجماعات المقربة منها، مثل جماعة الجهاد، وجماعة التحرير الاسلامي، وجماعة التوحيد، وجماعة التبليغ..) والديموقراطيون ونظام السعودية، وإيران...؟!

إن علي بن حاج في نظرنا هو «تروتسكي» الحركة الاسلامية، ليس بالمفهوم المبتذل للتروتسكية التي ساد

عنها أنها حركة يسارية متطرفة أمية لاتؤمن إلا بالعنف» بل بمعناها الأصيل بغض النظر عن مضمونها الايديولوجي،، أي كظاهرة لنوع من النقاء الثوري المتحرر بصورة نسبية كبيرة من الفلسفة التكتكاوية إلا في الحالات الضرورية القصوى،، وهذا النوع من النقاء الثوري يحافظ على نسق هرموني منسجم بين النظرية والممارسة، وهو ينطلق من العفوية الثورية للجماهير ليعود إليها بنفس تلك العفوية الثورية..

وعلي بن حاج في ممارسته السياسية، كان المثال الحي والمعبر الأصيل عن هذا الطراز من الثورية العفوية والنقية،، لكن هذا الطراز ليس بالضرورة هو الأصلح في مجال نضالات الحركة الاسلامية، فسرعان مايصبح عبداً لنزوات الاتجاه والمد الشعبوي، فيتحول عمل الحركة إلى مجرد تنفيس واستعراض قد ينتج عنهما الكثير من الوهم والكثير من سوء التقدير في ميدان العمل السياسي.. وهذا ماحدث للشيخ الشاب بعد الحصار..

• محفوظ نحناح: رجل الشوراقراطية.

"من مواليد 27 جانفي 1942 بالبليدة.. درس وتعلم في مدرسة الارشاد التي اسستها الحركة الوطنية برئاسة الشيخ المحفوظي.. بعد حصوله على البكالوريا غداة الاستقلال دخل الجامعة وتخرج منها عام 1970 بدرجة ليسانس في اللغة والأدب العربي..

سجل بجامعة القاهرة قسم الدراسات العليا بدأ نشاطه الدعوي عن 1960 بمساجد العاصمة والبليدة، وكان يدرس في الحلقات كتاب (ظلام من الغرب) للشيخ الغزالي والمجاهدين يومها لم يكونوا قد وضعوا السلاح بعد .. ساهم في فتح مسجد الطلبة بالجامعة المركزية وهو اول لمن امَّ صلاة الجمعة بالمسجد المذكور وقد حضر الصلاة اثنى عشر شخصا منهم (محمد جاب الله، رشيد عيسيى، عبد الوهاب بن حمودة، سليم كلالشة..).. بدأ المعارضة العلنية للنظام عام 1972. وفي 1976 رض علينا الميثاق الوطني والدستور فحُكم عليه ب 15 سنة سجنا نافدة رفقة 22 من اعضاء حركته ... اطلق صراحه بعد زلزال اكتوبر 1980كان علي رأس المساهمين في تنظيم التجمع الاسلامي الكبير بالجامعة المركزية عام 1982 لكن لم يظهر اسمه في التجمع لنصيحة نصحها اياه الشيخ احمد سحنون .. اشتغل مدرسا بالمعهد العالي لأصول الدين (جامعة الجزائر)..

أسس الجمعية الوطنية للإرشاد والاصلاح في نفس اليوم الذي تأسست فيه رابطة الدعوة الاسلامية اي يوم 12 فبراير 1989. أسس حركة المجتمع الاسلامي بتاريخ 9 نوفمبر 1990 وانتخب رئيسا للحركة في مؤتمر تأسيسي عقد يوم 29 ماي 1991.

هكذا جاء التعريف بالرجل في اسبوعية « النبأ » لسان حال حركة حماس الصادر ة بتاريخ 18 جوان 1991..

ومع ذلك نتساءل، من هو الشيخ نحناح؟ وماهو المسار الحقيقي لحركته، وماهو موقعه داخل الحركة الاسلامية في الجزائر ؟ وما هي اهم الافكار التي تميز بها من خلال نشاطه السياسي؟

الشيخ محفوظ نحناح، خريج مدرستين أساسيتين، مدرسة الأخوان المسلمين على المستوى العقائدي والسياسي، والمدرسة الوطنية على مستوى الخطاب الثقافي.. اتصاله بالأولى كان عن طريق لقاءات بالأساتذة الوافدين من المشرق، وخاصة مصر.. لقد كان الصراع في هذا البلد بلغ أوجه بين نظام جمال عبد الناصر وحركة الأخوان المسلمين، وانتهى بإعدام مفكر الحركة سيد قطب، وإدخال عدد كبير من مناضليها السجون، وتشريد عدد آخر منهم..

بداية الستينيات في الجزائر تميزت هي الأخرى بصراعات سياسية على مستوى القمة، وتعقدت هذه الصراعات أكثر بسبب الوضعية الاقتصادية والإجتماعية التي وجدت الجزائر نفسها في قلبها فجأة بعد خروج المعمرين، وعودة اللاجئين واتساع رقعة الفوضى من جهة، ومن جهة ثانية محاولة النظام ابعاد كل القوى السياسية المعارضة بتهميش التيارات الأخرى وفرض الحزب الواحد.. لقد ضويقت جمعية القيم، ووضع الشيخ البشير الابراهيمي تحت الاقامة الجبرية، وطغى الخطاب الاشتراكي الشعبوي على كل الخطابات، وزاد الوضع أكثر مما كان عليه بعد جوان 1965.. وأصبحت بداية المواجهة بين النظام والاتجاه الاسلاموي واضحة في خطوطها وفي أختياراتها، على الأقل على المستوى الايديولوجي، لكن بمجرد ماأعلن نظام هواري بومدين عن الثورة الزراعية، والميثاق الوطني، انتقلت المواجهة بين النظام والاسلاميين من الميدان الايديولوجي إلى الميدان السياسي، وفي خضم هذا الصراع برز الشيخ محفوظ نحناح، كصوت معارض للنظام يجمع بين حماسة المطالبة الثقافية الوطنية (احترام الشخصية الوطنية، واللغة العربية..) وراديكالية المطالبة العقائدية (تطبيق الشريعة الاسلامية، وإقامة الدولة الاسلامية ..)

كان حكم نظام بومدين على محفوظ وجماعته، قاسيا.. 15 سنة! نفس السيناريو يتكرر لما حدث بين الاخوان وجمال عبد الناصر في الستينيات، يحدث بين جماعة نحناح ونظام هواري بومدين.. وهذا الأخير أراد أن يضرب من اللحظة الأولى وبقوة لكن سرعان مايأتي الفرج بعد 5 سنوات تقريبا من ذلك أي بعد وفاة بومدين، ومجيء الرئيس الشاذلي بن جديد الذي أصدر عفوه عن جماعة نحناح بعدما توسط في ذلك أمير الكويت..

وإلى غاية أكتوبر تحاول جماعة الإخوان في الجزائر أن تراجع طرق عملها السياسي فتحدث عليه الكثير من التعديل ..لقد إكتشفت بقوة التجربة أنها لا تحصد من أسلوب المواجهة السافرة والمباشرة مع النظام غير العزلة والإضطهاد والضعف، لذا عملت على الإستفادة ليس من أخطاء ماضيها وحسب، بل من خصومها الشيوعيين الذين إستطاعوا بعد تخليهم عن الصراع المباشر مع السلطة التسرب والتوغل إلى الأجهزة والمراكز الحساسة، حيث إستطاعوا بذلك رغم ضعفهم العددي التأثير على مراكز إتخاذ القرار..

فلقد إستطاع الباكس (حزب الطليعة الإشتراكية، الشيوعي) أن يحول بومدين إلى صفه بعدما كان عدوهم

وخصمهم العنيد، ألم يشن على مناضليهم حملة من الإعتقالات والتعذيب؟! ومع ذلك إستطاع الباكس بتجنبه منطق المغالبة السافرة تطبيق برنامجه العام من خلال أجهزة نظام بومدين.

مسار حركة جماعة نحناح (رواية الشيخ محمد أبو سليمان)

الشيخ محمد أبو سليمان، يعتبر من أبرز مؤسسي الحركة عام 1964، وأحد المقربين من الشيخ محفوظ نحناح،، قدم هذه الرواية في مؤتمر الحركة التأسيسي

يقول الشيخ أبوسلمان عن نشاط حركتهم أنه دام في مرحلته الأولى من 1964إلى غاية 1975، حيث تميز بالتركيز على العمل التربوي وعلى التنظيم التأسيسي السري. ويضيف "بأن 13 سنة كافية لجماعتنا من أن تنتقل من مرحلة الدعوة السرية والعمل التربوي البسيط إلى مرحلة الإنتقال بالمجتمع الجزائري إلى مرحلة الوعي بشمولية العقيدة التي تعتبر الحكم بما أنزل الله من أصول العقيدة لأمن فرعيات الأحكام "وإن احكم بما أنزل الله إليك" "ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون، الكافرون، الفاسقون"

ويعترف رفيق نحناح بأن أول مواجهة " مع النظام الحاكم كانت منذ الستينيات في شكل بيانات ومراسلات لتوجيه النظام الحاكم وتنبيهه من مغبة النهج الذي سلكه كالاشتراكية والتعليم الأصلي والاوقاف، غير أن النظام ظل متماديا في تصرفاته،، ويضيف قائلا «أن المرحلة الثانية من المواجهة امتازت بالمعارضة الصريحة للنظام ولاسيما في سنة 1971 قانون الثورة الزراعية، وقانون الأسرة، وميثاق 1976، فعملت حركتنا على كشف هذا النظام للمجتمع ونقد مواطن الانحراف فكان البيان الذي دعونا فيه الشعب الجزائري المسلم إلى رفض الميثاق والتمرد على النظام الحاكم والمطالبة بتطبيق الاسلام شريعة ومنهاجا وشاركنا في المعارضة بعض الرجال الذين كانوا على قيد الحياة من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين» وأهم ماأوردت هذه الجماعة «بعض النقد لمظاهر الانحراف في الحكم» وموقف حركتهم «من الواقع المفروض على المجتمع» كما أشار أعضاء الجماعة في بيانهم إلى تضعضع «الوضعية الاقتصادية والحالة الاجتماعية السيئة والضبابية في حكم البلاد» ويضيف بيان جماعة نحناح حسب رواية الشيخ أبو سليمان، أن نقدهم كان واضحا «للنظام الذي وجد فيه الشيوعيون فرصة ساخنة لتحقيق مشروعهم- / وذكرنا ببداية دبيب الصراع الطبقي في نفوس الناس/ تعويد الشباب الميوعة والانحلال وفساد الضمير وعدم التفكير الجاد/ ذكرنا بجريمة النظام في نفي وقتل الداعية الشيخ مصباح، وحرمانه من الحرية» وكان البيان حسب رفيق نحناح «يمثل مسحا للواقع السياسي والاجتماعي والثقافي للبلاد حيث كان الشعب يعيش على خطاب استهلاكي يوازيه قمع الحريات وعدم إشراك للعلماء والمفكرين والوطنيين في صنع القرار.»

أما عن المواقف فتتمثل في أحد عشرة نقطة

لا للاشتراكية/لا للشيوعية المستترة وراء القمصان الخضراء/ لا للدكتاتورية البروليتاريا/ لا للصراع الطبقي والا لحاد/ لا للعفوية السياسية والتشريعية والقضائية والتنفيدية/ لا للميثاق الذي كتبته ايدي معروفة بخيانتها وولائها للشيوعية/ لا للميثاق الذي جيء به لتثبيت نظام غير شرعي/ نعم للإسلام عقيدة وشريعة و

منهج حياة. نعم للإسلام دستورا- نظاما- اقتصادا- نعم للإسلام حقوقا- واجبات- محاسبة/ نعم للإسلام شوري- عدالة- وحدة- اخوة. » ويواصل الشيخ أبو سليمان موضحا "البيان كان بإمضاء «الموحدون» ويحمل عنوان: إلى أين يابومدين؟ وكان منهم الاستاذ الحاج حمو والأخ بوجمعة والأخ الطاهر زيشي والدكتور الزبير والشيخ مصطفى.. » ورد فعل النظام آنذاك كان "متابعة حركتنا والزج بنخبة من مؤسسيها في السجون وتم الحكم على الشيخ نحناح ب 15 سنة سجنا نافذة وعلى بقية الأعضاء بالسجن كذلك لمدة تتراوح بين سنة واحدة وعشر سنوات. » لكن رغم موجة الاعتقالات التي مست حركة نحناح. فلقد واصلت نشاطها السياسي في سرية مطلقة و«مع مطلع الثمانينيات اتسع عمل الحركة عبر القطر وبدأت مظاهر الصحوة تبرز في حركة نشيطة تمثلت في الاقبال على المساجد والانشطة المختلفة في المؤسسات التربوية خصوصا، وفي بعض الأماكن العامة، كما عرفت الجامعة نشاطا إسلاميا مكثفا، ومامیز الثمانينيات يضيف الشيخ أبو سليمان هو ظهور بعض الجماعات الاسلامية تتقارب أهدافها وتختلف مناهجها » ويذهب رفيق نحناح إلى حد اعتبار حركتهم أنها كانت من بين « أهم القوى التى أدت إلى التغيرات والاصلاحات الأخيرة"

وعن أهم المواقف التي ميزت نشاط الحركة، يعدد الشيخ أبو سليمان ذلك في النقاط التالية:

- تميز الحركة "بمواقفها الشجاعة والواضحة من قضايا عديدة كقضية فلسطين وافغانستان، وأحداث تونس، السودان، كشمير، اريتريا، الصومال، لبنان.

- سارعت الحركة في الدعوة إلى تشكيل رابطة للدعاة والعلماء تجمع كل الحركات والفعاليات مع مطلع 1989 وتأسست الرابطة الاسلامية.. »

- كان للحركة موقف واضح وملتزم من أحداث أكتوبر 1988 واضحا و"ملتزما" وتجسد هذا الموقف في بيان تضمن مايلي: "بعد أن تساءل البيان عن المتسبب في الجريمة، من إزهاق روح الابرياء والتعويض لمشكلات الحزب الواحد يقول البيان في بعض بنوده، من أجل كل هذا فإن التيار الاسلامي الذي يستمد قواه من إيمانه بالله:

- يندد بكل من كانت لهم يد في إراقة الدماء، وفي قتل المئات من أبنائنا.

- يندد بنظام حكم الحزب الواحد الذي كاد أن يؤدي إلى حرب أهلية.

- يؤمن أن تعدد الأحزاب كفيل بأن يضمن الديموقراطية وحرية التفكير وحرية التعبير.

- إن الجزائر أرض البطولة والكرامة تطالب من أعماق أعماقها بإنزال العقاب الصارم على جلادي ابنائها..

من تكتيك التحالف إلى الشوراقراطية

في البيان الذي صدر عن جماعة نحناح خلال أحداث خريف الغضب 1988 ميز الحذر موقف نحناح، حيث في الوقت الذي اعتبر تلك الأحداث نتيجة منطقية لتفشي الفساد في الادارة حذر مناضليه من التورط فيها، معتبرا إياها لعبة وتخطيطا صنعته أياد أخرى.. وهذا الحذر تطور فيما بعد أكتوبر إلى سلوك ساد الجماعة تميز

بالتحفظ والانتظار، ، في ظل هذا الظرف كانت الجزائر تغلي، وكل شئ بدا فيها يتحرك بخطوات جد سريعة، ابتداء من الإعلان صراحة عن مشروع الاصلاحات السياسية إلى التطبيق السافر والمفاجىء للتعددية الحزبية، والذي تم برغم المعارضة الشديدة التي عبرت عنها الفئات المحافظة والتقليدية في حزب جبهة التحرير الوطني..

وأمام الغياب الكبير لتقاليد الممارسة السياسية والحزبية، وأمام فقر الشارع السياسي الذي كان يعاني من أوضاع اجتماعية واقتصادية خانقة، بدا من يرفع شعار الحل الاسلامي، هو الأوفر حظا في الاستحواذ على هذا الشارع..

الكرة منذ البداية كانت في ساحة الفصائل الاسلامية، وبتعبير أدق في ملعب كل من المحليين (عباسي ورفاقه) والعالميين (جماعة نحناح)، كان على هؤلاء جرأة المبادرة والمباغتة.. وهكذا استطاعت المجموعة التي كان على رأسها الدكتور عباسي مدني وعلي بن حاج أن تبادر، وتعلن عن ميلاد الجبهة الاسلامية للإنقاذ، وبذلك تمكنت في بادئ الأمر أن تكون المركز الذي جذب إليه قطاعات كبرى من الشعب من الفئات المتوسطة المحرومة والمعدومة التي علقت كل آمالها في التخلص من الضيق والقهر الاجتماعيين على هذا الحزب.. ووجد الشيخ محفوظ نحناح نفسه خارج الملعب تقريبا، ورغم أنه حاول أن يلحق ويعوض ماأضاعه الحذر المبالغ فيه الذي أشل فيه قوة المبادرة، لكن بدا ذلك فيما بعد مهمة شاقة وجد معقدة وصعبة، بل ومحفوفة بالحساسية الحزبية، وسوء الفهم.. وحاول أن يتجاوز هذا الإشكال بالاستفادة من كل الأخطاء الطبيعية التي سقط فيها الفيس، وتناولتها وسائل الاعلام بالنقد.. حاول أن يقدم صورة بديلة عن الفيس.. صورة متفتحة ترفع خطاب التسامح والحوار مع الديموقراطيين والعلمانيين، فنحناح يقول بصريح العبارة أمام مناضليه في مؤتمرهم التأسيسي «نحن لانرفض الديموقراطية ولا الشورى فمن قبل الديموقراطية قلنا له تعال نحن أهل ديموقراطية، ومن رفض الديمقراطية وقال بالشورى قلنا تعال أهلا بك نحن أصحاب شورى» ويضيف متعجبا «ممن يخافون الديموقراطية: فالديموقراطية لا أراها وحشا أودينصورا، فهي ليست ديناصورا إنما خروف، ثم أقول لكم أن العلمانيين ليسوا صنفا واحدا، فهناك من تحاوره فيقتنع وهناك من لم يقتنع الآن فيقتنع غدا» ويشدد على اتباعه عدم الانغلاق على الذات «فالعالم أصبح متفتحا جميع أطرافه ووسائل الاتصال والمواصلات اصبحت متطورة جدا، ولايمكن أن تعالج مشاكل الجزائر دون أن نأخذ بعين الاعتبار قضايا وأحداث العالم الخارجي، إذ لابد لبناء الدولة الاسلامية من منطلقات، فإذا كان التاجر يضع ترتيبات وتحضيرات ويأخذ في حسبانه جميع المعطيات المتعلقة بالشراء والبيع، قبل أن يفتح محلا للتجارة فمابالك ببناء دولة إسلامية» وتبني منطق الاختلاف حتى داخل الفصائل التي تناضل من أجل مشروع واحد ويقول الشيخ نحناح في هذا الصدد «جاءت رابطة الدعوة لتلم شمل العاملين في الحقل الاسلامي ثم ظهرت الجبهة الاسلامية للإنقاذ، فهل تنفي احداهما الأخرى أم أن بينهما تكاملا وائتلافا، وماالأسس التي قامت عليها كلاهما وعلام قام هذا الائتلاف وما أوجه الاختلاف بين الاتجاهات التي يضمها هذا التيار في ثوابته وابعاده؟ للشعب- يضيف رجل الشوراقراطية- الحق في أن يضع ثقة كاملة في جهة يعتمدها ويصدر عنها وهذه الجهة هي التي تعبر عن وجدانه وأعماق ضميره ولذلك نشأت فكرة الرابطة التي - في

تصورنا- ستكون بمثابة القبة التي ينطوي تحتها كل المخلصين للدعوة على اختلاف توجهاتهم- وتباين أفكارهم (....) والاختلاف في تصورنا حق طبيعي وحق فطري والوحدة أمر واجب وجوبا شرعيا وإنسانيا ووطنيا والاختلاف حصل بين المذاهب الاسلامية ولكنه في دائرة الود والمرحمة وفي دائرة ابقاء الاسلام» ومن باب رفعه خطاب التسامح والحوار نادى الشيخ نحناح بالتحالف مع مختلف القوى والاشخاص الوطنية والاسلامية، وقد أثار ذلك ردود فعل خاصة لدى انصار الفيس وقيادته حيث أعتبروا ذلك ضربا لوحدة الاسلاميين وقوتهم التي وقف أمامها النظام عاجزا» بل لقد ذهب بعض قياديي الفيس إلى حد اعتبار التحالف شيئا منافيا لروح العقيدة ومنافيا للإسلام، وبدأت المعركة بين جماعة نحناح وجماعة الفيس التي تتهمه بالتآمر مع السلطة على مستقبل المشروع الاسلامي في الجزائر.. حيث ألصقت به بعض التهم القائلة أنه المسؤول الأول عن بيع مصطفى بويعلي زعيم حركة الاسلام المسلح إلى السلطة.. وازداد التنافريين التنظيمين خلال وبعد حرب الخليج، لقد اختار الفيس الوقوف وبجلاء إلى جانب العراق البعثي، وكان على رأس أكبر المظاهرات الشعبية المدعمة للعراق والمنددة بمواقف السعودية وحلفائها من العرب ودول الغرب، بينما وقف الشيخ نحناح موقف المغازل لدول الخليج، ولم يتسم بطابع الراديكالية الذي كان الصفة الغالية للشارع الجزائري آنذاك..

الفيس في نظر الشيخ نحناح هو حزب الدهماء، وهو بالتالي يعتمد على العاطفة والحماس العابرين.. وهذان العنصران هما في حدذاتهما غير مستقرين بل يتصفان بالتذبذب والانقلاب السريع.. والدولة الاسلامية في حاجة إلى عمل استراتيجي، وذلك لايمكن أن يتأتى إلا عن طريق العقل المستنير بضوء الايمان.. وضمن هذا التصور العام البعيد المدى رسم أطروحته حول مسألة التحالف والشوراقراطية. فهل سينجح في أن يكون الصوت البديل للفيس، والبديل للديمقراطيين الوطنيين والعلمانيين، مادام يريد لحركته أن تكون وسطا بين التشدد والانفتاح الزائد على اللزوم؟!

عبد الله جاب الله: الوجه الأنتلجنسي للحركة الاسلامية

وجه شاب هادئ لكن تكمن خلفه صرامة منهجية وتصميم حار على مواصل الدرب إلى أقصى درجة، عربية فصيحة وموسقة، وقدرة عجيبة على المجادلة وجلد مثير للإنتباه على إدارتها..

تلك هي السمات الأساسية التي يكتشفها المرء من أول لقاء بالشيخ جاب الله،، هو الآن زعيم حزب النهضة الاسلامية، وأحد الشخصيات المؤثرة داخل الساحة الاسلامية بصورة خاصة، خارجها على مستوى العمل السياسي والحزبي بصورة عامة.. هذا المدخل يدعونا إلى معرفة جماعة هذا الرجل، وأهم الطروحات التي عرضتها حركته..

يعتبره البعض تلميذ الشيخ نحناح، لكنه بعد ذلك انشق على خطه، وحاول أن يعطي بعدا محليا لحركته

التي تنتمي من حيث الاتجاه الفكري والعقائدي إلى جماعات الاخوان المسلمين..

يقول الشيخ جاب الله عن الخلفية التاريخية لحركتها (النعقدة بتاريخ 17 نوفمبر 1990) التى تأسست في عهد التعددية تحت اسم جمعية النهضة للإصلاح الثقافي والاجتماعي في ديسمبر 1988، واعلن عنها في مارس 1989 بعد اعتمادها، وهي "امتداد للجماعة الاسلامية التي تأسست في قسنطينة سنة 1974 فاحببنا أن نحتفظ بهذه القيمة والعلاقة التاريخية لأننا نعتقد أن العمل الاسلامي بناء ولابد من مراعاة التكامل في البناء" وبعد ذلك قام الشيخ بعملية تكييف فلقد "كيفنا إجراء الاعلان عن حركة النهضة الاسلامية انه اعلان كاشف وليس تأسيس أوإنشاء، وهذا في اعتقادنا تطور طبيعي في حياة الجماعة من مرحلة المعارضة السياسية البسيطة أو الدعوة الهادئة التي تخاطب قطاع رواد المساجد وتعتمد وسائل بسيطة كالدرس والمحاضرة والمعرض والجريدة الحائطية والمخيم تتماشى وطبيعة الظروف التي كانت قائمة والامكانيات التي كانت متوفرة. وتركز أساسا على التربية والتعليم والتوجيه ولاتعتمد وسائل الاحزاب كالبيانات والنشرات والتجمعات والمسيرات إلا قليلا، وهو إذا حدث لايمس في الغالب إلا النخبة إلى مرحلة المعارضة السياسية بمفهومها الواسع، حيث يخرج العمل إلى الشارع السياسي ويسعى في تعبئة الجماهير حول البرنامج الاسلامي ودفعها بقوة لانجاح المشروع الاسلامي في إقامة الدولة الإسلامية بكل الوسائل السلمية كالبيانات والتجمعات والمسيرات، ونرى أن هذا التحول طبيعي في حياة أية حركة جادة، وضروري لها إذا كانت بالفعل راغبة في مسايرة التطورات الاجتماعية التي تحدث باستمرار في المجتمع نتيجة تفاعل مجموع المؤثرات الداخلية والخارجية..

السبيل إلى الاختلاف

كيف تتحقق الدولة الاسلامية؟

حاول عباسي الاجابة على هذا الاشكال، باختيار الصيغة الشعبوية كشكل واسلوب لعمله السياسي.. ففي نظره التكوين يأتي عندما يباشر العمل فعلا في بناء الدولة الاسلامية، ومن هنا أولى اهتمامه الكبير لجماهير الشعب العريضة والمختلفة مما تشكله من وزن ثقيل وسلاح ناجع في ميدان الضغط على النظام والاطاحة به.. وعباسي مدني كان لايكترث ولايعول على ما يمكن تسميته بالانتلجينسيا الاسلاموية ، فهذه الفئة في نظره يغلب عليها طابع الانتهاز والانانية وفي كثير من الاحيان الجبن أي عكس الفئات الدنيا المستعدة أن تضحي بنفسها من أجل إقامة الدولة الاسلامية..

هذه الأطروحة يعتبرها جاب الله مضرة بالعمل الاسلامي، لانها تغفل البعد الاستراتيجي للحركة وتغرقها في مسلسل النشاط التكتيكاوي، وهذه النزعة التكتيكاوية هي التي تجعل من المشروع الاسلامي شعارا مبتذلا، وتصورا فقيرا بدون أفق،، والاعتماد على "الدهماء" لايمكن أن يجلب للحركة إلا مزيدا من الضعف والتسرع والجهل.. فالحركة بحاجة إلى رجال أكفاء وإطارات متخصصة، وهذه الانتلجينسيا يجب أن تكون هي القائد الحقيقي لنشاط الاسلاميين السياسي.. ويجب أن يكون لديها متسع من الحرية ومن مساحة الاجتهاد والاختلاف

حتى تتحقق التعددية الحقيقية في إطار وحدة المشروع الاسلامي.

ويرد الشيخ جاب الله على الذين ينكرون مسألة التعددية في الاسلام قائلا "إننا نعتقد أن التعددية السياسية في الاسلام واجب على الامة وتتأرجح بين الحق والواجب على الأفراد فليس للأمة ممثلة في الدولة الاسلامية أن تمنع الأفراد من ممارسة المعارضة السياسية بحسب مايقتنعون به من رؤى وتصورات فكرية وسياسية واجتماعية واقتصادية ومايتبنونه من أحكام فقهية تتناسب وتلك الرؤى وحسب مايؤمنون به من مواقف يرونها محققة للصالح العام لأن من أهم ماتميز به الاسلام عن غيره من النظم إلى اليوم هو استجابة لمبدأ الرقابة الشعبية على أعمال السلطة وسلوك الأفراد" وفي اجابة للشيخ جاب الله على اسبوعية "العقيدة (نفس العدد) بصدد تساؤل حول إذا ما كانت التعددية الحزبية قبل التمكين تعطل المشروع الاسلامي قال "ان التعددية تتأرجح كما ذكرت بين الحق والواجب وهي قبل التمكين أوكد منها بعده لأن وجود التعددية الحزبية أوتعددية المعارضة السياسية أوالجماعات الاسلامية قبل التمكين واجب عيني بلاخلاف أمابعده فهي واجب على الكفاية لدى جمهور العلماء، ولكن ينبغي بين ماهو حق وماهو واجب إذا كان تشكيل الجماعات أو الأحزاب من الحقوق فإن توحيد المواقف وتحسين العلاقات من الواجبات واعتقد أن الاشكال يزول إذا وعى كل عامل في الحقل الاسلامي جملة مسائل اساسية في التصور الحركي والسياسي منها: إن الدعوة إلى الله عبادة وإن الله لايعبد إلا بما شرع الصواب والاخلاص.

- إن الجماعات والاحزاب لخدمة الاسلام وليست غايات فإذا تعارضت مع الغايات (...) سقطت

- إن ما تعتمده هذه الجماعات من وسائل كوسيلة الانتخابات لخدمة اهدافها لايدخل في دائرة الواجبات وإنما يندرج في دائرة المباحات التي تتحكم فيها المصالح.

- إن كل جماعة أو حزب، جماعة من جماعات المسلمين وليست جماعة المسلمين.

- إن أخوة الاسلام قبل أخوة الحزب والتنظيم وهذه ينبغي أن تكون خادمة للأخرى.

- إن الاحزاب والجماعات اطر لضم المقتصدين والسابقين بالخيرات وليست أطرا لضم الظالمين لأنفسهم.

- إن النصر من الله سبحانه وهو لايعطي إلا لمن يملكون شروطه،،

ويواصل بعد ذلك معددا مزايا التعددية "وفوائدها العظيمة" فيقول:

- ايجاد التوازن في الطرح الاسلامي للاراء والاجتهادات المتعلقة بالنظريات والحلول الاسلامية في السياسة والثقافة والاجتماع وايجاد مناخ صالح لنمو وازدهار تلك الاراء والنظريات.

- وتوفر الاطر اللازمة والقواعد اللازمة لعرض هذه النظريات والاراء والحلول على الشعب وبشهافيه.

- توفر الأطر اللازمة لاستيعاب أكبر عدد ممكن من الإطارات والكفاءات الاسلامية التي تزخربها الساحة.

- كف بعضنا من السير الخاطئ والمواقف القاصرة.

وعن العدوان والطغيان في ممارسة السلطة داخل التنظيم في التعامل مع الغير.

التعاون على سد كل الثغرات التي يعجز عن سدها إطار واحد والتعاون على كف الهيئة الحاكمة عن الإتجاه الخاطئ في سياسة البلاد وعن العدوان والطغيان في ممارسة السلطة وأمن كل مسؤول في الدعوة إلى الله في إطار الأطر، إن الخلاف إذا حصل لابد أن يخضع للقواعد التالية:

- الدعوة بالحسنى والجدل بالتي هي أحسن.

- عدم الإكراه.

-احترام حرية الرأي واحترام كرامة الانسان.

- الضرر لايزال بالضرر.

- الضرر الأدنى لايزال بالضرر الأعلى لأن دفع المضرة أولى من جلب المنفعة.

ويحل (أي الخلاف) إما بالاحتكام إلى الله ورسوله إذا تعلق بأمر من أمور الدين "فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله ورسوله" وأما بالاحتكام إلى الشورى إذا تعلق بموضوع من مواضيع الشورى والائتمار، لذا فإن التعددية الاسلامية في نظرنا ليست شرافي ذاتها وإنما هي ظاهرة طبيعية في حياة البشر وينبغي أن ينظر إليها من زواياها الايجابية لا من زواياها السلبية."

"ويقع السعي في تنظيمها - يؤكد الشيخ جاب الله - بما يجعلها تعددية تكاملية تعاونية لاتعددية تنافرية وحركة النهضة الاسلامية لم تتأسس لتضار أخواتها من القوى الاسلامية العاملة على الساحة بل لتتكامل وتتعاون معها بإذن الله"

بيان الاختلاف أو الوجه الخفي للصراع

في بيان سري، بتوقيع حركة النهضة الاسلامية وبتاريخ 30 أوت 1990، عرض الشيخ عبد الله جاب الله أفكاره في مجال الاختلاف والعمل السياسي داخل الحركة الاسلامية بوضوح وجرأة، وكان توزيع هذا البيان السرى الخطوة النوعية التي سيعلن بعدها جاب الله رسميا عن دخول مجال التعددية الحزبية. وهنا نص البيان كما هو لقيمته التاريخية والسياسية، بدون تلخيص أو، تعليق..

يقول البيان بعد الحمدلة والبسملة متسائلا: "لعل القارئ لهذا (الكتاب) -البيان- يستغرب من محتواه ويتساءل، هل وقع هذا حقا؟ ولماذا لم نشعر به من قبل؟ ولعل الكثير ممن سيصله هذا الكتاب لم يكن منتميا إلى جماعة من الجماعات العاملة في حقل الدعوة، فغابت عنه هذه المعلومات، والتي تمثل غيضا من فيض وقطرة من بحر في إطار العمل الدعوي ومساعي الوحدة التي منها (يحق النصر) ونحن إذ نكتب (هذا الكتاب) إنما لنحمل

الجميع المسؤولية ويشعر الكثير ممن يتابعون العمل الاسلامي ويعايشون الأحداث حتى يكونوا على بصيرة من أمرهم، وسوف لن نذكر كل المساعي التي قمنا بها منذ أكثر من 14 سنة، وإنما سنختصر مااستطعنا اختصارا غير مخل لتتضح الصورة التي شوهها الكثيرون بشائعات لا أساس لها.

ولتحاشي السحابة التي رفعها من لم يصدق القول حين تكلم وبين يدي الكتاب أقول: أننا قد خضنا تجربة مريرة مع الفصائل الاسلامية في الساحة ولم يكن لنا من عزاء بسوى أمرين:

1 - الاجرو الرغبة فيه لقوله تعالى "وتعاونوا على البر والتقوى"

2 - الأمل في الوحدة - وحدة المسلمين- لكي تكون بوابة نصر مبين لقوله تعالى "واعتصموا بحبل الله جميعا ولاتفرقوا" و"لاتنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم"

"حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر "ومع يقيننا أن ثمرة الوحدة عزيزة وهبة كريمة فإن دون تحقيقها عقبات كأداء يجب أن تزاح وأمراض يجب أن تعالج وعراقيل يجب أن تتجاوز، وأجواء كدرة يجب أن تصفى وقبل ذلك استعانة بالمولى عز وجل تذلل الصعاب وتهون المتاعب وتثنى بتنازلات من كل الاطراف لا على حساب المبادئ فهي سواء، وإنما في إطار القناعات الظرفية لكل جهة ونحن نرى ولازلنا كذلك أنه إ ذا وقع الفجر في تحقيق الوحدة، الوحدة الشاملة فإن هناك صيغا أخرى كثيرة للوحدة تجعل الاختلاف اختلاف تنوع وتكامل وتنافس لااختلاف تضاد وتشاكس وصراع ومن ثم فإن طرحنا للوحدة يجب أن تضفى عليه من المرونة مايجعله يناسب ويقرب ويهيء الاجواء لمراحل أخرى لاحقة.

إن ديننا بقدر ما يأمر بالمودة والمحبة فإنه يحث على ستر المؤمنين "من ستر مؤمنا ستره الله في الدنيا والآخرة" ولهذا المبرر الشرعي وغيره لم نتكلم من قبل ولم نكتب في هذا الموضوع ولكن الآن صرنا نرى من الواجب علينا أن نكتب وأن نقول ماهو واقع- دون زيادة- في إطار الضوابط الشرعية ليشعر كل عامل في إطار الدعوة قريبا كان أو بعيدا بماهو كائن ويشاركنا تحمل هذا العبء، وليدرك حقيقة مواقفنا التي قد تبدو للبعيد غريبة وعجيبة وماهي كذلك بالنسبة لكل عارف بالأوضاع مدرك لشؤون الدعوة والدعاة وهناك أخي جملة ملاحظات تضعها في اعتبارك وأنت لاتقرأ هذا الكتاب قد يكون لك عونا للبصر والإدراك.

1) إننا لازلنا كما كنا نرحب بكل خطوة مخلصة مبصرة واعية تحاول التقريب بين الفصائل العاملة وشعارنا دائما "عفا الله عما سلف"

2) نحن بهذا الكتاب لانزيد الطين بلة ونعلم الناس كيف يحقد بعضهم على بعض، فهذا والعياذ بالله دعوة جاهلية لايمارسها إلا السذج من الناس في اعتقادنا. الدعاة ولكن نحب أن يتحمل كل مسلم مسؤوليته التاريخية والحضارية ويبعد العاطفة التي طالما استعملت في غير محلها حتى صار الكثيرون أسرى لها، فموضوع كهذا يجب أن يصهر في إطار فكر نير يقول للمحسن أحسنت وللمسيء أسأت .

3) إن ذكر ماهو كامن ليس عيبا لاسيما إذا اتدعت الضرورة إلى ذلك والوقت يدفعنا لهذا القول دفعا.

4) إن هذا الوطن عزيز علينا، ولانحب أن يبقى أبناؤه بعيدين عن معرفة مايقع في كواليس فصائل الحركة، ليشاركوهم عناءهم وتعبهم، ويتحملون معهم أخطاءهم كذلك.

5) إننا بهذا الذكر لانزكي انفسنا وإنما نضع بين يدي القارئ الكريم معلومات حقيقية علّها تعينه على قول الحق والعمل به، وبعد محاولات كثيرة أردنا من خلالها جمع كلمة المسلمين لم تعترضنا إلا الابواب الموصدة ولذلك تحتم علينا اتخاذ موقف تاريخي مبنى على كثير من المبررات:

أ - المبرر الشرعي

إن الاسلام لاينكر (الاختلاف) كأثر من آثار الاجتهاد، من اجتهد فأصاب فله أجران ومن أجتهد وأخطأ فله أجر واحد.

وهذا مع التسليم بحسن النية، والعلماء قد اختلفوا في فهم نصوص الكتاب والسنة واستنباط الأحكام فيها.

فكيف لايكون الاختلاف في قضايا العمل الاسلامي الدعوي والحركي التنظيمي والتي جلها قائم على الاجتهاد، ومن ثمة فإن الشارع قد وضع النصوص والقواعد والمبادئ مامن شأنه أن يضيق دائرة الخلاف ويدفع المختلفين إلى توحيد مواقفهم المصيرية لاسيما أمام أعداء الله والدين، وباستقراء ماقاله العلماء في هذا الصدد فإنه بإمكاننا وضع قواعد ذهبية في هذا الإطار وهي:

1) رأي صحيح يحتمل الخطأ ورأي غير خطأ يحتمل الصواب.

2) لايفسد الاختلاف للود قضية.

3) نتعاون فيما اتفقنا فيه ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه.

والاطار الكلي لماسبق هو أن كل الأطراف مدفوعة شرعا أن نتعرف على مايجوز الخلاف فيه ومالايجوز.

ب - المبرر التاريخي

لايغيب على أحد مطلع أن بلادنا كانت إلى وقت قريب تحت وطأة استخراب استيطاني رهيب، كاد يفني الشعب ويستنزف الطاقات والخيرات التي لايحيط بما حصر. اعقبه حكم دكتاتوري استبدادي مارس كل أنواع التعذيب في ربوع البلاد ليستأصل شأفة الاسلام ويجعل الناس عبيد اله وفي جو الكبت هذا نشأت الصحوة الاسلامية يحدوها الأمل لاخراج الأمة مما آلت إليه وكان تحرك أفراد الجماعة في وقت عز فيه الشباب المسلم والشابات المحتجبات وتعذر على الكثيرين اعلانهم عن التزامهم فانتشروا في ربوع هذا الوطن واستكملوا بناء الجماعة في معظم المراكز الجامعية، التي كانت بين أيدي الشيوعيين يعيشون فيها فسادا ويهلكون الحرث والنسل.

وهذا السبق الشريف إلى الجامعات جعل الجامعة تخوض صراعات كثيرة ضد اعداء الله والدين في نهاية السبعينيات وبداية الثمانينيات أجلتهم في النهاية من قراهم المحصنة إى الجامعات.

وذاك الظرف التاريخي فرض السرية في التنظيم فنشأت في أوقات مختلفة جماعات أخرى لتحقيق ذات الأهداف أوجزاء منها، وانتشار الجماعة الواضح في الساحة وقتها جعلها بعد ظهور غيرها تحمل راية العمل لايجاد كيان واحد فأنطلقت في مساع كبيرة قد نفصلها في كتاب آخر من بعد.

مساعينا في هذا الصدد كانت منذ السبعينيات إلى وقت كتابة هذه السطور، ولن نتوقف مادام فينا عرق ينبض ونشير فقط أن مرحلة وقبل اكتوبر 1988 كانت فيها من المساعي الشيء الكثير ان على مستوى الرسائل وإن على مستوى المشترك ولونطقت بعض الأماكن لقالت الشيء الكثير عن هذه، ونحن نضرب عنه الآن صفحا، وقد نعود إلى مرحلة الدعوة السرية ماقبل أكتوبر 88 بكتاب مستقل نسجل فيه كل ماعملناه وقمنا به في هذا الصدد كحجة تاريخية للأجيال وكوثيقة عملية نافعة في حقل الدعوة تضع نقاطا في هذا الباب، أما بعد أكتوبر فنتناوله بنوع من التفصيل في:

3) **المبرر الواقعي.**

لما برزت جبهة الانقاذ (الفيس) إثر موقف فردي لم يرجع فيه أصحابه إلى الجماعات العاملة، لم يكن أمامنا بد من تأييدها والسعي لانجاحها علها تكون هي الثمرة المرجوة التي توحد الواجهة السياسية للمسلمين وهذا بعد ظهور الرابطة والتي تشكل وحدة دعوية لكل الفصائل العاملة.

ففي هذه المرة كذلك تبدد الأمل وانقشع السراب بعد طول انتظار.

نسأل الله أن يثبتها على مساعيها وأن يوفقنا إلى إطلال كل ما نأتي من الأمر وماندع. كان مآله أن رفضت الجبهة الاسلامية كل صيغة من ضيغ التعاون بلغة واحدة، في وقت نامت فيه الرابطة نومة لانعتقد أنها ستفيق بعدها إلا جثة هامدة في يد أريد لها أن تكون كذلك، نحب الآن أن نؤكد مايلي:

1) إن رؤيتنا للعمل الحزبي منذ أحداث اكتوبر بعد صدور دستور 23 فبراير 1989 ثابتة لم تتغيير فنحن نرى أن الدعوة تفشل أو تنجح بقدرة أفراد ها على مواكبة الظروف واستغلال الفرص المتاحة والعمل بالوسائل الشرعية الممكنة، والعمل وسيلة من وسائل العمل دعونا إلى استغلالها وترشيدها من قبل، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى به نتمكن من الوقوف في وجه التيارات المنحرفة، وتوضيح نظرة الاسلام في التعددية وتبيين حقيقة المرحلة وطبيعة الوضع لترشيد السيرة وحفظ الجهد.

رؤيتنا في هذا الإطار وفي الأطراف الأخرى مربوطة بضوابط الشرع والمصلحة ولقد غلب على ظننا العمل الحزبي مصلحة متحققة فسعينا إلى ايحاد صيغة وهيئة يمكنها أن تمثل المسلمين في ميدان السياسة لتقارع الجاهلية.

2) رغم أن الجماعة تؤمن إيمانا قويا بضرورة وقوف المسلمين في هذه المرحلة في خندق واحد فهي تسير وفق نظرتها لما يجب أن يكون على أسس واضحة المعالم تسلكها من مواجهات تحديات التعددية الحزبية وفق مايلي:

أ- الواجهة السياسية الموحدة: وذلك لأن الظهور بوجه واحد على مستوى المواقف السياسية من شأنه أن يضعف الأعداء ولايغريهم بنا السير بخطى عملاقة تقطع الطريق أمام الأحزاب العلمانية واللائكية فينفروا خامرين خاسئين والمواجهة السياسية الموجودة تمكن من التعبير عن رؤى الرابطة ومواقفها ذات الأبعاد السياسية

وتكون هي البوابة الكبرى للإرتقاء.

ب- الواجهة الدعوية الموحدة: وتمثلت في الرابطة التي تختص بتوحيد الفتوى والرأي والمواقف الكبرى والسعي والمتابعة والمراقبة للعمل السياسي امرا ونصحا وترشيدا لما كان الحرص على أن تكون الرابطة حاوية لخيرة أبناء الأمة ودعاتها فيما نعلم ولانزكي أحدا لتحقيق العمل الدعوي المطلوب توجيه الأمة لترتبط بالاسلام.

ج- الاحتفاظ بالأفعال الدعوية التي كانت موجودة قبل الأحداث لتواصل مشوارها في أصول العمل الإسلامي والمتمثلة في العمل التربوي والعمل العام ولتكون روافد لاتنضب للواجهتين تزودها بالرجال والطاقات.

وهذه الثلاثية هي التي كانت تكون نظرتها للصيغة التنظيمية التي يمكن للمسلمين أن يجتمعوا حولها، ولقد سعينا بكل ما أوتينا من قوى على المستوى الداخلي والخارجي ومع بعض الاتجاهات لتحقيق ذلك ويمكن تلخيص هذه المرحلة الشاقة في:

- مساعينا لايجاد الواجهة السياسية الموحدة، وهاكم بعض الخطوات.

1) اتصل الشيخ عبد الله جاب الله بشخصين أساسيين من الذين اعلنوا عن فكرة تأسيس حزب وهما (علي بن حاج والهاشمي سحنونى) وذلك من أجل اقناعهم لتوحيد الواجهة السياسية ، فأبديا ترحيبا بالفكرة، ولكن من ورائهم من رجالات الجبهة صفعوها ورفضوها رفضا مبرما وبذلك لم يكن آثر لهذا المسعى فكانت الجبهة هي البادية بالرفض.

2) طرح الشيخ عبد الله جاب الله الفكرة على كل أعضاء اللجنة التحضرية للرابطة البلدية، أظهر الكل ترحيبا بالفكرة ماعدا الارشاد الذين كانوا يميلون منذ البداية إلى نظرة تعدد الواجهة السياسية الاسلامية ومع هذا قبلوا هذا الرأي بتحفظ وكان الأخ علي بن حاج ممثل الجبهة في هذا اللقاء الذي علق رأيه على الجبهة التي ظهر أنها سدت هذا الأمل فانقلب إلى ألم وغم.

3) طلب الاخ علي بن حاج والاخ الهاشمي كلاهما على إنفراد الشيخ عبد الله الحضور الى اللقاء الذي كانوا عازمين على عقده للإعلان عن الجبهة لعل الباقين يقتنعون بما إقتنعت به الرابطة وبعد إستشارة الاخوة حضر الشيخ عبد الله وبذل قصارى مالديه من أجل إقناع الكل أو الاغلبية بالرأي ولكن أجماع أعضاء الجبهة انعقد على رفض هذه الفكرة، فكرة توحيد الواجهة السياسية، وصمموا المضي دون أن يلووا على أحد، بقولهم القطار انطلق من ركب ركب ومن قعد قعد.

4) استئناف المساعي في شهر سبتمبر وذلك في إطار مكتب الرابطة ولكنها باءت بالفشل.

5) السعي مع الأخ علي جدي باعتباره عضوا أساسيا في الجبهة من الشيخ عبد الله والأخ عزالدين، والرابطة والأخ عبد المجيد مصباحي عضو مسؤول في الجماعة.

6) في يوم 3 جانفي تم اللقاء بالأخ علي جدي وببعض الأخوة المسؤولين في الجبهة وطرحنا عليهم صيغة إجرائية مفادها جعل الجبهة الاسلامية موحدة فأظهر الاعجاب بالرأي ووعد بالنظرفيه ولم يقع الرد إلى يومنا هذا.

7) في 2 مارس تم الاتصال بعلي جدي في بيته بحضور عضوين مسؤولين في الجماعة وطرحنا عليه صيغتين تتمثلان باختصار فيما يلي:

أ) جعل الجبهة واجهة للجميع ينضوون تحت مظلتها ويعملون في إطارها ومن اختارته القواعد المتتالية من قبل الجميع بشرط أن يطرح ذلك في لقاء الرابطة.

ب) أن تتنازل لهم الجماعة عن بعض القيادات والكفاءات ليكونوا لهم مكاتب الجبهة حتى تكون ذات قيمة اجتماعية وعملية وتستفيد بهذا الجبهة من تجربتها الطويلة في العمل التنظيمي وتستطيع الوقوف على رجليهما فرفض أولاهما وقبل ثانيها وهو كما ترى يمثل تنازلا كبيرا وهي فرصة لاتعوض لكل من يريد المصلحة العامة وخدمة الأمة وطلب أن يحصل مسعى خلالها لاقناع بعض أعضاء الجبهة على أمل أن يكون الرد يوم الأربعاء 14 مارس (...) تتنطرر إلى هذا اليوم.

8) إيمانا هنا بالاحسان إلى اخواننا ونصرتهم فلقد قمنا منذ البداية بمساعدة الجبهة من خلال محاضراتنا ودروسنا ولقاءاتنا المفتوحة وعلى المستوى الخاص سمحنا اللانصار الراغبين في العمل الحزبي بأن ينضووا تحت راية الجبهة الاسلامية للإنقاذ.

9) وخدمة للإسلام أولا فيما نرى ثانيا وقفنا بجانبهم في الانتخابات يوم 12 جوان مستوى التنظيم والتوعية والتعبئة وعلاوة على ذلك سمحنا لبعض افرادنا الراغبين في الدخول للترشيح ليكونوا بجانب إخوانهم في الجبهة وهذا رغم قناعتنا الكلية أن المرحلة التي تحياها البلاد والظروف التي يعيشها العباد لاتسمح بدخول الانتخابات القاعدية مادام البرلمان في يد جبهة التحرير الوطني لأن ذلك يمثل دخولا في جسم غريب وارتماء في حلقة صراع تؤدي إلى فشل لن ترحمنا الأمة بعده.

10) وبتحليلنا للاوضاع بعد الانتخابات وبما يجب أن يكون عليه المسلمون اتجاه من يتربصون بهم الدوائر، تم الاذن لاخواننا على مستوى الولايات والدوائر والجهات السياسية في إطارنا كي يلحقوا بالجبهة، لكن وللأسف أثناء التطبيق وجدوا الأبواب موصدة في وجوههم في معظم الأماكن ومنهم من ردوا عليه ردا عنيفا وقالوا له كلاما رذينا... من دخل قبل الانتخابات ليس كمن دخل بعد الانتخابات...

11) وأثناء ملتقى النهضة الدولي الأولى تمت الاستعانة في هذا الأمر ببعض الشيوخ (4 - أوت 1990) ولكن هم كذلك فشلت مساعيهم في اقناع الجبهة بأي صيغة تراها وترضاها ويكون فيها انتصارا للمصلحة العليا للإسلام.

12) وأخيرا وليس آخرا فكل يوم يلد جديدا في هذا الأمر وعلى مستوى قسنطينة تم الاتفاق مع بعض الافراد المسؤولين في مكتب الجبهة وكذا الإرشاد لتوحيد المسيرة (قضية الخليج) التي أزمع عقدها يوم الجمعة 17 أوت 1990 ولكن فوجئنا بالأمر يأتي من بعض أفراد المكتب الجهوي ويعزز بأمر من القيادة المركزية يرفض الاشتراك مع أي جهة كانت، فتراجعت الإرشاد وتراجعت النهضة وقامت الجبهة بعمل أقل مايقال عنه أنه ضعيف ومفرق للصف بشهادة الكثيرين بعد كل هذا الطرق لأبواب النضال والاشتراك والتنسيق والتي لم تلق خلالها إلا الرد والتصدي والاستفزازات.

حصلت لنا قناعة من الواقع مفادها أن الاختلاف كائن لامحالة ولامندوحة في ايقافه ولم يبق من جهد سوى

تنظيمه حتى يصير هذااختلاف اختلاف تنوع وتكامل اختلاف تضارب وتضاد.

ونتصور ان الوضع الآن يحتم علينا باعتبارنا عشنا مرحلة الدعوة منذ بداية السبعينيات وعايشنا مختلف المراحل السياسية لتزل إلى الساحة بقوة ونتحالف لاستيعاب كل الطاقات التي يمكن أن تكون عوامل البناء في جسد الأمة والاستقرار العلمي والموضوعي في الساحة.

إن الجبهة الاسلامية للانقاذ فشلت في استيعاب الكثير من الطاقات الاسلامية الفعالة ذات الخبرة والتجربة والمعاناة، ذلك أنه لم تتشكل لديها القناعة والاطمئنان إلى سير وعمل هذه الأخيرة بل ولوحظ ضعف رهيب لم يبدوا كماكانوا يتوقعون.

وإيمانا منا بضرورة العمل الجاد لجمع مختلف الطاقات الاسلامية والاستفادة منها فإن هذا لم يكن مفروضا علينا فرضا وبدراسة المستجدات الداخلية والخارجية والاعتماد على نوع من الإحصاء للإستقرار وكي لانذهب بعيدا عن احتياجات المرحلة فإننا وجدنا انفسنا أمام أربعة بدائل لاخامس لهما فيما نعلم، هي:

- الدخول الجماعي في الجبهة وخوض الصراع من داخلها وهذا أمر نعده خطيرا لاسيما إذا اخذنا بعين التركيبة غير المتجانسة للجبهة وقد يؤدي ذلك إلى تحويل الجبهة إلى ميدان للعمل اصلا وهذا امرٌ مرفوض.

- حل الجماعة واعطاء افرادها حرية اختيار الانتماء وهذا أمر رفضه كل أعضاء الجماعة الذين أكدوا على ضرورة بقاء الجماعة ككيان مستقل، زد على ذلك أن الجماعة مع غيرها كانت هدف النظام الذي عجز في الماضي عن تحطيمها حيث استعمل كل الوسائل من أجل القضاء عليها ولكنه عبثا حاول، فكيف نحقق له بايدينا ماعجز عنه بمختلف الطرق... إن من يفعل هذا لايعد من العقلاء أصلا.

- البقاء على مانحن عليه من سير سري وعدم الخروج إلى الساحة جهرة وفي هذا الموقف تفويت وتضييع للجهود والاوقات، وكذلك نحرم الساحة من طاقات كثيرة فعالة، وعلاوة على ذلك فإن الجبهة الاسلامية للانقاذ صارت تنحو منحى آخر خطيراً تحاول من خلاله الاستيلاء وبكل وسيلة على الميدان الدعوي الاسلامي السياسي والاجتماعي والنقابي وإليك بعض الأمثلة:

نحن أول من بادر إلى إنشاء النقابات الحرة لاسيما في المصانع الكبرى تخطيطا وتنفيذا وكان بفضل الله ماكان للشيوعيين من زيادة العمل النقابي في أكثر من مكان وحل محلهم اسلاميون مختلفو الانتماءات التنظيمية ولم نر في ذلك غضاضة إن هدفنا المنشود يتحقق بذلك فإننا نعد كل مسلم اخا لنا وعاملا معنا نتعاون معه مااستطعنا.

- انطلقنا في عمل قاعدة من أجل تأسيس اتحاد المعلمين ونجحت العملية كذلك إلى غير ذلك من الامثلة. وتبين لنا كيف أن الجبهة انشأت نقابة وطنية لتضم إليها كل عمل نقابي وكذلك فعلت الإرشاد..(تابعة لحركة حماس النحناحية، ملاحظة المؤلف) وهكذا صار واضحا لدينا أن الجبهة لاتريد من غيرها أن يعمل في ساحة

الدعوة، ومايدريك أنه في الأيام المقبلة سوف تؤسس مكتبا وطنيا للطلبة لتقضي به على كل عمل طلابي نبيل. وبهذا لم يبق أمامنا مخرج إلاتراجع الاحتمال الرابع وهو الاعلان عن واجهة سياسية لجماعة النهضة مع طرح فكرة التحالف بين جميع الفصائل الاسلامية.

ولقد تمت الشورى لعدد لايستهان به من قيادات الجماعة في مختلف المدن وعددهم يقارب السبعمائة وكان الرأي الغالب بالاجتماع أن علينا أن نلجأ إلى الاحتمال الرابع ليس جريا وراء الزعامة ولاحبا في تعميق الخلاف ولاقطعا للطريق أمام الجبهة ولا أي شيء من نوايا السوء التي قد يزينها الشيطان وتوسوس بها نفس، بل نفعل ذلك اقتناعا منا بأنه بديلنا الوحيد لتفجير طاقات كثيرة من العاملين في سبيل الله وحفظ الدعوة من التآكل والميوعة والاستبداد ونحن على استعداد بإذن الله لنقف الموقف الذي نراه محققا لمصلحة الاسلام العليا متماشيا مع مقاصد الشريعة ومبادئها في الدعوة والمواقف والعلاقات.. » وفي نهاية البيان يقول الشيخ جاب الله أنه إذا "كانت المساعي الماضية باءت بالفشل فإننا نعتقد أنه لن يفوتنا أجر العاملين ومهما كانت مواقف إخواننا العاملين فإنه لايجوز لنا بأي حال من الأحوال أن نبقى مكتوفي الأيدي (...) إن كان الدعاة والعاملون يلتمسون لنا الأعذار فإن الجماهير لاتحسن في التماس العذر ومن واقع تحت لسانها لاترحمه، فرفقا أيتها الفصائل بالأمة»

لقد اعطى الشيخ عباسي للحركة الاسلامية في الجزائر بعد أكتوبر 88 بعدها الجماهيري والشعبوي، وأضفى الشيخ نحناح على مستويات خطابها النغمة الوطنياتية القومية بمعناهما الباديسي والبناوي، أما الشيخ جاب الله فعمل بعناد من تخليص الحركة من المد الشعبوي وشدها أكثر إلى الأسلوب والاتجاه الانتلجنسي، وضمن هذه التجارب عرف مسار الاسلاميين خلال هذه السنوات الأخيرة تشكلا سريعا من حيث قسمات الوجه والمعالم.. ومن حيث تجربة العمل السياسي أيضا..

مصطفى بويعلي: الوجه الجزائري للإسلام المسلح

تجربة الاسلام المسلح في الجزائر، ارتبطت بشخص أضفى عليه الكثير من الغموض، والكثير من الأسطورية.. إنه مصطفى بويعلي الذي استطاع بحنكته العملية، وخبرته المستمدة من مشاركته في حرب التحرير الوطنية أن يعمل على توحيد بعض الجماعات الإسلامية ذات المنحى الجهادي في إطار واحد منظم أسماه الحركة الاسلامية المسلحة في الجزائر..

ظهر بويعلى وجماعته في سياق تاريخي معين، تميز بفشل المشاريع التنموية ذات الخطاب الشعبوي الاشتراكي والوحدوي، وبالفشل السياسي للنظام اللبرالي المرقع الذي حاولت انتهاجه بعض الانظمة العربية المقربة من دوائر الغرب السياسية والاحتكارية، وبتصاعد نشاطات مسلحة شبه معزولة على مستوى عدد من الأقطار العربية الاسلامية.. وبإنفجار العلاقة التي وصلت حد الحرب المرعبة بين العراق القومي البعثي وايران الاسلامية

الشعبية..

فمن يكون مصطفى بويعلي، هذا الذي عبر عن الوجه الآخر للحركة الإسلامية في الجزائر، ومن تكون هذه الجماعة التي أرعب بها النظام الحاكم، وأحرج بها بعض الفصائل الاسلامية الأخرى، وماهي الأعمال التي تميزت بها حركته،، ثم ماهي المصادر والأسس الفكرية والنظرية، والتجارب التاريخية التي ارتكزت عليها حركته،،

من هو بويعلي مصطفى؟

مولود بتاريخ 27 / 1 / 1940 بالدرارية، متزوج له سبعة أولاد، رئيس مصلحة الأمن بشركة سونيليك بالعاشور..

شارك في حرب التحرير الوطنية وعمره لم يكن يتجاوز آنذاك السابعة عشر، بعد الاستقلال وجد نفسه في المعارضة، وكان من بين المناضلين الأوائل في جبهة القوى الاشتراكية التى أسسها في ذلك الوقت الزعيم القبائلي آيت أحمد، ثم ترشح بعد الاطاحة بنظام أحمد بن بلة بسنوات إلى المجلس الشعبي الوطني، لكن سرعان ما حوصر من طرف الحزب الحاكم..

في نهاية السبعينيات انخرط بويعلي في الحركة الاسلامية، وتحول بعد ذلك إلى معارض متجذرو ثوري للنظام، حيث جمع من حوله كل رموز الجماعات الاسلامية الثورية التي تعتقد أن قيام دولة إسلامية لايتحقق إلا عن طريق حرب عصابات طويلة النفس..

صدر ضده أول أمر بالقبض في 10 - 12 - 1982.

شهادة السيدة حفيظة (زوجة بويعلي)

تدلي السيدة حفيظة لأسبوعية المسار المغاربي، في عدد 47، الصادر بتاريخ 17 ديسمبر 1990، بشهادة مختصرة حول زعيم حركة الاسلام المسلح في الجزائر فتقول:

"تزوجت بمصطفى، وتقاسمت معه كل الصعوبات التي كانت تمارس عليه من طرف السلطة منذ بداية نشاطه السياسي حتى حادثة قتله سنة 1987.." ومن خلال لقائها مع مبعوثة الأسبوعية، تقول الصحفية "من خلال لقائي معها حكت لي عن تهديدات الشرطة السياسية لزوجها، عن محاولة اختطافه سنة 1981، عن عمليات التفتيش المتكررة في فترة هروبه وعن معاملة بعض أعضاء الشرطة لها ولابنائها أثناء عملية التفتيش من قذف الكلمات الجارحة، والسب وتكسير الأواني، وتخريب البيت، وتخويف أبنائها بلهجتهم الوحشية وتهديداتهم المتكررة بهدف الكشف عن خيط يوصلهم إلى زوجها.

في فترة الهروب هذه، تضيف الصحيفة، عانت السيدة حفيظة وأبناؤها من حصار غذائي لمدة 14 شهرا، (من 30 نوفمبر إلى 4 جانفي 1987) حصار بأتم معنى الكلمة"

تقول السيدة بويعلي "لقد منع أي إنسان من الدخول أو الخروج من البيت، منع أبنائي من اللعب في ساحة البيت ومن الدراسة، منعت عائلتي من زيارتنا، ووصل الأمر إلى منع ابني الأكبر من رؤيتي ورؤية إخوته أثناء تسريحه من الثكنة، في فترة الخدمة العسكرية - لا...) في فترة الحصار الذي فرضه علينا النظام استنفذ المصروف وكاد أبنائي لايجدون ما يأكلون، ورغم هذا لم تمد لنا يد المساعدة من طرف من كانوا يحاصروننا ليل نهار، كل ماكانوا يقومون به هو أخذ النقود والقائمة التي تحوي مايلزمنا كل ثلاثاء ويأتون بما نطلب يوم الأربعاء وأحيانا لايحضرون كل شيء..لكن الله أقوى من أي ظالم، ففي تلك الفترة ماتت جدتي من أمي وكانت فرصة حصلت فيها على شيء من المال من أقاربي الذين التقيتهم في الجنازة وإلا كنا نموت جوعا بدون أن يولوا لهذا أية أهمية..."

ولم يفك الحصار على عائلة مصطفى بويعلي إلا يوم قتله يوم 4 جانفي 1987 وتقول هنا السيدة بويعلي: "في هذا اليوم استيقظنا ولم نجد أحدا من الشرطة التي كانت تحاصر البيت وتساءلنا عن سبب ذهابهم ثم علمنا من الجريدة خبر قتل زوجي"

وتنهي الصحيفة شهادة السيدة بويعلي، مشيرة إلى أن السيدة حفيظة بويعلي أرادت التأكيد" أن مصطفى بويعلي استعمل العنف أوالسلاح دفاعا عن نفسه وعن عقيدته"

المعارضة المسلحة:(من وجهة نظر رسمية)

" بتاريخ 5 جانفي 1983، قدم قسم الابحاث التابع للدرك الوطني بالجزائر العاصمة مجموعة عددهم 47، (سبعة وأربعون) متهما أمام النيابة العامة بمجلس أمن الدولة، وبعد دراسة الملف أحيلت القضية للتحقيق على أساس أتهام الجماعة المذكورة ومن يكشفه التحقيق عملا بأحكام المواد 77، 78، 79، 84، 85، 86، 87، 90، 176، 177، 205 إلى 207، 351 من قانون العقوبات، والمرسوم رقم 85 - 63 المؤرخ في 16 مارس 1963.

وحسب ما أتي في التحقيق الابتدائي فسبب تحريك هذه القضية هو الاعتداء المسلح الواقع في 17 / 11 / 1982 بالمكان المسمى مونكادة بن عكنون من طرف بويعلي مصطفى ومراح أحمد وبن رمضان عبد الكريم الذين أطلقوا نار رشاشاتهم على الدركيين القائمين بمراقبة المرور هناك.

كما أن البحث الأول الذي أجري بهذه المناسبة مكن مصالح الدرك من تفكيك منظمة قام بانشائهابويعلي مصطفى.

يستنتج من ملف القضية مايلي:

أن هذه المنظمة بدأت نشاطها أثناء سنة 1979 وهو التاريخ الذي سلم فيه رايت كمال مبلغ 5000 دج للمسمى سريد محمد قصد شراء رشاش، وكان لهذا الأخير أن انتقل إلى دوار التزارمة بولاية برج بونعامة واشترى

من المسمى بوقصة محمد السلاح الناري السالف الذكر.

ومابين بداية سنة 1981 إلى شهر أفريل 1982 كان بويعلي مصطفى يلقي دروسا دينية و يتطرق في الكلام إلى بعض الأوضاع كالتبذير والآفات الاجتماعية الأخرى وبعث الشباب على أن يلتقوا حول مايسميه بمجموعة تغيير المنكر، ومن بين أنصاره المجتهدين لنجاح الخطة نجد بوسنينة محمد المدعو حمودي وبن ميرادي محمد ومراح أحمد وبن رمضان عبد الكريم ومغني عبد القادر، وشارف محيي الدين، الذين كانوا يحضرون هذه الدروس ويرغبون الآخرين للتنقل إلى المساجد التي تلقى بها الدروس والمحاضرات من طرف مصطفى بويعلي أينما وجد.

ابتداء من شهر افريل 1982 اختفى بويعلي مصطفى وكلف بوسنينة محمد بتنظيم لقاءاته ببساتين واد الرمان مع أعضاء المنظمة الذين وزعوا كالتالي:

المجموعة الأولى: المسماة بالجزائر الساحل.

أعضاؤها: بوسنينة محمد وشارف محي الدين وبن ميرادي محمد

المجموعة الثانية: المسماة بمجموعة المتيجة.

أعضاؤها: بويعلي مصطفى وبويعلي محمد وبن رمضان عبد الكريم. ولتموين المنظمة بالمال والعتاد ساعد أثناء شهر مارس 1981 بن رمضان رضا المسمى مراح أحمد ليشغل منصب مسؤول الشؤون الاجتماعية بالشركة الوطنية للبناء والأشغال العمومية بالجزائر مقرها بالعاشور، وبعد خمسة عشر يوما من تاريخ تنصيبه أهمل مراح أحمد وظيفته بعد أن أخذ من الشركة صكوكا سمحت له بسحب مبلغ 240.000.00 دج من البنك وخلال نفس الشهر قام مراح أحمد السالف الذكر بتزوير بطاقات رمادية لثلاث سيارات وقد ساعده في ذلك سنيقرة محمد الساكن بفوكة البحرية على تزويد تلك السيارات بالواح أمامية وخلفية مطابقة للبطاقة المزورة.

ففي ظرف اسبوع منحت سيارة بطاقتين الأولى مسجلة بولاية الجزائر، والثانية بولاية البليدة وهذا لمغالطة مصالح الأمن التي تراقب تحركات المنظمة.

وفي شهر جويلية 1981 صنع بوسنينة محمد المدعو حمودي أول قنبلة مزودة بمنبه يسمح للصانع ضبط ساعة الانفجار، وقام هذا الأخير بتفجيرها بمحضر شارف محي الدين وبن ميرادي محمد بالمكان المسمى الرميلة بالقرب من محطة شركة الكهرباء والغاز، وبعد التأكد من فعاليتها قرر بويعلي مصطفي تفجير قنابل بنزل الاوراسي ومقر الاتحاد النسائي ومطار هواري بومدين وقصر العدالة، كما أمر بوسنينة محمد شارف محي الدين وبن ميرادي محمد بزيارة استطلاعية لمصنع الجعة بالحراش (ب. ج .أ) قصد تدميره.

ولتمكينه من صنع القنابل كلف بوسنينة محمد بن ميرادي محمد فتحي محمد وشارف محي الدين بشراء منبهات تستعمل لضبط ساعة تفجير هذه القنابل وبالفعل مكنوه 27 منبها كما كلف فرحات عمر بدراسة كيفية

الاستيلاء على مادة (ت ن ت) من رأس جينات ثم نتقل بوسنينة رفقة مراح أحمد الذي قدم نفسه لحارس المستودع وهو يرتدي لباس ملازم أول بأنه مفتش في وزارة الدفاع. وفي 08-11-1982 على الساعة الحادية عشرة مساء توجهت سيارتان إلى رأس جينات، الأولى نوع 504 يقودهاين رمضان عبد الكريم والثانية نوع (هوندا أكور) يقودها أحمد مراح ومعه فرحات عمر، بويعلي مصطفى والي عبد العزيز وبوسنينة محمد، بقي مراح أحمد وبويعلي مصطفى المسلحين برشاش في الحراسة، أما بوسنينة محمد وبن رمضان عبد الكريم وفرحات عمر فإنهم دخلوا المستودع بعد أن قطع بوسنينة أسلاك الهاتف وكسر قفل الباب الخارجي، ثم نقب السقف وأخذوا صناديق تزن 160 كغ من مادة (ت ن ت) أخفوها بمنازلهم.

في 12 - 12 - 1982 أخذ بن ميرادي محمد على متن سيارته (و 4) تابعة لشركة أجنبية من الجزائر إلى مطار هواري بومدين كلا من بوسنينة محمد وفايد كمال وزربيب كمال ليسافروا على متن الطائرة متوجهين إلى الوادي؛ حيث استقبلهم دويب البشير، ثم قدمه إلى عمه دويب المسعود الذي باع لهم 29 كيلوغرام من البارود عادوا بها إلى الجزائر على متن الحافلة.

وعلاوة عن الدروس و المحاضرات التي تلقى بالمساجد كانت تعقد اجتماعات سرية بمنازل أعضاء المنظمة، وهكذا انعقد اجتماع أثناء شهر جوان 1982، بالعاشور أطلعهم فيه بويعلي مصطفى بأن هناك مجموعة مماثلة تعمل بقسنطينة وسطيف وسكيكدة وعنابة والخروب وبسكرة وبمدن أخرى بالغرب الجزائري، وطلب من الشباب القيام بتوزيع المناشير التي ينتقد فيها السلطة كما طلب منهم توعية المواطنين وإفهامهم بأن منظمتهم تعمل في سبيل الله، وأطلعهم كذلك بأن مناشير أرسلت إلى السفارات ومن بينها سفارة الاتحاد السوفياتي التي طلب منها مغادرة الجزائر وبألا تهتم بما سيحدث بالجزائر مثلما فعلت بأفغانستان وكان له طلب من مفني عبد القادر أن يتصل بأئمة الجزائر الكبرى لتوحيد المحاضرات، كما كلف امام مسجد السنة بباب الواد، عن طريق جعفر باي سليم بإعطاء دروس بمسجد العاشور يوم الجمعة، وأثناء شهر جويلية 1982 تم انعقاد ثلاثة اجتماعات:

أولا/ بمنزل عائلة قايد أخبر فيه بوسنينة محمد الحاضرين بأنه تقرر إنشاء منظمة تدعى الحركة الاسلامية بالجزائر) كما تقرر اختطاف سفير دون تعريف جنسيته وذلك لخلق نزاع ديبلوماسي:

الثاني/ بمنزل عائلة فايد ترأسه بويعلي مصطفى وحضره كل من فايد كمال وبوسنينة محمد وبهذه المناسبة طلب بويعلي مصطفى من الحاضرين العمل على توزيع المناشير التى قام بتحريرها، كما طلب منهم تنظيم الأفواج في الأحياء وفي نهاية الاجتماع كلف فايد كمال بتسجيل عناوين السفارات والشركات الوطنية على الغلافات التي تبعث داخلها هذه المناشير.

الثالث/ بمنزل علي راشدي مهدي خاص بمجموعة العناصر ووزعت المسؤوليات كالتالي:

- رزق الله عبد الناصر: مكلف بالاتصال الدائم مع الأمير بويعلي مصطفى رئيس المنظمة

- كموش عبد الرحمن: مكلف بالاتصال مع رزق الله السالف الذكر.

- بروان جعفر: أمين المال.

- شافعي بلعيد: مكلف بشراء الاسلحة من خناجر وسكاكين

- حداش رابح: مساعد.

- اوقاسي بوعلام: مكلف بشراء الأدوية.

علي راشدي مهدي: مكلف بتنظيم الاجتماعات.

وأثناء شهر أوت 1982 انعقد اجتماع بمنزل بن ميرادي حضره كل من بوسنينة محمد وبن رمضان عبد الكريم ومراح أحمد ورزق الله عبد الناصر، وبهذه المناسبة طلب بويعلي مصطفى من الحاضرين مبايعته طبقا لأحكام الشريعة الإسلامية، وبعد مانصب أمير ا طلب منهم تكوين افواج من المتطوعين في سبيل الله.

وبتاريخ 17 - 11 - 1982 التقى بويعلي مصطفى والمراح أحمد وبويعلي أحمد وبوسليمان محمد واتجهوا على متن سيارة بيجو 504 كان يقودها بن رمضان عبد الكريم إلى الشاطئ بالقرب من الشراقة؛ حيث نزل بويعلي مصطفى صحبه بوسنينة محمد ومراح أحمد الذي تطوع لاغتيال الوزير، أحمد عبد الغني، وذلك قصد دراسة الأماكن ثم توجهوا إلى بولوغين حيث نزل بوسنينة محمد وبعدها ساروا نحو مفترق القريب الطرق من واد الرمان؛حيث وجدوا رجال الدرك يراقبون المرور ولما طلب دركي من السائق بن رمضان عبد الكريم الوثائق الإدارية للسيارة أجابه مراح أحمد بأنهم ينتمون إلى وزارة الدفاع الوطني فألح الدركي على تقديم الوثائق وأمام هذا الوضع نزل بويعلي مصطفى من السيارة وأطلق نار رشاشه على أحد الدركيين ثم لاذوا بالفرار على متن سيارتهم.

بتاريخ 6 - 12 - 1982 انعقد اجتماع بمنزل بن ميرادي ترأسه بويعلي مصطفى وحضره بوسنينة محمد وبن ميرادي محمد وبن رمضان عبد الكريم ومراح أحمد، أعيد بهذه المناسبة الكلام في قضية اختطاف الوزير الأول، وبعدها كلف بن ميرادي محمد بإعداد دراسة لتنفيذ هذه العملية بالطريق الرابط بين الشراقة وزرالدة وذلك بوضع شجرة وسط الطريق لايقاف سيارة الوزير الأول يحدد موعد تنفيذ هذه العملية ليوم 09 - 12 - 1982 وذلك لكي يتمكن بوسنينة محمد وشارف محي الدين من جميع المعلومات الاضافية والدقيقة عن تحركات هذا المسؤول.

وفي 9 - 12 - 1982 انعقد اجتماع بمنزل عائلة فايد ضم كلا من بويعلي مصطفى وبن ميرادي محمد وشارف محي الدين وبن رمضان عبد الكريم وفايد كمال وفايد عزازي وفايد الشريف. صرح أثناء هذا الاجتماع. مراح أحمد (ضربوا الرأس) يقصد بذلك الوزير الأول، كما أخبر بويعلي مصطفى الحاضرين في الاجتماع بأنه عازم على إرسال اللائحة التي تحتوي على 14 نقطة والتي تمثل طلباتهم من الحكومة، وفي حالة عدم الإجابة على مطالبهم التي اشتملت عليها اللائحة سيشرعون في اختطاف السيد الشريف مساعدية وفي الأخير طلب

مراح أحمد من الحاضرين القيام بهدم التماثيل والنصب التذكارية، أما بالغرب الجزائري فإن أول نشاط سجل لنشر الدعوة قام به المسمى عثمان محمد بمساعدة بوقاسمية بلقاسم إلى أن التحق هذا الأخير بالمملكة السعودية وتوفى أثناء الحوادث الدامية التي وقعت بالحرم الملكي سنة 1979.

واصل عثمان محمد نشاطه بمساجد سيدي بلعباس (دروس ومحاضرات) وذلك بعد مبايعته من طرف مجموعة انضمت إليه من بين عناصرها نذكر ديب عبد الحق، والفقيه بشير، وعظيم منور، غير أن هذه المجموعة انفصلت عن أميرها بعد أن اتهمته بانتمائه إلى بن بلة أحمد.

أثناء سنة 1980، نظم عثمان محمد بمساعدة ديب عبد الحق مجموعة أخرى متخذا بمناسبة مخاطبته من يسمع محاضراته مواقف عدائية ضد السلطة مما أدى به إلى الاصطدام مع المحافظ المركزي للشرطة بسيدي بلعباس.

وفي7 - 4 - 1981 القي عليه القبض بعد أن تدخلت مصالح الأمن لفرقه أعضاء المنظمة الذين تجمعوا بجوار محافظة الشرطة.

وبعد الافراج عنه نظم عثمان محمد مجموعة أخرى مقرها مسجد عثمان بن عفان في حين أن ديب عبد الحق كون مجموعة ضمت الأعضاء القدماء التابعين لعثمان متخذة مسجد السلام مقرالها، وهكذا أصبحت مدينة سيدي بلعباس تمتاز بمجموعتين، ثم أمتد نشاط مجموعة ديب الحق إلى مدينة وهران التي يمثلها كرار قويدر ومستغانم التي بها بوزوينة عبد الحميد وتلمسان وعلى رأسى جموعتها بوكليخة، كما تم اللقاء بين ديب عبد الحق وبويعلي مصطفى وكان لهذا الأخير أن قدم بواسطة مراح أحمد وبويعلي محمد مساعدة مالية قدرها 50.000.00 دج الأعضاء مجموعة مسجد السلام الذين القي عليهم القبض. ابتداء من شهر أفريل 1982 تواصلت اللقاءات بين مجموعتي الجزائر والغرب وذلك بعد الاجتماع الذي ضم كلا من عثمان محمد وبويعلي مصطفي وبن رمضان عبد الكويم وبويعلي محمد، والمنعقد بمنزل بوداود مراد بالشراقة وكان الهدف من هذا اللقاء أن تطلع مجموعة الغرب على ماعليه هيئة بويعلي مصطفى من تنظيم استعدادا للجهاد.

وبمناسبة لقاء ثان اتفق كل من عثمان محمد وبويعلي مصطفى على أن تبعث المنظمة مجموعة لتتلقى تدريبا شبه عسكري بالقرب من مدينة نيس الفرنسية ثم بالجبهة السورية للحصول على معلومات تطبيقية تمكنهم بعد عودتهم إلى الوطن من القيام بالجهاد في صفوف الحركة.

أما مافيما يتعلق بالاسلحة فإن بويعلي مصطفى قام مع بعض المجاهدين طالبا منهم إما الالتحاق بالمنظمة أو تسليمهم اياه اسلحتهم التي احتفظوا بها كما وعده عثمان محمد بأنه سيقدم من جهته 2000 رشاش نوع كلاشينكوف يأتي بها جندي تابع لمجموعة لمسجد السلام بسيد بلعباس يعمل بالقاعدة العسكرية بتفراوي (وهران)".

رجال زعيم الاسلام المسلح بويعلي (المصدر، قرار الاحالة 1985)

1) - أحمد كرفاح

"مولود في سنة 1959 بالعزيزية (المدية) أستاذ التعليم المتوسط الساكن بدوار القلب، (العزيزية- المدية) غير موقوف قضائي سابق .

المتهم أساس من قانون العقوبات.

حيث أن المتهم طالب بكلية العلوم الاقتصادية بالجزائر وكان يلقي الدروس بمسجد العاشور ومسجد السيدة الافريقية.

وحيث اعترف بأنه بطلب من بويعلي مصطفي في 12 / 6 / 1982 الاتصال رفقه بن ميرادي محمد بإمام مسجد القبة الشيخ نحناح والاتيان به إلى بئر مراد رايس أمام بويعلي... واعترف أيضا بأنه شارك في الاجتماع المنعقد أثناء شهر نوفمبر 1982 بمنزل شارف محي الدين الذي ترأسه بويعلي مصطفى والذي أخبر الحاضرين عن الحادثة التي وقعت بتاريخ 17 / 11 / 1982 بمفترق الطرق بواد الرمان، وكان له أن أطلق نار رشاشته على الدركيين وكان للمتهم بهذه المناسبة أن رأى بويعلي مصطفى - مراح أحمد وبن رمضان عبد الكريم يحملون رشاشات.. ويعترف بأنه أثناء شهر ديسمبر 1982 اتصل رفقة وهراني العربي وذلك بواد الرمان ببويعلي مصطفى بن رمضان عبد الكريم، مغني عبد القادر للإتصال بعلماء العاصمة للقيام بالدعوة جهارا،، وفي 31 ديسمبر 1990، يصرح السيد كرفاح لأسبوعية المسار المغاربي بأنه تحصل على البكالوريا في سنة 1977، "ليمتد نشاطي السياسي بعد ذلك في الجامعة حيث اتسعت دائرة نشاطي في عدة مساجد منها (مسجد العاشور) وفيه اتصلت بي (جماعة العاشور) وحددوا لي جمعة في كل شهر.. وكان معنا أيضا الشيخ عبد الهادي، الذي كان يؤدي واجب الخدمة الوطنية، وبعد ذلك انتقل إلى مارسيليا فخلفه الشهيد مصطفى بويعلي، رحمه الله،، وقد عزمنا منذ ذلك الوقت على أن نقول كلمة الحق.. وقد انتقدنا البناء الفوضوي على حساب السهول وأبرزنا عيوب الاشتراكية، وعمليات السطو على أموال الشعب.. وهذه الأمور كانت صعبة جدا في ذلك الوقت.. حتى وزارة الشؤون الدينية كانت تمنعنا من الالتقاء في المساجد، لذلك كان نشاطنا محصورا في المساجد الشعبية. كلمة الحق آنذاك كانت صعبة للغاية، فالاربع سنوات التي قضيتها في الجامعة، ثلاث سنوات والأمن ورائي»

وعن أسباب حمله السلاح يقول كرفاح " إن جماعتنا كانت تسمى جماعة العاشور وفي سنة 1981 أردنا أن نقوم بمسيرة، وبعد استشارة الدعاة لم يوافقونا...

حيث كنا نهدف من وراء هذه المسيرة تغيير بعض الأمور التي كانت موجودة مثل أفة الخمر، الحد من السرقة،، وفي ذلك الوقت نادرا مانقوم بجمعة ولاتحاصرنا الشرطة، وتمسكنا بالصبرحتى عام 1982، وفي ليلة

من ليالي جويلية أراد الأمن أن يخطفنا على الثانية صباحا.. لماذا ؟!

إذا استدعانا نذهب إليه، نحن لسنا هاربين من القانون، لكن أن تخطفني ليلا.. أي يريد القضاء علينا دون أن يدري أحد.

وبعد هذه العملية اختفي بويعلي لمدة ثلاثة أسابيع، وبقيت أنا فقط ألقي دروس الجمعة... وبعد اتصالات ومحاولات مع مدير الأمن آنذاك السيد خضيري، والوزير السابق بلعياط، رجع بويعلي إلى الظهور. ثم تكررت عملية الخطف ثانية، وهنا حمل بويعلي السلاح، خاصة في ذلك الوقت بالذات، كنا نفكر فقط في التوحيد والدعوة، والسلاح لم نحمله للجهاد كما يفهم البعض، بل حملناه للدفاع عن النفس، وان هذا السلاح الذي حمله بويعلي هو سلاحه لأنه كان من قدماء المجاهدين،،

وحول ظهور منظمة الحركة الاسلامية بالجزائر التي اسسها بويعلي، يقول أن نشأتها كانت في منتهى السرية.. ويضيف "عندما صعدنا الجبل بدأت الجماعة تتحرك وأول مشروع قمنابه هو أننا أردنا أن نعرف الشعب بأنفسنا، فقمنا بكتابة منشور، وقبل توزيعه بيومين انكشفنا، حيث حدثت "بيعة" فألقي القبض على 14 شخصا من الجماعة"

وعن العدد الذي كانت جماعتهم تتشكل منه يقول أحمد كرفاح "كنا كثيرين.. لكن هؤلاء 14 هم النواة وبقيت أنا وبويعلي.. 14 أخذ وا الى السجن، ونحن قمنا بتكوين نواة أخرى في رويسو، السيدة الافريقية، سيدي بلعباس، وغيرها.. وبدأت الحركة تنشر، وصرنا مايقارب 600 شخص على المستوى الوطني.»

ويظهر عباسي مدني؟!

«في هذه الظروف تأتي أحداث ابن عكنون عام 1982، وأنا كنت متابعا من طرف الأمن السري.. أنا لم أحضر ليلة الأحداث لأني لو حضرت لكان مستحيلا أن أترك تلك الأحداث تقع، لأنها وقعت من أجل من يحكم الحي.. وبعد اسبوع فقط يتحرك الشيخ عباسي ويدعو إلى تجمع بالجامعة المركزية.. وبعد عملية التجمع مباشرة بدأت عملية الاعتقالات في الجزائر.

اعتقل الشيخ عباسي مدني، والشيخ محمد السعيد، أصبح الشيخان عبد اللطيف وأحمد سحنون تحت الاقامة الجبرية.. بقينا نحن.. ولابد أ ن نفكر في مخرج.. فتم اجتماع بنواحي باب الوادي.. وعند رجوعنا إلى وادي الرمان التقينا برجال الدرك المتجول قرب حديقة التسلية بابن عكنون.. ونحن -الحق- لوح الترقيم غيرناه احمر حتى نوهم أن السيارة تابعة للدولة.. تقديم أوراقنا إلى رجال الدرك باعتبارنا رجال دولة.. وفي هذا الوقت الدركي الذي كان يحمل السلاح أطلق النار.. وهنا أخرج بويعلي مسدسه وأطلق النار في الهواء.. ففر رجال الدرك وتركا سلاحهما.. والآن لوكنا نحن رجال إرهاب أوعنف أو انتقام لكنا اخذنا السلاح وعرضنا الدركيين للخطر.. لكننا تركنا السلاح في مكانه..»

أخو بويعلي قتل أمام ابنه..

وبعد هذه الحادثة مباشرة توسعت عملية الاعتقالات لتشمل كل ملتح.. وفي هذه المرحلة بالضبط أخرج الأمن

(أخو بويعلي الاكبر) من منزله وقتلوه أمام ابنه على بعده 50 مترا. لماذا؟ حتى يخرج بويعلي لينتقم.. فيلقى عليه القبض، لكنه قال (أنا لا أنتقم.. أنا أجاهد في سبيل الله)"

وحول ماإذاكان ثمة حوار بين الجماعة والسلطة، يقول احمد كرفاح "في هذا الوقت بالضبط جاء الحوار بيننا وبين الحكومة،، جاءنا أناس لنتحاور معهم ..

ولازالوا على قيد الحياة.. فقلنا لهم نتجاوز معكم بشروط

1) إطلاق سراح المعتقلين الاسلاميين (عباسي وجماعته)

2) السماح للدعاة بالنشاط في المساجد.

3) تكفون عن الظلم.

4) تبدأون في التغيير.

وكان الجواب أن هذه الشروط لايقدرون عليها، فتعجبنا.. أمور بسيطة مثل هذه لايقدرون عليها فقلنالهم: أنتم من أرسلكم؟ قالوا الحكومة.

فقلنا لهم نحن أرسلنا الله ورفضنا الحوار..

وفي ذلك الوقت لم تعد المساجد لله.. بل أصبحت للحزب ولمساعديه.. وبلغ الحصار أنك لن تستطيع شرح حديث نبوي أوآية قرآنية في المسجد.. وعلى الداعية إذا أراد أن يلقي درسا أن يأخذ رخصة من الحزب.

ولما ألقي علينا القبض،، كل الاسلحة التي وجدوها معنا كانت جزائرية ومن بقايا حرب التحرير.. ولو وجدت عندنا ورقة مثل هذا الشريط (يشير إلى شريط كاسيت) من دولة أجنبية لأعدمونا بدون تردد.

شهادة عن التعذيب

صراحة إن العذاب الذي أذاقونه إيانا، لم تقم به فرنسا.. أسبوع بكامله لم نذق الخبز، كان الدركي يقول لنا قبل أن يدخل (ربك ومحمد تاعك خليهم براً وادخل)

وداخل السجن نشرب ماء المراحيض، الكهرباء، التعلاق.. إنه انتقام، بلغ بهم الحد إلى أن أجلسوني على يد مكنسة.. ولما ذهبنا إلى البرواقية.. فرنسا التي بنته لتعذب فيه الشعب الجزائري، وضعت له النوافذ، والجزائر المستقلة أغلقتها بالأجر.. 27 شهرا لم يفتح باب الزنزانة..

فتوى رئيس المجلس الأعلى للشؤون الدينية ألمتني..

في 8 ماي جاء مايسمونه كتابة التاريخ، فأخذت مع جماعة عباسي مدني إلى محكمة أمن الدولة بالمدية عام 1985.. وأعطت الحرية المؤقته لعباسي وجماعته، أما أنا فرجعت إلى السجن، لأنني مازلت متهما في القضية الثانية وهي قضية بويعلي والذي ألمني كثيرا، هو أن الشيخ أحمد حماني يفتي في التلفزة الجزائرية عام 1986

بأن تطبق فيناعقوبة (أهل الحرابة) أي (نقتل أونصلب أوتقطع أيدينا) ولكن بعد محاكمة ثانية بمحكمة أمن الدولة بالمدية خرجت من السجن عام 1987..

2- والي عبد العزيز (نفس المصدر)

†1943†≠†1†≠†11†Í·†ÂË%‰Ëœ" بالجزائر. لأبيه الطيب ولأمه سوفاي زهور- متزوج له ثمانية (8) أولاد. - عون تسيير بشركة- سونالغاز- الساكن طريق سيدي مبارك واد الرمان، بلدية أدرارية..غير مسبوق قضائيا..

يعترف المتهم أنه قام مساء يوم7 - 11 - 1982 رفقة بن رمضان عبد الكريم وفرحات وبوسنينة محمد بالاستيلاء على 160 كلغ من مادة (ت ن ت) من مستودع شركة سوناترو برأس جينات، بينما تولي الحراسة أثناء هذه العملية كل من بويعلي مصطفى مراح أحمد المُسَلّمَيْنِ برشاشات.

أخفى المتهم بمنزله 50 كلغ من هذه المادة وذخيرة تحتوي على عيارات مختلفة ومسدس وقنبلة وآلة سحب ومؤخر رشاشة نوع " مات 49" أثبت التحقيق بأن المتهم شارك في الاجتماع الذي قرر فيه بويعلي مصطفي اختطاف الوزير الأول، كما أنه ؛بصفته عضوا بالفوج العسكري، شارك في اجتماعات تنظمية انعقدت بواد الرمان وبوزريعة والعاشور. في 12 - 11 - 1982 ورافق كلا من مراح أحمد وبن رمضان عبد الكريم إلى مكان تجمع الطلبة والمصلين بالجامعة المركزية قصد التعدي على مصالح الأمن"

3- قشي سعيد (ن م)

مولود في 7 - 3 - 1945 بسطيف لأبيه العربي ولأمه قشي حدة- متزوج له ستة أولاد. رئيس مصلحة. ساكن بحي 600 سكن ق 10 رقم 513 بسطيف غير مسبوق قضائيا.

صرح المتهم أنه ينتمي منذ 1981 إلى المجموعة وكان يحضر الاجتماعات التي تعقد بالعاشور والقبة وواد الرمان تحت رئاسة بويعلي والتي تقرر أثناءها تنظيم مسيرة من مسجد العاشور إلى الجزائر العاصمة وكذلك تحرير المناشير التي تحمل اسم الحركة الاسلامية في الجزائر بعد أن اتفق مع حمودي الهادي وعبد اللطيف واريت كمال على صنع خاتم يحمل اسم هذه الحركة.

واعترف بأنه تسلم أثناء شهر أوت 1982 من حمودي الهادي 2000 منشور 7 أخذها معه إلى مدينة سطيف قصد توزيعها ولكنه حسب أقواله أحرقها .

كما كلف المتهم بجمع المال والسلاح وأسندت إليه مهام أمير على رأس المنظمة خلفا للمسمى رايت كمال غير أنه أنكر أمام التحقيق قيامه بهذه المسؤوليات

4- مهية مبروك (ن م)

«مولود في عام 1940 بمتليلي (ولاية الأغواط) لأبيه عبد القادر ولأمه بيتور عائشة، متزوج، له ستة

أولاد... تاجر.. ساكن 30 نهج فيلالية رايس حميدو (الجزائر) غير مسبوق قضائيا...

إعترف بأنه ينتمي منذ سنة 1978 إلى المنظمة ويحضر اجتماعاتها التي تعقد ببوزريعة والقبة وواد الرمان بمنازل، حمودي الهادي وطالب محمد، والتي كان يحضرها بويعلي مصطفي ورايت كمال وزيوي نصر الدين وقشي سعيد يعوني رابح وبكاي سليمان، وبأن منشورا سحب بمنزله بباب الواد، وسلم حوالي 2000 ورقة من هذا المنشور لتوزيعها ليلا بالشوارع غير أنه حسب أقواله أحرقها.

اعترف كذلك اشترى من زاوي سيدي الشيخ بمثليلي رشاشة نوع مات 49 ب 5000دج وذلك بحضور حمودي الهادي، كما سلم للبائع السالف الذكر مبالغ مختلفة طيلة سنوات 1980 - 1981 و1982 قصد شرائه لهما أسلحة وبالفعل زودهم برشاشة ثانية أخذها حمودي الهادي بعد دفع مبلغ 4000 دج أخذها المتهم من صندوق الإشتراكات المدفوعة لصالح الحركة الإسلامية في الجزائر، كما اشترى كمية من البارود والخرطيش للمتفجرات من شخص آخر بمتليلى سلمها لحمودي..

كما أثبت التحقيق بأنه سلم كذلك لهذا الأخير مسدسا.

واعترف مهية مبروك أنه شارك في الإجتماع المنعقد أثناء شهر جوان 1982 والذي تقرر أثناءه تكليف بو يعلي مصطفى بالميدان العسكري.

وكلف الهادي بالجانب السياسي ورايت كمال وعبد اللطيف بمهمة جمع المال تحت مسؤولية زيوي نصر الدين وبعوني رابح، كما اعترف بأن منشور اسحب بمنزله.

واعترف أيضا أنه شارك أثناء شهر رمضان 1982 في الإجتماع المنعقد ببوزريعة وحضره كل من بويعلي مصطفى ورايت كمال وكناني عبد الله وقشي سعيد وزيوي نصرالدين وعبد اللطيف وكان جدول الأعمال يحتوي على النقاط التالية:

- جمع الإشتراكات لتزويد الحركة بما تحتاجه وبالأخص الأسلحة كما اقترح بويعلى مصطفى صنع القنابل لإثبات وجود وأهمية الحركة أما النقطة الأخيرة فإنها تتعلق بتنظيم وتقوية الحركة والإتصال بالمسلمين على مستوى التراب الوطني.

وقامت مصالح الأمن بحجز كمية من خراطيش المتفجرات المادة (ت ن ت) وسلم المتهم إلى طالب محمد شهادة عمل مزورة قصد حصول هذا الأخير على رخصة الخروج لزيارة فرنسا أو المغرب للإتصال بالمنظمات الأجنبية لتعريفها بالحركة السرية في الجزائر.

5- رايت كمال (ن.م)

مولود في 17 - 11 - 1949 بشبلي (البليدة) لأبيه الطاهر، وأمه بور شيشة يمينة، متزوج له 7- أطفال- عامل- ليست له سوابق قضائية.

انتمى إلى المنظمة منذ سنة 1978، حضر العديد من الإجتماعات، ومن بينها ذلك الذي انعقد ببوزريعة منزل حمودي الهادي والذي تمت أثناءه دراسة واختيار الاسلام الذي يطلق على الحركة الاسلامية، كما أن هذه الاجتماعات تواصلت فيما بعد ودرست فيها قضايا الآفات الاجتماعية وقضية انتشار الشيوعية.

امتدت علاقته إلى ناحية الغرب وذلك بعد اعتقال جماعة فوج سيدي بلعباس ومن هنا بدأ تنسيق العمل بينه

وبين ديب عبد الحق وكرار محمد وعثمان محمد من جماعة وهران.

اعترف بشرائه رشاشة من حمودي الهادي بـ 5000 دج ورشاشه من نوع (مات 49) من سريدي محمد بـ 5000 دج كما ضبطت عنده قنبلتين غازيتين تسلمهما من طالب أحمد، كما احتجزت مصالح الأمن بمنزله مسدسا.. واعترف بأنه قام بصنع خاتمين باسم الحركة الاسلامية في الجزائر وأنه كان ينسق تنفيذ الأعمال بين المجلس التنفيذي وجماعتي وهران وسيدي بلعباس.

6- كرار محمد (ن م)

مولود في 8-9-1944 بزهانة (ولاية معسكر) لأبيه مصطفى وأمه عايد حليمة- متزوج، له ثلاثة أولاد، محاسب، تاجر، الساكن بوهران 16 نهج كارافال. غير مسبوق قضائيا.

اعترف المتهم بأنه ينتمي منذ سنة 1974 إلى جماعة التبليغ وأن الاجتماعات كانت تعقد بمعدل ثلاث مرات في الشهر وتضم كلا من عثمان محمد ديب عبد الحق، وبوكليخة يحي وبوزوينة عبد الحميد والفقيه البشير.

وأن هذه الجماعة تهدف إلى إصلاح الناس في أمور دينهم وكان له أن اتصل رفقة بلعيد محمد بجماعات التبليغ بكثير من مدن الغرب الجزائري.

وأثبت التحقيق أنه كان يشرف على منظمة الغرب الجزائري ومن بعض ممثليه نجد: بوزوينة عبد الحميد بمستغانم. بوكليخة يحي بتلمسان، عثمان محمد وديب عبد الحق بسيدي بلعباس.

واعترف كذلك بأن رايت كمال سلمه أثناء فصل الصيف سنة 1980ببني مراد رشاشة ومسدسا لاخفائهما له بوهران.

ومن بين نشاطاته صرح كرار بأنه علم أثناء جوان 1982 بمسجد استاليتغراد بباريس بإقامة مخيم إسلامي بمدينة نيس لتكوين الدعاة وذلك من طرف جمعية الطلبة المسلمين بأوروبا، وإثرعودته إلى وهران أخبر بذلك المسمى ديب عبد الحق الذي أتاه فيما بعد بمبلغ مالي وجواز سفر وكذلك التذاكر وكما كان الشأن بحضوره مؤتمر الحج بباريس.

واستنتج من ملف التحقيق أن للمتهم علاقات عمل داخل المنظمة تربطه ببويعلي مصطفى وذلك عن طريق عثمان محمد، رايت كمال، وحمودي الهادي، وكناي عبد الله، ثم أن كلا من نهار بلعيد محمد وراشي مصطفى وعزي عباس صرحوا أن كرار أخبر جماعة وهران وسيدي بلعباس بإرسال بعض الشبان إلى فرنسا قصد تكوينهم عسكريا ثم إرسالهم إلى سوريا.."

7. بن ميرادي محمد (ن م)

مولود في 28 - 6 - 1950 بالرويبة (الجزائر) لأبيه خليل وأمه علي خوجة خديجة، متزوج وله ثلاثة أولاد. مصرح جمارك بشركة رونو، ليست له سوابق قضائية.

أثناء سنة 1981 صحبه بوسنينة محمد وشارف محي الدين إلى بويعلي مصطفى الذي كان يلقي محاضرات بالعاشور يهاجم أثناءها الحكومة.

وابتداء من شهر أفريل 1982 بعدما أختفى بويعلي مصطفى عن مصالح الأمن التي كانت تبحث عنه كانت تعقداجتماعات بواد الرمان حيث يلتقي المتهم مع مسؤول المنظمة بواد الرمان بعد تحديد المواعيد من طرف

بوسنينة محمد.

وأكد بن ميرادي بأن تكوين المنظمة يهدف إلى إرغام السلطة في البلاد على تطبيق الاسلام وماجاء به القرآن، كما أكد بأن المنظمة قررت بعد وقوع حادثة بن عكنون نسف أماكن مثل فندق السفير غير أن بوسنينة محمد اقترح نسف الاوراسي.

كما تلقى بن ميرادي محمد مهمة زيارة استكشاف مصنع الجعة بالحراش لتدميره فيما بعد. ويعترف بن ميرادي محمد بأنه قام أثناء شهر جويلية 1981 رفقة بوسنينة محمد وشارف محي الدين بتفجير قنبلة وذلك قصد تجربة فعاليتها، كما اشترى ستة منبهات سلمهم آخر شهر نوفمبر 1982 لصانع القنابل بوسنينة محمد بعدما قدم له هذا الأخير 1000دج.

وصرح بن ميرادي محمد أنه تقرر أثناء الاجتماع الذي حضره بمنزل فايد أثناء شهر جويلية 1982 رفقة بوسنينة محمد وشارف ناصر الدين وبركان رشيد وحاميتو موسى وفايد لعزازي وشابي نصر الدين - إقامة تنظيم محكم لشراء الأدوية - تقديم اشتراك شهري مبلغه (50 دج) كما تقرر اختطاف مسؤول كلما ألقت السلطات القبض على افراد المنظمة.

كما كلف بن ميرادي محمد أثناء الاجتماع المنعقد بتاريخ66 / 12 / 1982 من طرف مراح أحمد بدراسة الطرق التي يمر بها الوزير الأول السيد محمد بن احمد عبد الغني، وامتثل لهذا الأمر»

8) حمودي الهادي (ن م)

"مولود في 18 - 2 - 1942 ببسكرة لأبيه عبد الرحمن ولأمه حمودي خديجة، متزوج، له سبعة أولاد... تاجر، غير مسبوق قضائيا

اعترف بأنه في 1978 نظم اجتماعا بمنزله ببوزريعة حضره كلا من رايت كمال، مهية مبروك، الحاج الوناس وطالب محمد، كما حضر الاجتماع المنعقد بمنزل طالب محمد بحي براقي وأن أول زيارة له لبويعلي مصطفى يرجع تاريخها إلى سنة 1980 وذلك بمناسبة تنظيم تظاهرة بشوارع العاصمة لمطالبة الحكومة بما أنزل الله.

وصرح بأنه سنة 1981 اتصل بالمسمى كرار قويدر محمد بوهران وذلك بمناسبة اعتقال جماعة سيدي بلعباس، كما أنه في نفس السنة حضر الاجتماع الذي عقده بويعلي مصطفى بمنزل بكاي سليمان.

كما حضر الاجتماع المنعقد في بداية شهر رمضان لسنة 1982 بواد الرمان والذي ترأسه بويعلي مصطفى لصناعة منشور قصد توزيعه ليلة 27 رمضان وبالفعل قام بتوزيع تلك المناشير بعد سحبها على أعضاء الجماعة.

واعترف حمودي الهادي أيضا بأنه اشترى رشاشا (نوع مات 49) من المسمى الشيخ الزاوي من متليلي، كما أن مهية سلمه كمية من البارود وبعض الخراطيش للمتفجرات، كما أنه هو الذي سلم رشاشا بطلب من رايت كمال لاخفائها للمسمى بكاي سليمان، وبأن مصالح الأمن حجزت بمنزله مسدسين وبعض أدوات الطباعة إلى جانب المناشير وطابعين يحملان اسم: الحركة الاسلامية في الجزائر.

وأثبت التحقيق أن حمودي الهادي كان مكلفا بالميدان العسكري في إطار المجلس التنفيذي إلى جانب بويعلي مصطفى، وأنه كان يزود المنظمة بالأسلحة والذخيرة وقد تسلم منه بويعلي سيد أحمد في بداية صيف سنة 1982 رشاشين من نوع (مات 49) وصندوقين من مادة (ت ن ت) كما تسلم منه بداية شهر أوت 1982

مايقارب 400 رصاصة عيار 9 مم التي حجزتها مصالح الأمن... »

ويضيف قرار الاحالة "أن حمودي الهادي أخفي بمنزله مصطفى المتابع من طرف مصالح الأمن ثم نقله عند بكاي سليمان ببوقرة وسلم لهذا الأخير رشاشين ومسدسين"

9) مراح أحمد (ن م)

"مولود في 23 جوان 1954 بسي مصطفى (بومرداس) لأبيه محمد السعيد وأمه حمانة عائشة، متزوج، له ثلاثة أولاد ، مسبوق قضائيا...

صرح مراح بأنه أنضم إلى مجموعة بويعلي مصطفى أثناء 1980، ويستنتج من ملف القضية بأن المتهم كان من الأعضاء الرئيسين الذين أسسوا المنظمة التي تدعى الحركة الإسلامية في الجزائر، وبهذه الصفة فإنه قام أثناء شهر مارس 1981 بتزوير بطاقات رمادية للسيارات المستعملة من طرف المنظمة، كما أنه أثناء ماي 1981، عمل بالشركة الوطنية للبناء والأشغال العمومية بالعاشور مدة 15 يوما ثم أهمل العمل بعد أن أخذ معه شيكات سمحت بإختلاس 40.000.00 دج من حساب الشركة السالفة الذكر.

وشارك مراح أحمد في الاجتماعات الهامة من بينها:

- أثناء شهر أوت 1982 الاجتماع بمنزل ميرادي حضره بوسنينة وبن رمضان عبد الكريم ورزق الله عبد الناصر وبويعلي مصطفى الذي طلب من الحاضرين مبايعته طبقا الشريعة الإسلامية (...)

- وكذلك الاجتماع المنعقد بمنزل بويعلي بالعاشور، تقرر أثناءه بطلب من بويعلي مصطفى إخطار الرأي العام بوجود جمعيتهم (....)

وفي 9 - 12 - 1982 بمنزل فايد عزازي قرر أحمد مراح الذي يتحمل مصاريف العملية، شراء 30 كلغ من البارود بواد سوف ليستعمل في إشعال مادة (ت ن ت) وصرح بوسنينة محمد أن مراح أحمد كان أول مسؤول طالب بالشروع حالا في تنفيذ العمليات التخريبية وأنه تطوع بوضع قنبلة بمقهى الحزب ومقهى الكتبية، كما اقترح تد مير نزل الأوراسي ومطار هواري بومدين وبناية جريدة المجاهد اليومية...

ولتنفيذ عملية اختطاف الوزير الأول كلف أحمد مراح بن ميرادي محمد وبوسنينة محمد بمراقبة الطّرق التي يمربها هذا الأخير لنجاح العملية.

وصرح فرحات عمر بأن المنظمة وعلى رأسها المتهم قررت قتل الوزير الأول وكذلك السيد مساعدية محمد الشريف.

ويعترف مراح أحمد بأن المناشير طبعت من طرف جماعة بني مراد التي يترأسها حمودي الهادي ووزعت على الأفواج...

رواية مصطفى معيزي ومصطفى حمزة

مصطفى معيزي ومصطفى حمزة، مناضلان في الحركة الاسلامية بالجزائر التي قادها مصطفى بويعلي حتى يوم لقى حتفه على أيدي القوات النظامية المسلحة.. ينتميان إلى المجموعة 15 من معتقلي الحركة التي تم الأفراج عنها، بعد العفو الرئاسي في شهر جويلية 1990..

جماعة 15 اعتبرت هذا الافراج مجرد "مناورة سياسية لتمرير قضايا سياسية أخرى "ففي نظر جماعة بويعلي" لايمكن للسلطة الغاشمة التي أصابت كرامتنا وأنفسنا وأجسادنا أن تخد عنا بمثل هذا الافراج المفاجئ: والوسيلة الوحيدة التي يمكن بهاأن نعرف صدق السلطة وحسن نيتها في الافراج يتمثل في تحقيق هذه المطالب وإلا فالسجن أحب إلينا من الأفراج وإطلاق السراح.

1) اعادة الاعتبار لعائلات الشهداء الذين سقطوا برصاص السلطة الجائرة وعددهم 15 عائلة وإعالة أولادهم وذويهم بحكم أن السلطة هي المتسبب في كل ماوقع.

2) فتح المجال لكل إخواننا المتابعين في نفس القضية وهم الآن خارج الوطن دون قيد أوشرط.

3) إعادة الاعتبار لجميع الاخوة الذين سجنوا في قضية بويعلي (رحمه الله) وذلك بإزالة كل تزييف للحقائق وقلب الأمور رأسا على عقب الذي جعل الرأي العام يصدق كل مايقال في هذه القضية من كذب وزور وخاصة قضية بوقزولة رحمه الله.

4) متابعة كل من تورط بتعذيبنا تعذيبا وحشيا وانتهك حرمة نسائنا وأقاربنا واحتلال منازلنا وتدمير بعضها بمادة الديناميت

5) التعويض المالي لكل ضرر، مادي وأدبي، ورد جميع الممتلكات المصادرة ورد الحقوق جميعها بما فيها حق العمل وحق السكن وحق السفر»

ومجموعة 15 التي أمضت هذا البيان بمجرد خروجها من السجن، أفرادها كمايلي:

عمامرة محمد- عبد القادر شبوطي- مليانى منصوري- عمر جنادي- مصطفى معيزي- سعيد بيدي- عز الدين باعة- ابراهيم منصوري- محمد كيدة- علي باعة- محمد رابحي- مصطفى حمزة- عمر دلاثي- عبد الرحمان حطاب- بلنوارطيبي.

وفي عدديها المؤرخين بـ 2 و3 أوت قدم كل من مصطفى حمزة ومصطفي معيزي شهادتهما حول منظمتهما التي تبنت شعار الاسلام المسلح..

يقول معيزي

"تأسست حركتنا سنة 1979 بإيعاز من الشيخ بويعلي مصطفى، والشيخ كمال، لكن أحداث العاشور

1982) وتجمع الطلبة في الجامعة فرق الجماعة إذ بعد المطاردات الأمنية، أدخل البعض السجن، في حين بقي آخرون..

كان بن عمار محمود وجعفر بركاني من الأوائل الذين اتصل بهم بويعلي كي يعيد ترتيب الحركة التي نوى إحداثها، اتصل أيضا بعمامرة الطيب، ومنصوري ملياني، وتواتي معمر، والشيخ عبد القادر، في البداية كانت النية، خلق شبكة من الاتصالات تسمح بمعرفة رأي العلماء وفتاويهم في الأمر كله، لذلك كان لقاء الشيخ "العرباوي"رحمه الله، الذي كان في نفس مرتبة سحنون وعبد اللطيف سلطاني، هذان كانا في السجن آنذاك، وفتوى الشيخ العرباوي كانت صريحة ودفعت بالشيخ بويعلي إلى أن يطلق اسم الحركة الاسلامية الجزائرية على جماعتنا، خاصة وأنه أعد مخططا مفصلا ضمنه دليلا مكتوبا قدمه للشيخ العرباوي كمشروع دولة يواصل امتداده من الحركة الباديسية والمبادئ الفعلية لثورة نوفمبر..

قضية بويعلي كانت غامضة حتى بيننا نحن، خاصة بعد التصعيد الإعلامي الذي تلا فرار الشيخ، هذا جعلنا نتوجه لشيخنا العرباوي وكي نستفتيه الأمر، فرد بكل صراحة كون القضية أكبر من الاشخاص وأن المهم هو الحركة ذاتها وهذا ماشجعنا على أن نواصل تحضيرنا الداخلي الذي حدده الدليل الذي أعده «بويعلي» والذي طلب فيه منا أن نعد العدة لعمل قاعدي كبير وسري بحيث لايثير الشبهات في من ليسوا مطاردين من قبل الأمن.» ويضيف رفيق بويعلي مصطفى معيزي قائلا "بعد تكوين الفرقة وقبول المخطط أو الدليل بدأت عمليات الاتصال بالإخوة في مدينة الأربعاء في حدود سنة 1983، وهكذا دخلت عملية توسيع الحركة مجال التنفيذ والاتصال المباشر، ولذلك برمجنا لقاء الـ 22، الذي قسمنا فيه الإخوان إلى سبعة أفواج، تكلفت بعضها بالشورى، وبعضها بالأسلحة وهكذا، وعمل كهذا لايمكن أن يفسر بأنه تخريبي، أبدا،إنه تنظيم داخلي محض وتخطيط لأهداف بعيدة المدى، كانت حسب "بويعلي" احداث نواة الدولة الاسلامية من المحيط إلى الخليج، والحكومة الاسلامية في الجزائر، ولذا أفهمنا الشيخ أن كل مسؤول فوج مطالب بوضع خطة عمله التي تقدم للجنة الإستفتاء التي تحدد هي فقط نجاعتها أم لا وهذا بعد عرضها على العلماء.

في البداية - يواصل مصطفى معيزي مؤكدا- لم نكن نفكر في مواجهة الدولة والسلطة، بل كنا مكلفين بالتحضير فقط وبصورة سرية بعيدا عن العنف واستعمال السلاح، وعندما وجدنا أن التقسيم وبصورته تلك لايساهم إلا في عرقلة عملنا، غيرنا خطتنا فقسمنا الوطن إلى 10 مناطق، على رأس كل منطقة مسؤول مؤقت وجماعة ترافقه إلى تلك المنطقة،حيث تبدأ عملية البحث عن الناس الصادقين الأكفاء الذين يكتمون السر ويقبلون المساهمة في حركتنا ومنهم يمكن أن نختار من نوليه المسؤولية.. المسؤولية لم تكن هدفا في حذاتها بل لم تتجاوز إطار الوسيلة التي يمكن أن نعمل بها لا غير، خاصة وأن الظرف تطلب منا أن نباشر حياة جديدة في المناطق التي وضعنا فيها حتى نبدأ عملية الانتقاء والاتصال بالناس وهذا في حذاته صعب للغاية إذ يتطلب

الحيطة والحذر لأجل ربح ثقة الناس، ثم بعد ذلك الاختيار وارجاع الأمر إلى فتوى العلماء الذين يعود إليهم الأمر في الأخير.»

وحول ماحدث في مؤسسة بناء عين نعجة، يضيف مصطفى معيزي موضحا "تريدون أن نطرح هنا مشكل التمويل.. نعم هذا أساسي، لكن بادئ ذي بدء أؤكد لكم أن الحركة لاتمت بأي رباط لأية جهة خارجية كانت، بل هي حركة اسلامية جزائرية بحتة، نشاطها رغم كل الصعوبات ممول بمالنا الخاص، وبمساعدات الاخوة والاخوات اللاتي تبرعن بمجوهراتهن لكن عندما ماتغير الأمر وطرحت فكرة تقسيم الوطن إلى نواحي، صارت عملية تمويل هذه الخطة تطرح نفسها بإلحاح الشيء الذي دفعنا إلى التفكير في مصدر مالي يضمن لنا نشر فكرتنا والاستقرار في المناطق المقسومة، فوجدنا مؤسسة البناء لعين نعجة، وبالفعل وبمساهمات معينة دخلنا المؤسسة التي كان يعمل بها "جعفر بركاني" واستولينا على أموالها، وبعدها وجدنا أن الاعلام ركز على هذه النقطة بالذات، لذلك فقد كنا جميعا متفهمين في الحركة على أن هذه الأموال هي أموال الدولة لأنها لم تصل العامل بعد، ولقد كان من المقرر أن تصل كمرتبات ومنح العيد، لكن الفرق هو كونها في الشركة، ولنسأل العمال إن هم لم يتقاضوا مرتبات ذلك الشهر ولنسأل الدولة في تبذيرها لأموال الشعب؟؟!

نحن لم نأخذ المال من جيب المواطن والعامل، بل أخذناه من المصدر الذي لم يستطيع حمايته ولم يحم في يوم ما المال العام، هنا الفرق والفتاوي صريحة، عدا هذه العملية، أؤكد لكم أن كل الذي قيل عن عمليات السطو على محلات الصائغين، والتجار ومحطات البنزين ليس إلا إشاعات ونحن الآن في زمن الحرية فمن تعرض لهذا فماعليه إلا أن يطالب بحقه اليوم،، العجيب كل العجب أن الشرطة في قضية عين النعجة ألصقت التهمة بالمدير، وببعض أعوانه الذين اعترفوا بعد التحقيق بأشياء لم يرتكبوها، فالمهم آنذاك كان غلق الملف وطي القضية، لكن الظروف خلقت سياقا آخر عجل بحدوث الهجوم على ثكنة الصومعة، ذلك أن جماعة بويعلي صارت حديث المسؤولين وهذا ماجعلنا نفكر بجدية في التحرك.

نعم كنا قد تكلمنا في السابق عن الصومعة لكن كهدف بعيد المدى، لكن الذي طرأ جعلنا نراسل الحكومة ونناشدها أن تعود للدين ،فكان الجواب. عدم الاكتراث بهذه القضية، فما كان لنا إلا أن نتحرك بصورة جدية ونهاجم ثكنة الصومعة"

ويعتبر مصطفى معيزي أن الهجوم على ثكنة الصومعة كان خيارا أملته الظروف حيث "لم يكن مبرمجا- يوضح معيزي- أن نقوم بمثل هذا الاجراء على المدى القريب، وبما أن الظروف دفعتنا إليه، فإننا خططنا له ثلاث مرات كاملة.. في أول عملية للهجوم على ثكنة الصومعة صادف أن التقينا بسيارة شرطة أرادت أن تستوقفنا فرجعنا من حيث جئنا، وفي المرة الثانية وعندما ذهبنا لأخذ الشاحنة التي قررنا استعمالها في العملية وجدنا بعض الشباب ملتفين حولها في الحي، لذلك كان علينا أن نخطط جيدا للضربة الثالثة، وهذا مادفعنا للإتصال بأحد أعضاء الحركة "بيدي السعيد" الذي سبق له وأن تربص بالثكنة، فقدم لنا اللازم ووضعنا الخطة، وكان

بويعلي يوصينا بالتريث وعدم استعمال العنف وأخذ الأمر بعقلانية وحكمة حتى نصل المبتغى ونحقق ماجئنا من أجله "تكوين دعائم الحركة الاسلامية الجزائرية."

وحول اختيارهم لليلة الهجوم يقول رفيق بويعلي أنها كانت ليلة عطلة "فبهذه المناسبات تفرغ الثكنة ويسرح معظم المتربصين والعاملين هناك لهذا كان الأمر هينا علينا بعض الشيء.

انطلقنا من مدينة "صوحان"،حيث كنا نقيم بشاحنتين من نوع فولكسافغن، ولما وصلنا إلى (بوقرة) تركنا سياراتنا هناك، وبقينا، بالشاحنتين فقط، قسمنا الشيخ مصطفى بويعلي إلى جماعات، هناك من تكلف بالحراسة، هناك من قطع خطوط الاتصال وهناك من تكلف بالنقل. كنا حوالي 18 فردا، وصلنا إلى حقل البرتقال الذي يحيط بالثكنة تقدمنا من الأسوارحتى صرنا على بعد امتار من الباب، حينها تقدم بويعلي من الحارس وطلب منه أن يرفع يديه ويستسلم، ونظرا للمفاجأة فإن الحارس صار يصيح ويجري مما دفعنا إلى العدو وراء الشيخ إلى داخل الثكنة ونفرق بالداخل بين مقاوم ومسلح فاستعملنا الأيادي فقط، وأوثقنا رباط الذين كانوا يحرسون، في حين أبدى بوقزولة حارس الباب الذي فر عندما ظهرله الشيخ - مقاومة جسدية، جعلت أحد الاخوة يضربه على اليد بقضيب حديدي، ثم أوثقنا رباطه، وخرجنا نتفقد الشيخ الذي تركنا وذهب في المقدمة نظرا لتصميمه على حمايتنا من رجال الدرك الذين توجه إليهم بعض الفارين من الثكنة وعندما انتهينا من وضع السلاح في الشاحنة جاء الشيخ وتفقد كل شيء، ثم عدنا وسرنا وكنا كلنا بلباس عسكري واحد، لم يبق بعد أن أخرجنا السلاح إلا أن نطبق شطر العملية الثاني، أي أن ننقل الاسلحة إلى مكان لايعرفه غير الشيخ بويعلي وبركاني جعفر وصاحب المحل، وهذا نظرا لكون الثلاثة من المتابعين المطاردين الذين (طبيعتهم الأحداث) ويملكون التجربة الكافية في الهروب والتمويه، وإذا تم الإيقاع بهم، فإنه يطول أن يكشف رجال الأمن أمر الجماعة والسلاح.. وصلنا مدينة بوقرة ، حيث كنا قد وضعنا سياراتنا الخاصة، توقفنا هناك، أعدنا النظر في السلاح الذي بحوزتنا، كانت خيوط الفجر الأولى قد بدأت بالظهور، لم يكن الحال يسمح بأن نطبق ماخططناه، هكذا ردد بويعلي ثم أخذني على حدة واتفقنا سويا وجميعا على أن نأخذ السلاح إلى مكان آخر..» (المصدر، اسبوعية أضواء، صيف 90)

الهجوم على الصومعة: رواية من منظور جماعة بويعلي

في عددها المؤرخ بـ 11 أكتوبر 1990، تروي اسبوعية المنقذ على لسان بعض رجال جماعة بويعلي، تفاصيل الهجوم الذي أعلن بصورة صاخبة عن وجود حركتهم.

"من سوحان كان الانطلاق"

في ليل دامس من ليالي صيف 1985 وفي عمق جبال تابلاط كان منطقة سوحان على موعد مع التاريخ باحتضانها مجموعة صغيرة من أبناء الحركة الإسلامية.. ولئن كانت هذه الثلة المؤمنة قليلة العدد، فمسعاها كان

عظيما.. يكفيها فخرا أنها قادت معارضة مشرفة لأنها كانت ترفع الإسلام شعارا لها تخوض به معركة لا ترحم وعنيدة لا تلين، قوية قوة جبال تابلاط، وربوع هذا الوطن المجاهد مصطفى الشهيد، محمود، محمد، عبد العزيز الملياني، عبد القادر، جعفر، معمرالعيد... رابح.. أو عبد الله، ماحي.. الإمام عثمان.. سليمان.. حمزة.. عبد النور.. سيد علي.. (17) رجلا اجتمعوا على كلمة سواء، الإستحواذ على السلاح، اللغة الوحيدة التي يفهمها النظام المهترئ..

بعدما تم ضبط توزيع مهام العملية والإجراءات المفضية إلى نجاحها.. تحرك موكب الشهادة صوب مدينة بوقرة مرورا بمدينة الاربعاء عبر مسالك لا يراقبها الدرك وعلى متن سيارتين تجاريتين من نوع ڤولسڤاغن في حال جيدة وسيارة ثالثة من نوع مازدا تجارية تنقل على متنها بقية العناصر.

. مدينة بوڤرة المحطة الثانية

عند الوصول إلى مدينة بوقرة وعلى بعد عدة كيلومترات من ثكنة الصومعة وقف الركب وهناك أوقفت سيارة مازدا وركب الجميع سيارتي ڤولكسڤاغن ربما للوقت وتحسبا لكل طارىء، وكان الشهيد مصطفى كعادته - في كل عملية - يتفقد إخوانه للتأكد من أن الجميع على أتم الإستعداد نفسيا وجسديا وكذلك كان الحال.

تنظيم العملية

تكفل بالإشراف العام على العملية - من ألفها إلى بائها - الأخ عبد العزيز لحويج (المدعو سليمان) كما كلف الأخ السعيد بيدي بتهيئة العملية من داخل الثكنة، أما الأخ محمود بن عمر فقد اسندت إليه مهمة ترتيب العملية، وتهيئتها خارجيا.

ووفقا لمعطيات العملية قسمت الجماعة إلى لجان اسندت مهمة الحراسة وقطع اسلاك الهاتف ومنبه الإنذار إلى كل من الإخوة: عمار جنادي، أحمد ومحمد خيدة، ومحمد رابحي..

اللجنة الرابعة وهي اللجنة الأخيرة تكلفت بشحن الأسلحة وكانت تضم الإخوة: رابح صغير، عبد القادر شوطي، ومصطفى معيزي.

بعدما اجتاز الركب مدينة بوقرة ووصل إلى مدخل حلوية توقفت الجماعة قرب جنان الحوامض ومنه بدأت الترتيبات الأخيرة قبل الشروع في اقتحام الثكنة.

الوسائل المستعملة في العملية

حتى نضع القارئ الكريم في الصورة، لتتسنى له متابعة أجزاء هذه العملية يجدر بنا عرض مختلف الوسائل التي استعملت، فقد لوحظ أن الشهيد مصطفى بويعلي كان يحمل رشاشا، أما منصوري ملياني فقد كان بحوزته بندقية صيد، وتقاسم كل من محمود عمار وعبد العزيز منصوري مسدسان، وكف باقي الأعضاء يحمل العتاد الضروري لانجاز العملية مسامير، مقلع أسلاك مقصين من حديد (وحمل البعض الآخر السلاح الأبيض)

كان الشهيد مصطفي يتفقد دائما الجماعة للتأكد من تمام الاستعداد لدى كل فرد... ثم توجه إلى كل من السعيد بيدي وعبد الرحمن حطاب، حيث طلب من الأول (أن يتقدم نحو الحاجز وصل الثلاثة قبالة العيادة تأكدوا من خلو المكان ثم أعطيت الإشارة للتنقل مرة أخرى حتى أصبحوا على مقربة من مركز المراقبة (حوالي 30 مترا) من الجهة الخلفية، تم بعد ذلك قطع الأسلاك ليتسنى للجماعة المرور من خلالها ومرت بعد ذلك كل اللجان.. فوجا تلو الآخر، آخرهم الفوج المكلف بقطع الأسلاك ومنبه الانذار والحراسة...

تجمع الجميع داخل الثكنة - بعدما تسربوا من خلال الفتحة التي هيئت لذلك- وبالقرب من مركز الحراسة تم تنظيم حلقة (سنة الانطلاق) حيث تم تذكير الجماعة بتجنب إراقة الدماء وذكر الشهيد إخوانه جميعا على الاستعداد وتلا قوله تعالى "وإذا عزمت فتوكل على الله" ثم توجه بنفسه أمام مركز الشرطة حيث أمر الحارس بوقزولة بوعلام - رحمه الله- برفع يديه، لكن هذا الأخير بعدما خرج مذعورا عاد أدراجه نحو الداخل صارخا، وقد كان مركز المراقبة محاصرا فقد تمكنت عناصر اللجنة الثالثة المكلفة باقتحام المركز من تثبيت الحراس ماعدا بوقزولة الذي أظهر مقاومة اضطرت بعض الإخوة إلى ضربه حتى تتمكن من انجاز مهمتها" ووثق الجميع، خمسة حراس بمن فيهم بوقزولة، وقد كان الشهيد طوال العملية يهدئ من روعهم بعدما ظهر عليهم الفزع من هول المفاجأة وأثناء هذا الاقتحام تنبه الجماعة إلى فرار اثنين من داخل الثكنة باتجاه مركز رجال الدرك حينها أمر الشهيد بويعلي الأخ عبد العزيز لحويج بالتوجه صوب مركز الدرك لحراسة الثغر وأمر باقي الجماعة بأن تكمل عملها دون أن تلتفت إلى شيء حتى وإن سمعت طلقات الرصاص وبعد ذلك شرعت لجنة تحطيم الأبواب في كسر نافذة غرفة الاسلحة ،حيث كانت 500 قطعة بين رشاش ومسدس، وبعدها تعاونت كل اللجان مع لجنة شحن الاسلحة تم خلالها شحن مايلي: 10 بنادق من نوع "مات"56

120 بندقية عادية.

35 رشاش من نوع " مات 49"

27 مسدس من نوع "سميث ولسون"

02 رشاشان من نوع "موزير"

140 مسدس من مختلفة الانواع

01 بندقية للقنابل

02 رشاشان ثقيلان

02 بندقيتان من "كارابين"

15 قنبلة يدوية.

12 ألف رصاصة لمسدس "سميث ولسون"

6 آلاف رصاص لرشاش " مات 49"

140 علبة دخيرة للرشاش

180 رصاصة لبنادق "الكارابين"

بعد إنهاء عملية الشحن...قفلت السيارتان راجعتين نحو بوقرة، هناك توقفنا يقول أحد جماعة بويعلي، حيث قام الشهيد بإلقاء كلمة لما لاحظ نوعا من القلق باديا على الوجوه، خاصة وأن بشائر البشر بدأت تلوح في الأفق والجماعة كانت حريصة على أن يصل السلاح في الوقت المحدد حتى لايضيع الجهد في مهب الريح.. وقد قال الشهيد مصطفى بويعلي حينها كلمة يتذكرها من شارك في العملية "إن هذا السلاح إن كان من نصيبنا فلن يأخذه منا أحد، وإن لم يكن من نصيبنا، فلن نستطيع أن نحتفظ به،، ثم توجهت السيارتان نحو سوحان في آخر المطاف تحسبا لكل طارئ.. »

عملية الهجوم على الصومعة، رواية رسمية (قرار الإحالة)

"ولتنفيذ العملية سيقع اختيار الفوج المعين هذه المرة على منطقة الرويبة لكن مرة أخرى لم يكلل المشروع بالنجاح، وإثر هذا الفشل الثاني، قرر الأمير أن يتولى العملية بنفسه مع خليته الخاصة به وهو ماحصل فعلا إذ تمت من طرفه وخليته سرقة سيارتين من نوع ڤولكسڤاغن وبعد ذلك لم يبق إلا انجاز العملية المنتظرة بمدرسة الصومعة، وعين- كما أسلفنا- يوم عيد الأضحى من سنة 1985 (الموافق 26 / 27 أوت)

ومن أجل اللمسات الأخيرة التقت الاركان بالمقر الرئيسي بسوحان بعد صلاة العشاء من أول يوم عيد الاضحى، وحضر هذا الملتقى بويعلي مصطفى وكل الاعضاء النشطين وهم، بن عمار محمود، عمارة محمد، لحويج عبد العزيز، منصوري الملياني، منصوري عبد العزيز، شبوطي عبد القادر، بركاني جعفر، تواتي معمر، معيزي مصطفى، خيدة أحمد، خيدة محمد، صغير رابح، حطاب عبد الرحمن، رابحي محمد، جنادي عمار، وبيدي السعيد. (17 عضوا) فأحضر في هذه اللقاء بيدي السعيد وبن عمار محمود المخطط للشكل الهندسي للمدرسة، وطلب بويعلي من الحاضرين الاطلاع على هذا المخطط، ومناقشته بوضع رسم لمختلف مصالح المدرسة، وشرح بيدي السعيد للحاضرين كيفية الدخول للمدرسة ثم أتى دور بن عمار محمد والمتعلق بالمرحلة ماقبل الاستحواذ على الاسلحة وأعطيت تعليمات صارمة في ذلك على أن يكون الطريق أوالمسلك الذي يجب اتباعه كالآتي: سيكون الانطلاق من المركز الرئيسي الموجود بسوحان ثم التوجه إلى (الاربعاء) ثم (بوڤرة) ثم (حلوية) إلى حد الوصول إلى مقر العملية أي الصومعة. وإثر ذلك تناول بويعلي مصطفى توزيع المهمات وإنشاء أربعة أفواج في هذا الشأن.."

المصدر والأسس والتجارب

حركة جماعة بويعلي، لا يمكن النظر إليها بصورة معزولة عن المسار العام للحركة الاسلامية المعاصرة، وعن ميكانزمات علاقتها مع السلطة ومع نفسها وخصومها من الفصائل السياسية الأخرى المغايرة.. وسبيل الاسلام المسلح الذي اختارته أواضطرت إلى انتهاجه له مايبرره على المستوى الفكري والسياسي والاجتماعي..

في دراسته عن مستقبل الحركات الاسلامية في الوطن العربي، بمجلة "العربي" 1989، يذهب الدكتور سعد الدين ابراهيم أن لجوء هذه الفصائل إلى الاسلام المسلح "يستمد أبعاده ومبرراته الفكرية الايديولوجية من

تفسير خاص لبعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والنماذج التاريخية الفعلية، فالحاكمية أي الحكم بما أنزل الله، في نظر العديد منهم، فريضة على كل مسلم حقيقي، وبعضهم يقرأ السيرة النبوية من هذا المنطق ويستشهد بغزوات الرسول (ص) ضد قريش والكافرين عموما. فالجهاد في نظر بعضهم هو "الفريضة الغائبة" (محمد عبد السلام فرج زعيم تنظيم الجهاد الذي اغتال الرئيس أنور السادات في 06 / 10 / 1981) وخلاص المسلمين هو في العودة إلى الجهاد) "ويضيف صاحب "مستقبل الحركات الاسلامية" بأن فصائل الاسلام المسلح يتميز زعماؤها ومناضلوها بالصفة الشبابية حيث تتراوح أعمارهم بين العشرينات والثلاثينات، وبالإنتماء إلى المنظومة التربوية (التعليم الجامعي وشبه الجامعي) واجتماعيا بالانتماء إلى الشرائح الدنيا من الطبقة المتوسطة ومن ذوي الخلفيات الريفية..

وهذه الفصائل تتميز إلى جانب ذلك كله في نظر سعد الدين براهيم، وفي أغلبها بالنزعة الانشقاقية عن الجسم الرئيس لتيار الحركة الإسلامية، ويظهر ذلك جليا في قطر عربي مثل مصر، فتنظيم "الفنية العسكرية" الذي قاده صالح سرية، ومنظمة جماعة الهجرة التي كان على رأسها شكرى مصطفى، وتنظيم الجهاد الذي تزعمه محمد عبد السلام فرج وغيرها "هي جميعها فصائل منشقة عن التنظيم الأم، وهو الأخوان المسلمين فبعد أن اتخذ هذا الأخير قراره ينبذ العنف في أواسط الستينيات، انشقت بعض العناصر الشبابية واستلهمت فكر المرحوم سيد قطب (معالم في الطريق) وكفر بعضها الدولة فقط (الفنية العسكرية والجهاد) بينما كفر بعضها الدولة والمجتمع معا (الهجرة والتكفير،) وفي كلا الحالتين أصبح العنف منهجا لإسقاط "الدولة الكافرة" أو "الدولة والمجتمع الكافرين "معا. ويعتبر البعض الاخر (د. موسى زيد الكيلاني) بأن منشأ الاسلام المسلح حدث لأسباب أساسية تتمثل في وجود عوامل الفقر المدقع والشعور بالمذلة ، مع وجود قيادة جديدة تمنح لهذه النفوس اليائسة الأمل.. ففي لبنان مثلا يرى الدكتور زيد الكيلاني أن توفر مثل هذه العناصر السابقة الذكر هي التي ساعدت بصورة جوهرية على تكوين حركة أمل لدى هجرة الشيعة من الجنوب إلى ضواحي بيروت حيث كان الفقر ممزوجا باليأس والاهانة مع "القيادة التي تمنحهم الأمل، أفواج المحرومين الذي قام بها موسى الصدر نفس الشيء، حزب الله نفس الشيء في إيران، العوامل الأربعة مجتمعة في حزب التحرير، هذه العوامل الاربعة اجتمعت خاصة إذا تذكرنا أن حرب التحرير ولدت في أجواء حيفا كفكرة قبل النكبة بسنين ومن هنا انطلق استقطاب القيادات الفلسطينية حيث يأس، وفقر وقيادة تمنح الأمل مع شعور قوي بالإهانة والإذلال هذا ماشعر بقاالإخوان المسلمون في الاسماعيلية عندما كون حسن البنا تنظيمه هناك أمام معسكرات البريطانيين"

وتعتمد جماعات الاسلام المسلح في نظر الكيلاني على أفكار سيد قطب في نظرته إلى المجتمع اليوم "بأنه شبيه بالمجتمع الجاهلي قبل البعثة النبوية" وجاء مولدها في نظره كرد فعل على " الانحلال الفكري المستمر الذي واجه الوطن العربي سياسيا واجتماعيا وانهزام الانظمة العربية أمام هذا الفكر الاستعماري الأوروبي "

وفي كتابه "الاسلام السياسي" يرى العشماوي أن مصدر وأسس هذه الجماعات التي تبنت الاسلام المسلح هو

خطاب الجهاد من مختلف منظوراته التاريخية والشرعية والسياسية، وهو في نهاية المطاف يرى قراءتها لخطاب الجهاد ليست بالضرورة موفقة، ويحاول أن يدافع على نظرته هذه بحجج مستمدة من المصدر والتجربة.. يقول المستشار محمد سعيد العشماوي عن أصل نقطة الجهاد في الاسلام أنه متأتي من بذل الجهد بمعنى بذل الطاقة) في سبيل فرض معين، أو تحمل الجهد (معنى المشقة) في أداء عمل أوتحقيق رسالة" وبالنسبة لتطور مدلول اللفظ فهو "تطور مدلول اللفظ في القرآن الكريم تبعا لظروف التنزيل وأحوال العصر ثم تغير هذا المدلول عبر التاريخ تغيرا كبيرا، بعد به في كثير من الحالات عن معناه الاصلي.. فلقد حدث اعنات للفظ وإرهاق للمعاني، خلط بين الوقائع واضطراب في الفهم، وجعل من الجهاد كلمة مطاطة تتسع مظلتها لما يأمر به الله من جهاد، ومايدعو له بعض الدعاة من حرب وقتل وإفساد" وبالنسبة للمواقف من الجهاد" فهو في نظر غير المسلمين حرب مشهرة عليهم لدعوة وسيوف مسلطة على الرقاب، وهو في نظر أكثر المسلمين واجب ديني لدعوة غير المسلمين إلى الدين الحق بالقدوة الطيبة والجدال الحسن، وهو في نظر قلة من المسلمين معنى راق لجهاد النفس واسلوب سام لتثقيف الذات وكفاح متصل للسموق بالوجود، وهو في نظر نفر من المتعصبين فريضة دينية- لم تزل غائبة- ولن تعود إلا بإشهار السيوف وإعلان الحروب على الجميع، مسلمين وغير مسلمين ممن يخالفونهم الاتجاه أو يعارضونهم الأسلوب، حتى ينتهي الأمر في تقديرهم إلى غلبة مايعتقدون فيه وسيادة مايؤمنون به"

وعن معنى الجهاد يقول صاحب "الاسلام السياسي" "وفي الفترة الأولى من التنزيل القرآني (الفترة المكية 610 - 622) استعملت اللفظة في المدلول المعنوي الذي يفيد مجاهدة النفس أو بذل الطاقة أوتحمل المشقة في سبيل الله والدين الحق وفي مواجهة الكفار وأعداء الدين لتحمل ضغوطهم والصبر على مكارههم [وإن جاهداك على أن تشرك بما ليس لك به علم فلاتطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا] [سورة لقمان 31: 15 مكية]- وهي تعني أن يتحمل المؤمن كل مشقة تصدر من والديه ليشرك بالله ثم يصاحبهما في الدنيا معروفا.

-[والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا] [سورة العنكبوت 29 - 69 مكية] تؤيد أن الذين يجاهدون في سبيل الله فإن الله يهديهم السبيل إليه، والجهاد كان آنذاك في مكة جهاد النفس للسير في طريق الايمان الصحيح وتحمل ايذاء الكافرين في هذا الصدد.. [فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا] [سورة الفرقان 25 - 52 مكية] تحث على عدم طاعة الكافرين ومجاهدتهم جهادا كبيرا، باستفراغ كل ما في الوسع والطاقة لاقناعهم بالقول الصادق وبالعقل الذي هو القدوة الحسنة، أو تحمل كل أذى يصدر منهم لصد النبي (ص) وجماعة المؤمنين على السير في السبيل الصحيح إلى الله سبحانه وتعالى: فالجهاد يضيف المستشار محمد سعيد العشماوي "في المرحلة الأولى من التنزيل القرآني كان جهادا معنويا- جهاد النفس يبذل كل ما في الوسع من قول وفعل للإقناع بالإيمان الصحيح، وتحمل كل أذى في هذا السبيل القويم" ثم انتقل هذا الجهاد إلى معنى ثاني جديد / أي غير المعنى الخاص بالجهاد الذاتي والنفسي والمعنوي، فهذا المعنى الجديد امتد إلى المال "فيكون بذلاله في سبيل الله، وإلى جانب جهاد النفس لاستفراغ الطاقة في القول والفعل في سبيل الله وتحمل كل مشقة في هذا الصدد" [انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم] [سورة الحجرات 49، 15 مدينة].

"إن بذل المال كان ضرورة - يواصل صاحب " الاسلام السياسي " في ذلك الوقت لمعاونة المهاجرين من مكة إلى المدينة، هؤلاء الذين تركوا أموالهم وفروا بأنفسهم ليحموا إيمانهم من كيد مشركي مكة وايذائهم ومن ثم كان الجهاد بالمال سابقا على جهاد النفس.

[وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله] [سورة التوبة 9، 14] أي أن الجهاد في هذه المرحلة (622 - 632) أصبح جهادا ماديا ببذل المال والتضحية بالنفس في سبيل الله، وذلك إلى جانب الجهاد النفسي والروحي والذاتي" نظرا لظروف تلك الفترة فقد طغى المعنى المادي للجهاد على المعنى الروحي والمعنوي، حيث أصبح الجهاد متجسدا في بذل المال أو بذل النفس لمقاومة الشرك.

وعن تطور فكرة الجهاد يرى المستشار محمد سعيد العشماوي أن في "العهد المكي (610 - 622) كان النبي (ص) مأمورا بالصبر أمام خصومه من المكيين المشركين وتحمله لأذاهم وإساءتهم".. وفي القرآن آيات كثيرة تدل على هذا المعنى [فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر] [سورة الغاشية 28 - 22] [فاصبر صبرا جميلا] [سورة المعراج 70 - 5] - [وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤ من ومن شاء فليكفر] [سورة الكهف 18. 29] ومنها لجماعة المؤمنين (وتواصوا بالحق وتوصوا بالصبر] [سورة العصر: 3:103] أمام تطرف خصومهم من المكيين الذين «أبوا أي تفاهم أوتنازل أو التقاء في وسط الطريق، ومن ثم فقد اعدوا جيشا لمحاربة المؤمنين وساروا به إلى المدينة ليجهزوا على هؤلاء ويقضوا على الاسلام) اتخذ الجهاد معنى الحرب المقدسة، وفي هذا المعنى نزلت الآيات القرآنية التي تعطى الإذن بالحرب وتضع حدوده [أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقول ربنا الله] [سورة الحج 22: 39] [وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم، ولاتعتدوا إن الله لايحب المعتدين] [سورة البقرة ح : 90] وحسب المؤلف فالجهاد "على مقتضى هاتين الآيتين ليس حربا مقدسة مطلقة غير مشروعة، إنما هو حرب محددة مقيدة مشروطة، فهي تحدد السبب وتشير إلى الاعداء، وتضع الضوابط وتسن الاخلاقيات" ويرجع "السبب في الجهاد- بمعنى الحرب المقدسة- أن المسلمين كانوا قد ظلموا وأخرجوا من ديارهم (مكة) بغير حق" ويعتبر المؤلف الجهاد بمعنى الحرب المقدسة، يصريح نصوص القرآن، والواقع الاسلامي دفاعا عن لذات لرد عدوان أوإبعاد أذى، فهو "لايكون- على الإطلاق- ابتداء بالعدوان كما لايكون قط- مبادرة بالإيذاء وانما على قدر مايكون العدوان يكون الرد وعلى نحو مايكون الإيذاء يكون الأذى، أي أنه يلتزم ضوابط الدفاع فلا يزيد عما يكفي لرد العدوان ومايلزم لصد الأذى، وإلاخرج عن معناه وانقلب على غرضه وصار بذاته عدوانا منهيا عنه، وإيذاء غير مسموح به" ويضيف صاحب "الاسلام السياسي" قائلا "فكأنما في صحيح الاسلام أن للجهاد معنى محددا، تطور عبر ظروف بذاتها وخلال قانون ورد الفعل.

1) فابتداء كان الجهاد يعني جهداً ذاتيا شديدا أوسلسلة من المجاهدات الخاصة ضد الظروف المعاكسة أوأعداء الاسلام، لكي يحتفظ المؤمن المسلم بوجوده ثابتا لايتزعزع وبايمانه قويا لايضطرب: فلا يتأثر بمكائد المشركين

ولايهتز تحت ضغوطهم.

2) تطور المعنى بعد ذلك حيث أصبح يعني الكفاح الذاتي والجماعي ضد مشركي مكة، يتحمل أذاهم والصبر على ضغوطاتهم.

3) ثم انتقل إلى معنى الحرب الكلاسيكي على مستوى الدفاع والهجوم المضاد.

4) بعد فتح مكة أصبح الجهاد، قتالا ضد مشركي مكة من أجل الأيمان بالرسالة

5) وبعد فتح مكة أخذ الجهاد معنى القتال ضد من نقض العهد من يهود ومشركين ومنا فقين.

6) «غير أن المعنى الأصلي للجهاد في الاسلام- دائما- وعلى الرغم من تطور المعنى نتيجة ظروف معنية ووقائع محددة- هو مجاهدة النفس على المكاره ومكابدة الذات على المصاعب وفيما يتعلق بالحديث "أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله" إلى آخر الحديث، يقول المستشار محمد سعيد عشاوي أن "له تفسيرا آخر أدق ذلك أن مفسري القرآن الثقات يرون أن لفظة "الناس" في كثير من آيات القرآن تعني أهل المكة أوتعني القرشيين بالذات، ولا تعني كل البشر على الاطلاق، ومعنى هذا التفسير أن لفظه "الناس" في حديث النبي وأخذا بالمعني المقصود والغالب في القرآن، تعني أهل مكة أو القرشيين منهم بصفة خاصة. فإذا صح ذلك - وهو صحيح- فإن قصد النبي محمد (ص) من الحديث أنه أمر بأن يقاتل وثنيي مكة ومشركي قريش دون غيرهم حتى يؤمنوا به وبرسالته وهو معنى يتسق مع الآية السالف الإشارة إليها [وقاتلوا المشركين كافة] [سورة التوبة 9: 36] الآية التي يتفق الجميع على أن المقصود بالمشركين فيها هم وثنيو مكة ومشركوها وبهذا الفهم تكون الآية والحديث على معنى واحد منسق ومحدد ولاخلاف بينهما قط ولا معنى آخرلهما أولأحدهما يختلف عن المعنى المذكور.

أما فيما يتعلق بالاستعمال السياسي لخطاب الجهاد فيشير صاحب "الاسلام السياسي" أنه قد حدث " في بواكير العهد الاسلامي أن خرج الخوارج على علي بن أبي طالب واعتبروا الحرب ضده جهادا. بل واعتبروا أن قتله وقتل معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص جهادا في سبيل الله، ونفذوا ماعقدوا العزم عليه واستقر الرأي بشأنه، فلم يقتل الإعلي بن أبي طالب باسم الجهاد في سبيل الله.

ومنذ ظهور الخوارج- يؤكد السيد عشاوي- "أصبح فكرهم الدموي القاتل وتفسيرهم الخاطئ للجهاد اسلوبا دائم الظهور في التاريخ الاسلامي. فقد ظهرت في العصر الحديث جماعات كثيرة تهتم بأفكارهم وتهتم بفكرة القتال والاغتيال كأسلوب أمثل للجهاد. وقد قامت هذه الجماعات- وتقوم- بتكفير الحكام والحكومات إذا خالفتهم الرأي" ويعتبر القائدالحقيقي لنواة الإسلام المسلح في العصر الحديث ، (في نظر صاحب دراسة "الاخوان المسلمون في لعبة السياسة" رفعت السعيد) مؤسس جماعة الاخوان، حسن البنا الذي يرى منذ الأيام الأولى لتنظيمه أن أي معارض له "من الخوارج" ولايستحق إلا الضرب بالسيف. ولقد فهم حسن البنا الاسلام المسلح (الجهاد) على أنه "بذل كل جهد ممكن لاقتلاع جذور الطغيان والفساد في الأرض، ولن يقدر الانسان على اقتلاع الطغيان والفساد من حوله إلا إذا كان الطغيان والفساد يعيشان داخل نفسه،، ومن هنا أمر المسلم أن يبدأ

الجهاد ضد نوازع الطغيان في نفسه. ثم يثنى بمجاهدة الطغيان والفساد في مجتمعه، ثم ينتهي إلى مجاهدة الطغيان والفساد في العالم كله.. والمسلم لم يؤمر بمطلق جهاديلقي به لتبعة عن كاهلة وإنما أمر بالجهاد في الله حق الجهاد، والجهاد في الله حق الجهاد يقتضى أن يكون دائما على أهبة العمل والبذل، فإن طلب منه دينه الجهد بذله، أو المال أنفقه، أو النفس قومها مطمئنا. المسلم جندي للحق. مجهز النفس دائما إن لم يكن مجهز اليد، وهو إن لم يعش في الجهاد عملا تنفيذاً عاش الجهاد نية وقصدا. والذي يعيش لنفسه ولدنياه بعيدا عن الجهاد عملا، دينه إنما انفاق الذي آمن لسانه ولم يؤمن قلبه.. ليس بمسلم صادق الاسلام ذلك الذي يتثاقل إلى الأرض ويخلو إلى الراحة والدعة ويؤثر سلامة دنياه على سلامة دينه، وبعدما يورد رفعت السعيد ماقاله حسن البنا عن الجهاد في الاسلام، في مجلة الدعوة، يختار أقوالا أخرى تثبت طروحته عن اعتباره البنا المؤسس الحقيقي لخطاب الاسلام المسلح.

أ- أيها الاخوان المسلمون: لقد قام هذا الدين بجهاد أسلافكم على دعائم قوية من الايمان بالله، والزهادة في متعة الحياة الفانية وإيثار دار الخلود، والتضحية بالدم والروح والمال في سبيل مناصرة الحق وحب الموت في سبيل الله..

ب- وتحتاج كذلك الأمم الناهضة إلى القوة وطبع أبنائها بطابع الجندية ولاسيما في هذه العصور التي لايضمن فيها المسلم إلا بالاستعداد للحرب، والتي صار شعار أبنائها جميعا القوة أضمن طريق لاحقاق الحق..

ج- الاسلام لم يغفل هذه الناحية، بل جعلها فريضة محكمة من فرائضه ولم يفرق بينهما وبين الصلاة والصوم في شئ وليس في الدنيا كلها نظام غير بهذه الناحية، لافي القديم ولافي الحديث كما غير بذلك الإسلام في القرآن وفي حديث رسول الله (ص) وسيرته..

كما يشير رفعت السعيد إلى الآيات القرآنية والأحاديث التي استند عليها البنا مثل "واعدوا لهم ماستطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وقوله تعالى "كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم، وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم" والآية الكريمة" فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة" والحديث الشريف "والذي نفسي بيده لو لا أن رجالا من المؤمنين لا تطلب أنفسكم من أن يتخلفوا عني ولا أجد ما أحملهم عليه ماتخلفت عن سرية تغزو في سبيل الله، والذي نفسي بيده لوددت أني أقتل في سبيل الله ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل" وعن أبي هريرة أن رسول الله قال "من لقى الله بغير أثر من جهاد لقى الله وفيه ثلمة" وحديث شريف آخر "من مات ولم يغز، ولم يحدث نفسه بالغزو، مات على «شعبة من النفاق».

ومدللا على اطروحته أيضا يعرض رفعت السعيد مقاطع من رسالة الجهاد، حيث يختمها حسن البنا موجها حديثه إلى اتباعه «أيها الأخوان. إن الأمة التي تحسن صناعة الموت وتعرف كيف تموت الموتة الشريفة يهب لها الله الحياة العزيزة في الدنيا والنعيم الخالد في الآخرة، وما الوهن الذي أذلنا إلا حب الدنيا وكراهية الموت، فاعدوا أنفسكم لعمل عظيم واحرصوا على الموت توهب لكم الحياة، واعلموا أن الموت لابد منه وأنه لايكون إلامرة واحدة، فإن جعلتموه في سبيل الله كان ذلك ربح دنيا وثواب الآخرة، فاعملوا للموتة الكريمة تظفروا بالسعادة

الكاملة. رزقنا وإيا كم كرامة الاستشهاد في سبيله»

وفي نظر صاحب "الاخوان المسلمون في لعبة السياسة" لم يكن الاسلام المسلح يعني لدى زعميهم مجرد خطاب سياسي وعقائدي وحسب، بل كان قبل كل شيء تنظيما محكما وقويا. ويتصور رفعت السعيد البناء التنظيمي للجماعة يتجه في ثلاثة خطوط متوازية لكل منها اسلوبه وقواته ومنهاجه وقيادته نظام الأسر ويضم الأعضاء العاديين "وهو الوعاء السياسي لعضوية الجماعة ونظام الجوالة ويضم الأعضاء الأكثر حماسا والأكثر استجابة والأكثر طاعة والنظام الخاص وهو جهاز سري مطلق السرية يتكون من ثلاث شعب التشكيل المدني- تشكيل الجيش- تشكيل البوليس ويتبع هذا الأخير (الجهاز الخاص السري، مجموعة من التشكيلات ذات الاختصاص مثل جهاز التسليح وجهاز الاخبار كما يدرب "أعضاء الجهاز تدريبا عسكريا قاسيا وعنيفا ويعتادون الطاعة التامة والاستعداد للتضحية، وبعد أن ينتهي التدريب يقسم العضو يمين البيعة (أقسم بالله العظيم أن أكون حارسا أمينا لمبادئ الإخوان مجاهدا في سبيل الله على السمع والطاعة في المعروف، وأن أجاهد نفسي ما استطعت "وكان يتم في المرحلة الأولى قسم البيعة وفق مراسم خاصة في غرفة مظلمة مفروشة بالحصير ويتم القسم على مصحف ومسدس"

ويتطرق د. رفعت السعيد إلى الوسائل التربوية التي كان يعتمد هما تنظيم الاسلام المسلح، حيث يمر مناضلوه بتربية خاصة، فيتشبع عقائديا إلى درجة أن تهيمن على جميع حواسه فكرة "الشهادة في سبيل الله" ومعتقدا بصورة مطلقة أن لاشئ أفضل من الاستشهاد ، ونظرا لذلك أمضى حسن البناء في عدد من كتاباته ومن بينها، مقال أسماه "صناعة الموت" وآخر أكثر إثارة عنونه بـ "فن الموت"

الإسلام المسلح، نص نموذجي (مختارات من الفريضة الغائبة)

1 - الحاكم يغير ما أنزل الله [والأحكام التي تعلو المسلمين اليوم هي أحاكم الكفر بل هي قوانين وضعها كفار وسيروا عليها المسلمين ويقول سبحانه وتعالى في سورة المائدة "ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون" (5 - 44) فبعد ذهاب الخلافة نهائيا عام1924 واقتلاع احكام الاسلام كلها واستبدالها باحكام وضعها كفار.. أصبحت حالتهم هي نفس حالة التتار كما ثبث في تفسيرابن كثير لقوله سبحانه وتعالى في سورة المائدة (5 - 50) "افحكم الجاهلية يبغون من أحسن من الله حكما لقوم يوقنون" قال ابن كثير: ينكر الله تعالى على من خرج من حكم الله- الحكم المشتمل على كل خير الناهي عن كل شر عدل إلى ماسواه من الاراء والأهواء والاصطلاحات التي وصفها رجال بلد مستند من شريعة الله كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات مما يصنعونها بأرائهم وأهوائهم وكما يحكم به التتار من السياسات الملكية المأخودة من ملكهم، جنكيزخان الذي وضع لهم" الباسق" وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها من شرائع شتى اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية وغيرها وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهو اه فصارت شرها متبعا يقد مونه على الحكم بكتاب الله وسنة رسوله (ص) فمن فعل ذلك يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله

فلا يحكم سواه من كثير ولا قليل .. (ابن كثير الجزء 2 ص 67. وحكام العصر قد تعددت أبواب الكفر التي خرجوابها من ملة الاسلام بحيث أصبح لايشتبه على كل من تابع سيرتهم- هذا بالإضافة إلى قضية الحكم"

2 - حكام المسلمين اليوم في ردة عن الاسلام [فحكام هذا العصر في ردة عن الاسلام تربوا على موائد الاستعمار.. سواء الصليبية أو الشيوعية أو الصهيونية- فهم لايحملون من الاسلام إلا الأسماء وإن صلى وصام وادعى أنه مسلم (...) وإذا كانت الردة عن أصل الدين اعظم من الكفر بأصل الدين.. فالردة عن شرائعه اعظم من الكفر بأصل الدين- فالردة عن شرائعه أعظم من خروج الخارج الأصلى عن شرائعه ..]

3- العدو القريب والعدو البعيد [وهناك قول بأن ميدان الجهاد اليوم هو تحرير القدس كأرض مقدسة والحقيقة أن تحرير الأراضي مقدسة أمر شرعي واجب على كل مسلم ولكن رسول الله (ص) وصف المؤمن بأنه كيس فطن أي أنه يعرف ماينفع ومايغير ومايقدم الحلول الحاسمة الجذرية وهذه نقطة تستلزم توضيح الآتي:

أولا: إن قتال العدو القريب أولى من قتال العدو البعيد

ثانيا: إن دماء المسلمين ستنزف حتى وإن تحقق النصر.. فالسؤال الآن هل هذا النصر لصالح الدولة الاسلامية القائمة؟ أم أن هذا النصر هو لصالح الحكم الكافر وهو تثبيت لأركان الدولة الخارجة عن شرع الله.. وهؤلاء الحكام ينتهزون فرصة أفكار هؤلاء المسلمين الوطنية في تحقيق أغراضهم الغير إسلامية وإن كان ظاهرها الاسلام فالقتال يجب أن يكون تحت راية مسلمة وقيادة مسلمة ولاخلاف في ذلك.

ثالثا: إن أساس وجود الاستعمار في بلاد الإسلام هم هؤلاء الحكام فالبدء بالقضاء على الاستعمار هو عمل غير مجدي ولا مفيد وماهو إلا مضيعة للوقت، فعلينا أن نركز على قضيتنا الاسلامية وهي إقامة شرع الله أولا في بلدنا وجعل كلمة الله هي العليا.. فلا شك أن ميدان الجهاد الأول هو اقتلاع تلك القيادات الكافرة واستبدالها بالنظام الاسلامي الكامل ومن هنا تكون الانطلاقة]

4 - الرد على من يقول أن الجهاد في الاسلام للدفاع فقط [ويجدر بنا في هذا الصدد الرد على من قال أن الجهاد في الاسلام للدفاع وأن الاسلام لم ينتشر بالسيف وهذا قول باطل ردده عدد كبير ممن يبرز في مجال الدعوة الاسلامية والصواب يجيب به رسول الله (ص) عندما سئل "أي الجهاد في سبيل الله.. قال من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله" فالقتال في الاسلام هو لرفع كلمة الله في الأرض سواء هجوما أودفاعا.. والاسلام انتشر بالسيف ولكن في وجه أئمة الكفر الذين حجبوه عن البشر، وبعد ذلك لايكره أحد.. فواجب المسلمين أن يرفعوا السيوف في وجوه القادة الذين يحجبون الحق ويظهرون الباطل وإلا لن يصل الحق إلى قلوب الناس]

5 - التحريض على القتال في سبيل الله [ولايجب على المسلم إلا أن يعد نفسه للجهاد في سبيل الله.. والرسول (ص) يقول: "انتدب الله لمن خرج في سبيل الله لايخرجه إلا الجهاد في سبيله وايمان به وتصديق برسوله

فهو على ضامن أن ادخله الجنة أو ارجعه إلى مسكنه الذي خرج منه نائلا من نال من أجر أو غنيمة" - متفق عليه.

ويقول (ص) "من سأل الشهادة فصدق بلغة الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه».. رواه مسلم والبهيقي وعن أبي هريرة جاء رجل إلى رسول الله (ص) فقال دلني على عمل يبدل الجهاد قال لا أجده قال هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم، لاتغتر وتصوم ولاتفطر، قال ومن يستطيع ذلك، قال ابو هريرة أن فرس المجاهد ليمتن (يتحرك) في طوله يكتب له حسنات... رواه البخاري، ويقول الرسول (ص) «للشهيد على الله ست خصال... يغفر له من أول دفعة دم يرى مقعده من الجنة ويجار من عذاب القبر ويأمن الفزع الأكبر، ويحيى حلية الايمان، ويزود من الحور العين، ويشفع في سبعين من أقاربه]

6) عقوبة ترك الجهاد [ترك الجهاد هو السبب فيما يعيش فيه المسلمون اليوم من ذل ومهانة وتفرق وتمزق فقد صدق فيهم قول المولى عز وجل «ياأيها الذين آمنوا مالكم إذ قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل. الا تنفروا بعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شئ شهيد» (التوبة 38 - 39) ويقول ابن كثير في تفسير هذه الآيات (هذا شروع في عقاب من تخلف عن رسول الله في غزوة تبوك حين طابت الثمار والظلال في شدة الحر وحمارة الفنذا فقال تعالي "ياأيها الذين آمنوا مالكم إذ قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض) أي إذا دعيتم للجهاد في سبيل الله، إثاقلتم إلى الأرض أي تكاسلتم وعلتم إلى المقام في الدعة والخلص وطيب الثمار «أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة" مالكم فعلتم هكذا رضامنكم بالدنيا بدلا من الآخرة، ثم زهد تبارك وتعالى في الدنيا ورغب في الآخرة إلا قليل..ثم توعد الله تعالى من ترك الجهاد فقال "ألا تنفروا بعذبكم عذابا أليما" قال بن عباسى استغفر الله عنهم رسول الله (ص) حيا من العرب فتقاتلوا عنه فأمسك الله عنهم القطر فكان عذابهم "ويستبدل قوما غيركم" أي نصرة نبيه واقامة دينه، كما قال تعالى "ويستبدل قوما غيركم ثم لايكونوا أمثالكم" ولاتضروه شيئا" أي ولا تضروا شيئا بتوليكم عنه الجهاد وتثاقلكم عنه. ويقول (ص) إذ ضمن الناس بالدنيا والدرهم وتبايعوا بالعينة، وتركوا الجهاد في سبيل الله، وأخذوا أذناب البقر أنزل عليهم من السماء بلاء.. فلا يرفعه عنهم حتى يراجعوا دينهم ولايجب على مسلم أن يرضى أن يكون الآن في صفوف النساء كما أخبر رسول الله (ص) أن جهادهم في الحج والعمرة.]

7 - القتال الآن فرض على كل مسلم [والله سبحانه وتعالى عندما فرض الصيام (قال كتب عليكم الصيام) وفي أمر القتال قال (كتب عليكم القتال) أي أن القتال فرض وذلك رد على من قال أن الفرض هو الجهاد ومن هنا يقول أنني إذا قمت بواجب الدعوة فقد اديت الفرض لأن ذلك جهاد. وإذا خرجت في طلب العلم فأنا في سبيل الله حتى ارجع بنص الحديث فبذلك فقد اديت الفرض، فالغرض واضح بالنص القرآني، إن القتال أي المواجهة والدم والسؤال الآن متى يكون الجهاد فرض عين؟ يتعين الجهاد في ثلاثة مواضيع:

أولا: إذا التقي الزحفان وتقاتل الصفان حرم على من حضر الانصراف وتعين عليه المقام لقوله تعالى "يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار؟"

ثانيا: إذا نزل الكفار ببلد تعين علي أهله قتالهم ودفعهم.

ثالثا: إذا استنفر الامام قوما لزمهم التغير لقوله تعالي "يأيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض ارضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل، ألا تنفروا فيعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولاتضروه شيئا والله على كل شيء قدير» وقال (ص) "إذا استنفرتم فانفروا"

وبالنسبة للإقطار الاسلامية فإن العدو يقيم في ديارهم بل أصبح العدو يملك زمام الأمور وذلك العدوهم هؤلاء الحكام الذين انتزعوا قيادة المسلمين ومن هنا فجهادهم فرض عين هذا بالاضافة إلى أن الجهاد الاسلامي اليوم يحتاج إلى قطرة عرق كل مسلم.

واعلم أنه إذا كان الجهاد فرض عين فليس هناك استئذان للوالدين في الخروج للجهاد كما قال الفقهاء فمثله كمثل الصلاة والصوم.]

8 - القيادة [وهناك من يحتج بعدم وجود قيادة تقوم مسيرة الجهاد وهناك من يعلق أمر الجهاد بوجود أمير وخليفة.. والقائلين لهذا القول هم الذين ضيعوا القيادة وأوقفوا مسيرة الجهاد والرسول (ص) يحض المسلمين في أحاديثه على تكوين القيادات.. يروي أبوداود في الكتاب الجهاد قال (ص) إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم» ومن هنا ندرك أن قيادة المسلمين بأيديهم هم الذين يظهرونها ويقول (ص) "من استعمل على عصابة وفيهم من هو ارضى الله منه فقد خان الله ورسوله وجماعة المسلمين" رواه الحاكم ومعز المسيوطي إلى صحته.

فينبغي أن تكون للأحسن إسلاما ويقول (ص) لأبي ذر "إنك ضعيف وانها أمانة" وينبغي أن تكون للأقوى والأمر نسبي، ومانستنتجه من قائد المسلمين.. فليس هناك حجة لمن يدعي فقدان القيادة فإنهم يستطيعون أن يخرجوا من انفسهم القيادة. وإدا كان في القيادة شيء من القصور فمامن شيء وإلا يمكن اكتسابه.. اما أن فقد بحجة فقدان القيادة فهذا لايجوز..

فقد نجد فقيها ولكن ليس عالما بأحوال الزمان والقيادة والتنظيم وقد نجد العكس ولكن كل هذا لايعفينا من ايجاد القيادة وان نخرج انسبنا لقيادتنا في وجود الشورى والنواقص يمكن استكمالها.

والآن لم تعد هناك حجة لمسلم في ترك فريضة الجهاد الملقاة على عاتقه فلا بد من البدء وبكل جهد في تنظيم عملية الجهاد لإعادة الاسلام لهذه الأمة وإقامة الدولة واستئصال طواغيت لايزيدون عن كونهم بشر لم يجدوا أمامهم من يقنعهم بأمر الله سبحانه وتعالى]

9 - البيعة على القتال والموت

اخرج البخاري عن سلمه رضي الله عنه قال "بايعت النبي (ص) ثم عدلت إلى ظل الشجرة فلما حف الناس قال يا ابن الأكوع ألا تبايع. فقلت بايعت يارسول الله قال: أيضا فبايعته الثانية فقلت له: أبا سلمة على أي شيء كنتم تبايعون يومئذ قال الموقف "وأخرجه أيضا مسلم والترمذي.. واخرج البخاري ص 415 ايضا عن عبد الله بن زيد رضي الله عنه قال: "لما كان زمن الحمرة اتاه آت فقال له ان ابن حنظلة يبايع الناس على الموت فقال: لا ابايع على هذا احدا بعد رسول الله (ص) "فاخرجه أيضا مسلم في العين ص 15 والبهيقي.

والرواية السابقة تعيد جواز البيعة على الموت ولسنا بصدد دراسة موقف عبد الله بن زيد وهناك فارق بين بيعة الموت والبيعة المطلقة للخليفة فقط وليس يعني ذلك أن امير اكيد لايطع فقال الرسول (ص) " من أطاعني فقد اطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن يطع الأمير فقد أطاعني ومن يعصي الأمير فقد عصاني" (متفق عليه). وعن بن عباس في قوله تعالى اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم» نزلت في عبد الله بن حذافة بعثه الله في سرية أي مكان أمير جهاد.]

10 - اسلوب القتال المناسب

مع تقدم الزمن وتطور البشرية يبدو تساؤل.. لاشك أن أساليب القتال الحديثة تختلف شيئا ما عن أساليب القتال في عهد النبي (ص) فما هو اسلوب قتال المسلم في العصر الحديث؟ وهل له أن يعمل عقله ورأيه؟..

- **من فنون القتال في الاسلام:** يقول (الحرب خدعة) ويقول النووي في شرح الحديث (اتفق العلماء على جواز خداع الكفار في الحرب وكيف امكن للخداع إلا أن يكون فيه فقد عهد أوامان فلايحل) ومعلوم أنه لاعهد بيننا وبينهم حيث انهم محاربون لدين الله سجانه وتعالى والمسلمون احرار في اختيار اسلوب القتال المناسب على أن تحقق الخدعة وهي النصر بأقل الخسائر وأيسر السبل..

- **اسلوب القتال في غزو الاحزاب :** بعد أن نجحت سياسة اليهود في تأليب الأحزاب الكافرة على النبي (ص) ودعوته اصبح الوضع خطيرا، رسم المسلمون على عجل خطة فريدة لم يسمع العرب عنها من قبل فهم لايعرفون إلا قتال الميادين المكشوفة وتلك الخطة أشاربها الفارسي وهي حفر خندق عميق يحيط بالمدينة من ناحية السهل ويفصل بين المدافعين والمغيرين فأسلوب القتال ليس وحيا ولاسنة ثابتة و المسلم له أن يعمل عقله ويدبر ويخطط والأمر يعود فيه للشورى.

الكذب على الأعداء: وقد صح في الحديث الكذب في ثلاثة أشياء، قال الطبري أنه يجوز من الكذب في الحرب المعارضة دون حقيقة الكذب فإنه لايحل.. هذا كلامه.. والظاهر هو اباحة حقيقة نفس الكذب..

. تخطيطات إسلامية..

من خلال دراسة السرايا يخرج المسلم بتخطيطات اسلامية وخدع قتالية تمضي احكامها على كثير من المسلمين ونذكر على سبيل المثال:

1 - سرية مقتل كعب بن الأشر في السنة الثالثة من الهجرة. في صحيح البخاري عن جابر بن عبد الله قال (ص) من لكسب بن الأشرف فإنه قد أذى الله ورسوله فقام محمد بن مسلمة فقال يارسول الله اتحب أن أقتله، قال نعم، قال. فاذن لي أن أقول شيئا (وهو استئذان من النبي (ص) بأن يتكلم كلاماحتى ولو كان منافيا للإيمان وقلت لاظهار الكفر منافيا للإيمان وذلك لإظهار الكفر أمام كعب بن الأشرف فأذن به» قال (ص) قل: فأتاه محمد بن مسلمة فقال من هذا الرجل (يقصد النبي (ص)) قد سألنا ه صدقة وقد عنانا. (وهذا القول ظاهرة انكار الصدقة والتعدي عليه (ص) وهذا كفر وقد يفيد بأنه من الممكن للمسلم إظهار موالاته الكاملة للعدو في الحرب ولو وصل الأمر إلى إظهار الشرك والكفر.

وإني قد اتيتك استحلفك.. قال: وأيضا والله لسلمته، فقل أنا قد اتبعناه فلانحب أن نوعه حيا، ننظر إلى شيء يصبر شأنه وقد أردنا أن تسلفنا وسقا أو وسقين فقال كعب نعم: ارهنوني. قالوا أي شيء تريد؟ قال ارهنوني نساءكم: قالوا كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب؟ قال ارهنوني ابناءكم.. قالوا كيف نرهنك ابناءنا فيسب أحدهم فيقال رهن بوسق أو وسقين هذا عار علينا..

ولكننا نرهنك الأمة (اي السلاح) فواعده أن تأتيه فجأة ليلا ومعه أبو نائلة وهو أخو كعب من الرضاعة فدعاهم إلى الحصن فنزل إليهم، فقالت له امرأته اين تخرج هذه الساعة؟ فقال إنما هو محمد بن سلمة وأخي أبو نائلة وقال غير عمرو: فقالت اسمع صوته كأنه يقطر، قال إنما هو أخي محمد بن سلمة وأخي أبو نائلة إن الكريم إذا عمي إلى طعنة بليل لأجاب.

قال ويدخل محمد بن مسلمة ومعه رجلين لسفيان سماهم عمرو قال الحارس بن بشر وعياد بن بشر) قال عمرو فقال محمد بن مسلمة إذا جادني فإني قاتل (أي جاء بشعره) فاشعة فإذا رأيتموني استمكنت من رأسه فدونكم فاضربوه (وتلك طريقة للتمكن من قتله حيث أنه كان ضخم الجثة قوي البنية) وفي القصة من الفوائد في فن القتال الكثير...

2 - سرية عبد الله بن أبي، وكانت في السنة الرابعة وسببها أن النبي (ص) بلغه أن شعبان بن خالد الهذلي يقيم بيعمر وأنه يجمع الجموع لحرب المسلمين فأمر رسول الله (ص) بن أنيس الجهني بقتله.. قال عبد الله قلت يارسول الله انعته (صفه لي) حتى اعرفه فقال عليه الصلاة والسلام "إنك إذا رأيته اذكرك الشيطان وآية ما بينك وبينه ذلك" فقال: واستأذنت رسول الله (ص) أن أقول (هو نفس إذن محمد بن سلمة) فأذن لي تم قال لي (انتسب إلى خزاعة) (وهكذا كذب ولكنه مباح)

قال عبد الله: فعرفته بنعت (أي بوصف) رسول الله (ص) وشعرت بالخوف منه فقلت صدق رسول الله. قال عبد الله وكان وقت العصر قد دخل حين رأيته فخشيت أن تكون بيني وبينه محاوش تشغلني عن الصلاة فصليت وأنا أمشي نحوه لأومئ إيماء برأسي، فلما انتهيت إليه قال من الرجل ؟ قلت من خزاعة.. سمعت بجمعك لمحمد فجئتك لأكون معك (ففي هذا القول إظهار الموالاة) قال: أجل أني لأجمع له قال عبد الله فمشيت معه

وحدثته فاستحلى حديثي وانشدته وقلت عجباله أحدث محمدا من هذا الدين الحدث فارق الأباء وسفه احلامهم (وهذا القول كفر) قال (أبي سفيان أنه لم يلق احد يشبهني، وهو يتكىء على عصا يهد الأرض حتى انتهى إلى خبائه وتفرق عنه أصحابه إلى منازل قريبة منه وهم يطيقون به، فقال: هلم ياأخا خزاعة فدنوت منه.. فقال اجلس.. قال عبد الله فجلست معه حتى إذا مد الناس وناموا اغتلته فقتلته وأخذت رأسه ثم خرجت ورنكت ظمائمه منكبات عليه، فما وصلت المدينة وجدت رسول الله (ص) فلما رآني قال: أفلح الوجه، قلت افلح وجهك ياسول الله ثم وضعت الرأس بين يديه وأخبرته خبري]

الإسلاميون وإنتفاضة 5 أكتوبر 1988

بعد 1982 ماذا حدث؟ وكيف تطور مسار الصراع بين الاسلامين والسلطة، بعد أن قضى عباسي مدني وجماعة 1982، مدة تتراوح بين العام والعامين في السجن؟

جماعة الاخوان وعلى رأسهم الشيخ نحناح لم يكونوا موافقين على الخطوات التي اتخذها عباسي خلال أحداث 1982،، ولم ينظروا إلى بيان "النصيحة" بعين الرضا،، تقارير وتوجيهات سرية وجهها الشيخ نحناح إلى جماعاته وأمرهم فيها بعدم التورط في الصراع.. "إنه ليس من مهامنا الآن وليس لصالح الاسلام أن نخرج إلى الساحة كجماعات سياسية معارضة" تساءل بعضهم، لماذا موقف الشيخ نحناح الذي كان يتسم بالمغالبة والثورية يتراجع إلى حد الاستكانة والغموض؟!

الاجابات على هذا التساؤل كانت متعددة..

اتجاه يرى أن الشيخ نحناح لم يستطع من باب الاعتراف بخير السلطة وتفهمها أن يتمرد عليها بعد إطلاق سراحه في بداية الثمانينيات، والبعض الاخر يرى أن جماعة من الإخوان القدامى في الحركة الاسلامية العالمية كانت الواسطة بينه وبين السلطة، فأعطى ضمانات أنه لايهاجم السلطة، لأن هذه الأخيرة في نظره تسعى بطرقها الخاصة وعلى مستوى استراتيجي لتوفير المناخ الصحي والصلب لقيام مشروع الدولة الاسلامية.. فلقد بادرت السلطة لبناء المدراس والملحقات والمعاهد الدينية العلمية على المستوى الوطني، والعمل على إنشاء مراكز ثقافية إسلامية في كل دائرة.. وعلى تطوير ملتقيات الفكر الإسلامي إلى نوع من التجمعات الضخمة والمكثفة للجماعات الإسلامية العالمية، وخاصة جماعات الاخوان المسلمين بمختلف فصائلها.

وبالإضافة إلى ذلك كله حسب بعض المصادر فقد اشترطت عائلة آل الصباح الحاكمة بالكويت على الرئيس الشاذلي بن جديد إطلاق سراح الشيخ محفوظ النحناح مقابل مساعدات مالية... ودولة مثل الكويت كانت قد وقفت إلى جانب كل فصائل الإخوان المسلمين المشردين من مصر خاصة، الذين لم يكونوا متبنين للخط الثوري والنهج الإنقلابي.

لقد كانت جماعة نحناح ترى أن عباسي مدني يريد أن يجهز على الحركة ويكون بديلا لرموزها التقليديين..

فعبد اللطيف سلطاني قد توفى، والشيخ أحمد سحنوني يعاني من متاعب الشيخوخة، والشاب جاب الله لم يبلغ درجة الشيخ بعد، وجماعة بويعلي حكمت على نفسها بقدر الإنتحار والعزلة.. ويبقى المجال فسيحا لعباسي، هذا "الدخيل على الجماعة" بعد خروج النحناح من السجن.

مصطفى بويعلي في أحد إجتماعاته بجماعات الغرب (جماعة كرار وعثمان) إقترح عليهم الإتصال بالشيوخ من أجل أن يعطوا لحركتهم الطابع الشرعي، ويمدها بدعمهم الأدبي،، إتصل بويعلي وعدد من أنصاره بعباسي في بيته بحيدرة،، وافق الشيخ عباسي مدني على مبدأ المعارضة،، لكنه طلب منهم التريث وعدم الإقبال على أي عمل صاخب، فالشروط الموضوعية والذاتية لم تنضج بالقدر الكافي، هذه الإجابة لم تشف غليل الجماعة.. وظلوا مع ذلك على إتصال متقطع به عن طريق عبد الهادي الذي كان يعد رفقة علي بن حاج الدروس النارية التي كان يلقيها مصطفى بويعلي في العاشور.. الشيخ نحناح لم يكن موافقا على الأسلوب الذي تبنته جماعة بويعلي، إتصلوا به مراراً لكنه كان يتحاشى اللقاء بهم، فاتصلوا به عن طريق عضو من جماعة بويعلي، أحمد كرفاح، أخذ رفقة أخ آخر الشيخ نحناح إلى بويعلي مصطفى وتم النقاش بينهم...

أصيب النحناح بالحرج عندما علم بالخطوط العريضة لمخطط الجماعة ضد السلطة، لقد كانت جماعة بويعلي مصممة على نسف فندق الأوراسي والتلفزة ومقر المجاهد اليومية، وإختطاف عدد من المسؤولين،، هذا الحرج تطور إلى اختلاف كلي مع الجماعة، مما أثار ذلك فيما بعد نوعا من الشكوك حول إذا ما كان نحناح هو الذي باع بويعلي، خلال 1985 و1987 تمت المحاربة الشرسة لجماعة بويعلي التي انضمت إليها الجماعات الجهادية الأخرى،، لقد زج بالكثير منهم في السجن، وقتلت السلطة فيما بعد زعيمها وركن كل من عباسي، النحناح إلى صمت عميق، صمت ينبئ بشيء غامض، الجماعات الأخرى أعادت النظر في طرق العمل وأزدادت إيغارا في العمل السري، وفي ظل هذه الظروف بدأ يبزغ إلى الساحة الإسلامية تيار الجزأرة الذي كان بعيدا عن أسلوب السلفيين، وبعيدا عن أسلوب الجهاديين، ومستقلا عن مناهج جماعات الإخوان العالميين (نحناح) والمحليين (جاب الله السكيكدي) لقد اختار هذا التيار (بزعامة الشيخ محمد السعيد) الميدان الإيديولوجي والفكري، كحلقة أولية للصراع مع السلطة، وأجل المستويات الأخرى للصراع حتى تنضج الظروف، بفعل توسيع رقعة الوعي المحلي، والإستفادة سياسيا من أي تغيير أيجابي يكون لصالح العمل السياسي الإسلاموي، لقد أراد هذا الإتجاه أن يتمم حلقة الصراع الذي بنتها جماعة القيم تحت إشراف الأستاذ الهاشمي تيجاني، وطورها المرحوم مالك بن نبي، وأثراها الحركي المنظر الدكتور رشيد بن عيسى بفكره المجادل وبراكسيسه المتجذر.. لقد حاول هذا الإتجاه الجمع المرن بين العمل الفكري العلني، والعمل السياسي السري، لكن فيما يبدو أن هذا الأسلوب اعتبرته بعض رموز جماعة الجهاد (كرار...) أسلوبا مائعا وانتهازيا، وجبانا،، إنه يريد أن يتخلص "من مسؤولية الجهاد ضد سلطة كافرة"!

هذا الوضع سيستمر إلى أكتوبر ...1988 فكيف كانت هذه الأحداث.

وماهي المواقف التي اتخذتها الحركة الإسلامية من هذه الإنتفاضة التي هزت الجزائر؟!

في 19 سبتمبر 1988، يلقي رئيس الجمهورية الشاذلي بن جديد، خطابا حادا وصريحا، يتوجه فيه بالنقد إلى حزب جبهة التحرير الوطني، وبعض إطارات الدولة التي لم "تتحمل مسؤولياتها"، كما دعا فيه المواطنين إلى

الدفاع عن أنفسهم من خلال تنظيم أنفسهم بأنفسهم..

الصحافة الوطنية اعتبرت هذه النبرة التي تميز بها خطاب رئيس الجمهورية، حدثا يدل على اقتراب ميلاد مؤشرات جديدة ستكون لها دلالاتها السياسية العميقة...

بعد أقل من شهر، بعد هذا الخطاب الغاضب تنشب فتائل بعض الإضرابات في المؤسسات الوطنية الصناعية الكبرى، في منطقة الرويبة، وأيضا في سلك موظفي البريد والمواصلات، وبمجرد عودة العمال بعد ذلك إلى المصانع،، تنتشر إشاعة تدعو الناس إلى إضراب عام يوم الأربعاء 5 أكتوبر، وتهدد التجار في حالة فتح محلاتهم..

- **الثلاثاء 04 أكتوبر 88:**

مساء، تشتعل مظاهرات عفوية، ومسيرات نتج عنها تحطيم المحلات العمومية في باب الواد، وباش جراح وباب الزوار، وشوفالي، وكليمادي فرانس،، وتمت مشادات في حي باب الواد بين المتظاهرين وقوات الأمن وقد دامت إلى غاية الفجر، حيث سادها بعض العنف واستعملت فيها القنابل المسيلة للدموع وتمت أولى الاعتقالات.

- **الأربعاء 5 أكتوبر 88**

في هذا اليوم أتسعت رقعة الانتفاضة، فشملت أحياء أخرى من العاصمة، (بوزريعة، باستور، محمد الخامس، ابن عكنون، الأبيار، حسين داي، بلكور، القبة، ساحة أول ماي، رويسو) وأيضا مدنا وقرى من الوسط (سطوالي، دالي ابراهيم، عين بنيان، شراقة، سطاوالي، بوفاريك، البليدة، عين طاية، برج البحري)، المظاهرة التي عمت هذه الأحياء والمدن اتسمت بتحطيم المتظاهرين لكل المباني التي ترمز إلى الدولة (وزراة الشباب والتربية، قسمات الحزب أسواق الفلاح، محافظات الشرطة، رياض الفتح سقطت خلال هذا اليوم أولى الضحايا.

- **الخميس 6 أكتوبر 88**

على الساعة 10 صباحا، تحدث مشادات عنيفة بشوراع العاصمة، سقط فيها بعض المتظاهرين جرحوا تحت طلقات الرصاص..

تعلن السلطة على حالة الحصار لمدينة الجزائر وضواحيها إلى غاية البليدة الجيش يطوف الأحياء الشعبية والمراكز الحساسة للعاصمة.. على الساعة 17، (الخامسة) تتعطل دبابة بحي الأبيار، حاول بعض الشبان الاقتراب منها، يطلق الجنود النار، فتسقط ضحيتان ليفتح السجل أمام عدد متزايد من الضحايا.

- **الجمعة 07 أكتوبر 88**

يسود الليلة الأولى للحصار هدوء نسبي، ويتم الانتشار الكبير للجيش على كل مناطق المدينة

الاسلاميون، ينظمون أول مسيرة ضخمة خلال هذه الأحداث، تتجه من القبة، وباب الوادي إلى المستشفى

الجامعي مصطفى باشا لمطالبة السلطة بتسليم جثث الضحايا لدفنها.

أوقفت قوات الجيش هذه المسيرة أمام مستشفى مصطفى، وبعد مفاوضات بين ممثلي الاسلاميين وأفراد الجيش تفرق المتظاهرون.

مساء هذا اليوم تنشر الأخبار القائلة باتساع رقعة الانتفاضة حيث عمت مناطق ومدن أخرى من البلاد، وهران، سيدي بلعباس، تيارت، مستغانم، عنابة، ڤالمة، الشلف...

سجلت في هذه المدن عدة ضحايا، كما مددت في العاصمة فترة حظر التجول حيث قدمت إلى الساعة 10 مساء.

السبت 08 اكتوبر 88

مر النهار في جو هادئ نسبيا، لكن ما أن جاء المساء حتى اشعلت من جديد فتائل المظاهرات والمشادات بالقبة وأول ماي وباش جراح وديدوش مراد وترتب عن ذلك عدد من الضحايا.

الأحد 09 أكتوبر 88

اتسعت حملة الاعتقالات، وأذاعت وسائل الاعلام خبر توجه الرئيس الشاذلي بن جديد بخطاب للأمة، غدا، الاثنين على الساعة الثامنة مساء.

الأثنين 10 أكتوبر 88

الآلاف من الشباب ببلكور بعد النداء الذي وجهه الشيخ علي بن حاج، ثم قام هؤلاء الشباب الأتون من أحياء السوستارة، والقصبة وباب الواد وبولوغين بمسيرة سلمية وصامتة باتجاه باب الواد، لكن لدى مرورهم بالمديرية العامة للأمن، أطلق مجهول النار، فرد الجيش على إثر ذلك بالمثل، وكان عدد الضحايا 43..

وفي هذا اليوم اجتمع مجموعة من الصحفيين المنتمين إلى حركة الصحفيين الجزائريين المستقلة، وحرروا بيانا يطالبون فيه برفع حالة الحصار..

ويسجل في هذا اليوم أيضا استشهاد واحد من صحفيي الحركة،، وإعلان الشاذلي بن جديد عن إصلاحات سياسية عميقة..

12 اكتوبر 88

ترفع حالة الحصار لتدخل الجزائر مرحلة مابعد الانتفاضة و تميزت في بدايتها بالوصول المتأخر للمثقفين إلى

الساحة، وبتصاعد النشاطات المدينة لممارسات التعذيب وقمع الحريات الفردية والجماعية..

بالنسبة لمواقف الإسلاميين خلال هذه الفترة، تجلت أساسا من خلال مسيرة 7، و10 اكتوبر،، ومن خلال البيانات التي وزعتها جماعة الشيخ أحمد سحنون ومحمد السعيد.. وأيضا بيان الشيخ محفوظ نحناح،، لم تكن الحركة الاسلامية في هذا الظرف معترف بها ولا هي منظمة بشكل علني،، لكنها مع ذلك استطاعت أن تكون بعض فصائلها حاضرة على الساحة من خلال بعض بياناتها الموجهة إلى الشعب أو إلى مناضليها أو إلى السلطة..

1- موقف جماعة الشيخ نحناح

تعتبر الجماعة أن أحداث اكتوبر"ومضاعفاتها التي لم يحتكم فيها لا العقل ولا الضمير، هي أحداث غير مرضية لا من حيث الهدف ولا من حيث الوسيلة.

حيث أن أسلوب النهب والسطو كان عنوانا بارزا تصدر الأحداث ولغة القمع والإرهاب وإزهاق الأرواح البريئة كانت المسيطرة في الساحة مما أحدث في النفوس جروحا يصعب إلتئامها.

والمتحمّل لما حدث في الدرجة الأولى أولئك الذين أدخلوا البلاد في نفق مظلم وطريق مسدود بسبب الأنظمة السياسية المتردية والمتمثلة في :

-الفساد السياسي الذي أدى إلى صراع داخلي في وسط الجهاز الحاكم

-تفشي البورجوازية العسكرية التي استحوذت على أجود الأراضي وأحسن الممتلكات من مؤسسات ومراكز تجارية وعقارات ووزعت على ذوي الرتب العالية من الضباط المقربين.

-إنتشار المحسوبية في أوساط الهيئة التشريعية والتنفيذية.

-عدم الوضوح في القرارات والتعليمات التي تركت المسؤولين على مستوى صنع القرارات ومادونه يمططون البنود ويفصلون القوانين على حسب مقاساتهم.

-استعمال الجهوية المقياس الأساسي والوحيد في توزيع المناصب الحساسة في الجيش والدولة ووضع العرقية حصنا لاحتكارها.

-وضع مخططات محكمة لنشر الفساد وتدعيمه عن طريق المركبات المختلفة ووسائل الإعلام المتنوعة.

-الإمعان في إفساد المنظومة التربوية شكلا ومضمونا وتجريدها من أصالتها الإسلامية مع إخضاعها لعملية التغريب.

-إنتشار البطالة وافتعال الأزمات الاقتصادية وتجريد المواطن من أبسط حقوقه وحرمانه من حرية التعبير.

-وضع المواطن تحت حالة اضطراب نفسي مستمر نتيجة الفقدان المفاجيء المخطط لاحتياجاته اليومية.

-الارتفاع المستمر المباغت للإسعار مع تدني المداخيل وبقاء الأجور على حالها.

لهذا فإن الجماعة- يضيف البيان- تؤكد من جديد رفضها القاطع لهذه السياسة المتعفنة التي أدت إلى ماذكر.

كما تستنكر الجماعة بشدة الإجراءات القمعية التي تتجاوز حدود العقل والضمير حيث تصبح لغة القوة هي السائدة (ونحن نؤمن- تؤكد الجماعة من خلال بيانها- بأن العنف لا يولد إلا العنف)

وانطلاقا من الثوابت التي تعتبر معالم أساسية للجماعة:

-عدم الدخول في معارك خطط لها غيرنا.

-عدم التورط في قضايا اهدافها ووسائلها غير شرعية.

-رفض المواقف الفردية والارتجالية الخاضعة لطفرات عاطفية غير مدروسة

2-موقف الشيخ سحنون وجماعة الجزأرة

هذه البيانات التي سنعرضها تعبر عن موقف الشيخ المخضرم وجماعة الجزأرة التي كانت تفضل أن تحمل بياناتها توقيع أحمد سحنون لثقل وزنه التاريخي، وشبه الاجماع الذي يحققه لدى الفصائل المختلفة للحركة الإسلامية.

6 اكتوبر 88: يحرر البيان الأول، ويحمل إمضاء الشيخ سحنون ويعتبر ان الأحداث الجارية في الساحة ليست مجرد طفرة أو وليدة رد فعل انتهازي فقط، بل تجد دوافعها وأسبابها من الوضع العام المتردي بسبب سياسة الترف والمباهاة والتبذير المتبعة على حساب المصالح العليا للشعب..»

ويشير البيان الأول بأن "الاصلاح"- الدين النصيحة- لا يكمن في القمع وإسكات أصوات المتألمين من الجوع والعري والضيق الخانق، وإنما الحل يكمن في مراجعة النفس بصدق ومواجهة الحقيقة بإجراء عملي يمليه الشعور بالمسؤولية أمام الله ثم التاريخ، وهو العودة إلى الاسلام منهاجا بعدما فشلت النظم الوضعية المخربة، لنكون منطقيين مع ماعاهدنا الله عليه وسجل في الدستور "الاسلام دين الدولة"

إن هذه العبارة لاتجد محتواها العملي إلا في تطبيق الإسلام بإعطائه أبعاده العملية:

الشورى الصادقة في الحكم- والعدالة في توزيع خيرات البلاد على فئات الشعب - وتحقيق الكفاية في الضروريات لكل فرد- والمساواة أمام القانون- والطهارة في الأخلاق- والأمن على كل المقدسات من دين وعرض ونفس ومال- والحرية في التفكير والتعبير.» ويواصل البيان مؤكدا "وبقدرما نقف إلى جانب الشعب في مطالبة المشروعة من حد أدنى للعيش الكريم لشعب هو جزء من خير أمة له رسالة، يتطلع إلى غد مشرق في ظل الإسلام، فإننا ندين كل عمل تخريبي لممتلكات الشعب سواء عن طريق سياسة المباهاة والبذخ والتبذير الرسمي أوعن طريق أعمال غير مسؤولة من حرق وتخريب ونهب.. ونهيب بالصادقين في دينهم أن لا يدمروا اقتصاد هذا الشعب المسلم، لأن التخريب الاقتصاد ي يزيد من المديونية والتبعية للدول الغنية التي تفرض نفوذها وتملي

شروطها ،،

10 أكتوبر 88: يعلن الشيخ أحمد سحنون من مسجد أسامة عن البيان الثاني، فيقول "أمام تطور الأحداث الأخيرة التي سالت خلالها دماء زكية وخربت ديار ونهبت أموال فإنني، أرى ومجموع الدعاة لزاما علينا أن نخرق جدار الصمت لنقول للأمة مايلي:

1 - إن قرار المسيرة المرتجل الذي لم يقدر العواقب التي تعود على الدعوة الاسلامية عامة، لم يؤخذ فيه برأي مجموع المهتمين بالدعوة الإسلامية والذين تثق فيهم الأمة.

2 - إن هذه المسيرة ينبغي أن تتوقف اليوم فورا، ومن تمادى في تنفيذ قرار اتخذه فرد بصفة إنفرادية فقد خرق إجماع الأمة والدعاة ويتحمل العواقب الناجمة عن ذلك أمام الله ثم الأمة.

3 - نهيب بأبنائنا وإخواننا أن يلتزموا الهدوء وضبط النفس في هذا الظرف العصيب، والخير كل الخير في السير في موكب الأمة يقول الرسول (ص) "يد الله مع الجماعة".

وفي نفس اليوم يتوجه الشيخ أحمد سحنون برسالة إلى رئيس الجمهورية يقول فيها "ما وددت أن يطول عمري حتى أرى حماة الوطن يقتلون أبناء الوطن.لقد انتقلت إلى حي سيدى محمد لإعادة الطمأنينة إلى نفوس شباب يحبون دينهم ووطنهم، فتفرقوا مقتنعين إلى بيوتهم في تمام الهدوء والنظام.

اعترضت سبيلهم قوات الجيش وهم عائدون إلى منازلهم فسقط قتلى وجرحى. إنكم سيدي الرئيس مسؤولون عن حماية الأرواح، لذا نرجو أن تحققوا في المسؤولية عن هذه المجزرة، لأن مثل هذه الأعمال لاتخدم رغبة الجميع في عودة النظام ولامصلحة الوطن.

إن الله سائلكم عن كل قطرة دم تسيل، فأوقفوا النزيف

13 أكتوبر 88 . يتوجه الشيخ أحمد سحنون برسالة ثانية إلى رئيس الجمهورية مريدابها أن تكون «مساهمة في الحوار الوطني» الذي دعا إليه الرجل الأول في البلاد.

بعد البسلمة تقول الرسالة «شهدت البلاد هذه الأيام أحداثا دامية مأساوية مؤلمة عبرت عن سخط جماهير الشعب، وشخصت الطريق المسدود الذي آلت إليه السياسة غير الرشيدة المتبعة منذ الاستقلال وعودة السيادة إلى الوطن. تلك السياسة غير فوتت على الأمة فرصة تاريخية للانطلاقة الحضارية في مختلف الميادين بفصل الموارد المالية الهائلة العائدة من بيع المواد الأولية وبفضل الزخم الثوري المتأجج بالعاطفة التي خرج بها الشعب من جهاده المبارك وحقق به النصر المبين على الاستعمار الصليبي.

سياسة جرت إلى التناقضات وغمتها وعمقت الهوة الفاصلة بين مختلف فئات الشعب فتكونت طبقة أثرت من مواد مع الأيام ثراء لأنها تجمع بين مكاسب مادية معتبرة وتسهيلات إدارية تفسح الطريق أمامها في وجه

الخدمات المختلفة، بينما طبقة أخرى يتنامى بؤسها مع الأيام بسبب ما يتهددها من مستقبل مجهول نظرا للغموض المظلم الذي يكتنف مسيرة الشعب في ظل سياسة أملاها التعصب الايديولوجي أحيانا، وأملاها الارتجال والجزئية في النظرة والرغبة الجامحة في السلطة أحيانا أخرى.

سياسة لم تنبثق من إرادة الشعب الحرة، لذا اعتمدت لضمان عمر طويل لها على القمع والتنكيل والضرب بيد من حديد على رأس كل صوت حر غيور، فكان الأنين يكتب في كل مرة قبل أن يزعج المترفين على موائدهم الذين يمتصون فيها دماء الشعب، غير أن الشعب هذه المرة أبى إلا أن يرفع بشدة صوت الألم والأنين مهما كانت الضربات موجعة وذلك من أجل أن يعلن للذين صمت آذانهم بأن ربع قرن قد مضى على الاستقلال وأن جيلا كاملا من الذين ولدوا في ظل الإستقلال قد دخلوا معترك الحياة لايمكن أن يسكتهم القمع ولاسياسة العصا الغليظة.

إذن فإن الأحداث الأخيرة قد آذنت بأن ساعة التغيير الذي يدخل إرادة الشعب في الحسبان قد أزفت.

ومساهمة في إخراج البلاد من الطريق المسدود، وشعورا بالمسؤولية التي يفرضها الواجب الديني والاهتمام بمصالح الأمة في المعاش والمعاد فإننا نتوجه بهذه المطالب المستعجلة التي تعبر عن مطامح كل المخلصين من أبناء هذا الوطن مع التركيز في الصدارة على مايلي:

أ- نندد بأساليب القمع الوحشي التي جوبهت بها الانتفاضة وهو مارفع عدد القتلى والجرحى.

ب - إننا متضامنون مع الشعب في مطالبه المشروعة ونحن جزء منه لانتخلى عنه.

ج - إننا نتأسف لأسلوب التخريب الذي استعمل للتعبير عن الألم والظلم الإجتماعي.

د - نندد بسياسة التبذير الرسمي التي اتبعت طوال سنوات دون مراعاة للأولويات والاحتياجات الحقيقية للجماهير العريضة.

وأما الاجراءات المستعجلة التي ينبغي اتخاذها دون انتظار لأن الوضع ينذر دائما بالانفجار، مادامت أسبابه قائمة فهي كالتالي:

1 - إنهاء سياسة الأحكام العرفية المتبعة والمستترة منذ الاستقلال بشكل مقنع وتطوير الجيش ليصبح حارسا لإرادة الشعب التي يعبر عنها بكل حرية ويكون ولاؤه للشرعية المنبثقة عن الاختيار الحر لاوجهة نظر معينة.

2 - إصدار العفو الشامل عن كل المعتقلين من أجل أرائهم بغض النظر عن الوسيلة التي استعملوها وفرضتها عليهم أجواء مصادرة الحريات التي خيمت على البلاد ردحا من الزمن، السماح لكل الملاحقين بسبب أرائهم بالعودة إلى الحياة العادية مع رد الاعتبار لهم.

3 - توفير فرص العمل وتشغيل الطاقات المعطلة في الشعب مع إعادة الاعتبار والقيمة للجهد والكفاءة

والعلم ومحاربة السبل غير المشروعة للترقي والثراء كالمحسوبية والرشوة والغش والتثوب واستغلال النفوذ والاقطاع الإداري.

4 - تطبيق قيم العدالة الاسلامية في توزيع ثروات البلاد على مختلف فئات الشعب بحيث يضمن حد كاف لكل مواطن في العيش الكريم فلايضطر لإهدار كرامته من أجل العيش. ويكافأ العمل حسب نوعه ومقداره ومشقته وآثاره العاجلة والآجلة وتطبيق قواعد:

أ - الرجل وبلاؤه وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما)

ب - من كل حسب طاقته (لايكلف الله نفسا إلا وسعها)

ج - ولكل حسب عمله (إنما تجزون ماكنتم تعملون)

5 - ضمان حرية الدعوة الإسلامية بكل السبل المشروعة مع توفير الحصانة للإمام والواعظ والمدرس طالما كان توجيهه في حدود آداب الإسلام، وإذا أخل بهذه الأداب يسند أمر تقويمه إلى هيئة من أهل الحل والعقد في الأمة لا إلى مصالح خاصة تهينه ولاترعى مقامه.

6 - ضمان الحريات الأساسية لكل أفراد الشعب في حدود احترام مقدسات الشعب، ومن ذلك حرية الاجتماع وحرية الفكر والنقد لكل من يتصدى للإشراف على المصالح العامة دون التعرض لحياته الخاصة أخذا بالأدب الاسلامي ابتداء من اكبر كبير إلى أصغر صغير مع توفير الحماية القانونية وحرية التعبير عن الآراء والأفكار والنتائج العلمية بكل وسائل التبليغ الجماهيرية المختلفة في حدود الآداب الاسلامية.

7 - إعطاء الكلمة للشعب من أجل أن يقرر مصيره ويختار شكل مستقبله مع الأخذ بعين الاعتبار ثوابته العقائدية والثقافية والجغرافية والتاريخية والحضارية.

8 - ترشيد وسائل الاعلا م المختلفة من كل انتاج تربوي وثقافي يعمق الهوة بين المواطن وأصالته ويكون الذهنية والأنماط الاستهلاكية الغربية وهو مايجعل الفرد يتهالك وراء الملذات والرفاهية التي لاتسمح بها إمكانات البلاد فيضطر إلى التلاعب بمصلحة الوطن تحت تأثير وطأة الشهوات المادية فضلا على المخاطر الأخلاقية على الفرد والأسرة والمجتمع.

9 - الاهتمام بالقضاء ليصبح جهازا يتمتع بحرية ممارسة المهمة بشرف وماتمليه المسؤولية أمام الله، وإصلاح القضاء يمكن رؤيته من الزوايا التالية:

أ - العناية بالتربية الاسلامية في برامج تكوين رجال القضاء لتنمية الوازع الديني في نفسه.

ب - العناية الكاملة بمطالبه المشروعة ليكون غنيا عن الناس ولايكون مطمعا لذوي الأطماع.

ج - إعادة السيادة للحق وحماية رجل القضاء من أصحاب النفوذ والضغوط الناجمة عن استغلال النفوذ أو

الإرادة الاستبدادية للسلطة الحاكمة وتتخذ القضاء أداة لتصفية الخصوم السياسيين.

د - تمكين رجل القضاء من ممارسة مهمته بشرف وحرية دون مراعاة لأي اعتبار ولأي كان، لأن الثورة والدولة ووحدة التراب الوطني كثيرا ماتتخذ ذرائع لتصفية الخصوم بالزج بهم في غياهب السجون أو النفي أو الاضطهاد.

هـ - تطهير المنظومة القانونية القضائية مما علق بها من القوانين الوافدة مع الاستعمار في نصها وروحها ولا تكفيها الجزأرة إذا كانت تتنافى مع ثوابت الشعب الجزائري.

9 - تجسيد مبدأ "الحق فوق الجميع" وإعلان الشروع في تطبيق المساواة المطلقة أمام القانون وحق مقاضاة أية جهة أو هيئة أو شخص أمام قضاء مستقل نزيه.

10 - إحياء رسالة الصحافة لتكون أداة للتبليغ والتربية والتوجيه والنقد لكل الظواهر السلبية مهما كان مصدرها مع الحصانة الكاملة لرجال الصحافة في أداء مهمتهم النبيلة آخذين بعين الاعتبار شرف المهنة وأمانة الكلمة وثوابت الأمة.

11 - إصلاح المنظومة التربوية لتتماشى مع تطلعات الشعب الجزائري إلى غد مشرق وهذا بتجسيدها الأهداف التالية:

أ - تربية الانسان تربية إسلامية شاملة يستوعب مواصفات الانسان في القرآن الذي يتحلى بالفضائل الأخلاقية من صدق وشجاعة ووفاء وصبر وتضحية وروح جماعية: ينتفع بما خلق الله في الكون من الكائنات ومنافع عن طريق تنمية البحث العلمي والتطبيق التكنولوجي وتفجير المواهب الابتكارية لدى الفرد وتمكينه من أعلى الخبرات.

ب- تنمية قدرات الإنسان وإتاحة الفرصة لتفتح شخصيته ليصبح قادرا على تحمل المسؤولية وحل أية مشكلة مهما كانت عويصة.

ج- تنمية الروح الجماعية دون مصادرة حق الشخصية الفردية في الوجود والتعبير عن الذات.

د- تنمية الشعور بدوائر الإنتماء الجزائرية المغربية العربية الإسلامية والإنسانية ويتعامل على أساس الإحسان مع الأشقاء والعدل مع الغير.

12- إصلاح حال المرأة وذلك بمساعدتها على إدراك رسالتها السامية والخالدة عن طريق تحريرها من التقاليد التي لاتتماشى مع الإسلام وتحريرها من عقدة تقليد المرأة الغربية، وينبغي مكافأة جهدها التربوي الرسالي على أنه ينبغي العناية بها، واعدادها اعدادا نوعيا يؤهلها للنجاح في رسالتها، التي تكمل رسالة الرجل، إذ بهما معا تكون الإنسانية الفاضلة.

تلك هي بعض معالم الحل للأزمة الخانقة التي تنذر دوما بالإنفجار مادامت أسبابها قائمة في الأوضاع

الناجمة عن سياسة العصا الغليظة وإغلاق أبواب الحوار في وجه كل الأصوات الحرة، إنه بالفعل آن الأوان لتعود الكلمة للشعب المسلم المجاهد الكريم الذي لم يعد يتحمل السكوت في وجه من يريدون أن يفرضوا عليه الحياد في خصومة هو طرف فيها.

ومرة أخرى فإننا نعبر عن أسفنا وألمنا وحزننا عن شباب غض التهمه الرصاص، شباب سليل الشعب المجاهد ، شباب نشأ في عبادة الله نرجو أن لا تذهب دماؤه سدى إذا عجلت برياح التغيير القادمة.

لكن بقي أن نهيب بالإخوة الكرام أن يتحلوا بالحكمة وضبط النفس وأن يقفوا بالمرصاد بكل من يحاول جر القطار إلى غيرالنهج الذي يختاره الشعب الجزائري المسلم العريق في إسلامه، شعب الثورة الجهادية التي أحيت العزة في نفوس المسلمين قاطبة فأصبحت مثالا يحتذي للشعوب التي تريد أن تتحرر من الظلم والعدوان.

28 اكتوبر88، يقول الشيخ أحمد سحنون في بيانه الخامس مؤكداً بإن الاسلام "هو دين الله الذي ارتضاه للبشر أجمعين، لاينسب إلى فرد ولا إلى قوم ولا إلى وطن أو جنس، إنه يستجيب لمطامح الإنسانية على اختلاف المشارب والاتجاهات ومن أجل تحقيق هذه الأهداف الانسانية العظيمة دعا إلى إقامة مجتمع على أساس الاسلام، يعيش في ظله الانسان مع أخيه الانسان وإن اختلفت الألوان والمشاعر الروحية.

والاسلام إذ يدعو إلى هذا الشكل، يواصل الشيخ- من المجتمع الذي تذوب فيه الفواق، فهويقرر حقوقا فطرية لكل البشر، كحق الحياة والحرية والعدالة والكرامة والتملك والعلم، وينتج عن هذه الحقوق المبادئ التالية:

1 - الانسان بريء حتى تثبت إدانته أمام قضاء عادل مستقل يدافع عن حق المتهم كما يدافع عن حق المدعي.

2 - ألا تستعمل وسائل الاكراه لاستصدار الاقرار بالجرم، ومن حق المتعرض لهذه الأساليب أن يطالب قضائيا الجهة المسؤولة عن مثل هذه الممارسات.

3 - القوة العمومية تمنع الضرر القائم بأقل التكاليف، ولكن لا حق لها في انزال العقوبة بالمخالفين لان ذلك من اختصاص القضاء.

وعلى ضوء هذه المبادئ المقررة تكون إدانة الأساليب الوحشية التي استعملتها المصالح الخاصة المكلفة بالتحقيق حول الأحداث الأخيرة التي شهدتها البلاد.

ولقد تواترت الأخبار وتعددت الشهادات أن الوسائل المستعملة بدافع الحقد والانتقام لاترقى إلى مستوى وحشيتها إلامحاكم التفتيش المشؤومة من الضرب والمثلة والكي وانتهاك الحرمات.

نهيب بكل المتعرضين لهذه الممارسات أن يقفوا موقفا جهاديا فيفضحوا تلك الجهات ويرفعوا الشكاوي ويبلغوا الرأي العام الداخلي والخارجي. إن مثل هذا السلوك- الفضح- يخدم العدالة والحرية ويعزل تلك العناصر التي

تخاف من التغيير.

نهيب برجال الأمن الشرفاء الذين نذروا أنفسهم لخدمة المجتمع أن يقفوا بالمرصاد لكل العناصر الخسيسة المدسوسة، التي لطخت شرف رجل الأمن، واحذروا نقمة الله ثم نقمة الأمة ثم لعنة التاريخ الذي لايرحم.

4 نوفمبر 88، وبداية شهر نوفمبر من نفس السنة يصرح الشيخ أحمد سحنون "بأن حصيلة الأحداث التي شهدتها البلاد في الشهر الماضي ثقيلة جدا، إنها صفحة جديدة في سجل مفاخر هذا الشعب وتضحياته من أجل الحرية والكرامة.

إن دماء زكية سالت غزيرة جدا أشبال حصدتهم آلات الموت و جرحى ستبقى آثار جروحهم شاهدة على أولئك الذين ضربوا بقضبان حديدية لاترحم.

وواجبنا نحن الأحياء أن نكون في مستوى المسؤولية التي وضعوها في أعناقنا: أن نستميت في الدفاع عن المثل التي فدوها بأرواحهم وأن نتضامن لتضميد جراحات تلك الأحداث بالإجراءات التالية:

أولا: عيادة الجرحى في منازلهم أو في مستشفياتهم مع تقديم المساعدات المادية لهم ومواساتهم معنويا.

ثانيا: زيارة ضحايا القمع الذين تم إطلاق سراحهم ومساعدتهم ماديا وأدبيا لاسترجاع صحتهم وتجاوز محنتهم.

ثالثا: الاتصال بأسر القتلى وإشعارهم بوجود الشعب إلى جانبهم ممثلا في صفوة أبنائه انتم الذين تبادرون إلى هذه الأعمال الصالحة في مثل هذه المرحلة التاريخية، الحاسمة، وهذا التضامن ليس غريبا عن تقاليد الشعب الجزائري النابعة من روح التكافل التي أصلها الاسلام في حياتنا الاجتماعية "المسلم أخو المسلم لايظلمه ولا يخذله ولايسلمه.."

إن موقفكم هذا لموقف ايجابي إلى جانب الذين قدموا أنفسهم فداء لكرامة الشعب وحريته مبرهنين أن هذا الشعب لا تموت في نفسه عزة المسلم وإن طال سكوته اعذارا وإقامة للحجة"

23 نوفمبر 88، إن انتفاضة اكتوبر جاءت كرد فعل على إفلاس النظام، والخط الذي انتهج منذ 1962 ولدى الاسلاميين هذه الأزمة التي تعاني منها الأمة هي النتيجة المنطقية للابتعاد عن تحكيم الاسلام، وهذا ماحاول الشيخ أحمد سحنون التعبير عنه في رسالته التي وجهها إلى المؤتمر الاستثنائي للحزب الحاكم الذي انعقد في ديسمبر1988.

يقول الشيخ بأن شعب الجزائر المسلم قد جاهد جهادا متواصلا طوال قرون من أجل المحافظة على أصالته الاسلامية، ودفع تضحيات جسمية لاحباط المؤامرات الصليبية المتتالية من إسبان وبرتغال وفرانسيس، وكان دائما وقود جهاده ورائد كتائبة هو الاسلام، وليس أدل على ذلك من أن قادة الثورات المتعاقبة كانوا من الشخصيات الدينية التي جمعت بين الكتاب لهداية الناس وبين السيف للدفاع عن مقدسات الأمة.

وثورة نوفمبر 54، كانت إسلامية في روحها وفي هدفها النهائي حين أعلنت أن الاستقلال يعني بناء دولة ديمقراطية اجتماعية في إطار المبادئ الاسلامية ضمن بيان الفاتح من نوفمبر 1954، ليس عبثا أن سمي القتيل من الثوار شهيدا والمقاتل مجاهدا وأن آذان بدء المعركة كان " الله أكبر" ولما حقق الشعب النصر المبين وجاء الاستقلال وعادت السيادة وقع العمل على إبعاد الاسلام من أن يكون مصدر إلهام للذين تحملوا وزر صياغة المعالم مستقبل الجزائر المسلمة التي دفعت قوافل الشهداء لتبقى مسلمة، وترتبت عن إبعاد الاسلام النتائج التالية:

أ - التغريب في الثقافة حيث يرى كل ملاحظ منصف أن ما انتشر من العناصر الثقافية الاستعمارية بعد الاستقلال لم يتأت للإستعمار يوم كان يباشر العملية بنفسه رغم إمكاناته الكبيرة التي سخرها.

ب - تهميش الطاقة الشعبية والعناصر المخلصة وأصبح مصير الشعب يقرر دون أن يكون له رأي أو مساهمة فعلية حرة في صنع حاضره وتخطيط مستقبله وهذا مافوت تلك الفرصة التاريخية على الشعب للانطلاقة الحضارية التي توفرت لها الشروط للازمة من العناصر البشرية إلى الموارد المالية المعتبرة إلى العقيدة الجامعة المحفزة.

ج - اتباع المنهج الاستبدادي في تسيير شؤون البلاد وهو ماجعل النظام يحرم الوطن من كفاءات معتبرة لابنائه المخلصين، كما اضطرته هذه السياسة إلى رفض كل صوت ناقد يتجاهله أحيانا ويسكنه بالقوة أحيانا.

د - وابعاد الاسلام عزل النظام عن الإرادة الشعبية التي كان ينبغي أن يستمد منها الشرعية التي يمنحها الشعب عن الاختيار الحر. لا المصادقة على مايقرر في غيابه، وعندما يفقد النظام الدعم الشعبي يلجأ إلى البطش تارة وإلى الانتفاعيين تارة أخرى.

وسياسة الحزب منذ الاستقلال دامت ربع قرن قد أفضت بالبلاد إلى الخطر وأيقظت العقول بأن سرعة مراجعة النفس قد أزفت. أنتم معشر أعضاء المؤتمر تجتمعون لتخرجوا في النهاية بوثيقة تحددون فيها معالم المرحلة المقبلة، تلك الوثيقة التي يجب أن تصحح المسار وأن تعيد الاعتبار للشعب ليصبح بكل أبنائه وفئاته صاحب القضية الأول من حيث هو مسلم جاهد ليعيش حياة كريمة في ظل الاسلام يتمتع بالعدل والحرية، والمؤسف أن يستمر تجاهل الإسلام إلى عشية انعقاد المؤتمر. ومن أجل إبراء الذمة أمام الله وأداء لواجب رعاية المصالح العليا للشعب فإننا نبعث إليكم بهذه الرسالة تتضمن معالم الحل الاسلامي للأزمة التي تواجهها البلاد، وهذه الأزمة التي لايمكن لأي كان أن يدعى القدرة على حلها دون المساهمةالفعالة من كل أبناء الوطن المخلصين النزهاء الأكفاء ودون الرجوع إلى عقيدة الأمة ودينها الذي يمثل مفتاح شخصيتها.

أولا: الحكم: إن الاسلام دين ودولة وليس مجرد شعائر تعبدية، لذا يجب أن يحكم الشعب بما حقق المقاصد العليا التي جاء بها الإسلام، ويكون ذلك بالتطبيق الصادق لمبدأ الشورى في اختيار الحاكم وفي إدارة شؤون البلاد، وبذلك يكون الحاكم نائبا عن الأمة في التنفيذ ويكون مسؤولا أمام الله أولا وأمام ممثلي الأمة من أهل

الحل والعقد، كما يكون للشعب حق المراقبة المباشرة في إطار ضوابط نحقيق المبدأ بالمعروف والنهي عن المنكر. وتصحيح خط السير يستلزم إعادة صياغة الميثاق والدستور على ضوء مبادئ الإسلام.

ثانيا: التشريع: إن وظيفة المجلس التشريعي المنتخب تتلخص في وظيفتين أساسيتين:

أ - سن القوانين التي تحتاج إليها الدولة ومراقبتها والمصادقة عليها أوتعديلها وذلك بممارسة الاجتهاد الجماعي وهذا يستلزم أن يكون في المجلس هيئة تراقب القوانين حتى لاتصادم نصوص الشريعة أو روحها.

ب - وظيفة الرقابة على الجهاز التنفيذي في الدولة تحقيقا لمبدأ الأمر بالمعروف الاشارة إلى أن مجلس التشريع يتقيد بمايلي:

1 - ليس من حقه أن يلغي حكما مبنيا على نص تصحيح في ثبوته ودلالته.

2 - أن لايصدر قانونا يخالف مقاصد الشريعة أو نصوصها القطعية.

ثالثا: القضاء: وهو من أهم الأجهزة التي تجعل في الدولة السيادة للقانون فلا تسلب الحقوق ولاتنتهك الحرمات، ولتحقيق هذا الهدف السامي يجب فصل القضاء ومنحه الاستقلالية ليتمكن رجل القضاء من ممارسة مهمته بكل حرية مع الشعور بالأمن على نفسه، والقوانين يجب أن تكون منسجمة مع روح الأمة وعقيدتها لذا يجب أن تظهر منظومتنا القانونية من كل رواسب القضاء الاستعماري الدخيل، لتصبح نابعة من واقع هذا الشعب المسلم، وهذا يقتضي أن يعني في تكوين رجل القضاء بالجانب الشرعي.

ملاحظة: وينبغي الفصل بين السلطات الثلاث: التشريعية والقضائية والتنفيذية.

رابعا: الاعلام: لاشك أنه يشكل العمود الفقري في المجتمعات الحديثة ويمكن أن يطمس معالم شخصية الأمة كما يمكن أن يأخذ بيدها إلى العمل الجماعي المنسجم للبناء الحضاري الأصيل، وليقوم الإعلام برسالته العظيمة يجب أن تحقق الاهداف التالية:

أ - تحصينه من كل مادة إعلامية تثقيفية تستهدف طمس معالم شخصية الأمة أو تكوين الأنماط الاستهلاكية الغربية، وهو ماجعل الاغتراب الثقافي تكثر مظاهره في مجتمعنا.

ب - تمكينه من أداء الرسالة الاعلامية بكل حرية في إطار الضوابط الشرعية ليكون صادقا في أخباره المواطن بما يجري في وطنه وفي العالم ويكون رأيا عاما سليما مبنيا على الحقائق.

ج - اعتبار رسالة الاعلام مكملة لمختلف الإجهزة التي تربي وتعلم وتثقف لذا يجب أن تراعي أصالة الشعب في كل مادة تثقيفية تربوية تبث عن طريق أجهزة الاعلام والتبليغ الجماهيري.

د - كفالة حرية الرقابة والنقد لكل من يتولى الإشراف على مصلحة من مصالح الأمة مع توفير الحصانة القانونية لرجل الإعلام في حدود أداء رسالته ومهمته .

ملاحظة: وترشيد الإعلام يستلزم تشكيل هيئة متخصصة لرعاية الآداب العامة في البرامج.

خامسا: التربية: وهي في الحقيقة صياغة مستقبل الأمة لهذا يجب أن تحدد بدقة معالم الانسان الذي نريد بناءه، وهذه المعالم تنبثق من مقومات الأمة وأهدافها المرحلية والبعيدة، ونؤكد في صياغة المنظومة التربوية على مايلي:

أن اللغة العربية لتحل مكانتها اللائقة في بلد قدم أغلى التضحيات من أجل أصالته لتصبح هذه اللغة أداة للتفكير والتعبير والنشر والبحث والعمل في سائر المؤسسات، اللغة لاتنمو ولاتتطور في "المخابر المغلقة" التي تحنطها وإنما تنمو في الميدان عندما تكون أداة العمل اليومي، وهذا لايعني الانغلاق على الذات ولكن تدرس اللغة الاجنبية لتكون نافذة للإطلاع على مستجدات العلم وأحداث العالم المتحرك ، وينبغي كشف كل مؤامرة ارتداد عن هذا المبدأ الأصيل.

ب - غرس القيم الأخلاقية الاسلامية في نفوس النشء لإعداد رجال صالحين يتمتعون بأعلى الخبرات العملية يمكنون بها أمتهم من النهوض الحضاري وتحريرها من التبعية العملية والتكنولوجية للبلاد الغربية.

د - وضع حد لسياسة الاختلاط التي ورثناها من العهد الاستعماري خاصة بعد ماتبينت نتائجها الوخيمة على المستوى التربوي والأخلاقي والعلمي، وإنها لجريمة ترتكبها هذه السياسة في حق الجيل حينما نجعله ممزقا في شخصيتين ما نعمله نظريا ومانفرض عليه عمليا. وينبغي اعداد المعلمين إعدادا متكاملا عمليا وأخلاقيا وتربويا.

سادسا: مراجعة السياسة الثقافية لتصبح منسجمة من ثوابت الأمة وأصالتها الاسلامية: وإذا كانت الثقافة هي بصمات لكل أمة تميزها عن غيرها من الأمم فإنه من الجناية أن يشوه مفهوم الثقافة على بعض العناصر التي تشل طاقات الأمة وتحط من فعاليتها؛ ولعل أهم أداة للتثقيف المفيد الجاد هي الكتاب، لذا يجب توفيره وتشجيع مواهب التأليف وإمكانات النشر و "الشعب المثقف لايمكن أن يستعبد"

سابعا: الأسرة: إنها المكان الصالح الذي ينمو فيه الفرد وتنفتح شخصيته وتتفجر مواهبه، لذا يجب العناية بها ورعايتها وحمايتها من كل مايتهددها، ولعل أهم عامل في صيانتها هو حسن الإعداد والتربية لكل من الرجل والمرأة، ويجب أن ينص القانون على حق المرأة في التفرغ للمهمة التي تفرضها عليها فطرتها كمايجب على المجتمع أن يعتبر عملها التربوي عملا اجتماعيا تكافأ عليه ماديا وأدبيا.

وقانون الأسرة خطوة ايجابية لكن يبقى أبتر مالم يكن محروسا بالأحكام الشرعية المتعلقة بحماية النسل والعرض والأسرة، و،إهمال هذا الجانب من التشريع مضافا إليه الاختلاط والنقص في التربية والنوعية قد أدى إلى ظهور فئة محرومة من هذا المحضن، والحل إنما يكمن في ترشيد السياسة الاجتماعية ورسم خط سير للعناية بكل فئات المجتمع.

ثامنا: الحريات الاساسية: إن الامم لاتبني الحضارات إلا في ظل دول يسود فيها القانون الذي يضبط العلاقات بين مختلف المؤسسات والأفراد، والمواطن تتوثق عرى انتمائه إلى بلده إذا كان يشعر فيه بالأمن بحيث يستطيع أن يفكر ويعبر وينشر ويبحث ويعمل وينتقل بكل حرية مع مراعاة عقيدة الأمة.

إن سياسة الكبت والقهر والتسلط يعشش في ظلها النفاق والكيد، ويفوت الفرصة على الأمة أن تستفيد من

مساهمة كل أبنائها في بنائها، ولذا تؤكد على مايلي :

أ-ضمان الحريات العامة لكل المواطنين مع مراعاة مقدسات الأمة الدينية.

ب-ضمان حرية الدعوة ونشر تعاليم الإسلام وإصلاح المجتمع بكل وسائل النشر مع توفير الحصانة للأئمة والدعاة و لا أن يحاسبواعلى فعل أو قول لايحرمه الشرع.

ج-توفير حرية النقد والرأي لكل من يتولى الإشراف على مصلحة عامة دون التعرض لحياته الخاصة في حدود الأداب الشرعية.

د-حرية الإجتماع والتنظيم بما يتيح الفرصة لكل أبناء الأمة أن يشعروا بواجب حماية الحرية التي يتمتعون بها.

هذا وإن دعوى التخوف من الحريات بحجة عدم نضج الشعب باطلة لأن شعبنا قد صهر وحدته في أتون الجهاد والحرية يعتبرها الإسلام شقيقة الحياة، فلاحياة في ظل القهر والإستبداد.

تاسعا: لاشك أن الإقتصاد عصب الحياة وتتوقف عليه إلى حد بعيد حرية الشعوب وإستقلالها وبالتالي فعلى قدر إحتياجنا إلى الغير تكون تبعيتنا له، وعليه فإن من الضرورات الملحة أن تبني ثروة الأمة ويتحقق الإزدهار الإقتصادي والإكتفاء الذاتي على أن يضبط هذا الجانب بالضوابط الشرعية:

أ-فتح السبل الشرعية للكسب الحلال في التجارة والصناعة والزراعة.

ب-تشجيع الإستثمار الإقتصادي في القطاعات التي تسد إحتياجات الأمة وتوفر مناصب الشغل لتشغيل الطاقات التي تزخر بها البلاد.

ج-إعادة ثقة المواطن في الدولة ليطمئن على مستقبل رؤوس أمواله وثروته التي يبنيها بكد وعرق الجبين، وهذه الثقة تدفع المواطن إلى الإستثمار ويداول ثروته النقدية ويسعى دائما إلى إثراء الخزينة الوطنية ولايلجأ إلى البحث عن مخبأ أمن لماله خارج وطنه.

د-إعادة النظر في توزيع الأراضي الزراعية ومنحها لمن يخدمها، كما يجب إعادة الأراضي المأخوذة من أهلها الشرعيين في إطار الثورة الزراعية، وتصحيح الخطأ خير من التمادي على الباطل.

عاشرا: السياسة الخارجية: لاريب أنها انعكاس للنظام المتبع داخل البلاد لذلك يجب أن تخضع سياستنا الخارجية لمبادئ الاسلام وأخلاقه وتراعي فيها دوائر الانتماء فيكون تعاملنا مع العالم على أساس العدل مع الناس وعلى أساس الإحسان مع الأشقاء، ولايجوز بحال أن تكون دولتنا في سياستها الخارجية قمرا صناعيا يدور في فلك إحدى القوتين العظميين، بل عليها أن تراعي المصالح العليا لأمتنا وتناصر الحق على أي كان، وخاصة أن تتبنى قضايا العالم الاسلامي العادلة، ونشر الثقافة الإسلامية خارج الوطن" ويختم الشيخ أحمد سحنون رسالته المواجهة إلى الحزب الحاكم بتنبيه مناضليه "إنكم تقفون اليوم في لحظة الحسم فاستحضروا وقوفكم بين يدي الله وأمام محكمة التاريخ إنها لأمانة وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها"

وبعد عام من إنتفاضة خريف الغضب الجزائري لعام 1988، يصرح عباسي لأحد الصحفيين بأن "ماوقع في أكتوبر هو بداية أحداث لم تنته، لأن الأحداث مرتبطة بمبرراتها" هذه المبررات لخصها الشيخ عباسي مدني في تعطش الشعب لحريته ورغبته في استعادة سيادته ورد الاعتبار لنفسه "لشعب مسلم ذي ثقافة وذي حضارة وذي ثقافة وذي رسالة، وذي شخصية تعبر عن حقيقة وجوده، و يطمح إلى آفاق من الجهد الحضاري التاريخي الذي يعيده لمكانته، للصدارة في التاريخ، كما كان قبل الاستعمار الفرنسي"

ويضيف عباسي بأن "الظروف التي مربها في عهد الاستعمار والتي أعقبت خروجه الشكلي، هي التي جعلته ينطلق من جديد في ثورة قد تكون متوجة لثورة نوفمبر تنتهي إلى تغيير شامل لكل الأوضاع السياسية والاقتصادية والثقافية، إن مجموعة الآلام التي عانى منها شعبنا منذ بداية الغزو الفرنسي إلى اليوم تمخضت عن إرهاصات ما قبل نوفمبر ومابعده. انها حلقة من سلسلة جهاد هذا الشعب. هذه السلسلة تتضمن آمال شعبنا في أن يجد مخرجا من الحلقة المفرغة التي وجد نفسه فيها من جديد في هذه العهود، والتي هي حلقة التخلف والتبعية، إذن، فنحن نعتبرها ثورة وليست مجرد انتفاضة، وتتوقع استمرارا وليست مجرد احداث عابرة، وهي نتيجة تأزم في كل المستويات المحلية والعالمية، والتاريخية والحضارية، وهي نتيجة وعي وليست مجرد رد فعل عشوائي عادي، فكما عرف شعبنا بأنه لايزال ذلك البطل، مهما اختلفت المعارك، ومهما اختلفت وسائل القمع، ومهما اختلفت مستجدات التاريخ"



الطريق الى الحصار

13 - الطريق الى الحصار

حركة النهضة: ليس خائنا من لا يتبنى الاضراب

الصحافة الوطنية في قفص الإتهام

هل تآمر النظام والفيس على الفيس؟

الآخرون والحصار

3 - الطريق الى الحصار

الخميس 24 ماي 1991، كنت في عطلة إضطرارية، لم أتصل بالجريدة، ولم يكن لي في صبيحته أي اتصال بالعالم الخارجي، كنت منهمكا في عمل نظري، غالقا على نفسي الحجرة.. ومنتظرا بعد ذلك بساعات أحد الزملاء الذي كان سينزل علي ضيفا.. وبين الفينة والأخرى كنت أردد هل سيفعلها عباسي، ويحقق ما هدد به، الإضراب السياسي غير المحدود؛؛ بعد الغذاء أعدت أوراقي إلى أدراجها واستقبلت الزميل الضيف الذي كان هوالآخرقد انتهى من نشركتابه الأول عن وضع الإعلام وإشكالاته الفنية والنظرية، ثم ضعنا إلى ساعة متأخرة من الليل في نقاش طويل ومتشعب تخللته السجائر وفناجين القهوة الثقيلة.. وفي غمرة هذا النقاش لم نلتفت إلى الزمن، فلم نتابع أخبارنشرة الثامنة.. فانتظرنا النشرة الأخيرة بترقب شديد.. وكان مقدمها يومذاك الصحفي التيجاني مريمش فافتتحها بمشكل البطاطافي مدينة معسكر، وكان الروبرتاج الاخباري يتناول المشاكل التقنية لزراعة البطاطا، فانفجرنا ضاحكين.. تلفزتنا يرحمها الله، هي، هي.. سواء كان ذلك في زمن الحزب الواحد، أو زمن التعددية الحزبية.. وبعد ذلك.. أووف! هاهو يعلن .. الفيس يعلن رسميا أن شرارة الإضراب السياسي المفتوح ستكون ابتداء من يوم السبت 25 ماي 1991، فعلق ضيفي، فعلها، ورددت أنا نفس الشيء، ثم تساءل، هل ستتبعه الجماهير؟

وهل سينجح؟ ثم تركنا التساؤل معلقا..

وفي الغد، صباحا خرجت إلى سوق الفواكه والخضر (زنقة العرب ببوفاريك) أجس النبض، ووجدت نفسي دون أن أدري في عمل صحفي، في بعض المساجد كانت الدروس مركزة حول الإضراب السياسي وضرورة دعمه، فبدون هذا الإضراب ستكون الإنتخابات التشريعية -هكذا كان يردد الأئمة- مجرد لعبة فصل خيوطها النظام بدقة، تعبد الطريق نحو الحزب الحاكم في مجال تدعيم مراكزه، وتثبيت سلطته، ونجد أنفسنا في نهاية المطاف نجتر نفس السيناريو الذي جرب في القاهرة، والرباط وتونس..

على جدران بعض المحلات والمساجد علق هذا المنشور: بسم الله الرحمن الرحيم.. الجبهة الإسلامية للإنقاذ...

* **لماذا نريد إنتخابات رئاسية مسبقة؟**

* المجلس الشعبي الوطني مع الحاكم في السلم وفي الحرب

- انظر المادة 91 من الدستور

«يوقع لرئيس الجمهورية إتفاقيات الهدنة ومعاهدات السلم، ويتلقى رأي المجلس الدستوري في الإتفاقيات المتعلقةبهما. ويعرضها فورا على المجلس الشعبي الوطني ليوافق عليها صراحة»

*مافائدة برلمان بقبضة يد السلطان

- انظرالمادة 120 من الدستور

«يمكن لرئيس الجمهورية أن يقرر حل المجلس الشعبي الوطني، أو إجراء إنتخابات تشريعية قبل أوانها، بعد استشارة رئيس المجلس الشعبي الوطني ورئيس الحكومة وتجري هذه الإنتخابات في أجل أقصاه ثلاثة أشهر»

* البرلمان يشرع والرئيس يرفض

- انظر المادة 118 من الدستور.

«يمكن لرئيس الجمهورية أن يطلب من المجلس الشعبي الوطني إجراء مداولة ثانية في قانون تم التصويت عليه، ويكون هذا الطلب خلال الثلاثين يوما الموالية لتاريخ إقراره وفي هذه الحالة لا يتم إقرارالقانون إلا بأغلبية ثلثي أعضاء المجلس الشعبي الوطني»

* قال فرعون سابقا أنا ربكم الأعلى

- انظر المادة 74 من الدستور

«يضطلع رئيس الجمهورية بالإضافة إلى السلطات التي تخولها إياه صراحة أحكام أخرى في الدستور، بالسلطات والصلاحيات الآتية:

1)- هو القائد الأعلى لجميع القوات المسلحة للجمهورية

2)- يعين رئيس الحكومة وينهي مهامه

3)- له حق إصدارالعفو وحق تخفيض العقوبات أو استبدالها »

* حل المجلس الشعبي الوطني بيد السلطان لا بيد الشعب

- انظر المادة 78 من الدستور

« إذا لم تحصل من جديد موافقة المجلس الشعبي الوطني ينحل وجوبا وتجري إنتخابات تشريعية جديدة في أجل أقصاه ثلاثة أشهر »

* هل سمعت أن السلطان فوق القانون؟

- انظر المادة 123 من الدستور

« المعاهدات التي يصادق عليها رئيس الجمهورية، حسب الشروط المنصوص عليها في الدستور، تسمو على القانون»

* من أجل إزالة الظلم على الشعب، لابد من الإضراب

الإمضاء: لجنة الإعلام لولاية العاصمة

عبد الله والآخرون

عبد الله، 30 سنة، يلبس الشنغهاي، له سحنة داكنة، أشعث، تاجر خضر، لا يلقي بالا عندما ينفجر متكلما لمحدثه، عندما سألته عن إنطباعه على ما سيقدم عليه الفيس غدا، أجابني قبل أن أتم سؤالي..

« شوف ياخوي.. أنا كنت واحد من اللي فوطاو على الفيس في الإنتخابات البلدية، رغم أنه كانت لدي بطاقة حزب جبهة التحرير.. لكن الله غالب.. ما كانش كيما كنت أظن.. دخلوه هو الآخر، الإنتهازيين والسراقين.. وهذاالإضراب اللي أعلن عليه.. هوحيلة.. حيلة للقضاء على الإسلام.. »

عبد الله البوفاريكي يعتقد أن الإسلاميين بمجرد ما رضوا أن يكونوا حزبا، ويجعلوا الإسلام مرادفا لحزب ولسلوكات مناضلي الفيس، يكونون بذلك قد دخلوا معركة خاسرة منذ البداية.. بل هو يذهب أبعد من ذلك، بعد ما لاحظه من تدهور وانهيار لسمعة الإسلاميين بعد عجز الفيس في تسيير شؤون البلديات وعندما عقبت على ملاحظاته هذه.. «لكن الفيس يقول أنه وجد البلديات في وضعية أكثر من وضعية الأراضي المحروقة التي تسلمتها الجزائر بعد 1962.. وأنت تعرف أنه بدون وسائل لايمكن تسيير أي شيء وإن صلحت النية وخلص

العمل »

لكن عبد الله، ظل مصرا على رأيه، معتقدا أن هذا لا يشكل إلا وجها من وجوه المشكلة، ففي نظره أن الفيس لم يكن حزبا منضبطا بالدرجة الكافية التي تمليها عليه المبادىء الإسلامية، فسمح لكل الوصوليين والإنتهازيين من التسرب الى أعلى مراكزه.. ووضع بين أيديهم مقاليد الأمور.. وعندما وجد نفسه اليوم غارقا حتى الذقن في ركام من المشاكل حاول أن يقوم بخطوة مجهولة نحو الأمام.. و"هذا في رأيي-يقول لي عبد الله-تملص من المسؤولية، وهروب إلى الأمام..!! » ويضيف عبد الله أن الفيس بسلوكه هذا، يساهم في لعبة تدمير الذات، أعدها له نظام حزب جبهة التحرير..

أما ص ش، أستاذ بإحدى ثانويات مدينة بوفاريك (تبعد عن العاصمة الجزائر ب 30 كلم) وفي نفس الوقت صاحب محل متواضع لبيع الجرائد، فهو الآخر أبدى لي تحفظه الغامض من «المغامرة»التي أقبل عليها الفيس..

ص، ش، شاب وسيم، لا يتجاوزالسادسة والعشرين، يرتدي الزي العصري، لديه شنب ظريف، ولحية غير مكتملة.. يشير بيديه وحركات عينيه المكحلتين أكثر مما يتكلم.. تعرف على الحركة الإسلامية منذ تسع سنوات تقريبا.. إكتشفها من خلال أخ له كان يمده بكتابات الشيخ محمد الغزالي الذي أثر فيه أيما تأثير، وكان أول كتاب شده إليه « قذائف الحق» ثم بعد ذلك نهم كل أعمال الغزالي الدينية والفكرية، وقادته هذه الأعمال بعد سنوات قلائل إلى اكتشاف «أعمال عملاقة لعمالقة الفكرالديني المعاصر» مثل «أبو الأعلى المودودي، وحسن البنا، وسيد قطب، ومحمد قطب»

وبعد هذا الإهتمام العام الحر، والقراءات شبه الموجهة للشباب، ص، ش، جاءت المرحلة الثانية من نشاطه الديني، لقد حان آوان الإنتقال من مرحلة العفوية إلى العمل المنظم،، وهكذا كان تعرفه على عالم الجماعة.. ووجد نفسه مناضلا ضمن حركة الإخوان المسلمين في الجزائر، فعرف السرية وتربى على مبادئها وأفكارها وسلوكاتها.. وهو اليوم عضو نشيط داخل حركة حماس (حركة المجتمع الإسلامي - ذات الإتجاه الإخواني، ويتزعمها الشيخ محفوظ نحناح) يحس ببعض الصعوبة في مجال التلاؤم مع واقع العلنية والتعددية الحزبية..

يصارحني ص، ش أنه لم يكن في أعماقه متحمسا لدخول العلنية في مثل هذه الظروف « فنحن لسنا محضرين لها بالمستوى الكافي.. ولسنا متمكنين من السيطرة على أهم ما يجري وراء الكواليس.. فالأموزليست جلية إلى حد الآن على المستوى السياسي، والحركة الإسلامية كان عليها أن لا تتسرع إلى الدخول إلى ميدان الصراع السياسي العلني.. كان عليها أن تنتظر، وتعمق عملها وتمنهجه في ظل السرية.. لكن ما حدث قد حدث، وعلينا أن نتحمل مسؤولياتنا رغم كل ذلك... وأول هذه المسؤوليات أن نتجنب الصراع العقيم مع السلطة، وأن نهجر ميدان المعارك الخاسرة منذ بدايتها » يجب أن نعتبر من التاريخ، تاريخ اخواننا، فالمؤمن لا يلدغ من جحر مرتين، وماهم مقبلون عليه اخواننا في جبهة الإنقاذ، هو أمر خطير، ليس عليهم كحزب سياسي وحسب، بل على مستقبل كل الحركة الإسلامية في الجزائر، وفي منطقة المغرب العربي الإسلامي،، حقا أنه يوجد

بعض الإجحاف في قانون الإنتخابات التشريعية، لكن ذلك يحل بالحوار، وبالحوار وحده مادامت إمكانيات هذا الحوار لم تستنفذ بعد.. لذا أرجو من إخواننا في جبهة الإنقاذ أن يحكموا العقل بدل العاطفة، لأن هذه الأخيرة لم نجن منها إلا ثمار الخيبة والفشل المرة.. »

زين الدين هني، هو الآخر في العشرينات من عمره، متخرج من معهد الإقتصاد، لكنه إلى حد الآن فشل في الحصول على وظيفة.. ومع ذلك فقد ابتسم له الحظ، وأي حظ، عندما وجد «عملا» في مطعم والده، الشعبي..

زين الدين مع الإضراب، قلبا و قالبا كما يقولون.. طبعا إنه كأي متخرج جامعي لا يحب الصخب الجماهيري، لذا لم يكن من أولئك الجنود المغمورين الذين كانوا كل يوم يقطعون أشواطا خيالية في تلك المسيرات الضخمة التي هزت الجزائر.. بل كان من آولئك الذين يفضلون الصراع على ميدان آخر، ميدان الكتابة الصحفية.. وكانت مقالاته التي كان لها حظ الظهور إلى النور، كلها حملات ساخنة ودون التواء أو تفلسف ضد حكومة حمروش، وضد حركة حماس وشيخها محفوظ نحناح، لقد كان زين الدين هو أول من فجر ذلك الجدل الذي عرفته أسبوعية «المسار المغاربي» بين أنصار وخصوم الشيخ نحناح.

زين الدين، هو الآخر، كان قد تربى في بداية الثمانينات ضمن جماعة الإخوان وكان الشيخ محفوظ نحناح، أستاذه الروحي، ومثله الأعلى.. لكنه سرعان ما اكتشف، خاصة بعد ظهور الفيس «هشاشة الشيخ السياسية..» حيث رضي لنفسه أن «يكون في خدمة السلطة» ومعرقلا-يعتقد زين الدين - للمشروع الإسلامي في الجزائر.

زين الدين، يؤمن وبقوة أن الإضراب هو الحل، هو الإمكانية الوحيدة والحقيقية لتجاوز الأزمة السياسية، المتمثلة في عدم مشروعية النظام الحاكم بالسير بالإنتخابات إلى درجاتها القصوى..

السبت 25 ماي

استيقظت على الساعة السابعة والنصف صباحا، تناولت الفطور وخرجت.. حركة لكنها شبه خجولة تدب في سوق زنقة العرب ببوفاريك.. بعض المحلات الخاصة موصدة أبوابها، البلدية في حالة إضراب.. توجهت نحو محطة الحافلات فلاحظت أن الناس ينتظرون لكن دون أن يبدوعليهم شديد قلق.. وسير حركة الحافلات العامة والخاصة كان عاديا تقريبا.. بعد ذلك خطوت نحو محطة سيارات الأجرة. المتوجهة من بوفاريك إلى العاصمة فكان عدد ليس كالعادة، «هل هم في إضراب تساءلت.. فأجابني أحد السائقين «البعض منهم فضل أن يتضامن مع الفيس..»

بعد انتظار دام أكثر من نصف ساعة، أخذت سيارة الأجرة، وكان رفقتي بعض مناضلي الفيس الذين كانوا متوجهين إلى ساحة الشهداء، حيث كانت أحد مراكزتجمعات المضربين.. سيارة الأجرة تحولت إلى منبر، صب من عليه أولئك المناضلون جام غضبهم على النظام، وبشكل خاص على رئيس الجمهورية، الذي اعتبروه منافقا،

ومخادعا كبيرا، وعدوا لدودا للحل الإسلامي.. لكنهم رغم غضبهم المزمجركانوا مفعمين بأمل سقوط رئيس الجمهورية في أيام معدودات، وبالأمل القريب في ميلاد الدولة الإسلامية التي تهز ليس العالم الإسلامي فقط بل العالم بأسره.

سألت أحدهم .. «لكن هل الفيس فعلا، مهيئا للذهاب إلى أقصى حد دون أن يتسبب في جلب الكارثة؟»

أزعجهم تساؤلي بعض الشيء، واعتبره أحدهم غريبا، ثم قال: «بإذن الله سترى، كيف يطير شايب الرأس (يقصد رئيس الجمهورية) ويتحقق الحل الإسلامي.. وكل هذا ستراه بأم عينيك في غضون الأيام المقبلة إن شاء الله» وهز صاحب سيارة الأجرة رأسه موافقا، "لقد كرهنا هذا النظام الخائن.. كل شيء إرتفع، وكل شيء أصبح تحت رحمة التهريب..»

نزلت أمام المحطة الرئيسية للحافلات، ثم شرعت أجوب الشوارع، إنتقلت إلى ساحة أول ماي، الحركة غير عادية، لكن لا تدل على إضراب شامل بمفهومه الكلاسيكي، معظم المحلات التجارية الهامة مفتوحة.. المقاهي أيضا.. بعض الدكاكين الخاصة كانت موصدة وعلى أبوابها إشارات توحي أنها في حالة إضراب.. محطة ساحة أول ماي للحافلات المتوجهة نحو أحياء العاصمة هي الأخرى لم تدخل الإضراب.. أمام باب دارالصحافة المستقلة الموجودة بتلك الجهة (ساحة أول ماي) التقيت ببعض الصحفيين، هم الآخرون، لم يأخذوا ما نادى به الفيس مهددا محمل الجدية.. بل كان هذا البعض معتقدا أعمق الإعتقاد، أن هذا الإضراب فشل منذ اللحظة التي وردت فيها الفكرة على قادة الفيس.. بل اعتبروا ذلك بداية النهاية لحزب غرر به، وهوس الجنون بداء عظمة كاذبة وخادعة.. لم نستطع أن نواصل نقاشنا.. لقد قلت لهم، "ما هذه إلا اللحظات الأولى من عمر إضراب مفتوح، ومجهول الغد.. على الأقل يجب أن تتريثوا.. وتنتظروا ما سيسفر عنه آخر يوم للإضراب..» لكنهم اعتبروا كلامي غير واقعي، وفيه الكثير من سوء التقدير لوزن الفيس .. فالفيس في نظرهم انتهى أو هو على باب النهاية، وكان ذلك بدأ منذ أيام حرب الخليج.. لم أقاسمهم تفاؤلهم.. وغادرت هؤلاء الصحفيين الذين أبوا الإنتقال معي إلى ساحة الشهداء.. في الطريق ومن ساحة أول ماي إلى ساحة الشهداء لاحظت مجموعات صغيرة من الشباب، لكنها كثيفة.. تذرع الشوارع وتنشد مختلف الأناشيد الدينية والشعارات السياسية الداعية للجهاد من أجل دولة إسلامية، والمحرضة على إسقاط النظام..

ساحة الشهداء، أحد مراكزاعتصام مناضلي الفيس، تقع محاذية للبحر، وقريبة في نفس الوقت من المديرية العامة للأمن، ومن أكبر جيوب الفيس: باب الواد، والقصبة.. فهذان الأخيران حيان شعبيان، لديهما ماضيهما الزاخر في الفن الشعبي، وفي العمل الفدائي إبان الإستعمارالفرنسي، واليوم يشكلان إحدى قلاع حزب عباسي مدني وعلي بن حاج، ففي باب الواد يوجد مسجد السنة الذي انطلق منه نشاط علي بن حاج، وفيما يعد نشاط حزبه..

هذان الحيان يجسدان بعمق الهوية الإجتماعية الكبرى التي تشكل الفيس، وعلى أساسها يتشكل خطابه

الثوري كذلك..

الجماعات بدأت تتوافد على الساحة منذ الصبيحة... بدأت بالتمركز، وشرع عددها بالتزايد.. الشعارات واليافطات والرايات تزركش الساحة... مكبر الصوت يجعل من آيات القرآن امتدادا لا حد له، الساحة تحولت إلى مسجد مفتوح جماهيري.. لا ترى إلا أزياء متعددة ومتنافرة في بعض الوقت.. من الزي الوهابي إلى الزي الشيعي..

تعليمات يحملها مكبر الصوت تحذر الإخوة من استعمال أي عنف حتى وإن كان ذلك دفاعا عن النفس.. أو ردا على استفزاز..

بعد صلاة العصر يأخذ الشيخ عباسي مدني الكلمة.. كان مضطربا نوعا ما، ويسود عينيه بعض القلق الغامض.. نظراته كانت سريعة ومتقطعة.. وبأسلوبه المعهود المعتمد على كلمات ممدودة وممططة وضع نقطة نصب عينيه، وركز عليها كل جهده في إذاعة خطابه.. «لابد للشاذلي بن جديد أن يرحل»، واستمرالخطاب العاري والمباشر ضد السلطة تحت تهليلات «الله أكبر» »

وبعد ساعة تقريبا من التهليل، ومن النداء برحيل رئيس الجمهورية.. رجا الشيخ عباسي الجمع الذي كان يقدربحوالي عشرين ألفا بالإنصراف إلى أحيائهم، ليلتقوا غدا صباحا بنفس المكان..

وتفرق الجمع من أجل أن يجتمع ويشكل مجموعات من المتظاهرين. وهذه المرة اختار المتظاهرون الشوارع الضيقة، أي تلك التي تخص التجمعات السكانية والمحلات التجارية والمدارس والمعاهد.. إنه تكتيك ذكي اعتمده الشيخ عباسي من أجل الدعوة إلى المشاركة في الإضراب.. وفي نفس الوقت هو شكل من أشكال التحضير النفسي للسير بالإضراب إلى أقصى حد زمنيا.. وقد أظهر هذا التكتيك نجاعته منذ لحظة تطبيقه لقد كانت نهاية أول يوم من الإضراب أكثر قوة من بدايتها.. وجعلت الرهان مفتوحا على إمكانية توسع رقعة الإضراب وقدرة انتشاره... وفي نفس اليوم تنشر النقابة الإسلامية للعمل (تابعة للفيس) هذا النداء

أيها العمال... أيها التجار..

إن الإضراب السياسي إذ يحقق المقاصد السياسية الإسلامية، فإنه أيضا يحقق المقاصد العمالية من رفع الأجور وتحسين ظروف العمال وحماية القدرة الشرائية وذلك بعد إقامة النظام الإسلامي الذي يثبت أركان العدالة الإجتماعية..

أيها العمال.. أيها التجار..

احذروا الوقوع في مكائد المتبلين والمغرضين وتضييع مصالح البلاد ومصالحكم، وتعرضون مستقبل أولادكم للخطر.

إن هذا الإضراب وسيلة لوضع حد نهائي لنظام متعفن ضيع ثروات البلاد ويسعى لتضييع إستقلالها [illegible]

لأعداء الإسلام.

فخذوا حذركم واستعدوا لموعد الفصل والفرقان حيث يعلو الحق ويزهق الباطل.

قال تعالى: « إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم »

جبهة التحرير والفيس : نقاش مفتوح

في اليوم الثاني من إضراب الفيس، أي في 26 ماي 1991 المكتب السياسي لحزب جبهة التحرير الوطني يتوجه برسالة مفتوحة لمجلس الشورى للفيس، جاء فيها ما يلي:

«في الوقت الذي يتتبع فيه العالم العربي والإسلامي وكثير من بلدان العالم تجربة الجزائر في مسارها الديمقراطي الذي يتسم بالجدية والنزاهة وروح المسؤولية.

وفي الوقت الذي يستعد فيه الشعب الجزائري للإنتخابات التشريعية التي طلبتم تقديمها عن موعدها القانوني، ليقطع بهذا مرحلة أخرى في طريق الخروج من نظام الحزب الواحد.

وفي الوقت الذي بدأت تظهر فيه إمكانيات التغلب على الصعوبات الإقتصادية التي عرفتها البلاد.

في هذا الوقت بالذات تصدر عن الجبهة الإسلامية للإنقاذ دعوة لإضراب عام غيرمحدود طابعه سياسي وأهدافه المعلنة ينجم عنها ضرب الإستقرار في البلاد والإطاحة بالمؤسسات الشرعية للدولة. وقد صاحبت هذه الدعوة خطبا ألقيت في المساجد امتازت بالإثارة والتطرف وتهيئة الأذهان للعنف.

ونحن نعتقد أن هذه المواقف لاتفيد البلاد ولا تساعد على الإنتقال السليم إلى نظام ديمقراطي ولا تعطي الصورة التي يحب المسلمون أن يأخذها غيرهم عن الإسلام وعلمائه. ولهذا نتوجه إليكم بالدعوة الأخوية للعدول عن الإضراب والمطالب التعجيزية المتطرفة التي رافقته، والعمل على إقرار الطمأنينة في نفوس المواطنين، والمساهمة في دعوتهم للمشاركة بكل حرية في الإنتخابات التشريعية المقبلة» الى السلوك. وبتاريخ 1 جوان يأتي الرد من الفيس على رسالة جبهة التحريرفي شكل رسالة مفتوحة، ومما جاء في الرسالة مايلي:

«في خضم هذه الأحداث التي تمر بها البلاد طلع المكتب السياسي لجبهة التحرير الوطني برسالة مفتوحة لعملية مفضوحة تعبر عن مدى غيابهم عن الساحة الميدانية والحركة الشعبية للإطاحة بالنظام الجائرالمنحرف عن خط جبهة التحرير الأصيلة، ومن هنا يحق لنا أن نسأل أين أنت ياجبهة التحرير والمبادىء النابعة من الإسلام.

إلا أن رسالتها دلت دلالة قاطعة على أنها آلت إلى «حزب» الحاكم أعجزحتى من حزب عادي باستطاعته أن يقوّم سياسة الرئيس في مؤتمر إستثنائي ويسحب الثقة منه حتى لا تكون سياسته المعوجة على حساب هذه الهيئة التي رشحته. وكأن جبهة التحريرالوطني فقدت كل فعاليتها السياسية وعناصرها الناضجة الحكيمة التي أفرزتها ثورة أول نوفمبر المجيدة فآل أمرها إلى محتكري السلطة ومنتهزي سمعتها التاريخية. إلا أن الملاحظ أن هذه الثلة قد همشت عن مكرحتى أخلي المجال إلى المنتهزين وصارت جبهة التحرير تمثل الحكم القائم بكل مساوئه

وتدافع عما يقترفه من جرائم في حق الشعب الجزائري المسلم»

وقد تطور هذا النقاش بين الجبهتين إلى نوع من الجدال حيث أثارت رسالة الفيس هي الأخرى بدورها ردود أفعال من جبهة التحرير عبر عنها أمينها العام السيد عبد الحميد مهري في شكل ثلاث ملاحظات حول جواب السيد عباسي مدني.

الملاحظة الأولى: أن السيد عباسي مدني لا يجيب على الموضوع الذي طرحه المكتب السياسي وهو « هل من مصلحة البلاد والشعب الدعوة في هذه الظروف لإضراب سياسي عام ولأجل غير محدود ؟ »

ولكنه يشرح بدلا عن ذلك، وبعد فشل الإضراب، كيف ينظر هو لجبهة التحرير الوطني ثم يصدر كعادته أحكامه القاطعة معززة بآية قرآنية سواء كانت قريبة من الموضوع أو بعيدة عنه.

الملاحظة الثانية

إن السيد عباسي مدني يأسف لأن جبهة التحرير عاجزة عن عقد مؤتمر استثنائي لسحب الثقة من رئيسها كما يرغب هو في ذلك، ولكنه ينسى أن جبهة الإنقاذ لم تعقد لحد الآن حتى مؤتمرها التأسيسي.

إن جبهة التحرير الوطني عقدت وتعقد مؤتمراتها بحضور الصحافة الوطنية والأجنبية وتناولت بالنقد الصريح أخطاءنا ونقائصنا. واللجنة المركزية لجبهة التحريرالوطني عقدت دورتها التي ناقشت القضايا الوطنية الهامة بحضور رجال الصحافة، فهل يستطيع مجلس الشورى للجبهة الإسلامية للإنقاذ أن يعقد دورة علنية تحضرها الصحافة الوطنية لمناقشة قضية الإضراب وتحويله تدريجيا إلى عصيان مدني بكل ما يجره على البلاد من مضار مادية وأدبية لايعلم إلا الله مداها ؟.

الملاحظة الثالثة: إن السيد عباسي مدني يشير إلى أن جبهة التحرير فقدت عناصرها الناضجة الحكيمة التي أفرزتها ثورة نوفمبر بما يفهم منه بأن هذه العناصر الناضجة هي الآن بجانبه وفي سياق دعوته، فهل يستطيع أن يثبت بأن هذه العناصر، التي همشت عن مكر، كما يقول، تؤيد دعوة الشعب إلى الإنتحار الجماعي أي إلى الإضراب السياسي والعصيان المدني ؟.

ويختم الأمين العام لجبهة التحريرالوطني ملاحظاته هذه بدعوة الفيس «الأخوية للعدول عن كل الممارسات التي تعيق المسارالديمقراطي وتحول دون تعبيرالشعب عن رغائبه وتطلعاته الحقيقية بكل حرية وفي كنف الأمن والإستقرار»

حركة النهضة: ليس خائنا من لايتبنى الإضراب.

بالنسبة للشيخ جاب الله زعيم حزب النهضة الإسلامية فلقد اعتبر أن حركته تجد نفسها «مضطرة أمام دعايات بعض قيادات الجبهة الإسلامية وانتقاداتهم لموقفها من الإضراب على مستوى الولايات أن تصدر هذا البيان الموضح لحقيقة موقفها وأسبابه».

يضيف البيان بأن النهضة تفرق بين الموقف من المطالب والموقف من الوسيلة المتبعة لتحقيقها وأن موقف

النهضة الأخيرليس من المطالب «فهذه نراها مشروعة ونعتبر أنفسنا أول من دعا إلى ما هو أشمل منها منذ زمن طويل، وهو الإضراب الشامل المفتوح كوسيلة لتحقيق الأهداف» ثم يشير البيان إلى أن موقف النهضة المبدئي من هذه الوسيلة هو الحياد، «ومعناه أننا لا نؤيد ولا نعارض، وهذا يعتبر في نظر العلماء والعقلاء نوعا من أنواع التأييد ويسمى التأييد بالفعل السلبي، وأسباب هذا الموقف في نظر زعيم النهضة متعددة منها:

1) إننالسنا من المقتنعين بضرورته وفعاليته.

2) نعتبر الإضراب المفتوح قد يفضي إلى العصيان المدني وهذا في اعتقادنا مشروط بشروط أساسية منها:

أ) استنفاذ الوسائل السلمية، ونعتقد أننا لم نستنفذهاوفي إمكاننا أن نصبح بإذن الله لو استجابوا لرأينا في توحيد الموقف في الإنتخابات أو في دخول كل طرف في الدوائر التي يغلب على ظنه النجاح فيها.

3) إننا لم نستشر في الموضوع على الإطلاق على الرغم من أن آثاره متعدية وأن القضايا ذات الآثارالمتعدية يجب التشاور فيها، وقد طرحنا هذا ودعونا إليه مرارا ولما حاولنا معرفة الموضوع في بعض لقاءات الرابطة وطلبنا اقناعنا بموقفهم رفضوا ذلك.

4) لقد قالوا بأنهم لاحاجة بهم لغيرهم ونعتوا أنفسهم بالفيل وبالصحراء وغيرهم بالنملة وبحبة الرمل في الصحراء لاقيمة لها تذكر.

5) إن الإضراب وسيلة من الوسائل التي تعتمدها التنظيمات والأحزاب والهيئات لتحقيق أهداف عجزت عن تحقيقها بالوسائل الأخرى، والوسيلة تتحكم فيها المصلحة وحكمها يدور مع النتائج التي تحققها والأهداف التي تسعى إليها، ومن ثم فاعتماده هذه الوسيلة وتبنيها والسير فيها لاعلاقة له بموضوع الولاء والبراء، الذي هو من أهم مواضيع العقيدة وإنما شأنها كشأن التجمع والمسيرة والبيان والمحاضرة إلخ.. تتحكم فيها المصالح ليس إلا، فمن الخطأ الكبير بل من الإنزلاق الخطير إعتبار من لا يتبنى الإضراب منافقا أو خائنا أو عميلا، إن مثل هذه الأحكام لا تصدر، إلا عن جاهل أو حاقد»

الباكس: الإضراب زحف مخاتل نحو استلام السلطة.

في بيان له، صادر بتاريخ 31 ماي 1991، يرى المكتب السياسي للباكس (حزب الطليعة الإشتراكية)" أن الوضع خطير. منذ الإستقلال لم تعرف بلادنا خطرا مثل الخطر الذي يتهددها اليوم. فبعد أن داس قوانين الجمهورية، وخرق يوميا الحريات الفردية والجماعية، واعتدى على المواطنين وأهان رموزنا الوطنية وأرواح الشهداء، ها هو الفيس اليوم يسعى مع أحزاب استبدادية توتاليتارية أخرى، إلى إجتياز خطوة جديدة وأخيرة، إنهم يريدون الإستيلاء على السلطة بأكملها وحالا. هذا هو ما تهدف إليه حملة زعزعة البلاد التي بدأها الفيس منذ أسبوع» ويضيف البيان بأن الهدف « المعلن صراحة هو فرض ما يسميه دولة إسلامية» بكل الوسائل بما فيها الإرهاب والإكراه، وهذا باستخدام الإسلام بشكل فظ من أجل تغليط شعبنا » ويشير البيان إلى أن

تضحيات الشعب الجزائري من أجل "تحريرنفسه، لا يمكن أن تجعل من هذا الشعب يقبل العودة إلى الوراء.

«فنساء ورجال بلادنا الذين أعطوا الشيء الكثير، منذ 30 سنة لبناء البلاد لايمكن أن يقبلوا بتسليمها لقوى الدمار والإستبداد.. إن العمال والإطارات والطلبة والصناعيين والتجار والفئات الإجتماعية الأخرى الذين ينتجون الخيرات الوطنية والذين صمدوا بشجاعة للإضراب الذي حاول الفيس فرضه بالقوة، قد برهنوا على إرادتهم في التصدي للقوى الظلامية ووضع المصلحة الوطنية فوق كل اعتبار» ويؤكد البيان بأن الدعوة إلى الإضراب العام «ليست سوى وجه من الحملة العامة والمتنوعة لزعزعة البلاد التي يقوم بها الفيس، هذا الحزب، الذي تسنده وتعاضده القوى الإستبدادية الأخرى يقوم في الميدان بتطبيق خطة «عصيان مدني» هدفه شل دواليب الدولة ومؤسساتها وتشويش ونشرالفوضى شيئا فشيئا في الإنتاج وكل الحياة الإقتصادية والإجتماعية وضرب معنويات المواطنين، والزحف بشكل مخاتل نحو استلام السلطة»

ولذا يرى الباكس أنه «يجب على الوطن أن يهب بأكمله ليتصدى لهذه الخطة الشيطانية» ويضيف قائلا أن «نعمل كلنا في كنف الوحدة من أجل سد الطريق في وجه هذه الأغراض المعادية للوطن» إن بلادنا، يشير بيان الباكس «يجب أن تتقدم لا أن تتأخر، يجب أن نشق معا الطريق نحو المستقبل، طريق التنمية الإقتصادية والإجتماعية، وامتلاك العلوم والتكنولوجيا، والإزدهار الثقافي. وهذا يتطلب بالضرورة تعميق المسار الديمقراطي والدفاع عن دستور فيفري 89». وفي نهاية بيانه يرى المكتب السياسي للباكس «أن حماية الوطن ومستقبله الديمقراطي والعصري يحتم تطبيق كل الإجراءات والامكانيات التي يوفرها الدستور. والأمريتعلق أيضا بمصير كل المغرب العربي الذي يرتبط بمصير شعبنا. وهو يزيد من ثقل مسؤوليتنا التاريخية».

الصحافة الوطنية في قفص الإتهام؟!

عدد من الصحفيين تعرضوا خلال أيام الإضراب السياسي إلى المضايقات.. مقراتهم بساحة أول ماي هي الأخرى لم تنج من غضب المتظاهرين.. مسيرة ضخمة حالت دون وصولها إلى مقر التلفزة الوطنية كتائب مدججة بالسلاح من الرجال الزرق.. الشعارات التي رفعت خلال أيام الإضراب السياسي، اتسمت بخطاب عنيف تجاه الصحافة، المرئية منها والمسموعة والمكتوبة حيث وصفتها "بصحافة البطون" ونعتت التلفزة الوطنية، ب CNN، وباليهودية، والشيوعية، والصليبية، لماذا كان هذا الموقف الحاد من قادة الفيس ومناضليهم تجاه رجال الصحافة.. ألأنها كانت منحازة بصورة قوية للنظام، أم لأنها حاولت أن تكون موضوعية في نقلها لوقائع الإضراب. والتعليق عليه؟!

قد نجد الإجابة على ذلك في عرضنا للكيفية التي تعاملت بها الصحافة الوطنية مع الإضراب السياسي، خاصة في أيامه الأولى..

بتاريخ 27 ماي، تتساءل «الخبر» تحت عنوان «أين هو الإضراب؟!» فتقول أن الفيس أضرب «ولم يضرب

معه الشعب الجزائري في اليوم الأول للإضراب السياسي الذي دعت إليه قيادة الفيس يوم الخميس الماضي، استيقظت العاصمة وعلى غرار المدن الجزائرية كعادتها كل يوم سبت، ونامت كعادتها كذلك..لاشيء يوحي بأن الشعب الجزائري استجاب أو سيستجيب لنداءات عباسي مدني وعلي بن حاج أو النقابة الإسلامية للعمل التي تحركت أمس ودعت كافة العمال والعاملات من خلال بيانها الأول. إلى مساندة الإضراب،

العاصمة استيقظت أمس باكرا على أصوات مكبرات الصوت التي تلت آيات قرآنية من المساجد واستقبلت يومها كما اعتادت استقبال سائر الأيام العادية فتحت مدارسها للأطفال.. وجامعاتها للطلبة، ومحلاتها التجارية للزبائن، وساحاتها العمومية للمارة والزوار، وتركت جدرانها للحيطيست والشوماره، وفضاء شوارعها لضجيج السيارات والمارة، لاشيء يوحي بأن الجزائر تعيش إضرابا اللهم مسيرات صغيرة جابت بعض الشوارع لتصب جميعها في ساحة الشهداء،،، وفي مقر الفيس أو النقابة الإسلامية للعمل كانت الحركة عادية، ومسؤولو النقابة لايملكون أي رقم عن العمال المضربين في المصانع والمؤسسات الوطنية!»

وفي نفس العدد من نفس اليومية المذكورة تكتب تحت عنوان «خيبة الفيس في سكيكدة» فتقول «على غرار ولايات الوطن تم نداء الفيس لولاية سكيكدة لإضراب مفتوح ابتداء من 25 ماي الجاري لكن الخيبة عمت هذا النداء، وماشارك فيه إلا نسبة ضئيلة جدا تابعة للفيس تتمثل في البلدية وبعض الخواص»

أما جريدة المساء فيكتب أحد محرريها تعليقا تحت عنوان «إضراب عن الإضراب» فيقول «ذات يوم قال الشاذلي أن (السيادة للشعب) فأجابه عباسي (سآتيك بالأمة) وذات مرة قال مهري لعباسي (إنك تتكلم وكأنك الشعب) فرد عليه عباسي (نعم)» وأسأل 12 جوان إن كان لديك ريب في ذلك)

يوم أمس إنطلق الإضراب السياسي المفتوح الذي دعت إليه جبهة الإنقاذ إحتجاجا على عدم رضوخ الرئيس لمطالب الفيس المتمثلة في إعادة النظر في قانوني الإنتخابات وتقسيم الدوائر الإنتخابية، وكذا التعجيل بتنظيم إنتخابات رئاسية مسبقة في نفس الأجال مع الإنتخابات البرلمانية"

ويضيف المحرر مؤكدا أن "الإضراب حتى الآن لم يلق الصدى الكافي لتجسيد المطالب" فالحركة في نظر محرر يومية المساء ظلت عادية، ولاشيء يوحي بأنها معطلة "فالأمة أضربت عن الإضراب وعزفت عنه ولم تتوقف الدواليب في المؤسسات الإقتصادية والإدارية والتربوية" ويذهب محرر المساء إلى أن مناضلي "الفيس أحسوا بهذا الإخفاق السياسي، فحولوا الإضراب الذي لم يجلب الإهتمام إلى مسيرة عبر شوارع العاصمة"

أما جرائد مثل المجاهد اليومية، والشعب، والسلام فقد كشفت من نشر كل بيانات الجمعيات السياسية وغير السياسية غير المؤيدة للإضراب، فقد نشرت السلام مثلا بيانا لإتحاد الشبيبة الجزائرية عنوانه كما يلي [الإضراب فرصة الإستعمار] حيث أعتبر الإتحاد الإضراب المفتوح الذي دعا إليه الفيس خطرا على المسار الديموقراطي، ودعا من خلال البيان المنشور على أعمدة السلام الشباب الجزائري إلى توخي "الحذر واليقظة التامة وتفادي كل مامن شأنه الزج به في أعمال عنف يكون الضحية فيها الشباب. كما دعا جميع القوى السياسية والإجتماعية إلى

التعقل والحكمة وتغليب روح الحوار والتسامح وتكثيف الجهود لبناء الجزائر."

وتساءل الإتحاد عن جدوى الإضراب وتوقيته ومغزاه الحقيقي معلنا موقفه إلى جانب التلاميذ والثانويين والطلبة الذين يستعدون لإجراء الإمتحانات التي يتطلب كما أضاف البيان توفير الطمأنينة والأمن ووسائل النقل. وحذر الإتحاد من نتائج هذا الإضراب العام الذي قد يقضي على تجربة ديموقراطية فتية أساسها إشراك كل الجزائريين لبناء جزائر الأمل والتقدم والعدالة الإجتماعية.

كما أن الإضراب المفتوح والمنزلقات التي قد تنجر عنه تعد فرصة لقوى الإستعمار الذي يترصد كل منفذ لإستغلاله قصد التدخل.

ولقد كان هذا الإضراب السياسي بالنسبة لمعظم الوسائل الإعلامية فاشلا ومعزولا.. ففي تقاريرها تعتبر وكالة الأنباء الجزائرية أن غالبية المدن الداخلية لم تستجب لنداءات الفيس، وهذه بعض النماذج في طريقة التعامل مع الإضراب..

*** باتنة: نداء لم يلب**

-(واج) النداء إلى الإضراب العام غير المحدود الذي دعا إليه السيد عباسي مدني الناطق الرسمي باسم الجبهة الإسلامية للإنقاذ لم يلب تماما نهار أمس عبر ولايات وسط شرق البلاد، بسكرة، خنشلة، أم البواقي، وباتنة.

ولوحظ منذ الساعات الأولى من هذه الصبيحة إلتحاق العمال بمناصب شغلهم بصفة عادية في مختلف وحدات العمل الإقتصادية والإجتماعية والثقافية. وما تجدر ملاحظته هو إمتثال منتخبي جبهة الإنقاذ وعدد من مناضليها لهذا النداء في بعض الإدارات العمومية والمؤسسات الإنتخابية والتربوية وحتى لدى بعض التجار.

وفي هذا الإطار أستفيد من مصدر حسن الإطلاع ببسكرة أن طلبة التعليم العالي ومعهد الشريعة الإسلامية بسيدي عقبة من أساتذة ومعلمي سلك التربية قد شنوا هذا الصباح إضرابهم، وأن نسبة هذا الإضراب لم تتوسع فوق العشرة بالمائة حسب التقديرات الأولية لنفس المصدر أما في ولايتي خنشلة وأم البواقي فإن عددا من عمال الوحدات الإقتصادية وقطاع البناء قد دخلوا الإضراب....

وبعاصمة الأوراس ومدنها لوحظ غلق أبواب سوق الخضر والفواكه بوسط مدينة باتنة بعض العمال من الإلتحاق بمناصب شغلهم وكذا إمتثال منتخبي الفيس لنداء الناطق الرسمي لحزبهم.

وفي حديث للوكالة صرح بعض المواطنين أنه "إذا كان الحق في الإضراب مكسبا دستوريا يخدم مصالح الوطن والمواطن والعامل فلا يجب أن تقلب الأمور ضد هذا المفهوم ويصبح الإضراب نقمة خاصة في هذه الظروف بالذات"

***(الخبر) ميلة: إضراب مشلول**

- لم يلق نداء الإضراب الذي دعت إليه جبهة الإنقاذ بولاية ميلة صدى كبيرا بدليل أن التوقفات كانت في

حالات معزولة في بعض المؤسسات نذكر منها وحدة الأجر والخزف ووحدة مؤسسة سوماكو بشلغوم العيد، وفي بعض المؤسسات العمومية، وحسب بعض المصادر الولائية فإن عدد المضربين في قطاع التعليم لم يتجاوز 70 مضربا من مجموع 7000 موظف في القطاع، أما النشاط التجاري فقد عرف حركة عادية في كامل تراب الولاية. هذا وإعتذر المسؤول الولائي للفيس عن تقديم أية تفاصيل عن سير الإضراب كما نشير إلى أنه تم تنظيم مسيرة بعد صلاة العصر إنطلقت من مقر البلدية واتجهت نحو مقر الولاية حيث إنتظم تجمع خطابي شديد اللهجة ضد "وسائل الكذب العمومي".

*(واج): كل شيء عادي

- لم يلق النداء للإضراب الذي وجهته جبهة الإنقاذ يوم الخميس صدى بولايات أقصى غرب البلاد حيث باشر سكان هذه الجهة أعمالهم صبيحة أمس السبت بصفة عادية وإن كان قد سجل على مستوى عواصم الولايات إنعقاد بعض التجمعات أمام مقرات مكاتب جبهة الإنقاذ تشكلت معظمها من مناضلي هذا التيار السياسي. ففي ولاية تلمسان يبدو أن الإضراب غير المحدود الذي دعت إليه التشكيلة السياسية السالفة الذكر لم يكن له تأثير على السير العادي للنشاطات اليومية سواء على مستوى الأحياء والمتاجر أو المدارس وحتى على مستوى المؤسسات الإقتصادية التي أظهر في البداية بها بعض العمال المنتمين للنقابة الإسلامية نوعا من التردد قبل أن يلتحقوا بمناصب عملهم مثل باقي العمال.

إن مايذكر حول هذا النداء إلى الإضراب هو تجمع مناضلي الفيس بالساحة العمومية للمدينة وقيامهم بمسيرة عبر الشوارع رددت خلالها شعارات ذات صبغة دينية "لتحليل قرار الإضراب غير المحدود" وبولاية عين تموشنت كذلك لم يكن للنداء الموجه من الفيس أي صدى فكل النشاطات الإدارية والإقتصادية والتجارية تواصلت كعادتها فبمصنع الإسمنت لبني صاف ومصنع شعبة اللحم ومؤسسة صناعة البناء البالغ عددهم حوالي 700 عامل إلتحقوا بورشاتهم ولم يسجل بها أي توقف عن العمل ونفس الشيء كذلك بالنسبة للمؤسسات التعليمية بمختلف مستوياتها.

وبولاية سعيدة وباستثناء مسيرة مناضلي الفيس المنظمة يوم السبت والتي حمل خلالها المشاركون المصاحف مرددين كلمة "لاإله إلا الله وبعض الأناشيد الدينية" فإن جميع العمال والموظفين قد إلتحقوا بمناصب عملهم عبر كافة المؤسسات العمومية.

ومايمكن ملاحظته أمس بسعيدة هو أنه لم يسجل أي تجاوب مع النداء من قبل الجمعيات والتنظيمات الشعبية والمواطنين.

وبولاية سيدي بلعباس وبغض النظر عن التجمع الذي نظم بساحة أول نوفمبر فإن النداء إلى شن إضراب غير محدود الذي قرره الفيس لم يكن له التأثير المتوقع حيث توجهت حشود العمال في مختلف قطاعات النشاط الإقتصادي والإجتماعي إلى مقرات عملها فبالإضافة إلى المدارس والثانويات والجامعة والمعاهد، فإن أكبر أقطاب

الصناعة المتمثلة في المؤسستين الوطنيتين للصناعات الإلكترونية وصناعة العتاد الفلاحي واصلتا أشغالهما بصفة عادية بينما فتحت المتاجر والمقاهي والمطاعم وغيرها أبوابها أمام الزبائن ولم يسجل أي حادث يذكر.

***(الخبر) وهران: إضراب الفيس يتعثر**

مدينة وهران إستيقظت صباح أمس على أصوات تراتيل القرآن المنبعثة من المساجد التي حاولت أن تعطي لهذا اليوم طابع الخصوصية والإختلاف، وفي حوالي العاشرة، كانت تسمع عبر مكبرات الصوت خطب في مختلف المساجد حاولت أن تجند أكبر قدر من الناس للإضراب. ولكن إلى غاية منتصف النهار شاهدنا أن أغلب المحلات في مختلف الأحياء مفتوحة ووسائل النقل الحضري (العمومية والتابعة للخواص) تنشط بشكل عادي وحتى سيارات الأجرة التي عادة مايكون أغلب ملاكها من الإسلاميين إلا أنها إستمرت في النشاط بشكل عادي

بل يذهب بعض من وسائل الإعلام إلى شن هجوم سافر على قادة الفيس فبتاريخ 3 جوان 1991، يكتب أحد محرري "المساء" مقالا تحت عنوان "الشيخ الشبح"، ويقصد بذلك طبعا السيد عباسي مدني، حيث يتهمه بأنه "أبدع في إغتصاب أصوات مجلس مشايخ يزخرون برصيد ديني وسياسي ونضالي ودفعوا كل ما إستطاعوا من نفس ونفيس في سبيل تكوين إسم سياسي وانفرد بالقرار ليعلن أنه هو الآمر والناهي وهو الذي أشعل الإضراب" ويضيف محرر المساء قائلا "...وإذا كانت براعة عباسي تقوم على الحيل والمكائد بحثا عن إشباع نزواته في حب التسلط والتمتع بجنة الدنيا وإن تطلب التضحية بكافة أفراد المجتمع بمغالطة الناس باسم الدين" ويختم صاحب المقال هذا تهجمه بهذه العبارات الإستفزازية ".. فإذا كان عباسي مدني في صراع مع الزمن خوفا من أن تنطلي عليه حيله ويتفطن المجتمع لما ينصبه من فخاخ له ولا يسحب منه الثقة فقط، بل يكون مصيره حتى السجن أو الإنتحار فهل ستقف السلطة موقف الحياد متفرجة على هذا الشيخ الداهية يلهو بجزء معتبر من المجتمع؟!"

ويذهب محرر آخر من نفس المسائية إلى حد الإعتراف بأن "عباسي مدني قد نجح فعلا في جمع هذه الحشود التي هبت على العاصمة من كل حدب وصوب لكنه خسر- على حد تعبير الداخلية- والملاحظين رهان نجاح هذا الإضراب" ويضيف هذا المحرر قائلا بأن معالم فشل الإضراب تجلت في عجز عباسي عن جر الجامعة إلى "إضرابه" وفي نفس الوقت يعترف بأن عباسي تمكن من إغراء حشد من الطلبة وجرهم إلى "الهاوية" ويعلق نفس المحرر عن منع قوات الأمن لمسيرة الطلبة بقوله "فعناصر الأمن كانت منضبطة ومنتظمة بشكل لافت للعيان تنتظر "صفارة الإنذار" للإلقاء بغازاتها المسيلة للدموع على جحافل الطلبة الذين تراصوا في مسيرة حاشدة للإنطلاق في مسيرة طلابية من الجامعة المركزية إلى ساحة الشهداء"

ووجدت بعض الجرائد الإسلاموية الأخرى (غير الفيسية) نفسها في وضع حرج فإكتفت بعرض آراء المواطنين المختارة من إضراب الفيس، ومن بين هذه الجرائد أسبوعية العقيدة الصادرة بشرق البلاد.

*** السيد رشيد بوثلجون (رئيس المكتب الولائي لحركة النهضة)**

1- "من حق جبهة الإنقاذ أن تعلن عن إضراب وهي حرة في إتخاذ مواقفها، أما موقفنا فهو أننا لانقف ضده ولانحرض عليه، ونرى أن الإضراب في غير وقته وكان يمكن أن يكون في رأيي الخاص بعد صدور دستور 23 فبراير أو قبل إنتخابات 12 جوان، لأن الشعب كان مهيأ، خاصة إذا علمنا أن الدستور قد كرس الإتجاه الديموقراطي الليبرالي"

*** السيد ياسين خطيب (رئيس المكتب الولائي لجمعية الإرشاد والإصلاح)**

2- "نؤكد ماجاء في بيان حماس وهو أن الإضراب حق دستوري للجبهة أن تنظمه في أي وقت شاءت وفي أي مكان شاءت مع مراعاة أمن واستقرار البلاد، حتى لايسمح لأي طرف أن يضرب هذا الأمن وهذا الإستقرار، أو أن يضرب الصحوة الإسلامية ولان الجبهة الاسلاميةللإنقاذ قد دعت إلى هذا الإضراب فهي التي تتحمل نتائج هذا الإضراب"

*** بلحرش عبد الحميد (إطار بالديوان الجهوي للحليب)**

3- "أنا أساند مطالب الفيس وأطالب كمواطن جزائري باستقالة رئيس الجمهورية، وذلك عن طريق الإضراب أو عن طريق إجراء إنتخابات رئاسية، وذلك لكون الرئيس إنتخب قبل صدور الدستور الجديد"

*** عبادي أحمد (تقني سامي)**

4- "أنا أؤيد تماما فكرة الإضراب نظرا للقوانين التي صودق عليها ومنها قانون الإنتخابات والدوائر الإنتخابية، والصلاحيات الواسعة للرئيس، ونرى أن الإضراب هو الحل مادام الطرف الآخر رفض الحوار"

*** جباسي قدور (تقني سامي)**

5- "أنا ضد الإضراب، وأرى أنه ليس بالطريقة هذه تعالج المشاكل"

* توفوتي عبد الكامل (موظف بالجمارك)

6- "أصارحكم بأنني لست مع الإضراب ولست ضده"

*** بن زايد مراد (مهندس معماري)**

7- "أنا ضد الإضراب، وحسب المطالب التي أعلنتها الجبهة الإسلامية في إضرابها هذا، خاصة فيما يتعلق بصلاحيات الرئيس وتغيير الدستور فأنا أقول بأن الشعب الجزائري قد وافق على ذلك عن طريق الإنتخابات، وجبهة التحرير الوطني وضعت له فخا وهو سقط فيه، فعليه أن يتحمل مسؤولية ذلك، لذا فأنا أؤيد موقف النهضة وحماس حينما قالتا للجبهة الإسلامية للإنقاذ بما أنك قبلت اللعبة فعليك بتحمل نتائجها"

*** محي الدين شايطة (معلم)**

8- "بالنسبة لي أنا أساند الإضراب الذي دعا إليه الفيس لأن فيه مطالب يجب تحقيقها خاصة إلغاء قانون الدوائر الإنتخابية الجديدة الذي وضع لصالح فئة معينة، فنحن نتساءل لماذا هذا التقسيم وفي هذا الظرف بالذات"

*** شطاط عمار(متقاعد 64 سنة)**

9- "ربما يكون في هذا الإضراب حق ونحن معهم إذا كان هذا الإضراب في هدوء فنحن مع الإنتخابات النزيهة ونسأل الله أن ينصر الإسلام"

وأمام هذا الحصار الإعلامي وجد الفيس نفسه في موقع دفاعي وفي ذات الوقت هجومي، فأختار أن يقيم نفسه إعلاميا من خلال صحافته خاصة أسبوعيتي المنقذ والهداية، ومن خلال كاميرات الفيديو التي دخلت حربا إعلامية مع جهاز التلفزة من خلال بثها الصور التي إلتقطت للمسيرات الضخمة في مختلف الساحات العمومية وعلى المستوى الوطني..

بالنسبة لأسبوعية المنقذ، اعتبرت إضراب الفيس ناجحا إلى حد كبير، وفي مختلف الولايات..

1- ولاية المدية- الخاص= 80٪

- سوناكوم= 90٪
- مصنع الأدوية= 100٪
- وحدة البلاستيك= 100٪

2- ولاية بومرداس

- سوق الفلاح (دلس)= 100٪
- توزيع المواد (دلس)= 100٪
- مؤسسة كاسات= 100٪
- كوداب= 100٪
- وحدة الأحذية (دلس) 30٪
- الكهرباء (بومرداس) 10٪
- مركب الرغاية (أنابيب) 50٪

3- ولاية باتنة

- التعليم بمختلف مراحله: 72٪

- البريد والمواصلات: 60٪

- النسيج: 10٪

- البناء والسكن: 50٪

- مركز الدراسات التقنية: 80٪

- مصنع الإسمنت: 100٪

- مصنع الفتائل: 100٪

- مصنع الجلود: 80٪

4- ولاية قسنطينة

- التعليم الجامعي: 100٪

- الخدمات البريدية: 100٪

- الماء: 100٪

- الخواص: جزئي

5- ولاية غليزان

- السميد والدقيق: 30٪

- مؤسسة التركيب الولائية: 30٪

- شركة المواد الدسمة: 70٪

- ديوان التسويق: 70٪

وتسعى أسبوعية "الهداية" في عددها العشرين إلى تقديم صورة فيسية عن الإضراب كرد فعل على "تشويهات الصحافة ووسائل الإعلام العمومية والمستقلة"

فتقول: "السبت إعلان عن الإضراب في مختلف المدن الجزائرية، حيث كانت الحياة شبه عادية، هذا اليوم الأول في العاصمة، وتوجه إلى التغيير التدريجي حيث بدأت تظهر مسيرات هنا وهناك، منطلقها البلديات الإسلامية ونقاط الوصول مراكز الدوائر والجزائر العاصمة، كانت المراكز الأساسية الحراش، حسين داي، ساحة أول ماي وساحة الشهداء وبدأ منحنى الإستجابة للإضراب يتزايد من ساعة لأخرى ليصل في منتصف اليوم إلى مسيرة تفوق المائة ألف قطعت شوارع العاصمة تحمل كتاب الله وتردد كلمات لاإله إلا الله محمد رسول الله عليها نحيا وعليها نموت

وفي سبيلها نجاهد وعليها نلقى الله وبدأت الإستجابة الفورية للعمال" ويواصل تقرير أسبوعية الهداية قائلا"في قسنطينة- تلمسان- عنابة- سكيكدة- كانت الإستجابة عالية جدا" ويقول التقرير أن اليوم الثاني للإضراب، وزعت فيه خلال المسيرات مناشير للتجار قصد مساندة الإضراب "فكانت الإستجابة طيبة" وفي نفس اليوم إنطلقت إحدى المسيرات إلى إتجاه مجهول فووجهت "بجنود يحملون ويندون على القرآن وجنود مدججين بالأسلحة والعصي يدافعون على الطاغوت والسلطان، أشبح صورة لمواجهة الإسلام بالعنف حيث تيقن النظام أن المسيرات العمالية الربانية كانت ستحدث المفاجأة لو وصلت إلى مقر التلفزيون أو الرئاسة. العشرات من القبعات الزرقاء المدججين بالسلاح والقنابل المسيلة للدموع، أحضروا شاحنات وقاذفات للمياه، أوقفوا صفا من مضربي مسير السلم والسلام، فتوقف المضربون واتخذوا طريق الذكر وتلاوة القرآن والدعاء، بينما أعضاء المكتب الولائي يحاجون جنود الطاغوت حتى أتى الله بأمره وكفى الله المؤمنين شر القتال، وانزاحت الشرطة على الطريق على الساعة السادسة وخمسة عشر دقيقة، وتوجهت المسيرة إلى ديدوش مران، مرورا بقصر الشعب حيث إستقبلهم عباسي مدني بأروع خطاب للأمة شرح فيه إنطباعات الأمة عبر أنحاء الوطن لاسيما المراكز الحساسة ي البلاد مثل منطقة حاسي مسعود وأرزيو والحجار.

وأعلن عن بعض النتائج الجزئية للإضراب خلال يوميه الأولين 26/25 ماي 1991. الشلف 80٪- باتنة 70٪- تلمسان أكثر من 52٪- تيبازة 56٪- سطيف 41٪- سعيدة 30٪- قسنطينة 72٪- المدية95٪- معسكر 35٪- العاصمة أكثر من 60٪- برج بوعريريج 65٪ "

وفي نفس العدد من الأسبوعية المذكورة يكتب أحد قادة الفيس الهاشمي سحنوني إفتتاحية عن الإضراب، تحت عنوان "المطالبة والمغالبة" حيث يقول بأن الفيس منذ تأسيسه آنتهج أسلوب "المطالبة لإصلاح الفساد الذي شمل جميع مظاهر الحياة" لكن في نظر سحنوني أن كل جهود الفيس كانت مجرد "صرخة في واد ونفخة في رماد" ثم يضيف قائلا أنه نظرا "لكل المضايقات في إستعمال السلطة والعنف السياسي الذي مورس على جبهة الإنقاذ قررت أخيرا أن تدافع عن نفسها وأن تحمي مكتسباتها فأعلنت عن الإضراب" وحول ماإذا كان الإضراب جائزا من الناحية الشرعية يؤكد السيد الهاشمي سحنوني "بأن الإضراب له أصل في السنة، إذ روى إبن حيان في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي (ص) قال "يأتي عليكم أمراء يقربون شراء الناس ويؤخرون الصلاة عن وقتها فمن أدرك ذلك منكم فلا يكونن عريفا ولاشرطيا ولاجابيا ولاخازنا" والعريف هو الذي يتعرف الحاكم بواسطته عن أحوال الرعية كما قال المنذري في الترغيب والترهيب.

وهذا أمر من رسول الله (ص) بمقاطعة العمل عند هؤلاء الأمراء وهو عين الإضراب اليوم" ويتساءل الهاشمي سحنوني أيضا حول ماذهب إليه بعض الناس بأن الإضراب "يؤدي دون شك إلى مواجهة فقد يقتل بعض العمال وقد يطرد البعض الآخر فيفقدون مصدر رزقهم ورزق أبنائهم وهذه مفسدة كبرى ودرؤها أولى من جلب المصلحة؟..

فيجيب بوضوح ودون لف أو دوران "بأن الدارس لمقاصد الشريعة يدرك تمام الإدراك أن الحفاظ على الضروريات الخمس من مقاصد الشريعة وأن الحفاظ على الدين يأتي في مقدمة هذه الضروريات حتى ولو أدى ذلك إلى الإضرار بالنفس أو العقل أو النسل أو المال" ثم يضيف مشددا "والذي يعلم أن الإضراب هو حماية لدين الأمة قبل المطالب السياسية الأخرى يفقه أن الرسول لم يأمر بمقاطعة العمل عند أمراء السوء إلا لحماية الدين وعدم التمكين لهم وتقويتهم على مخالفة أحكام الدين"

وعن التخوفات التي أبداها بعض العمال، يقول الهاشمي سحنوني عضو المجلس الشورى والزعيم الروحي "السابق" لجماعة الهجرة والتكفير "يتخوف بعض العمال من عواقب هذا الإضراب ونحن نقول لهم إن كنتم تريدون وجه الله واليوم الآخر فإن الله عز وجل يقول: "وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قائما، قل ماعند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين" فالذي يضمن رزقكم ورزق أبنائكم هو الله وليست الدولة والذي يميتكم ويحييكم هو الله وليست الدولة" ثم يختتم إفتتاحيته قائلا بأن "هذا الإضراب يكشف بكل وضوح عن هؤلاء الذين جاؤوا إلى الجبهة ليضحوا في سبيل الله من أجل إعلاء كلمته" وفي عددها الواحد والستين، تنشر مقالا، تحت عنوان "الإضراب ماض حتى يسقط الطاغوت" يشير المقال أن الإضراب يعرف نجاحا يوما بعد يوم رغم تخوفات بعض المغرضين، وينبه المتخوفين "على أماكنهم في العمل" أن "يدركوا ويعلموا أن الرزق بيد الله" كما يسعى إلى تذكير الظانين بأن "الإضراب سوف يقضي على مصالح البلاد، وأنه سيشل وأن "يدركوا أن البلاد ذاهبة إلى الإفلاس وسوف تكون كذلك مالم يتحقق حكم الله فيها" لذلك ففي نظر أسبوعية المنقذ "فالإضراب لابد منه وهو من حق كل جزائري"

حرب البيانات

في ظل زخم هذا الجو المشحون بأجواء حرب إعلامية ضد إضراب الفيس، سلك هذا الأخير إلى جانب تدعيم الإضراب بالمسيرات المكثفة والماراطونية، والمهرجانات الخطابية والدينية ذات الطابع الطقوسي، قام بابتداع حرب البيانات، وهذه الأخيرة كانت تدعو إلى الإستمرار في الإضراب والإحتياط والحذر من "السقوط في فخ النظام"

1- بيان مؤرخ في 27 ماي 1991

أيها الشعب الجزائري المسلم:

"هاأنت مرة أخرى في موعد مع التاريخ تبرهن للعالم أجمع عن وعيك السياسي الحضاري الرسالي باستجابتك تلقائيا للإضراب السياسي السلمي الذي دعت إليه جبهتك الإسلامية للإنقاذ متحديا بذلك كل أساليب التهديد والوعيد ورافضا للتهميش والتقزيم، سعيا منك لتحقيق الحل الإسلامي الذي فيه سعادة البلاد والعباد وصلاح الدنيا والآخرة .

أيها الشعب الجزائري:

إن الجبهة الإسلامية للإنقاذ تنتهز الفرصة للإشادة بموقف الجماهير الشعبية (من طلبة ومعلمين وأساتذة وكل الطبقات العاملة) إذ حافظت على سلمية الإضراب السياسي وعدم إخراجه من هذا الإطار الذي حددته الجبهة الإسلامية مما يعبر على مدى التجاوب الحقيقي لهذه المساندة إذ لم تسجل على الجماهير الشعبية أحداث عنف أو إرغام أو اكراه.

كما نذكر الجماهير الشعبية بحجم الجريمة التي ترتكبها وسائل الإعلام من تعتيم على مدى الإستجابة للنداء الذي وجهته الجبهة الإسلامية للإنقاذ وهذا التعتيم الذي لم تشهد له مثيلا يدخل في تضليل الرأي العام.

وإذا أنت في اليوم الثالث للإضراب نطلب منك أيها الشعب الجزائري أمورا ثلاثة:

أولا: المحافظة على سلمية الإضراب وعدم الإستجابة للإستفزازات.

ثانيا: المحافظة على الروح الجماعية الأخوية وأخذ الأمور برفق ولين .

ثالثا: الثبات على ماأنت عليه إلى أن يأذن الله بالفرج أو المخرج .

هذا وليكن في علم العمال المضربين أن الجبهة الإسلامية للإنقاذ ستعمل جاهدة على عدم التفريط في العمال الذين هددوا بالطرد في حدود وسائلها المتاحة.."

عن رئيس الجبهة الإسلامية للإنقاذ

النائب الأول علي بن حاج.

2- بيان مؤرخ في 28 ماي 1991

"....أيها العمال أيتها العاملات...

"نظرا للتهديدات المختلفة من مثل قرارات الطرد التي تهدف إلى زعزعة صفوف العمال، فإن النقابة الإسلامية للعمل طبقا لمواصفاتها وقانونها الداخلي تلتزم بتحمل كل مسؤولياتها في الدفاع اللاشرطي عن العمال المضربين الذين يتعرضون لأي إجراء تأديبي ولأي ممارسات من طرف السلطات أيا كان نوعها..

أيها العمال، أيتها العاملات..

إن النظام بدأ ينهار بعد أن فقد كل مبررات وجوده بسبب إفساده البلاد.. وإلا كيف نفسر سكوته وهروبه أمام الأمر الواقع الذي صنعه الشعب.. وكيف نفسر تلكم الإجراءات التخويفية التي بدأ يستعملها للضغط على العمال."

التوقيع: النقابة الإسلامية للعمل

3- تعليمة مسجلة بتاريخ 28 ماي 1991

"بعد الدراسة لمراحل تطور الإضراب السياسي السلمي الذي دعت إليه الجبهة الإسلامية للإنقاذ ، فإن الهيئة

المشرفة على تسيير ومتابعة الإضراب المفوضة من المجلس الشوري ترى لزاما التقيد بالتوصيات التالية عبر كافة الهياكل التنظيمية من (الأسرة إلى المكتب التنفيذي الولائي)

1- المحافظة على سلمية وأمن الإضراب.

2- عدم الإستجابة لكل أنواع الإستفزازات.

3- التبين في مصدر الأخبار وذلك لإحباط كل شائعة يقصد منها بلبلة الصف.

4- المحافظة على الجو الأخوي الذي يذكرنا بأيام الثورة التحريرية، وذلك بالتعاون والتجاوب مع القائمين بالنظام سواء في التجمعات والمسيرات والإعتصامات.

5- العمل بجد وحزم لرفع معنويات الشعب وذلك بتوظيف الطاقات الدعوية (دعاة، أئمة، خطباء، أو عرض أشرطة فيديو) في الساحات العامة تجنبا للفتور المعنوي لدى الأمة.

6- تجنب كل الأساليب التهديدية والإكراهية لحمل الناس على الإضراب والإكتفاء بالإقناع والدعوة إلى المشاركة التي تعود فوائدها على جميع شرائح الشعب.

7- نظرا لطبيعة الإضراب فإن الجبهة الإسلامية للإنقاذ تدعو إلى عدم حمل أي نوع من أدوات العنف والإثارة.

8- في حالة محاصرة ساحة من الساحات العمومية ينبغي التحول إلى غيرها تجنبا للصدام شريطة عدم التوقف عن المسيرات والإعتصامات.

9- على المكلف بجهاز الإعلام عبر هياكل جبهة الإنقاذ جمع مايلي:

أ- تصوير التجمعات والمسيرات والإعتصامات.

ب- تصوير كل أحداث العنف الصادرة من السلطة.

ج- تسجيل كل من تعرض للعنف أو التهديد أو التخويف أو الطرد وإجراء حوار مسجلا على الفيديو.

د- إرسال كل التسجيلات الجارية عبر الولاية إلى المكتب الوطني على الفور، وذلك لتقييم كل ولاية ونشاطها في الإضراب.

س- الإعتناء بمسيرات الخميس والجمعة خاصة.

و- كل الشركات والمصالح المضربة عبر الولاية، وإجراء حوار مع الموافق والمخالف إن أمكن ذلك.

ز- آخر أجل لإرسال هذه التسجيلات معنونة يوم 5 جوان 1991.

ح- جمع كل الوثائق التي تحمل تهديدا أو تخويفا أو أمرا بالطرد وإرسالها معنونة.

10- على رؤساء البلديات الإلتزام بما يلي:

أ- المحافظة على نظافة مدينة البلدية.

ب- على رجال النظافة وحماية البيئة وضع خرقة الإضراب على سواعدهم.

ج- ضرورة ترك المصالح الضرورية جارية غير معطلة (الحالة المدنية - الوفيات - الولادات)

11- الحرص على أن يكون الإضراب جزئيا ومنظما حسب مايراه أهل الحي أو المنطقة في (المخابز- المواد الغذائية الضرورية اليومية)

12- عدم المساس بالمصالح التالية:

- الكهرباء والغاز

-الماء

- المصالح الإستعجالية في المستشفيات التي تتوقف عليها حياة الأفراد.

بعد هذه التوصيات التي ينبغي أن تطبق بدقة نلفت نظر جميع إخواننا العاملين في هياكل جبهة الإنقاذ إلى التركيز في التجمعات والمسيرات على دوافع الإضراب السياسي السلمي الذي بنجاحه إن شاء الله يحقق للجبهة الإسلامية للإنقاذ الدخول إلى الانتخابات التشريعية بعزة وكرامة ممايضمن عدم تمييع الحل الاسلامي الذي تبنته جبهة الانقاذ.

الجزائر: رئيس الجبهة الإسلامية للإنقاذ.

4- تحذير مسجل بتاريخ 28 ماي 1991

...«لقد بلغ الهيئة المشرفة على الإضراب خبر مفاده أن الجبهة الاسلامية للإنقاذ ستتوقف عن الاضراب، نعلم كافة الشعب أن هذا الخبر ماهو إلا محض إشاعة مقصودة هدفها إثارة البلبلة في صفوف المضربين على إختلاف شرائحهم.

وتغتنم جبهة الانقاذ الفرصة لتؤكد من جديد بأن أمر توقيف الاضراب لايصدق من أي جهة كانت إلا من الشيخ عباسي مدني والأخ علي بن حاج، فاحذروا معشر الجماهير الأراجيف والشائعات خاصة في هذا الوقت الذي ظهر فيه الشعب الجزائري بأوج وعيه الذي يعبر عن الرفض التام لتهميشه وتقزيمه»

رئيس الجبهة الإسلامية للانقاذ.

5- رسالة مفتوحة إلى رئيس الجمهورية

"إن ماحشدتموه من قوة القمع والإرهاب للشعب الجزائري تحت ستار قانون حماية الانتخابات التشريعية لن يوقف مسيرته بمشيئة الله، ولن يثبط عزيمته ولن يحول دون إقدامه على تغيير النظام الجائر الذي ترأسونه، إن عدم استجابتكم لمسيرة السلام والأخوة والوئام طوال مدة الإضراب المتصاعد تجعلكم أمام مسؤولية خطيرة تتحملون كل تبعاتها أمام الله تعالى ثم أمام الأمة. إذ كيف يعقل أن تواجه مسيرة السلام بالقمع والإرهاب والتخويف، وإن طرد العمال أو تعويضهم وإن مؤقتا وكذا إجبار الطلبة والتلاميذ على الإمتحانات القسرية في جو مشحون بالتوتر منعا للإضراب وهو حق قانوني دستوري اقسمتم على الوفاء به، انحرافة سياسية خطيرة وانتكاسة حضارية لايعرف مداها إلا الله تعالى.. قال عمر بن الخطاب (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا)

الجزائر 1 جوان 1991

رئيس جبهة الإنقاذ

عباسي مدني.

6- تعليمة بتاريخ 2 جوان 1991

«نظرا للمهلة التي قدمت للحكومة ابتداء من يوم 16 ماي 1991 وهي مدة اسبوعين تعلم النقابة الإسلامية للعمل كافة العمال والعاملات أن اضرابهم شرعي وقانوني.

إن النقابة الاسلامية للعمل حفاظا على مكتسبات العمال ومصالح الأمة تدعو العمال والعاملات الإلتزام بمايلي:

- الإضراب الذي نادى إليه المجلس الشوري الوطني للنقابة الإسلامية للعمل يعتبر مفتوحا وينتهي بأمر من المجلس الشوري الوطني.

- القيام بالحد الأدنى للخدمات مع وضع علامة تظهر أن العامل مضرب .

- المحافظة على المؤسسات من التخريب.

- في حالة الاستفزاز أو الطرد يطلب من الأسر الاتصال بالمكاتب البلدية أو الولائية أو المكتب الوطني، لأنه ليس من حق أي جهة كانت أن تتدخل في قضايا العمال المشروعة.

- يكون الإضراب في أماكن العمل مع القيام بتجمعات داخل المؤسسات وتعبيرا عن استنكار النقابة الإسلامية للعمل لعدم استجابة الحكومة لمطالبها تدعو جميع العمال والعاملات القيام بمسيرات في الشوارع والساحات العمومية».

المجلس الشوري الوطني

العميد عمر علمي.

الجو الذي صدرت فيه هذه البيانات والتعليمات من طرف عباسي مدني وعلي بن حاج وقيادة الاسلامية للعمل، تميز بالغموض والتوتر، وهذا ليس على مستوى الجو العام وحسب، بل حتى على المستوى الداخلي للفيس.. وقد أدى هذا التوتر الناتج عن الغموض الذي ساد عملية أخذ قرار الاضراب السياسي إلى إثارة الكثير من التساؤلات داخل أوساط المحللين وشرائح مختلفة من الاسلاميين..

هل تآمر النظام والفيس على الفيس؟!

"الاضراب السياسي لم يقدره الفيس.. بل كان ضمن استراتيجية شاملة ومعقدة حبك خيوطها بذكاء شيطاني النظام وعملاؤه من داخل وخارج الفيس.. بصور مباشرة وغير مباشرة في ذات الوقت" هذه الأطروحة، تبناها اتجاه داخل الفيس، افراد هذا الاتجاه كانوا من بين المؤسسين الأوائل للفيس، نذكرمنهم السادة بشير فقيه، أحمد مراني،

السعيد قشي، والتحق بهؤلاء فيما بعد السيد الهاشمي سحنوني الذي تخلى بعد تأزم الأمور عن كل دعمه الشرعي والسياسي السابق للإضراب، والسيد بن عزوز زبدة الذي تورط في مسائل أخلاقية، قد يكون النظام استعملها كورقة ضغط من أجل أن يدين الاضراب السياسي..

في 28 ماي أي في عز الأيام الأولى من الإضراب، ينشر هذا الاتجاه بيانا يحمل توقيع المجلس الشوري الوطني، جاء فيه مايلي:

«إنه لمن دواعي المحبة في الله، ونصرة له ولدينه، وعملا بمايحبه وبما تم التوصل إليه بالاجماع في الجلسة المؤرخة 15 شوال 1411هـ الموافق 29 - 04 - 1991م، تلبية لمبدأ القيادة الجماعية ونظرا للمسؤولية الملقاة على عاتقنا أمام الله والأمة ونصرة للرسالة المحمدية، فكان التوصل إلى تحرير هذا البيان..

ويواصل البيان بأنهم فوجئوا يوم 25 ماي «بنداء يدعو إلى الاضراب باسم الجبهة الاسلامية للإنقاذ، وبدورنا رأينا أن هذا النداء مجرد مخطط يضاف إلى ماتبغيه السلطة للنيل من الجبهة الاسلامية للإنقاذ، والعدول عن الحل الإسلامي الذي لانرضى بديلا غيره. لكن بعد مضي ثلاثة أيام كاملة من الإضراب الفعلي والتأكد من بعض الإخوان سامحهم الله، بدا جليا أن في صفوفنا من يعمل في صالح النظام، دون أدنى شك، والظاهر ظهور الشمس، رمي الشباب المسلم لأيادي الشرطة وإلى مالا تحمد عقباه، وما أحداث 5 أكتوبر إلا عينة لما مضى.

واحقاقا للحق، فإن موضوع الإضراب وارد لكن بعد أن تستنفذ الحكمة والموعظة الحسنة، خاصة وأن البلاد والعباد في ظروف غير مناسبة.

- وقيام الإضراب في هذا التاريخ بالضبط، ماهو إلا مؤامرة محبوكة من طرف السلطة وعملائها، حتى تجد المنفذ القانوني للقضاء على الجبهة الاسلامية ومكتسباتها.

- وتلبية لمبادئ الشريعة السمحاء، واعتبارا للمكتسبات المحققة والحفاظ عليها فإن المجلس الشوري الوطني للجبهة الاسلامية للإنقاذ يدعو كل الإخوان الغيورين على دينهم وأرضهم الطاهرة أن يفوتوا الفرصة على الأعداء سواء داخل البلاد أو خارجها، بالعودة إلى عملهم، وإلى مواقع مسؤولياتهم، حتى ينعم الله علينا بالفرصة المناسبة لنصرة الاسلام والمسلمين بتثبيت الحل الاسلامي»

أحد قادة هذا الاتجاه المتمرد على سياسة عباسي «الفردية» السيد مراني صرح لي بعد ذلك بأيام، عندما سألته عن ماذا يعني بشكل ملموس "بالمؤامرة على الفيس من الداخل" فأجابني بهدوء وبابتسامه متسترة تشبه إلى حد ما الإبتسامة الكتومة والساخرة التي تميز الرجل الأول في الفيس..

«الشيخ عباسي- يقول مراني- اسقطه النظام في فخ صنعه له وللجبهة باتقان..»

- كيف ذلك من فضلكم؟

-"عملية التفجير استحالت أن تتأتى من الخارج، لذا عمل النظام على تنظيم هذه العملية من الداخل وبأيدي

رجال الجبهة الاسلامية للإنقاذ، ، كل ذلك مباشرة بعدما حصلت الجبهة على انتصار سياسي غداة انتخابات 12 جوان المحلية.. خلال تلك الأثناء تم زرع جبهة الإنقاذ بجيش من رجال المخابرات.. لقد كانت مهمة هؤلاء أن يتسربوا على الأقل إلى قاعدة جبهة الانقاذ، ثم بعد تمكن بعضهم من أكتساب عطف القادة وثقتهم، فعلى هؤلاء أن يتفننوا في التغلغل في كل الأجهزة الحساسة وعلى كل المستويات التي تتشكل منها الجبهة الاسلامية للإنقاذ.. ومن بين هؤلاء الذين أجادوا عملهم وساهموا في جر جبهة الإنقاذ إلى الكارثة شخص يدعى الرائد بوعزة، وهذا الأخير ادعى أنه استقال من جهاز المخابرات، وابدى لعباسي رغبته في التعاون معه ومده بكل المعلومات التي يمكن أن تخدمه في رسم استراتيجية الجبهة في تحقيق مشروع الدولة الاسلامية..كما كان هذا الشخص همزة وصل بين عباسي مدني والرئاسة.. وأعضاء آخرين في الجيش لقد اقنع الرائد بوعزة عباسي بضرورة الذهاب بعيدا بالاضراب السياسي، مادام أعطاه ضمانات بأن عدد من الشخصيات العسكرية ذات الوزن الحساس متعاطفة مع برنامج جبهة الانقاذ..

ونفس الشخص هذا- يواصل مراني- كان يمد الرئاسة بكل مايحدث داخل المجلس الشوري الوطني، وبكل التفاصيل في مجال التخطيط والمناورة السياسية للجبهة.. وإلى جانب هذا الشخص، كانت ثمة شخصيات عسكرية، وأخرى سياسية من حزب جبهة التحرير الوطني وأحزاب أخرى، نصحت عباسي مدني بشن الاضراب السياسي، وله منها كل الدعم التكتيكي والمادي والسياسي ومن بين هذه الشخصيات السيدة لويزة حنون الشيوعية التي ساهمت في وضع اللمسات الملموسة لخطة الاضراب بمساعدة شيوعيين إسبان، ووضع الشيخ عباسي فيها كل ثقته»

عضو آخر من مجلس الشوري حاول أن يؤكد لي أن حمروش، سعى إلى التطبيق الحرفي لمخطط تمت دراسته بمشاورة من أطراف أجنبية، ويتجسد هذا المخطط في الدفع بالفيس إلى إعلان حالة العصيان المدني، وبالتالي يسهل ضربه بقوة السلاح وقوة القانون فقيه بشير ، أحد مؤسسي الفيس، هو الآخر كان يعتقد أن الفيس داخل في لعبة، حبكها النظام بدقة لنفسه.. وأول خيوط هذه اللعبة هو تهميش مجلس الشوري الوطني، وحصر مركز اتخاذ القرار بين يدي شخص أو شخصين..

في 23 ماي أي اليوم الذي عقد فيه الشيخ عباسي مدني ندوة صحفية من أجل الإعلان رسميا عن الإضراب السياسي.. وجد بشير فقيه نفسه مع مجموعة أعضاء المجلس الشوري الوطني، رغم أنه لم يتم استدعاؤه.. وبعد نقاش قصير صارحهم عباسي، "أننا نعلن عن إضراب سياسي مفتوح" وهنا انفجر فقيه في وجه الشيخ.. «نحن أعضاء في مجلس شوري وطني، وأعضاء مؤسسين للجبهة ومن الواجب أن نستشار ويؤخذ برأي الأغلبية منا..» وبعدما تشعب النقاش وظهر بعض المعارضين لهذا الأضراب تنازل الشيخ عباسي وقال..؛حاضر، سيكون الاضراب قصيرا، ولايتجاوز الثلاثة أيام"

بعد هذا الوعد، هدأت العاصفة، لكن سرعان ماعادت عندما اكتشف بشير فقيه، أن ثمة أوراق كانت توزع

على بعض أعضاء المجلس الشوري والمكاتب الولائية التي حضرت إلى جانب الأعضاء المؤسسين والقياديين بصورة سرية..

وكان مضمون هذه الأوراق يشير أن كل الأوامر التي تصل إلى رؤساء المكاتب الولائية لايمكن تطبيقها إلا إذا كانت ممضاة من طرف الشيخ عباسي مدني أو علي بن حاج، وهنا ثارت ثائرة بشير فقيه، وكانت الندوة الصحفية على وشك الابتداء، فهدد أن يصعد المنصة ويعلن أمام الصحفيين معارضته للإضراب السياسي، وتنديده بالممارسات غير«الديمقراطية» والإستبدادية للشيخ عباسي.. لكن في آخر لحظة تدخل الشيخ علي بن حاج وهدأ من غضب فقيه وترك الندوة تمر بسلام.. لكن هذا السلام. سوف يتحول بعد ذلك بأيام إلى أول قنبلة علنية ستهز الفيس..

خطاب الرئيس وبداية الإنزلاق

الأحد 2 جوان 1991

الحملة الانتخابية في يومها الثالث.. لكن لاشيء يوحي بحياتها وبمعنى وجودها..

على الساعة الثامنة، يعلن في التلفزة الوطنية النشيد الوطني.. ثم يظهر رئيس الجمهورية السيد الشاذلي بن جديد في وضع قلق وغير مريح رغم أن الخطاب القصير للأمة لم يكن مباشرا، حاول رئيس الجمهورية أن يضفي على الخطاب طابع الرزانة والتشدد والثبات من خلال توكيداته بعدم تأجيل الانتخابات إلا أن االحظ في ذلك لم يحالفه..

قال الرئيس بأن «هذه المرحلة تعتبر تاريخية في حياة ومسيرة الجزائر المستقبلة، فلأول مرة، ينتخب المجلس الشعبي الوطني في ظل التعددية الحزبية، وهو مجلس مختلف كل الاختلاف عن المجالس السابقة» ويشير أيضا بأن «دور مسؤولية المجلس الشعبي الوطني في ضوء دستور 23 فبراير يختلف تماما عن دور ومسؤولية المجالس السابقة، نظرا لما سيكون له من صلاحيات واسعة ابتداء من التشريع إلى التوجيه والمراقبة والمتابعة والمصادقة على كل المشاريع»

ونظرا لأهمية هذه المؤسسة يتمنى الرئيس ويطلب من كل المواطنين والمواطنات المساهمة في الانتخابات القادمة، وأداء واجبهم الوطني «في ممارسة الديموقراطية ببلادنا» ويتمنى أيضا ويطلب «من كل الأطراف المعنية من قريب أو بعيد أن تساهم في تهيئة الأجواء المناسبة حتى تجرى الانتخابات في جو سليم يسوده الهدوء والأمن والاستقرار، وحتى يتمكن المواطنون من اختيار الشخص أو البرنامج الذي يريدونه للمستقبل» ثم يؤكد الرئيس «ويلتزم مرة ثانية بأننا سوف نحترم اختيار إرادة الشعب الجزائري وسوف نشجع ونساعد أي مجلس منتخب، ونشجع ونساعد الحكومة التي تنبثق عن الانتخابات القادمة ليوم 27 جوان،، لكن مع ذلك فالرئيس يتأسف لأنه يرى «في المدة الأخيرة بعض العناصر تتسبب في توتر المجتمع الجزائري، وتغليط مناضليهم، الذين هم وطنيون

مخلصون وهذا العمل لايخدم الجزائر ولامصلحة الوطن ولا الشعب الجزائري، ويتسبب في البلبلة والتشويش»

ثم يضيف الرئيس قائلا « أن الدولة كدولة وأن الحكومة مسؤولة أمام الشعب قد اتخذت كل الإجراءات اللازمة التي يخولها اياها القانون من أجل اجراء هذه العملية في ظروف عادية.. وأؤكد بأنني كمسؤول أول في هذه الدولة سأسهر على احترام وتطبيق القانون النابع من مبادئ الدستور» وبعد كل هذا يأمل الرئيس «أن نتجند كلنا في إطار الصالح العام لأن المصلحة العامة هي القاسم المشترك بين كل المسؤولين على اختلاف انتماءاتهم» كما يتوجه بالشكر إلى «أخيه المواطن وأخته المواطنة» على «عدم الانزلاق في التشويهات التي تقوم بها بعض العناصر من أجل خلق البلبلة وأنك في مستوى الأحداث»

مباشرة بعد خطاب الرئيس عبر الناطق الرسمي للفيس عن «أسفه العميق» لتجاهل رئيس الجمهورية في الخطاب الذي وجهه إلى الأمة بمناسبة انطلاق حملة الانتخابات التشريعية مضيفا أنه يخشى أن يكون رئيس الجمهورية يجهل الحقيقة، كما أكد الرجل الأول في الفيس رفضه للعنف، طالبا من مناضلي حزبه عدم الرد على ما أسماه بالاستفزازات، ومن جهة ثانية، حدد دعوته لكل من الجيش وقوات الأمن بعدم طاعة الأوامر المخالفة للشرع مستشهدا بالقاعدة الأصولية «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق».

- الاثنين 3 جوان نظم طلبة جامعات الوسط «الخروبة، بوزريعة، والجزائر الوسطى تجمعا ضخمًا بالجامعة المركزية، وعندما حاولوا الخروج في مسيرة منظمة واجهتهم قوات الأمن، بينما كانت الطرقات المجاورة والمؤدية لها «قد سدت منافذها في منتصف النهار من طرف قوات الردع» ويضيف أحد شهود العيان بأنه تم إلقاء العديد من القنابل المسيلة للدموع قصد تفريق حشود الطلبة المتظاهرين الذين تجمع بعضهم بأرصفة الجامعة وحواشيها..

لكن في حدود الساعة الثانية والنصف زوالا «أعطى المنظمون للمسيرة الاشارة لانطلاق الموكب الذي كان يتصدره السيد عباسي مدني، رفقة بعض الأساتذة المدرسين، وبمجرد تدفق الموجة الأولى من المتظاهرين لجأت قوات الأمن لصد بقية الموكب وعليه لاذ العديد من الطلبة بالفرار والعودة إلى داخل الجامعة حيث كان بعضهم يتألم من تأثير الغازات المسيلة للدموع»

في عددها (62) تنشر أسبوعية المنقذ افتتاحية للسيد عباسي مدني أشارفيها إلى التعارض القائم بين ادارة السلطة وادارة الرئيس بخطاب تجاهل فيه مايعلو من هتاف مسيرات وتجمعات عبر القطر الجزائري كله، خطاب أدبي في أسلوبه بما جاء فيه من تلميح وتعريض لايمكن ابداً أن يكون موضوع تشريعات رسمية يكون لها اعتبارها في توجيه الأحداث المستجدة، يتكلم في نطاق حملة انتخابية شكلية يعد فيها بثقة الانتخابات وإجرائها بالطرق الشرعية الخالية من التزييف، مع أن الخطة التي وضعت للإنتخابات هي خاصة للتزييف وضعت مسبقا. والإصرار على بقاء القانونين كقاعدة للإنتخابات إصرار على التزييف فمن هم الذين سينتخبون غير هؤلاء الذين هم في الشارع والقلة القليلة لم تتحرك؟ اللهم إلا إذا كانت صناديق تملأ بالجملة دون حاجة إلى من ينتخب أو في غياب من ينتخب» ثم يواصل الرجل الأول في الفيس هجومه «الجامعات المضربة بأغلبية أساتذتها وطلبتها

وعمالها والتي لم تكف بالإضراب فشقت وسط العاصمة بمسيرة سلمية لم تكف ابن جديد. وطلبة الثانويات واساتذتها لم تكفِ النظام. والتجمعات في كل المدن الجزائرية وحتى في القرى هذه كلها لاتكفي ابن جديد ولم تقنعه في إعادة النظر في السياسية الانتخابية فما الذي يقنع ابن جديد إذن؟ الانتخابات التي حددها والشروط التي وضعها ؟ السيادة لمن؟ أهي أمر رئاسي أم هي للأمة ولله وصاحب الحكم كله؟ »

ويعتبر عباسي مدني أن تغافل الرئيس بن جديد هو إنكار لحقيقة وجودية لموقف شعبنا البطل ومدى ماأظهره من خلال اضراباته وتجمعاته ومسيراته لايزيد الكأس إلا فيضانا ودليلنا على ذلك المسيرات التلقائية التي انطلقت كرد فعل على خطاب الرئيس»

الاثنين 3 جوان 1991

وزارة الداخلية تنشر بيانا تقول فيه:

«لقد فشل الاضراب العام اللامحدود... فمنذ اسبوع تحاول مجموعات محدودة متكونة من بضعة عناصر- تحاول - باستمرار وبكل الوسائل عرقلة بعض النشاطات الحساسة. وفي هذا الصدد كانت المظاهرات في الشارع الأداة شبه الوحيدة للتعبير عن حركة عصيان مدني. ومن أجل تعزيز مسيرتهم يستعين منظمو الحركة أكثر فأكثر بعناصر غير مراقبة وحتما بأطفال. وقد أدى هذا منذ عشرة أيام إلى خلق جو ينعدم فيه الأمن وإلى عرقلة النشاطات العادية للمواطنين» ودائما حسب بيان الداخلية فإن «هذا الوضع يحمل اليوم في طياته أخطارا حقيقية على النظام العام وعلى السلم المدني دون أن تكون له أية أهمية سياسية- اجتماعية»

وفي هذا الصدد، يؤكد البيان بأن السلطات تعلم «المواطنين أنه سيتم، ابتداء من اليوم اتخاذ سلسلة من الاجراءات من أجل إعادة الأوضاع إلى مجاريها لتسير النشاطات بصفة طبيعية ومنتظمة وهذا بكل صرامة حيثما يبدو ذلك ضروريا.

1- التوقف عن العمل في الإدارة المحلية والقطاع الإجتماعي والمؤسسات، لقد أعطيت تعليمات للمسؤولين على كل المستويات باتخاذ الإجراءات القانونية القصوى بخصوص الأشخاص الذين يعرقلون سير المصالح.

2- أعطيت تعليمات لمصالح الأمن العمومي لتشتيت كل التجمعات على الطريق العمومي غير المرخص بها والتي تقع تحت المسؤولية المباشرة لمنظميها المعنيين بوضوح. ولهذا الغرض بإمكان هذه المصالح اتخاذ كل الإجراءات التي يخولها القانون في هذا الشأن. وسيتم متابعة منظمي هذه التجمعات وفقا للقانون.

3- أعطيت تعليمات للسلطات المحلية وللمؤسسات وللإدارات المعنية بسير المصالح العمومية للنظافة والصحة والتزويد الاستراتيجي لاتخاذ كل الاجراءات الضرورية لضمان حسن سيرها ابتداء من اليوم.

وتدعو السلطات العمومية المواطنين الى التحلي بالهدوء والمدنية والانضباط في هذا الظرف الاستثنائي بغية التعجيل بعودة الحياة الطبيعية»

وفي نفس الليلة تقوم شرطة مكافحة الشغب بالهجوم على ساحتي الشهداء وأول ماي بالعاصمة قصد اخلائهما من مناضلي الفيس الذين كانوا معتصمين فيهما منذ 25 ماي مستعملة، وحسب شهود عيان فقد استعملت القنابل المسيلة للدموع، وسمع البعض طلقات رصاص.. ونفس المعركة تتجدد بين مناضلي الفيس وقوات مكافحة الشغب صباح الثلاثاء وأسفرت »هذه الاحداث، كما ذهبت إلى ذلك الوكالات عن مقتل نقيب في الدرك الوطني بفعل حجارة المتظاهرين وشخصين من المتظاهرين بالرصاص وجرح 19 آخرين على حسب تصريحات مدير مستشفى مصطفى الجامعي أما مصلحة الاعلام بالدرك الوطني فلقد أفادت أن أربعة دركيين قد أصيبوا بجروح خفيفة في ساعة متأخرة من ليلة يوم الأثنين عندما داهمهم سائق سيارة من نوع «فولكسفاگن» واتسعت رقعة الاشتباكات بين قوات مكافحة الشغب ومناضلي الفيس إلى عدة أحياء ومناطق، وحسب نفس المصادر فإن قوات الأمن شرعت بالتمركز في مفترقات الطرق الممتدة من ساحة أول ماي إلى الواجهة البحرية من البريد المركزي وقبالة مبنى المجلس الشعبي الوطني، حيث استعملت في تفريق المتظاهرين الآتين من أحياء المدينة الغازات المسيلة للدموع، في حين ظلت سيارات الإسعاف الرسمية والسيارات الخاصة تنقل المصابين إلى المستشفيات طوال النهار.. وقد تطورت هذه المسيرات الاحتجاجية إلى صدامات حقيقية بين قوات محاربة الشغب وأنصار الفيس حيث سجلت محاولات لاحراق الخزينة العامة بشارع أول نوفمبر، وعدد من محافظات الشرطة، وقصر العدالة بشارع عبان رمضان.

الأربعاء 5 جوان 1991

كابوس أكتوبر يعود من جديد.. العاصمة وعدد من المدن الداخلية تبكي ضحاياها..سؤال الغد ينبعث من جديد.. ويصبح أمل المشروع الديموقراطي من جديد مجرد تساؤل غامض وشاحب.. على الساعة الثانية وعشرين دقيقة من صباح هذا اليوم يصدر عن رئيس الجمهورية الشاذلي بن جديد إعلان عن حالة الحصار «أمام الوضع الاضطرابي الممس بالنظام العمومي الذي يدوم مايزيد عن أسبوع وكذلك أمام مخاطر تفاقم هذا الوضع التي يمكن أن تؤدي بالبلاد إلى أزمة قصوى تقتضي آنذاك اجراءات قمعية واسعة النطاق وتفاديا لكل هذا اعلن بصفتي رئيسا للجمهورية وحاميا للدستور وطبقا للمادة 86 منه حالة الحصار في كافة أنحاء التراب الوطني ابتداء من يوم 5 جوان 1991 على الساعة صفر.

ولقد قدم لي رئيس الحكومة استقالته وقبلتها وستشكل حكومة جديدة بعد الإستشارات الضرورية مع التشكيلات السياسية.

وتعتبر ابتداء من اليوم العملية الانتخابية الجارية عالقة وتؤجل الانتخابات التشريعية إلى تاريخ لاحق.

وستتخذ القرارات الضرورية التي من شأنها توفير الظروف المناسبة لإجراء الإنتخابات التشريعية استجابة للتطلعات الديموقراطية للشعب الجزائري.

ادعو الجزائريين والجزائريات وكل التشكيلات السياسية والجمعيات المدنية وكذلك الشخصيات الغيورة على المصلحة الوطنية وكافة الموظفين إلى التعبئة من أجل اجتناب محن صعبة للبلاد ولضمان استمرارية المؤسسات الجمهورية ولتعمق المسار الديموقراطي وتعزيزه»

الرئيس يرهن الديموقراطية لمدة أربعة أشهر..

وفي نفس الوقت يصدر رئيس الجمهورية، مرسوما رئاسيا، يحمل رقم 91/ 196، هذا نصه.

«إن رئيس الجمهورية

بناء على الدستور لاسيما المواد 67 - 74 - 82 منه وبعد عقد اجتماع المجلس الأعلى للأمن واستشارة رئيس المجلس الشعبي الوطني ورئيس الحكومة ورئيس المجلس الدستوري يرسم مايلي:

– المادة الأولى: تقرر حالة الحصار ابتداء من يوم 5 جوان سنة 1991 على الساعة الصفر لمدة أربعة أشهر عبر كامل التراب الوطني . غير أنه يمكن رفعها بمجرد استتباب الوضع.

– المادة الثانية: هدف حالة الحصار الحفاظ على استقرار مؤسسات الدولة الديموقراطية والجمهورية واستعادة النظام العام وكذلك السير العادي للمرافق العمومية بكل الوسائل القانونية والتنظيمية لاسيما تلك التي ينص عليها هذا المرسوم.

–المادة الثالثة: تفوض إلى السلطة العسكرية الصلاحيات المسندة إلى السلطة المدنية في مجال النظام العام والشرطة.

وبهذه الصفة تلحق مصالح الشرطة بالقيادة العليا للسلطات العسكرية التي تخول قانون صلاحيات الشرطة. وتمارس السلطة المدنية الصلاحيات التي لم تنتزع منها.

– المادة الرابعة: يمكن للسلطات العسكرية المخولة صلاحيات الشرطة ضمن الحدود والشروط التي تحددها الحكومة حين تتخذ تدابير الاعتقال الإداري والإخضاع للإقامة الجبرية ضد كل شخص راشد يتبين أن نشاطه خطير على النظام العام وعلى الأمن العمومي والسير العادي للمرافق العمومية.

وتتخذ هذه التدابير بعد استشارة لجنة رعاية النظام العام كما هي مقررة في المادة 5 أدناه.

ويمكن لأي شخص يكون موضوع اعتقال إداري أو إقامة جبرية أن يرفع طعنا حسب التسلسل السلمي لدى السلطات المختصة.

– المادة الخامسة: تنشأ لجنة لرعاية النظام العام في مستوى كل ولاية وهذه اللجنة ترأسها السلطة العسكرية المعنية قانونا وتتكون من:

– الوالي.

– محافظ الشرطة الولائية.

- قائد مجموعة الدرك الوطني.

- أو رئيس القطاع العسكري إن اقتضى الأمر.

- شخصيتان معروفتان بتمسكهما بالمصلحة العامة.

- المادة السادسة: تدرس لجنة رعاية النظام العام وتنصح بتطبيق التدابير الاستثنائية المنصوص عليها في هذا المرسوم التي من شأنها أن تستعيد النظام العام وسير المرافق العمومية وأمن الأملاك والأشخاص.

كما تسهر على حسن تنفيذ هذه التدابير.

- المادة السابعة: يمكن للسلطات العسكرية المخولة صلاحيات الشرطة ضمن الشروط المحددة عن طريق الحكومة أن تقوم بما يأتي:

- أن تجرى أو تكلف من يجرى تفتيشات ليلية أونهارية في المحال العمومية والخاصة وكذلك داخل المساكن.

- أن تمنع إصدار المنشورات أو الإجتماعات والنداءات العمومية التي يعتقد أنها كفيلة بإثارة الفوضى وانعدام الأمن واستمرارهما.

- أن تأمر بتسليم الاسلحة والذخائر قصد ايداعها.

- المادة الثامنة: يمكن للسطات العسكرية المخولة صلاحيات الشرطة أن تقوم بواسطة عبر جزء مقاطعة كل واحدة منها أو كله بما يأتي:

- أن تطبيق أو تمنع مرور أشخاص أو تجمعهم في الطرق والأماكن العمومية

- أن تنشئ مناطق ذات إقامة مؤقتة لغير المقيمين.

-أن تمنع إقامة أي شخص راشد يتبين أن نشاطه مضر بالنظام العام والسير العادي للمرافق العمومية.

- أن تنظم عن الطرق الإدارية مرور المواد الغذائية أو بعض المعدات المعينة وتوزيعها.

- أن تمنع الأضرابات التي يمكن أن تعرقل استعادة النظام العام العادي للمرافق العمومية.

-أن تأمر عن طريق التسخير في حالة الاستعجال أو الضرورة كل مرفق عام أو مؤسسة عمومية أو خاصة بأداءخدماتهما.

- المادة التاسعة: تتعرض للتوقيف عن كل النشاطات بواسطة مرسوم تنفيدي الجمعيات مهما كان قانونها الأساسي أو وجهتها التي يقوم قادتها أو أعضاؤها بإهمال للقوانين لاسيما القانون رقم / 89 - 11 المؤرخ في 5 جوان سنة 1989 والمتعلق بالجمعيات ذات الطابع السياسي أو أحكام هذا المرسوم»

الآخرون والحصار

في تعليق لها حول قرار الرئيس في إعلان حالة الحصار، اعتبرت وكالة الأنباء الجزائرية أن ذلك كان «السبيل الوحيد الممكن لتمكين النقاش من العودة إلى مجرى الشرعية وترك اللعبة السياسية تتواصل في هدوء وطمأنينة

لأن القرارات المعلن عنها في الصباح الباكر من يوم الإربعاء تترك الباب مفتوحا للإجماع السياسي الوطني وسد سبل العنف» أما يومية الشعب، لسان حال حزب جبهة التحرير الوطني فإنها تعتبر إعلان الحصار "يهدف إلى تجنيب البلاد والشعب مصاعب أخرى ينتظرها اعداؤنا. ومنهم رؤساء أحزاب رفضهم التاريخ.. والتاريخ -تضيف الجريدة- سيشهد للعالم بوحدة الجزائريين وقوتهم في تجاوز الآلام عند الشدائد »

وفي بلاغ له بتاريخ 6 جوان 1991 يرى المكتب السياسي لجبهة التحرير أن الإجراءات الاستثنائية التي اتخذها رئيس الجمهورية الشاذلي بن جديد «تعتبر استجابة ضرورية لتطور هذه الإوضاع ولكنها تشكل للأسف، انتكاسة للمسار الديموقراطي» ويشير البلاغ إلى أن مصلحة البلاد «تتطلب تعاون كل القوى الوطنية للخروج من هذه الوضعية الإستثنائية في أقرب الأجال».

بينما دعا زعيم جبهة القوى الاشتراكية آيت أحمد إلى رفع عاجل لحالة الحصار وإلى تشكيل حكومة انتقالية تؤدي إلى تشكيل مجلس تأسيسي في أقرب وقت.. وفي نظر زعيم جبهة القوى الاشتراكية فإن الظروف الأخيرة أفرزت نتيجتين أساسيتين، هما، إخفاق الدولة في تأدية مهامها وعدم إلتزامها بوعدها و النتيجة الثانية تتمثل في إضراب الفيس الذي «بين لهؤلاء أن الوصول الى السلطة على الطريق الإيرانية، لحسن الحظ أمر مستحيل، لسبب بسيط هو أن الجزائر ليست إيران».

في حين اعتبر حزب حماس الإعلان عن حالة الحصار بمثابة رغبة حقيقية للحفاظ على الدستور وأمن المواطن، لكنها قد تكون كذلك رغبة في الحفاظ على السلطة على حساب تطلعات المواطنين، ويضيف حزب حماس مشير إلى أن «دولة القانون يجب أن تأخذ بعين الاعتبار تطلعات الجماهير الإسلامية، علما بأنه لن يكون الإستقرار في غياب أحزاب تتبنى المشروع الاسلامي وتدافع عن الوحدة الوطنية، الاستقرار والحريات الأساسية.. وقد قدم حزب حماس ثلاثة شروط لذلك.

* تمسك كل الأحزاب بالديمقراطية والتعددية الحزبية بعيدا عن أى ضغوط خارجية.
* ضرورة تشكيل حكومة وفاق وطني تجسد إرادة الشعب وتطلعاته للمشروع الإسلامي..
* ضرورة تحديد تاريخ الإنتخابات التشريعية والرئاسية..

زعيمة حزب العمال التروتسكي لويزة حنون اعتبرت الحصار مجرد سقوط مساحيق ليس إلا، عن وجه ، في الجوهر، ديكتاتورى، لايعترف بحق التداول على السلطة أو بحق المعارضة الجدية..

الشيخ عباسي المدني اعتبر الحصار عبارة عن إنقلاب مقنع، وطالب المواطنين بالتمرد عليه.. فكانت البداية بداية الفصل الثاني من مخطط تصفية المعارضة الثورية، وذلك عن طريق توريط الفيس في مواجهة غير متكافئة، نتج عنها حرب الجماعات داخل الفيس، وسجن قادته وأعضائه النشيطين، وزرع مواقعه الداخلية بألغام سياسية موقوتة..

لقد سقطت حكومة حمروش وجاءت حكومة غزالي لتشرف على "إنتخابات حرة ونظيفة" ووجد عباسي مدني وعلي بن حاج ورفاقهم المحبوسين أنفسهم محرومين حتى من الترشح في الإنتخابات التشريعية.. ووجد الفيس نفسه بعد المحن التي مر بها خلال حالة الحصار على فوهة بركان صاخب فأي مستقبل ينتظر الإسلاميين بعد هذه التجربة العنيفة التي عرفها الفيس بشكل خاص، والفصائل الإسلامية الأخرى بشكل عام؟ إن الأوراق الحقيقية لم تلعب بعدما دام المسار الديموقراطي لم يتجاوز خطواته الأولى. وستبقى تجربة الإسلاميين في الجزائر رغم فقرها الفكري ونقص زادها السياسي تجربة متميزة ليس في العالم العربي وحسب بل في العالم الإسلامي. وستبقى أيضا تجربة مفتوحة على كل الإمكانات والإحتمالات مادام مسار تطورها مرتبط بشكل جدلي مع تطور ميكانزمات تجربة المسار الديموقراطي في الجزائر.



بسم الله الرحمان الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى اله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين «كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله»

أسس وأهداف العصيان المدني

قال تعالى:(ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار ومالكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون) (1) .

يقوم الظلم ويستمر لسبب رئيسي هو عمالة وسكوت الاغلبية. فالنظام الحاكم ليس له أي سلطة خارج تلك التي يعطيها إياه المجتمع برضاه وسكوته وطاعته وتعاونه معه، وبدون رضانا وسكوتنا لا يمكن للنظام أن يتحكم في ما يزيد عن عشرين مليون إنسان بأربعمائة ألف جندي وشرطي، ولتغيير المنكر والظلم والفساد علينا أن نسحب ألثقة من النظام الحاكم وألا نتعاون معه وألا نطيعه وذلك هو الاساس والطريق في استراتيجية العصيان المدني وقد نبه الله سبحانه وتعالى إلى هذه الحقيقة والعلاقة بين استمرار الظلم.ورضى وسكوت المجتمع في قوله: «لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم بما عصوا وكانوا يعتدون،كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون» (2) . وقال صلى الله عليه وسلم :«إن الله عز وجل لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكروه فإذا فعلوا ذالك عذب الخاصة والعامة»(3) .

فجوهر القضية هو مقاومة إرادة الحكومة الظالمة المفسدة أي سحب الثقة منها وتغييرها، وإذا أ ظهر الشعب تصميما و تمسكا بموقفه الموحد فإن النظام الحاكم بأجهزته ووسائله سيسقط ولان الحكم كان السبب ولا يزال في ظلم وفساد عظيمين وهو مقدم على فساد وإفساد كبيرين بسبب السياسة الليبرالية وتفتحها على أعداء الإسلام من نصارى ويهود ووضعه قدرات البلاد بين أيديهم وتحت تصرفهم فإنه من الواجب والضروري مقاومته بسحب الثقة منه وعدم التعاون والتعامل معه حتى السقوط .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يهلك الناس هذا الحي من قريش قالوا : فما تأمرنا ؟ قال : لو أن الناس اعتزلوهم» (4) .

إن الشعب الذي يركن للظالمين خوفا أو طمعا يصبح حليف الحكم الذي يضطهده ويظلمه ومن هنا لا تصبح معارضة الحكم هي الواجب فقط بل يجب كسر جسور التعاون مع النظام الحاكم ومع الظالمين المفسدين وممارسة الضغوط عليهم ومقاومتهم حتى يظهر الحق ويزول الظلم والباطل . قال صلى الله عليه وسلم : «الظلم

ظلمات يوم القيامة » عن البراء بن عازب قال : أمرنا النبي صلى الله عليه وسلم بسبع ونهانا عن سبع فذكر عيادة المريض واتباع الجنائز وتشميت العاطس ورد السلام ونصر المظلوم وإجابة الداعي وإبرار القسم » قال العلماء : نصر المظلوم فرض على المؤمنين على الكفاية فمن قام به سقط عن الباقين . (5) .

كيف وأن المظلوم شعب بأكمله نهبوا أمواله وهتكوا أعراضه وأفسدوا نساءه وأذلوا رجاله وسودوا عليه فجاره وقطعوا أرزاقه، فعلينا ألا نركن للظالمين ولا نطيع الدولة ومؤسساتها وقوانينها ونظمها التي أنشأتها لتحمي نفسها وتديم ظلمها وتطيل من عمرها، وجب علينا ذلك بناء على القاعدة الفقهية «الضرر يزال» أي تجب إزالته لان الإخبار في كلام الفقهاء للوجوب (6) ولوجوب درء المفاسد قبل جلب المصالح ولان في سياسة النظام الحاكم أكبر من المصالح، وأقوى والضرر أعظم علينا بدفع المفسدة الاعظم وهي النظام الحاكم عينه . إن رفض الركون للظالمين مبني على إدراك حقيقة طالما أهملت وهي أن طاعة القانون تعني حمل مسؤولية ما ينجر عنه فمن يخضع لقانون ظالم مسؤول عن ظلم القانون، وعليه أن يبرئ نفسه ولا يكون ذلك إلا عن طريق سحب الثقة من النظام الحاكم .

إن الديمقراطية وسيلة من الوسائل المستعملة لدفع الفرد وإرغامه على الركون للظالمين، فليس رأي الاغلبية هو الذي يحدد ويبين الحق والعدل بل الله سبحانه وتعالى هو الذي يبين ويحدد «... تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعدى حدود الله فأولئك هم الظالمون» (7)، إن رأي الاغلبية لا اعتبار له كما أنه ليس القانون الذي يملي علينا الحق والعدل بل ما هو حق وعدل هو الذي يملي القانون وشرع الله سبحانه وسراطه المستقيم هو الحق والعدل وما سواه ظلم وفساد وباطل، فالذين لهم مهمة إرغام الناس على «احترام» القانون الظالم سواء كانوا سلطة تنفيذية كالحكومة والولاة والشرطة والدرك أو سلطة قضائية كالمحاكم والقضاة، أو سلطة تشريعية كالمجلس «الشعبي» الوطني يشتركون في جريمة واحدة هي خيانة الله ورسوله عليه الصلاة والسلام « يا أيها الذين امنوا لا تخونوا الله والرسول» بتعطيل الفرائض والسنن ولا تتخندقوا وراء الحجة القائلة أن طاعة القانون واجبة لان القانون هو القانون فهذه قولة جاهل متعنت «ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون» (8) .

«ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون» (9).

لقد علمنا الإسلام أن لا ننظر إلى منكر وظلم خاص كحالة معزولة تعالج بصفة معزولة فبالتحليل الموضوعي للحالة الإقتصادية والسياسية و الإجتماعية والإخلاقية وبالتعمق في أسباب الظلم والمنكر يبرز لكل نبيه عاقل أن المظالم والمنكرات التي تظهر لنا معزولة ما هي إلا أمراض لمرض عميق أصاب نفوس البشر في معتقدهم فانعكس على سلوكهم وتصرفاتهم وعم النظام بكل أجزائه . قال تعالى:« لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون» . بالسكوت على الظلم والمنكر والفساد ولهذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم : و الذي نفسي بيده

لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعون فلا يستجاب لكم» (10) .

من هنا يكون العمل العلاجي مهما كانت ضرورته في بعض الحالات في غير المستوى الذي يتطلبه الوضع من حيث ضرورة اقتلاع جذور الظلم مما يستوجب الدخول في صراع سياسي شامل لتغيير النظام بأكمله . لقد أثبتت الاحداث والسنون أنه من غير المجدي مواجهة أعراض المرض بدون اقتلاع جذوره . والمرض العميق عندنا في الجزائر أن النظام الحاكم غير إسلامي في منهجه وقوانينه وإدارته يحكم بشرائح اليهود والنصارى والمجوس مما أدى إلى ظلم عظيم وفساد كبير يعاني منه الفرد يوميا في شكل تسلط وغلاء العيش وضياع كرامة الإنسان .

وأفضل السبل في الوقت الراهن لتغيير النظام هي المقاطعة الكاملة الشاملة لكل عناصره ومؤسساته. عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل أنه كان الرجل يلقي الرجل فيقول يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك ثم يلقاه في الغد وهو على حاله فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده فلما فعلو ا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ثم قال :« إن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم ... إلى قوله فاسقون» .

ثم قال : كلا والله لتأمرون بالمعروف ولتنهون عن المنكر وليأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق أطرا ولتقصرنه على الحق قصرا أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ثم ليلعنكم كما لعنهم» (11) .

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: يا أيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية:« يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم» . وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه» (12) .

من هنا يكون من الوهم أن ننتظر إقامة العدل ودولة الإسلام غائبة وبدون المطالبة بتغيير عميق وشامل للنظام السياسي والإقتصادي والإجتماعي ويجب على كل مسلم أن يتنبه وأن لا يغتر بسياسة «الإصلاحات» التي يقوم بها النظام الحاكم إنها من أعظم المفاسد التي ترتكب في حق الامة خطط لها اليهود لتحطيم قدرات الامة الاخلاقية والإقتصادية والإجتماعية والعسكرية .

لهذا فإنه من العبث أن يقتصر العمل السياسي والنقابي على مجرد التنديد والإستنكار بتنظيم المسيرات وإصدار البيانات أو القيام بالإضرابات المتقطعة والجزئية التي تهون من عزيمة الامة وتشتت جهدها فتعدد هذه المظاهر الإحتجاجية المعزولة لا مستقبل لها ولا يمكن أن نبلغ بها المرام ونقيم بها دولة الإسلام .

إن الحل الوحيد هو قلب النظام رأسا على عقب بالمقاومة الشعبية المبنية على مبدإ اللاركون(العصيان

المدني) من هنا فإن العمل النقابي والسياسي يجب أن يستنفر العمال والافراد ويعبئهم معنويا وماديا لتحقيق نقاط آستراتيجية منها العمل على إقامة الدولة الإسلامية بالجزائر في أقرب وقت وضرورة تطبيق الشرع الإسلامي الذي يحقق العدل حيث ستزول كل التناقضات والصراعات بين الافراد والمؤسسات من جهة أخرى .

إن العمل اليومي لإقامة الحكم الإسلامي وجعله هدفا من شأنه أن يوجه أعمالنا ويؤدي بنا إلى تصحيح أخطاء الواقع القائم على شرائع ظالمة وضعها الناس حسب أهوائهم*.

كما أن العمل النقابي والسياسي الإسلامي يجندنا حول مشروع مجتمع شامل كامل مبني على الإسلام حيث يضع علاجا ومقترحات واقعية وملموسة انطلاقا من التحليل الدقيق بهدف وضع هياكل اجتماعية قادرة على إقامة الحق والعدل والقضاء على الظلم والطغيان .

من أجل ذلك يجب توحيد الجهود والطاقات وتوجيهها في اتجاه واحد هو الدولة الإسلامية وكل عمل من أي طرف كان تكون نتيجته تفتيت هذا الجهد وتشتيت صف الشعب الجزائري يعتبر خيانة وجرما في حق الإسلام والمسلمين ومستقبل هذا الدين .

الوسائل وطرق العمل

أ- بين العمل المسلح والسياسي والعصيان المدني :

إن العصيان المدني أو اللاركون يعد منزلة وسطا بين العمل السياسي والعمل المسلح من حيث استعمال الوسائل أما الاهداف فتبقى واحدة لكل عمل منهما. فكلها تهدف إلى إقامة الحكم الإسلامي لكنها تختلف في وسائلها كما أن استعمال إحدى هذه الوسائل خاضع للتقدير الحسن والجيد للظروف السياسية والإجتماعية والإقتصادية والنفسية وغيرها للمجتمع في لحظة معينة من الزمن . أو كما يقول العسكريون تقدير الموقف الذي يبني على معرفة قوى العدو ونقاط ضعفه وقوته وقوانا الخاصة والمحيط بكل أبعاده وعلى تقدير الموقف يبني بعد ذلك القرار واختيار الوسائل، إما في شكل عمل سياسي أو مسلح، وعصيان مدني . والقيادة الرشيدة هي التي تحسن إتخاذ القرار في الوقت المناسب والمكان المناسب بالوسيلة المناسبة . وقد أبرزت التجارب أن العمل المسلح سابق لاوانه لعدة إعتبارات، كما أن العمل السياسي المحض يوشك أن يصل إلى طريق مسدود . ويبقى العصيان المدني هو الحل المناسب في الوقت الراهن .

إن اللجوء الى العنف من طرفنا يكون مبررا للنظام لكي يتخلى عن مسؤولياته ويبرر بذلك إستعماله للعنف والقوة، أما اللجوء إلى العصيان المدني فإنه ينتزع من النظام هذا المبرر ويظهره عاريا على حقيقته المبنية على الظلم والطغيان وآستعمال القوة .

إن العصيان المدني ليس وسيلة العنف لكنه يقوم على مبدإ عدم التعاون واللاركون وعدم الرضا وعدم التعاون مع النظام .

ب- أهمية التنظيم :

من أخطر الامراض التي تعوق الوصول إلى الهدف بسرعة هو غياب التنظيم والإنظباط في العمل النقابي والسياسي. فالفاعلية والتأثير مرتبطان بالقوة المنظمة والمركزة في اتجاه واحد وبعدد كبير من الافراد، ولا يمكن للانسان أن يشعر بأهمية الطاعة والإنضباط إلا في حالات المواجهة والصراع مع النظام واستعماله لوسائل القمع ولهذا يجب أن تصبح النقابة والحزب تنظيمين حقيقيين، يتحرك من خلاله العمال والافراد بانتظام وانضباط مما يتطلب مشاركة الجميع وانصهارهم داخل النظام النقابي والحزبي وضرورة وقوفهم كرجل واحد خاصة في مرحلة تنفيذ القرارات والإنتقال إلى العمل المباشر في ميدان الصراع. ولهذا يكون في مثل هذه الظروف وجود مركز للقرار من أجل تحقيق الإنسجام ووحدة الحركة والعمل، وبدون ذلك فإن القوات تبدد والنشاط يراوح مكا نه .

ج- طرق استنفار الرأي العام :

يجب علينا إظهار الظالم عاريا أمام الناس مكشوفا للرأي العام بكل الوسائل المكنة. إنه من الضروري الوصول إلى الامانة بكل الوسائل لتبليغها أهدافها بوضوح وبدون تشويه، كما يجب وضع الامة أمام مسؤولياتها.

وأهم الطرق المستعملة لبلوغ ذلك في إطار استراتيجية العصيان المدني هي:

1- البيان : تصاغ البيانات وتعرض فيها أسباب وأهداف العمل والنشاط النقابي والسياسي ومواقفه في الاحداث والسياسات والقوانين والقرارات وكذا المقالات والاخبار وما إليها.

2- العارضة : هي جمع أكبر عدد من الإمضاءات على نص معين ضد ظلم أو منكر أو فساد معين أو نص يطالب بحل معين تكون الإمضاءات بمثابة الدعم وتعبير عن موقف مؤيد كما تعبر عن إرادة جماعية مصرة على حل المشاكل أو إزالة الظلم المذكور في العارضة . ترسل العارضة أو تسلم إلى الذين لهم سلطة القرار سواء كان الجهاز التنفيذي(رئيس الجمهورية، الحكومة، الوزير، الوالي...ألخ) أو الجهاز التشريعي(المجلس الشعبي الوطني) أو الجهاز القضائي .

3- المظاهرة : وتسمى الإستعراض، تكون في شكل صفوف تتنقل عبر الشوارع ترفع خلالها لافتات للإعلام وتبيان مطالب المظاهرة وليس الهدف من المظاهرة مجرد الإعلام بل كسب أكبر عدد ممكن من الناس وضمهم إلى القضية المطروحة كما تعبر عن موقف شعبي .

4- المسيرة : نتحدث عن المسيرة عندما ينتقل المتظاهرون من مدينة إلى أخرى . الهدف منها استنفار

الناس بالجهات التي تمر بها المسيرة. تحمل خلالها لافتات من قماش أو خشب مكتوب عليها مطالب المسيرة توزع خلالها المناشير والبيانات الموضحة للمطالب كما تنظم تجمعات عند كل قرية أو مدينة تكون محطات عبر طريقها، يتم خلال هذه التجمعات مناقشة القضايا التي تهدف إلى تحقيقها.

5- الإنذار النهائي : يصحب كل التحركات من (بيانات ومظاهرة ومسيرة) حوار مع الجهات صاحبة القرار. وعند فشل كل محاولات الحوار يصبح من الضروري تحديد آخر أجل للإنتقال إلى مرحلة ثانية من العمل تتميز بالعمل الميداني المباشر. يكون الإنذار الاخير مكتوبا يذكر بالاسباب والاهداف والمفاوضات السابقة وأسباب فشلها. ويعتبر الإنذار النهائي وسيلة من وسائل الإقناع ويعتبرها النظام الحاكم تهديدا ومساومة وبالتالي سيرفض الإنذار لا محالة .

6- الصراع المباشر ووسائله : عندما يصبح من الضروري والمحتم الدخول في صراع ومعركة مع النظام بعد فشل وسائل الإقناع، يكون من المفيد اللجوء إلى وسائل أعنف في هذه المرحلة لا يدعى الرأي العام لإبراز موقفه من المشكل المطروح بل يصبح من الضروري دعوته للعمل والنزول إلى الميدان وساحة الصراع . وتتميز هذه المرحلة بالتواصل وعدم انقطاع المظاهرات والمسيرات وقد يشتد الصراع إلى درجة تمنع فيها السلطة المظاهرات ولا بد في هذه المرحلة من ضرورة تقييم قدرة المتظاهرين على مواجهة السلطة بوسائل أمنها وقمعها(الشرطة، الدرك، الجيش) . فيجب تدعيم التأطير ومصالح أمن المظاهرات وربما تقليص عدد المتظاهرين قصد التحكم فيها. فأي انقطاع للمظاهرات يمكن أن يؤثر سلبا على معنويات الافراد .

ونجد أن الوسائل والطرق المستعملة في هذا الصراع هي :

1- **الإخلاء** : أنه يوم إضراب عام يطالب فيه من كل الشعب مغادرة أماكن العمل والطرق. إنه يوم تتعطل فيه كل النشاطات وقد يقرر الإخلاء لتدشين مرحلة الصراع والمواجهة المباشرة، إن الإخلاء يعبر عن تصميم الشعب في مواصلة الصراع حتى الإعتراف بحقوقه، كما يبرز وحدة وانضباط الشعب، كما يعبر نجاح الإخلاء عن إدراك الامة لابعاد الصراع .

2- **المقاطعة** : إن مبدأ المقاطعة من المبادىء والطرق الاساسية في الصراع مع الحكم الظالم يمكن أن تكون مقاطعة لها أشكال مختلفة، كمقاطعة السلع أو المؤسسات، كعدم دفع الضرائب، عدم التعامل أو العدالة وغير ذلك. ولا يمكن أن تنجح المقاطعة إلا باشتراك أكبر عدد من الافراد ويكون هدفها محدد ودقيق.

3- **الجلوس في المكان** : إنه احتلال المكان عن طريق الجلوس فيه سواء كان المكان مصنعا أو محلا أو شارعا. الهدف منه فرض الحوار على النظام وإرغامه على الإعتراف بحقوق وواجبات كان يرفضها. كما يمكن أن يستعمل الجلوس لمواجهة الشرطة أو الدرك أو الجيش في طريق عمومي، ويجب أن تكون الصفوف الاولى جد محضرة لمواجهة هجوم وسائل القمع .

4- **الإضراب** : إن الإضراب في المصانع والإدارات، وهو توقف عن العمل يعبر عن رفض واستنكار العمال للمظالم التي تقع على الافراد وهضم الحقوق وإفساد الامة. ولكن الإضراب له سلبيات يجب أخذها بعين الإعتبار حيث يكون محددا في الزمان والمكان مما يجعل كل جهة تعمل لوحدها بدون التنسيق والتعاون مع مختلف المؤسسات والقطاعات والجهات. كما أنه يفتت إرادة العامل ويضعف إحساسه بضرورة التغيير الشامل والكلي، كما يضع العامل في مواجهة المواطن بدل أن يصبح المواطن والعامل كل في مواجهة النظام الحاكم . ففي ظروف متأزمة كالتي يمر بها النظام الحاكم يكون من الافضل الإنتقال إلى الإضراب الشامل والعام.

5- **الإضراب العام** : إنه إضراب الشعب بأكمله العازم على كسر طوق الظلم والإضطهاد الذي يثقل كاهله، إنه إحتجاج ورفض قاطع للنظام القائم وللتعبير عن ذلك عمليا، يكون الإضراب العام مفتوحا حتى سقوط النظام الحاكم واستبداله بنظام إسلامي.

6- **تعويض السلطة** : بدل ترك مكان العمل والتوقف عن كل نشاط يمكن أن يكون من المجدي بهدف إفشال النظام بأن يتم تعويضه من الداخل برفض أوامره وتوجيهاته وتطبيق فقط توجيهات القيادة النقابية أو السياسية، إنها طريقة تتطلب الخروج عن كل القوانين وتستلزم تطبيق توجيهات القيادة النقابية أو السياسية التي تصبح هي السلطة الفعلية في البلاد .

الهوامش :

1 - سورة هود / 113
2 - سورة المائدة / 78 - 79
3 - رواه أحمد والطبراني
4 - رواه البخاري
5 - البخاري على العيني
6 - شرح القواعد الفقهية للشيخ أحمد الزرقاء (دار الغرب ص125)
7 - سورة البقرة/ 229
8 - سورة الجاثية / 18
9 - سورة آل عمران / 104
10 - رواه الترميذي
11 - رواه أبو داوود والترميذي وقال حديث حسن
12 - رواه أبو داوود والترميذي بأسانيد صحيحة (رياض الصالحين)

الفهرس

هذا الكتاب

أول كتاب في موضوعه يصدر باللغة العربية في الجزائر حول هذا التحول أو المخاض الشامل للثقافة والسياسة والمجتمع... الجزائري المعاصر.

إنه ما يسمى بظاهرة : «الإسلام السياسي» الظاهرة الأكثر «حداثة» في زمننا «المتقادم» ؟!

كتاب ميزته الأساس أنه مكتوب ومؤلف من قلب الأحداث، بمعاناة المواطن المشفق والمؤرخ الأمين والناقد المستشرف للآفاق.

كتاب توثيقي بالأساس، اجتهد في جمع المادة وعرض الآراء بأقصى حيدة ممكنة وأعلى درجات الموضوعية التي تسمح بها تناقضات الأطراف وصراع التيارات.

لا يتخذ موقفا، غير أنه يعرض لمختلف المواقف يقدم تحليله الخاص، ولكن إلى جانب شتى التحليلات ومختلف الآراء والنظريات، المفسرة أو المؤولة أو المستشرفة ؛ بأمانة ونزاهة من يهمه رضى القارئ لا رضى الذات، مصلحة المستقبل لا أهواء الإيديولوجيات...